٦٠/-

سنن المهتدين
في مقامات الدين

للعلامة خطيب غرناطة

محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري

المعروف بالمواق المتوفى سنة 897 هـ

دراسة وتحقيق

الأستاذ محمدن بن سيدي محمد بن حمَّينً

عنوان الكتاب : سنن المهتدين في مقامات الدين .
المؤلف : محمد المواق الغرناطي .
الطبعة : الأولى .
تاريخ النشر : 2002
الناشر : مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي .
المطبعة : بني يزناسن . سلا .
الإيداع القانوني : 2001-1801
ردمك : 3 - 2099 - 0 - 9954

شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره، وهو المستحق للحمد والشكر ومن حمده وشكره شكر الوسائط، والاعتراف بالجميل ومكافاته بالثناء الجزيل لأن من لم يحمد الناس لم يحمد الله.

وقد تفضل الله علينا بمؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي التي حرصت على أن تتولى نفقات طباعة هذا الكتاب مشكورة فجزى الله خيرا صاحبها الأستاذ الفاضل والكاتب الباحث مربيه ربه ماء العينين.

وقد قامت شركة التامين الإسلامي بموريتانيا بمبادرة من رئيسها الأستاذ الفاضل الشريف مولاي الحسن ولد المختار ولد الحسن بتقديم مساعدة سخية في نفقات تحضير هذا الكتاب للطبع والنفقات المصاحبة للطباعة، وقد عرف السيد مولاي الحسن بحبه للعلم وتشجيعه لنشره بين الناس، ليشفع جهاده في مجال الاقتصاد الإسلامي بجهاده في مجال بث العلم ونشره، فجزاه الله خيرا.

المحقق

محمدن بن سيدي محمد بن حمَّينَّ

مقدمة التحقيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد /

فيعود اهتمامي وشغفي بكتاب سنن المهتدين في مقامات الدين للمواق إلى عهد الصغر إذ كنت أسمع دائما من المشائخ العزو إلى هذا الكتاب وذكره والتنويه به وقد كانت توجد بقريتنا نسخة منه عتيقة أصابها البلل والتلف وكنت دائما أتوق إلى مطالعته واقتناء نسخة منه.

وظلت في نفسي لهذا الكتاب تلك المكانة الرفيعة وظل لاسمه في أذني نغم خاص وإيقاع متميز.

فلما كبرت وقدر أن حصلت على نسخة وطالعته لم يكن الكتاب كما قيل:"تسمع بالمعيدي خير من أن تراه" بل كما قيل: "ليس الخبر كالعيان" فاستنسخت منه نسخة خطية وصرت أصطحبها معي في الحل والترحال وطالعته مرات ومرات وكل مرة أطالعه فيها أتبين فوائده فألفيته حقا دستور التوفيق بين أصحاب المآخذ المختلفة فيه الإنصاف والعدل والعلم ولا يطالعه أحد إلا انتفع به بإذن الله ولا غرو فصاحبه رجل رباني صالح مخلص النية.

أما أنا فقد أزال عن قلبي كثيرا من الإشكال وأنار أمامي السبيل.

فعزمت على طبعه ونشره لتعم الفائدة ولكن أنى لي ذلك والخطب جليل والجهد قليل والزاد ضئيل ولكن بالاعتماد على الله أقدمت على ما عنه أحجمت،

فعقدت العزم وصرت أجمع النسخ وأستنسخ منها نسخة للتحقيق فظفرت بالنسخة الحجرية ثم ظفرت بالنسخة التونسية وبدأت في العمل وذلك سنة 1997م.

ولا أنسى بعد حمد الله وشكره على نعمه التي لا تحصى أن أشكر كل أولئك الذين شجعوني وساعدوني في هذا العمل فجزاهم الله خيرا واذكر من هؤلاء:

الشيخ الباحث المحدث **الطالب أخيار بن الشيخ مامين آل الشيخ ماء العينين** الذي زودني بصورة من النسخة الحجرية القديمة وصورة من نسخة موريتانية عتيقة كما فتح لي أبواب مكتبته الغنية بالمراجع والأمهات، فجزاه الله خيرا.

أخي وشقيقي الأستاذ **محمد سالم بن سيدي محمد بن حمَّينّه** الذي قام بجهد كبير في التصحيح والتخريج والتعريف ومقابلة النسخ كما قام بطبع الكتاب في الجهاز وتصحيحه فلولا جهده لما تحقق هذا العمل في هذه الفترة الوجيزة نسبيا فجزاه الله خيرا.

وليس عمل التحقيق بالعمل السهل البسيط إذا أراد صاحبه الدقة والأمانة العلمية والمنهجية والإفادة، وذلك ما توخيت فأرجوا أن أكون وفقت فيما توخيت وإلا فما "على أعرج في ذلك من حرج" كما قيل

والله سبحانه وتعالى نسأله أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم ويوفقنا ويأخذ بأيدينا إلى سواء السبيل.

المحقق

محمدن ولد سيدي محمد ولد اتّاه ولد حمَّينّه

غرة صفر سنة 1422هـ/ الموافق 24 / 04 / 2001

التعريف بالمؤلف

مملكة غرناطة في عهد المواق

الأوضاع السياسية:

لقد عاصر المواق عهد مجموعة من أمراء بني الأحمر هم: يوسف الثاني ومحمد السابع ويوسف الثالث ومحمد الصغير ويوسف الرابع الملقب الأحمر ومحمد التاسع الملقب السمين وإسماعيل الثالث وابنه مولاي حسن وسعد بن محمد وابنه أبو الحسن علي وأخوه الزغل وابنه أبو عبد الله الصغير ، وهي الفترة التي امتدت من سنة 793 هـ، تاريخ وفاة السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله أكبر سلاطين غرناطة وأطولهم عهدا في الحكم إلى سنة 897 هـ تاريخ سقوط غرناطة. وقد شهد النصف الأول من هذا القرن أي التاسع الهجري حملات مسعورة من قبل مملكة قشتالة للاستيلاء على غرناطة في وقت خضعت فيه جميع الأندلس للتغلب النصراني. وقد سقطت القاعدة الغرناطية التي كانت من أحصن البلاد في يد القشتاليين سنة 813 هـ 1410 م، وفي سنة 834 هـ نشبت حرب بين المملكتين اقتحم فيها الجيش القشتالي أرض غرناطة ووصل إلى ضواحيها، ثم تكررت الحملات القشتالية على غرناطة ما بين 859هـ إلى861هـ، كان من نتائجها سقوط جبل طارق في يد القشتاليين سنة 866هـ ليقطعوا بذلك آخر خيط يربط بين الأندلس وبلاد الشمال الإفريقي التي كانت تأتي منها المعونة وتزامن ذلك مع تفكك الدولة المرينية بالمغرب. وكان الضعف قد سيطر على بني عبد الواد في تلمسان والحفصيين في تونس وما يقال عن هؤلاء يقال عن دولة المماليك في مصر، أما

العثمانيون فقد كانت لديهم انشغالاتهم في المشرق وفي شرق أروبا. ومما زاد الطين بلة سريان الخلاف إلى البيت الغرناطي ونشوب الحرب بين أوليائه، ففي سنة 878هـ ثار على السلطان سعد بن محمد بن يوسف ابنه أبو الحسن علي (865 ـ 887هـ) الذي التف حوله بنو سراج وهم أسرة نبيلة ذات نفوذ سياسي كبير وقام أبو الحسن هذا بخلع أبيه ونفيه، ثم لم يلبث الخلاف أن نشب بين أبي الحسن وبني سراج مؤيديه في الإطاحة بأبيه ونادوا إلى الثورة وبالإمارة لأخيه محمد بن سعد المخلوع والملقب بالزغل حيث اشتد الصراع بين الأخوين فيما بينهما من جهة وبينهما وبين مملكتي قشتالة وآراغون المتحدتين من جهة أخرى وسقطت عدة مدن من غرناطة مثل مدينة لوشة والحامة، وفي ذلك الأثناء توفي أبو الحسن ونودي بأخيه الزغل مكانه سلطانا. واشتدت الحملات القشتالية للاستيلاء على جبال رندة ومالقة وفحص غرناطة حيث تم لهم ذلك سنة 890هـ 1485م. ثم تمكن أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن من الاستيلاء على حي البيازين بغرناطة سنة 891هـ 1486م بمساعدة من القشتاليين وبدأ التفاوض مع عمه الزغل واعترف بإمامته والانضمام إليه لمقاومة الغزو القشتالي، فأثار ذلك حفيظة القشتاليين فصمموا على الاستيلاء على كافة حصون غرناطة ومحاصرتها حتى بدأ أبو عبد الله الصغير مفاوضاته السرية لتسليم غرناطة وذلك في ليلة 29 من صفر سنة 897هـ 1 من يناير 1492م وبهذا سقط آخر معقل من معاقل الإسلام في الأندلس. وبما أن المواق عاصر هذه الفترة الأخيرة التي اتسمت بالصراع على السلطة فلا بد أن يكون له موقف منها قد يتجلى لنا من خلال توجيهات نلحظها أحيانا في الحث على السمع والطاعة للسلطان والتنويه بدوره في الحفاظ على الأمن وهو ما تكرر كثيرا في كتاباته خاصة في سنن المهتدين.

الأوضاع الاجتماعية:

ومن الناحية الاجتماعية، يعتبر العصر الذي عاش فيه المواق عصر احتكاك مع القشتاليين من مستعربين وتجار وجنود وأسرى ومهاجرين في غرناطة والمرية ومالقة فأخذ عنهم الغرناطيون كثيرا من العادات في اللباس والتسلح وحتى في تنفيذ أحكام الإعدام، ويؤكد ابن خلدون أن النصريين تأثروا بالقشتاليين في خلع العمامة وفي اللباس ونحت تماثيل الزينة، بمعنى أن الشخصية الإسبانية أصبحت غالبة على السكان المسلمين وأصبحت ندرة الأصول العربية شيئا ملحوظا من خلال دراسة الأسماء التي تظهر في سجلات غرناطة الشرعية خلال القرن 9هـ 15م مما جعل بعضهم ينفي وجود عرب في مملكة غرناطة وهذا أمر مستبعد جدا خاصة إذا علمنا أن مترجمنا ينسب إلى بني عبد الدار – إذ كل من ترجموا له يقول العبدري – ولكن وجود عرب ومستعربين يجب أن لا يكون موضع شك كل ما في الأمر أن تأثر النصريين بالقشتاليين والشماليين بشكل عام دليل على تبعية وخضوع وغلبة اكتملت فيما بعد بالانتصار السياسي بسقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين.

الأوضاع الدينية:

كانت مملكة غرناطة تقع جنوبي خط الحدود أي في البلاد التي يحسبها المسيحيون "أرض المغاربيين" وكانت دولة مسلمة بشكل رئيسي فيها قليل من الأحياء اليهودية (في غرناطة نفسها وفي مالقة ولوشا على الخصوص) ولا يوجد بها سكان مسيحيون أصليون على الإطلاق وإنما كان فيها مقيمون مسيحيون وكانوا موضع تسامح ديني ومن بينهم التجار واللاجئون والسياسيون والمارقون والأسرى وغير ذلك بمعنى أن غرناطة كانت في عهد النصريين موطن تعايش بين الإسلام واليهودية وإلى حد ما المسيحية.

أما إلى الشمال من الخط الجدودي فكانت مناطق الحكم النصراني التي تتعايش فيها الديانات الثلاث المسيحية والإسلام واليهودية وربما المجوسية ممثلة في الباسك.

وكان مسلمو الشمال المسيحي يدعون "المدجنين" ومسيحيو الجنوب يدعون المستعربين وكانت أوضاع هؤلاء وأولئك تفرض أنواعا من الاحتكاك الذي نجد أثره في التعامل بين أنظمتي الحكم في الشمال والجنوب كما نجد أثره في الفكر الديني والفتاوى بشكل خاص فقد صدرت فتاوى حول لزوم الهجرة من أرض المشركين إلى دار الإسلام، من ذلك فتاوى صدرت من الفقيه ابن مقلاس الذي عاش حتى أواخر القرن الثامن الهجري وفتاوى كثيرة أوردها الونشريسي في المعيار، وبالرغم من تلك الفتاوى فقد بقيت مجموعة كبيرة من المسلمين المستضعفين تحت الحكم النصراني شمال خط الحدود وحتى جنوبه بعد سقوط غرناطة وإن كان قد هاجر أو هُجِّرَ منهم بعد ذلك ما يربوا على 600.000 نسمة حسب تقدير الباحثين. وكان هؤلاء "المدجنون" حسب تعبير بعض الباحثين الغربيين أو المستضعفين حسب التعبير الإسلامي شديدي التمسك بدينهم وكان بينهم علماء يؤطرونهم وغلب على بعضهم الإسلام السري (مبدأ التقية) وخاصة بعد سقوط غرناطة وقيام حملات التنصير والتنكيل ومحاكم التفتيش. كل ذلك شجع مبدأ التقية ودعم هذا الاتجاه المنحى الصوفي في التدين وشيوع ظاهرة التعبد بالصوامع والعزلة وغير ذلك مما تمليه أحوال الغربة في المفهوم الإسلامي كالهجرة بسبب التنكيل ومحاولة التنصير.

وليس اليهود بعد سقوط غرناطة بأحسن حظا من المسلمين فقد صدرت أوامر بتنفيذ الطرد في حقهم في أغسطس من سنة 1492م 898هـ من غرناطة التي لجأوا إليها سنة1391م 794هـ في عهد بني نصر بعد محاولة إكراههم على تغيير ديانتهم إبان فترة الموحدين في الأندلس ومن بعدهم وإن كنا نجزم بأن بقية منهم آثرت البقاء إلى جانب المسلمين الذين أصبحوا فيما بعد يدعون "المورسكيين" وهو تعبير يطلق على المسلمين تحت حكم النصارى.

الأوضاع الثقافية:

أما من الناحية الثقافية فمما لاشك فيه أن سكان غرناطة كانوا يتكلمون بعض اللغات الإيبيرية وكانوا ذوي طبيعة مختلطة فأثر ذلك في تطور اللغة المحكية بين الناس حيث تسربت اللغة الرومانسية فعلا إلى لغة الكلام اليومي ولكنها لم تأخذ مكان العربية بل اختلطت بها في الكلام الدارج.ومع ذلك ظلت العربية في نمو وتطور حيث استجد منها الكثير من الكلمات ذات الجذر العربي الفصيح لكنها أندلسية النحت ويعلم ذلك من مخزون الكلمات الدالة على الأدوات والأطعمة وهو مخزون هائل.

وقد انقلبت جميع المعطيات مع تقدم النصارى في القرن السابع ووقوع عدد كبير من المسلمين تحت سلطتهم وتسميتهم بالمدجنين وتقلص بلاد الأندلس وانحصارها في مملكة غرناطة التي أصبحت ملجأ لسيول الهاربين والفارين من الاحتلال النصراني وانتشرت أماكن النسك والصوامع والرباطات وبلغت أكثر من ثلاثين حسب وثائق الاحتلال الإسباني وكذلك أماكن التعليم الرسمي وقد نشأت أول مدرسة في غرناطة سنة 750هـ على يد يوسف النصري الأول فجمعت العلماء المحليين وبعض علماء المغرب مثل ابن مرزوق الذي وصل غرناطة عام 754هـ. وحدث انغلاق فكري أدى إلى توجيه الإنتاج الفكري في شكل محصلات تعليمية جردية نظمية أحيانا ونثرية أحيانا، من خير ما يمثلها منظومة تحفة الحكام لأبي بكر بن عاصم. وظهر اتجاه فكري آخر يمكن أن نسميه نقديا، مثله أبو إسحاق الشاطبي الغرناطي كرد فعل على كتب الوصفات الفقهية الجاهزة، واعتبر الشاطبي أن الهدف من الفقه مخافة الله وتسهيل أمور المسلمين ولذلك صدرت عنه فتاوى مبنية على أساس المصالح المرسلة ورفع الحرج والاعتبار بمقاصد الشريعة، وفي هذا الاتجاه ثورة على أصول الفقه التقليدية حاول الشاطبي أن يؤسسها من خلال كتابه الموافقات وكتاب الاعتصام الذي جعل فيه الدليل العقلي المطلق مبدأ عقليا

كالعدالة والإحسان والصبر والعفو. ولكن مبادئ الشاطبي ضاعت ولم تجد التطوير أمام المختصرات وأعمال التبسيط العملي لتلميذه ابن عاصم ومعاصره ابن لب المتمسك بالمأخذ الصوفي. ولعل خير دليل على ما وصل إليه الحال من جمود في الفكر واستسلام للواقع ما يعبر عنه المواق في كتابه هذا من أنه لا يعدوا عبارة من سلفه حتى أن كتابه السنن عبارة عن مجموعة من الأقوال المأثورة أحيانا كثيرة تخلوا من الربط بينها مع الاختصار الشديد ويتضح ذلك أيضا من خلال التاج والإكليل.

ولعل موقف الشاطبي الآنف الذكر تمليه أحوال المسلمين وأوضاعهم الجديدة في ظل الاحتلال النصراني لكثير من بلدان المسلمين وما طرح ذلك الوضع الجديد من مشاكل فقهية تتعلق بإقامة المسلمين تحت سيطرة النصارى، وقد بقي عدد قليل من العلماء لتأطير الطبقات الشعبية التي لم تهاجر وحتى في غرناطة التي بقيت فيها حياة دينية، فقد هاجر من علمائها إلى المغرب وإلى المشرق عدد غير قليل وخاصة في صفوف المتصوفة وذلك قبل سقوط غرناطة وأثناءه وربما بعده.

التعريف بالمؤلف

اسمه ونسبه:

هو محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري وتذكر بعض المصادر العبدوسي ولعله تصحيف العبدري الغرناطي يكنى أبا عبد الله يعرف بالمواق أو ابن المواق بفتح الميم وشد الواو وآخره قاف مثناة ، هكذا نسبه كافة من ترجموا له مثل صاحب الشجرة والنيل والتوشيح ورضى كحالة وصاحب كشف الظنون والسخاوي في الضوء اللامع والكتاني في فهرس الفهارس ، وسماه الحطاب في حاشيته على المختصر محمد بن المواق.

والمواق لعله من الموق وهو الخف الغليظ يلبس فوق الخف جمعه أمواق قيل فارسي معرب وقيل عربي صحيح ومنه حديث: أن النبي ﷺ توضأ ومسح على موقيه. ومنه قول النمر بن تولب:

فتـــرى النعـــاج تمشّـي خلفـــه   مشـــي العباديّيـــن فـي الأمـــواق

انظر تاج العروس مادة ماق 7/73

وهنالك فقيه قرطبي ولي قضاء فاس يلقب بالمواق ويدعى أبا بكر بن خلف الأنصاري المتوفى بفاس سنة 599هـ ذكره التادلي في كتابه التشوف إلى رجال التصوف ، له ترجمة في الجذوة والتكملة والسلوة. والذي يبدوا أنه لا علاقة بين الرجلين لأن أحدهما أنصاري والآخر عبدري كما نسبه المترجمون إلى بني عبد الدار ولعله من ذرية عامر بن وهب الذي ذكره ابن حزم في الجمهرة وقال عنه إنه

"كان له بالأندلس قدر، وقد بعث إليه أبو جعفر المنصور بولاية الأندلس وقام بسرقسطة وقتله يوسف بن عبد الرحمن الفهري وله عقب كثير بسرقسطة بقرية قربلان" وذكر من ولده بالأندلس عمر بن المصعب فقيها وعامر بن وهب هذا من عقب زرارة أبي عزير بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. وقد اقتصر المترجمون للمواق كلهم على جده الثاني يوسف والد أبي القاسم.ولا تسعف المصادر التاريخية بشيء يذكر حول تاريخ مولد المواق ، كما لا تفيد بشيء حول أسرته وتاريخ وصولهم إلى غرناطة من سرقسطة إن كانوا من ولد عامر بن وهب المتقدم أو من غيرها من بلاد الأندلس، إذ من المعروف أن المسلمين أرزوا إليها بعد استيلاء النصارى على بقية بلاد الأندلس،ولا تتحدث المصادر كذلك عن والده. كل ما تذكره المصادر في هذا الصدد أن محمد بن سعد المعروف بابن بقي المترجم له في الإحاطة وغيرها والمتوفى 791هـ جد المواق لأمه وشيخ شيخه المنتوري وصهره أي أبو زوجة المنتوري وهي خالة المواق. على الرغم من كل ذلك فإننا نرجح أنه ولدَ في العشر الأوائل من القرن التاسع وذلك للأسباب التالية:

1ـ أن أهم شيوخه وأساتذته الذين أخذ عنهم: الأستاذ المنتوري توفي سنة 834هـ وعليه فيكون المواق عند وفاة شيخه ابن أربع وعشرين سنة تقريبا.

2ـ أنه أخذ مباشرة عن أبي بكر محمد بن عاصم صاحب التحفة المتوفى سنة 829هـ والمفروض أنه حينئذ في العشرين من عمره.

3ـ أنه ولي خطابة جامع البيازين في حياة شيخه ابن سراج كما صرح بذلك في هذ الكتاب وابن سراج هذا توفي سنة 848هـ ولا يمكن أن يتولى الخطابة إلا بعد اكتمال رجولته في الغالب أي بعد الثلاثين من العمر.

4ـ أنه توفي سنة سبع وتسعين وثمانمائة – سنة سقوط غرناطة – عن سن عالية كما ذكر صاحب النيل وغيره وعليه فيكون عند وفاته قد ناهز التسعين على الأقل.

شيوخه وطلبه للعلم:

لقد أدرك المواق فترة من تاريخ غرناطة احتدم فيها الجدل الشديد بين المنافحين عن السنة المكافحين للبدع وبين أصحاب المأخذ الصوفي وعلى رأس أولئك الإمام الشاطبي ويدعمه ويؤازره جم غفير منهم ابن عاصم صاحب التحفة وعلى رأس هؤلاء ابن عباد شارح الحكم والقاضي أبو الحسن الجذامي المعروف بالنباهي والفقيه ابن لب الغرناطي.

حيث دار الجدل حول مسائل منها دعاء الإمام للجماعة أدبار الصلوات ومسائل البدع الإضافية وغير ذلك.

وقد كانت غرناطة في ذلك العصر مهدا وملجأ للأندلسيين المهزومين من مختلف المشارب الثقافية وكانت مهدا لانتشار البدع وموطنا للخلافات الدينية والسياسية لأنها حينئذ المعقل الأخير للمسلمين في الأندلس وتوشك أن تسقط من حين لآخر في يد العدو الكافر.

في هذا الجو ولد المواق وبدأ طلبه للعلم في غرناطة ولعله في حي البيازين منها حيث عين بعد ذلك خطيبا في جامعها كما يذكر هو.نفسه في كتاب السنن. ولم يذكر من ترجموا للمواق من شيوخه سوى:

1ـ محمد بن عبد الملك المنتوري الذي لازمه وأخذ عنه مسلسلات المشابكة والمصافحة وروى عنه فهرسته كما ذكر المواق نفسه في كتاب السنن وهو صهره إذ هو زوج خالته وتلميذ جده للأم ابن بقي وقد توفي المنتوري هذا سنة 834هـ وقد أخذ المواق عن المنتوري رواية أغلب كتب الصوفية كرسالة القشيري والتحبير للقشيري أيضا وكتب أبي طالب المكي والسهروردي وحكم ابن عطاء الله وشروحها كما يذكر المواق نفسه في كتابه سنن المهتدين.

2ـ محمد بن محمد بن سراج أبو القاسم الغرناطي القاضي الآخذ عن ابن لب وابن علاق وابن مرزوق الحفيد ولعل المواق أخذ عنه الفقه لأنه اعتمد عليه كثيرا

واستفاد منه في شرحه لمختصر خليل المعروف بالتاج والإكليل وقد توفي ابن سراج سنة848هـ

3 ـ محمد بن يوسف الصناع الأندلسي الغرناطي الذي نقل عنه المواق في كتاب السنن وفي غيره ولم نعثر له على ترجمة كاملة

4 ـ أبو بكر محمد بن عاصم الوزير القاضي العالم المشهور مؤلف أرجوزة التحفة في الأحكام وغيرها والمولود سنة 760هـ والمتوفى سنة 829هـ ذكره صاحب الشجرة من شيوخه.

وهناك علماء كثيرون عاصرهم المواق واستفاد منهم نذكر منهم:

1ـ محمد بن محمد الأنصاري السرقسطي الغرناطي نقل عنه المواق في كتاب سنن المهتدين توفي سنة865هـ .

2ـ محمد بن قاسم اللخمي الأندلسي الأصل المعروف بالقَوْري الإمام المتوفى سنة872هـ نقل عنه في سنن المهتدين.

3ـ محمد بن محمد بن منظور الأندلسي الغرناطي المكنى أبا عمرو المعروف بابن منظور اشترك مع المواق في بعض شيوخه كابن سراج روى عنه المواق في سنن المهتدين وفي التاج والإكليل في باب الميراث كان حيا سنة887هـ ومات في تلك الحدود عن سن عالية.

4ـ محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني مفتي تونس الشيخ المعروف بالرصاع، عرض عليه المواق كتاب سنن المهتدين فأثنى عليه، توفي سنة 894هـ .

ويستفاد من قلة شيوخ المواق أنه لم يرحل عن مملكة غرناطة كثيرا فلم تعرف له رحلة لا إلى المغرب ولا إلى المشرق، بل ظل بغرناطة خطيبا في جامع البيازين كما يذكر هو عن نفسه في كتاب سنن المهتدين وكما لقبه بعض مترجميه كالحطاب بخطيب غرناطة وربما ذلك لطول مكثه في الخطابة بها.

معاصروه من علماء غرناطة:

ونذكر في هذا المحور جماعة من المعاصرين للمواق ممن لم يرد أنه أخذ عنهم ولا أخذوا عنه ولكن يحتمل أن يكونوا أثروا فيه أو أثر فيهم لمعاصرتهم إياه في غرناطة ومن هؤلاء:

1ـ الرئيس القاضي أبو يحيى محمد بن أبي بكر بن عاصم وهو ابن شيخ المواق المتقدم عاصر المواق واشترك معه في الشيوخ وولي قضاء غرناطة سنة 838هـ لم يقف صاحب النيل على وفاته النيل ص 313

2ـ أبو عبد الله سيدي محمد العربي صاحب الكتاب الذي بعث به سلطان الأندلس أبو عبد الله المخلوع آخر ملوك الأندلس إلى صاحب فاس ، ذكره الوادي آشي وأثنى عليه.

3 ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي مفتي غرناطة كان من أهل الفقه والنحو والعقائد

4ـ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البلوي قاضي مالقة كان عالما بالقرآن والعربية والفرائض.

5ـ محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاري الأندلسي المتوفى سنة 862هـ.

6ـ علي بن محمد بن سمعت الأندلسي الغرناطي شيخ أبي يحيى بن عاصم علامة محقق فقيه أخذ عن الشاطبي.

تلامذته وآثاره

أولا: تلامذته

لم يذكر المترجمون للمواق عددا كبيرا من الآخذين عنه وإنما اقتصروا على ثلاثة من تلامذته ونذكر من تلامذته:

1 ـ أبو العباس أحمد الدقون بن محمد بن يوسف الصنهاجي الذي يروي فهرس المنتوري عن طريق المواق وبه تمر رواية المغاربة عن الأندلسيين للفقه المالكي، كان خطيبا بجامع القرويين بفاس وتوفي في شعبان سنة 921هـ له قصيدة يندب فيها الجزيرة منها قوله:

واحتل غرناطة الغراء قد عدمت ــــب الحصيد ونصر الله والآل

ذكره صاحب النيل والمنجور وغيرهم.

2 ـ محمد بن علي بن محمد الشهير بالأزرق الغرناطي أبو عبد الله قاضي الجماعة بحضرتها انتفع بالأستاذ ابن فتوح مفتي غرناطة والسرقسطي الذي أخذ عنه المواق والبقَنيّ وحضر مجالس المواق، له شرح حافل على مختصر خليل سماه شفاء الغليل، ارتحل من غرناطة عند غلبة العدو عليها بعد 890هـ في أواخر العقد الأخير من المائة التاسعة لم يقف صاحب النفح على وفاته ولكنه توفي سنة 896هـ حسب ما ذكر السخاوي وأبو اليمن.

3 ـ أبو الحسن علي بن قاسم الزقاق صاحب المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب قطع إلى عدوة الأندلس قبل أن يستولي عليها النصارى فأخذ بها عن الإمام أبي عبد الله المواق وغيره كما ذكر المنجور في فهرسته توفي سنة 912هـ.

4 ـ أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن داوود البلوي الأندلسي الإمام الفقيه أخذ عن والده والقلصادي والمواق وابن مرزوق الكفيف وأجازه ابن غازي رحل هو وإخوته من غرناطة بعد 890هـ إلى تلمسان له شرح على الخزرجية لم يذكر صاحب الشجرة تاريخ وفاته ولكنه توفي حوالي سنة 930هـ.

5 ـ محمد بن الحداد الوادي آشي الغرناطي أبو عبد الله نزيل تلمسان الفقيه الراوية الأديب الكبير صرح المقري بتلمذته على المواق في أزهار الرياض.

ثانيا: آثاره

لم تذكر المصادر العربية للمواق مؤلفات كثيرة أما المصادر الأجنبية فقد أغفلت ذكر المواق ولكننا نتأكد أن للمواق آثارا كثيرة غير ما اقتصر عليه صاحب النيل والقرافي وغيرهم ممن ترجموا له ولكن تراث تلك المرحلة اختفى منه الكثير جدا بسبب محاكم التفتيش التي قضت بالحرق والإغراق على التراث العربي الإسلامي بعد سقوط غرناطة فقد أخرجت مكتبة جامعة غرناطة التي تأسست سنة 750هـ، فأحرقها الكاردينال ثيسنروس cisneros سنة 1499م 905هـ.

وتتمثل آثار المواق التي ذكرتها المصادر العربية في ثلاثة آثار هي التاج والإكليل ومختصره وكتاب سنن المهتدين، لكننا نلاحظ أن هناك آثارا أخرى لم تذكرها المصادر وبالتالي يمكن أن ننسب إلى المواق الآثار التالية:

1 ـ كتاب التاج والإكليل في شرح مختصر خليل قال صاحب النيل: نحا فيه طريقا انفرد به وهو الاقتصار على عزو مسائل الأصل ونقل فقهه من أصول المذهب بما يوافقه أو يخالفه من غير تعرض لألفاظه البتة بحيث إن لم يقف على نص مسألة بيض لتلك القولة قال صاحب النيل: وقد تتبعت أنا حاشية ابن غازي فوجدته يعتمد فيها على المواق ويتكلم فيها أحيانا على المواضع التي بيض لها المواق. وقال فيه الحطاب وقد وقفت على نسخة مما كتبه الشيخ العلامة خطيب غرناطة أبو عبد الله

محمد بن المواق الأندلسي وهو حسن من جهة تحرير النقول لكنه لا يتعرض لحل كلام المصنف. وقال المواق في صدر شرحه المذكور: فآتي بلفظ خليل بنصه ثم أنقل بإزائه نص غيره وأتخير من النصوص ما يكون أقرب للفهم.وقد ألف المواق كتاب التاج قبل كتاب السنن لأنه يقول في كتاب السنن: "وقد بسطت في كتاب التاج..."انظر المقام 6 من الترقي.وقد طبع هذا الكتاب بعنوان التاج والإكليل لمختصر خليل عدة طبعات بهامش كتاب مواهب الجليل بشرح مختصر خليل لأبي عبد الله الحطاب محشي كتاب التاج.

2 ـ مختصر مسودة التاج، هكذا سماه صاحب النيل وقال إنه يقارب في الحجم الأصل ويزيد عليه في بعض المواضع وينقص عنه في أخرى ومنهجه منهج الأصل.قال القرافي في التوشيح والمتداول بمصر شرحه الصغير وقفت منه على نسخة بخطه عند شيخنا الأجهوري وكان هو السبب في نشره بين الطلبة بمصر وربما كتب على بعض المواضع منه مما يرجح أن الشرح المطبوع والذي حشاه الحطاب هو الصغير أي المختصر.

3 ـ رسالة في ضرورة تجميم الطلاب أنفسهم وجواز السماع لأهل التصوف ذكرها المواق في كتابه سنن المهتدين في المقام الرابع من الترقي حيث قال: "وقد كنت بينت هذا المعنى في رسالة صدرت مني"

4 ـ كتاب كشف النقول ذكره المواق في كتابه سنن المهتدين في المقام السابع من الترقي إذ يقول: "ككتابي السنن وكشف النقول" ولم نعثر على ذكر لهذا الكتاب في المصادر المهتمة بالموضوع، ونعتقد أنه هو الأصل الذي خرج منه كتاب السنن هذا كما ذكر هو نفسه في المقام السادس من التدلي إذ يقول: " وقد وقع لي حكاية ذكرتها في الأصل الذي خرجت منه هذا"

5 ـ رسالة وجهها إلى إمام قرية دركل ردا على رسالة هذا الأخير الذي يعترض على أمور منها التلقين والقراءة على القبر وتصبيح سبعة أيام بعد دفن الميت، ذكرها المواق في كتاب السنن في المقام السادس من التدلي واستطرد منها كثيرا في هذا المقام.

6 ـ الفتاوى :لاشك أن للمواق مجموعة كبيرة من الفتاوى لم تجمع بعد، ولعل بعضها ضاع كما ضاع تراث تلك المرحلة ولكننا نجد في ثنايا الكتب كالمعيار للونشريسي ومعيار الوزاني كثيرا من هذه الفتاوى كما نجد في كتبه هو بعض تلك الفتاوى منها فتواه حول تورع بعض فقهاء البادية عن القراءة على القبر قال "فجاوبت بأن هذا ليس في مقامه ويجب أدبه لأنه سفه جميع الأئمة وادخل على الناس شغبا في دينهم" انظر المقام السادس من التدلي من كتاب السنن.

7 ـ كتاب سنن المهتدين في مقامات الدين وهو الكتاب موضوع التحقيق.

مكانته العلمية:

يجمع كل الذين ترجموا للمواق على أنه آخر الأئمة بالأندلس (غرناطة) فبعضهم يقول عالمها وخطيبها كما حلاه الحطاب، وحلاه صاحب النيل بقوله: عالمها وصالحها ومفتيها الإمام العلامة الصالح الحافظ المحقق القدوة الحجة مفتي الحضرة وخطيبها وآخر الأئمة بها وقال فيه الشريف محمد بن علي بن الحسن في شرح الشفا: الإمام العالم العلامة الخطيب كان حافظا للمذاهب ضابطا لفروعها مضطلعا بها عارفا بخباياها.وقد تقدم ثناء الرصاع عليه عندما بعث إليه بكتاب سنن المهتدين، ويكفيه أن سند الفقه الما لكي عن طريق الأندلسيين يمر به حتما كما ذكر المنجور وابن غازي وغيرهما في فهارسهم.

وقد ذكر صاحب التوشيح عن الضوء اللامع للسخاوي أن المواق ولي قضاء غربي مالقة ثم قضاء الجماعة في غرناطة ثم قضاء القدس وهذا كلام غريب جدا إذ لم تذكره المصادر الأخرى ولم تذكر أنه ولي القضاء بالقدس ولا أنه رحل عن الأندلس ، كل الذي ذكروه أنه كان مفتيا وسترى أن السخاوي غلط في تاريخ وفاته

كما ياتي، والذي يبدو أن القرافي في التوشيح أخطأ النقل عن الضوء اللامع فالذي ولي قضاء غربي مالقة ثم قضاء الجماعة بغرناطة ثم ولي قضاء القدس فلم يلبث أن توفي في 17 من ذي الحجة سنة 896هـ هو ابن الأزرق تلميذ المواق وعصريه المتقدم ،هذا ما ذكره صاحب الضوء اللامع وخلط القرافي بين الترجمتين انظر الضوء اللامع ج 21/9.

ومكانة المواق العلمية هي التي أهلته لأن يكون خطيبا في جامع البيازين يعلم الناس ويفتي بحيث ذكر له الونشريسي والوزاني فتاوى كثيرة تتعلق بأحوال المسلمين سواء في الأراضي التي تحت سيطرة المسلمين أم الأراضي التي تحت حكم النصارى.

وعندما استولى النصارى على غرناطة وسألوا عن المقدم بها في العلم أشير إلى المواق وهو إذ ذاك شيخ كبير بحيث لم يلبث أن توفي.

وفاته:

تكاد المصادر تجمع على أن المواق توفي في شعبان سنة 897هـ عن سن عالية وهذه السنة هي التي سقطت فيها غرناطة في يد القشتاليين وذلك في 29 صفر الموافق 1 كانون 1492م وقد اكتفى صاحب النيل بأن يقول أوائل سنة 897هـ وقال إنه وجد بخط الأندلسيين أنه توفي بالتاريخ المذكور أعلاه.

وفي الضوء اللامع للسخاوي أنه توفي سنة 838هـ ج 8/10 وبيض القرافي لوفاته ولعل هذا تصحيفا أو غلطا لإجماع المصادر والقرائن التاريخية على خلافه ذلك أن المؤرخين ذكروا أنه عند استيلاء القشتاليين على غرناطة وجدوه بها وهو حي وسألوا عن المقدم بالعلم فأشير بالمواق فأمروا بإحضاره عندهم فامتنع فكلمه الناس فحضر عند وزير الطاغية ـ لعله الوزير الكردينال فرناندو تلافيرا ـ فبسط الوزير يده فقبلها المواق فلما خرج من عنده أنكر الناس عليه فلم تلبث يد الوزير أن ورمت وتوجع

منها فأمر بالمواق وطلب منه الدعاء وهذه الحكاية ذكرها صاحب النيل نقلا عن عصريه مفتي فاس أبي عبد الله القصار. والطاغية المذكور هو ملك قشتالة واسمه فرناندو وكان قد تزوج ملكة آراغون أزابيل لمؤازرته في غزو غرناطة وتوحيد المملكتين الإسبانيتين.

وعليه فإننا نقطع بأن المواق توفي في هذه السنة بعد برهة قليلة، عدة شهور من سقوط غرناطة وكان قد تقدمت به السن مما يبرر ترجيحه للإقامة في دار الكفر على الهجرة كما فعل كثير من العلماء والمسلمين من أمثال ابن الأزرق الأصبحي الغرناطي صاحب كتاب بدائع السلك في طبائع الملك، وقد كان قاضيا بغرناطة وقد ارتحل منها إلى تلمسان عند سقوطها في يد العدو، وبني داود الذين ذكرهم ابن غازي، وأبي عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي المتقدم، وأبي العباس البقني الذي عاد إلى غرناطة.

وبخصوص المكان الذي دفن فيه المواق فإننا لا نعلم شيئا عن مراسيم دفنه وجنازته ولا من صلى عليه ولا أين دفن إذ لا تسعف المصادر بشيء عن ذلك الموضوع وإن كنا نرجح انه دفن في إحدى مقابر غرناطة وأشهرها مقبرة البيازين ومقبرة الغرباء ومقبرة سعد بن مالك المتوفى سنة 558هـ الموافق 1163م وإن كانت هاتان الأخيرتان خارج أسوار المدينة.

تقديم عن الكتاب موضوع التحقيق

كتاب سنن المهتدين في مقامات الدين، هكذا سماه صاحبه وسمته المصادر وهو بفتح السين سنن أي وسط الطريق وإن كنا لم نعثر على من ضبطه بالفتح إلا ما درج عليه الناس نقلا من أن اسم الكتاب سنن المهتدين في مقامات الدين، وفي درس حسني للعلامة الحسن بن صديق الغماري بتاريخ رمضان 1419هـ، ذكر الكتاب ونوه به وسماه السنن بالفتح كما سماه صاحبه كذلك التدلي والترقي لأنه مؤلف من 9 مقامات تدليا أي من المقام 9 – إلى المقام 1باختصار ثم يعود إلى المقامات بالتفصيل في الترقي أي من المقام 1–إلى المقام 9 ومدار هذه المقامات التسع على آيات سورة فاطر "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير" تناول أصناف الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات من خلال هذه المقامات التسع ترقيا وتدليا فكأن المواق قسم هذه الأصناف الثلاثة إلى درجات ومقامات ثلاثة لكل صنف فكان الحاصل ثلاثة مقامات في ثلاث درجات ليصبح الجميع تسعة مقامات، وقد بدأ التدلي بمقام العارفين بالله وبه ختم الترقي تفاؤلا منه ليختم الله له به ، أخذ في ذلك بمأخذ الأستاذ ابن لب في طلب التأويل لكثير من المحدثات وعضد موقف أبي عبد الله القيجاطي وابن سراج والمنتوري وناقش آراء الشاطبي.

فقد كان الشاطبي يرى أنه "في كل نازلة يكون لعلماء المذهب فيها قولان فيعمل الناس على موافقة أحدهما – وإن كان مرجوحا في النظر – أن لا يعرض لهم وأن يجروا على أنهم قلدوه في الزمان الأول وجرى به العمل فإنهم إن حملوا على غير ذلك كان في ذلك تشويش للعامة وفتح لأبواب الخصام".

بينما كان ابن سراج شيخ المواق المفضل لديه "لا يرضى هذا المأخذ في الحلال والحرام ويأخذ به في فضائل الشريعة عكس الشاطبي" وكان يقول: "مازلت يصعب علي الفتيا فيما يكون النظر بحكم والعمل بخلافه" ذكر ذلك كله المواق في هذا الكتاب وانتقد بعض آرائه وكشف عن بعض التناقض، من ذلك أنه يستحسن التزام الذكر الذي أوصى به النبي ﷺ الكتاني في المنام فقد قال هذا الشيخ: "رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت ادع الله أن لا يميت قلبي، قال قل كل يوم أربعين مرة: يا حي ياقيوم لا إله إلا أنت" قال الشاطبي فهذا كلام حسن لا إشكال في صحته مع أن الشاطبي يرفض الاستدلال باعتماد الرؤيا على عمل من الأعمال إلا أن تعرضها على ما بأيدينا من الأحكام الشرعية فإن سوغتها عمل بمقتضاها، ومن ذلك أن الشاطبي كان يرى أن دعاء الإمام بعد الصلاة للجماعة بدعة مع أنه أورد في كتابه الاعتصام استحسان التزام إنشاد الشعر في قصة عمر في قوله للإمام الذي يتغنى بعد الصلاة وإنشاده هذا البيت

نفس لا كنت ولا كان الهوى   راقبي المولى وخافي وارهبي

وقصة الرجل الذي قال لأنس يا أبا حمزة لو دعوت لنا بدعوات، فقال اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، قال الشاطبي فإن كان الأمر على هذا فلا إنكار.

وبالجملة فكتاب سنن المهتدين يأتي دعما لمواقف الاتجاه الصوفي الذي يمثله ابن لب والمنتوري والقيجاطي وابن سراج في مقابلة بعض مواقف الشاطبي والمأخذ الظاهري الذي لا يزال يجد مستحسنا في بعض أجزاء المملكة الغرناطية. ويذكر المواق نفسه أنه كان يأخذ بهذا المأخذ الظاهري في بداية أمره وأيام توليته الخطابة بجامع البيازين حتى ترك كثيرا من أوراده ومسلسلاته ويأسف لذلك الترك كثيرا في كتابه سنن المهتدين ويتحسر عليه.

ومن الاعتراضات التي اعترض بها المواق على الشاطبي تلقين الميت وتصبيح القبر سبعة أيام بعد يوم الدفن مقتديا في ذلك بالشيخ ابن لب حيث علق على

المعترض من أتباع الشاطبي على شيخ الشيوخ ابن لب في هذا الموضوع حيث يقول: "انظر تسفيه هذا وإنكاره على شيخ الشيوخ ابن لب الذي نحن على فتاويه في الاعتقاد والحلال والحرام وعلى مذهبه في الأيمان اللازمة وغيرها من أحكام الدماء والأنكحة والطلاق.

وكتاب السنن كتاب مليء علما وبحثا لهذه الأمور واتبع فيه صاحبه طريق الاختصار والتركيز مع التمسك بعبارة السلف الصوفي ويتسم بكثير من الإنصاف ويحاول صاحبه أن يدعم موقفه برأي الأئمة المقتدى بهم من المالكية والشافعية والحنبلية والحنفية بالإضافة إلى أهل الصوفة المعتدلين من أتباع الجنيد وأصحابه.

وقد أثنى على هذا الكتاب كثير من العلماء منهم الشيخ الرصاع مفتي تونس الذي أرسله إليه المواق فلما قرأه أثنى عليه كثيرا قائلا: " لما طالعته رأيت كلاما حسنا ونكتا ومعاني أصولية ومسائل فقهية فعلمت أن الرجل من أهل العلم والفهم والتخلق بطريق السلف الصالح فكتبت له بما ظهر لي" قال صاحب النيل وقد أطنب في ماكتبه له من الثناء وأثنى عليه هو نفسه في النيل كثيرا وغيره.

وكتاب سنن المهتدين كتاب في الأخلاق والأدب الفقهي أو الفقه الأدبي إن صح هذا التعبير وهو فذ في منهجه ولعله اختصار من كتاب آخر ربما كان هو الأصل الذي ذكر أنه خرجه منه وذلك أن أسلوبه أسلوب إشارة واختصار وليس أسلوب بسط وإطناب.

المنهجية المتبعة في التحقيق

جمع النسخ :

بدأت في جمع النسخ بتاريخ 1994م وأول نسخة عثرت عليها نسخة بخط موريتاني حديث تسبيا يعود نسخها إلى 1388هـ والناسخ هومحمد الأمين ولد سميدع كما هو مبين في الصفحة الأخيرة. ثم عثرت بعد ذلك على نسخة أخرى موريتانية بخط أحمد بن إمام اليدالي، ثم اطلعت على نسخة الطبعة الحجرية المغربية التي يعود تاريخ طباعتها إلى سنة 1314هـ، ولعل هذه النسخة من أهم مصادر النص إذ نعتقد أن اغلب النسخ الموريتانية مستنسخ من الطبعة الحجرية وذلك لاتفاقهما في كثير من البياضات والتصحيفات وغير ذلك، ولاشتمال هذه النسخ جميعها على خاتمة الطبعة الحجرية.

ثم بعد ذلك اطلعت على نسختين تونسيتين من المكتبة الوطنية التونسية وصورتهما في ميكروفيلم واستنسخت منهما نسخا، ويعود نسخ النسخة الأهم منهما إلى سنة 1012هـ بمدينة فاس.

ولم أعتمد أيا من النسخ بل حاولت صياغة نص من جميع النسخ باستدراك أخطاء تلك بصواب هذه وربما رجعت إلى المصادر التي يرجع إليها المؤلف للتأكد من الكلام المعزو إلى صاحبه وإصلاح الأخطاء التي ترد في النسخ.

وحاولت جهدي تخريج كافة الآيات والأحاديث والآثاروالأمثال والأبيات الشعرية الواردة في النص والتعريف بجميع من ورد ذكره أو الإشارة إليه وعلقت على

بعض المسائل الفقهية واللغوية وغيرها إذا رأيت ذلك ضروريا.

وقد وضعت عناوين للمقامات التسعة تدليا وترقيا بما يناسب مضمون المقام.

وصف النسخ:

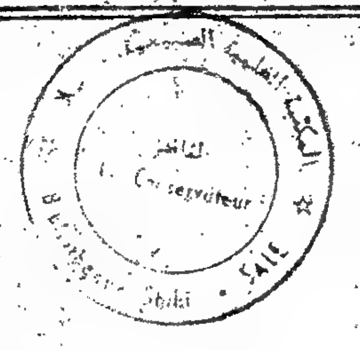
1 ـ النسخة الموريتانية: اعتبرت كافة النسخ الموريتانية نسخة واحدة لعدم الاختلاف بينها ولأن أصلها واحدٌ ورمزت لها ب: م وأهم هذه النسخ نسخة محمد الأمين بن سميدع وتقع في 198 صفحة من الحجم الصغير مكتوبة بخط مغربي واضح ومقروء ولا تلف فيها ولا طمس والناسخ هو محمد الأمين بن سميدع بتاريخ صفر من عام 1388هـ كما هو مبين في الصفحة الأخيرة من النسخة.

2 ـ نسخة الطبعة الحجرية: وقد رمزت لها ب: ط وهي تقع في 191 صفحة من الحجم المتوسط وهي مطبوعة طباعة مقروءة وواضحة وعلى هوامشها تصحيحات للمتن وقد طبعت بتاريخ 26 شعبان سنة 1314هـ على ذمة الشريفين المغربيين سيدي محمد بن سيدي إدريس بوطالب وسيدي عبد الله بن سيدي أفيلال التطواني وفي ظل أمر أمير المؤمنين المولى عبد العزيز رحم الله الجميع رحمة واسعة.

3 ـ النسخة التونسية: وقد اعتمدنا النسخة المسجلة تحت رقم 7785 في المكتبة الوطنية التونسية (المكتبة العبدرية) ويقع نص الكتاب في هذه النسخة في 203صفحة من الحجم المتوسط ويعود نسخها إلى 28جمادى من عام 1012هـ ولم يبن اسم ناسخها.

كتاب سنن المهتدين في مقامات الدين
للإمام المواق رحمه الله

الإمام المواق هو الشيخ الإمام العلامة الهمام الحافظ المحقق
خطيب غرناطة ومفتيها أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف بن أبي القاسم
العبدري الغرناطي الشهير بالمواق بفتح الميم بغرناطة والأندلس له على مختصر خليل
شرحان أحدهما كبير والآخر صغير وكتاب سنن المهتدين وكان متضلعا في فقه
مذهب مالك عارفا بالتصوف سالكا سبيل أهله متفننا في علوم شتى
أخذ عن المنتوري وغيره وتوفي بغرناطة في شهر شعبان سنة سبع وتسعين وثمانمائة



الورقة الأولى من النسخة ط

حمدا لمن ألهم معالم الدين وبين سنن المهتدين في كتابه المبين المنزل على
رسوله الأمين وصفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه أولي العقول والتفكير في كل وقت وحين وبعد فقد تم طبع هذا الكتاب
الجليل العديم المثيل والفضيل المسمى بسنن المهتدين في مقامات الدين [illegible]
[illegible] ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية والمشتمل
على تسع مقامات ترقيا وتدليا وكفى أن مؤلفه هو الشيخ الإمام العلامة الهمام
العالم الحافظ خطيب حضرة غرناطة ومفتيها وقاضيها أبو عبد الله سيدي
محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الغرناطي المعروف بالمواق بفتح الميم بغرناطة
والأندلس أخذ عن شيوخ عديدة كالقاضي ابن سراج والأستاذ المنتوري
ومحمد بن يوسف الصباغ وغيرهم وأخذ عنه جماعة من أهل الأندلس وغيرهم
وله على مختصر خليل شرحان أحدهما كبير والآخر صغير ومنها الكتاب المبارك المذكور
وكان متضلعا في فقه مذهب الإمام مالك عارفا بالتصوف سالكا سبيل أهله
متفننا في علوم شتى وتوفي رحمه الله بغرناطة في شهر شعبان سنة سبع وتسعين
وثمانمائة وكان طبعه بالمطبعة الحجرية بفاس المحروسة بتصحيح الفاضل
الأمثل النبيل الأفضل المدرس الأتقى الخير الأنقى السيد عبد الرحمن [illegible]
بلغه الله جميع الآمال [illegible] وذلك على ذمة [illegible]
الجليلين [illegible] سيدي محمد [illegible] سيدي [illegible] وسيدي عبد الله
[illegible] الأديب سيدي [illegible] في ظل من سعدت بوجوده
[illegible] وأخلاقه كل [illegible]
[illegible] المملكة [illegible]
[illegible] مولانا عبد العزيز أعز الله به دين الإسلام وأعانه على
القيام بخلافة جده عليه الصلاة
والسلام في ستة وعشرين من
شعبان الأبرك عام أربعة
عشر وثلاثمائة
وألف

الورقة الأخيرة من النسخة ط

الورقة الأولى من النسخة ت

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ان الله سبحانه يقول في محكم كتابه يخاطب هذه الامة المحمدية
بكريم خطابه ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ثم قال جنات
عدن يدخلونها قال ابن عباس وابن مسعود الاصناف الثلاثة كلها في
هذه الامة المحمدية وكلهم في الجنة وقاله ابو سعيد الخدري
قالت عائشة رضي الله عنها دخلوا الجنة كلهم وقال كعب الاحبار
استوت مناكبهم ورب الكعبة وتفاضلوا باعمالهم وقال ابو اسحق
السبيعي اما الذي سمعت منذ ستين سنة كلهم ناج وقرا عمر الخطاب
هذه الاية ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ولا شك ان الراكن لهذا العموم مغرور
ظالم لنفسه ناسيا اية المهتدين وقد قال معروف الكرخي طلب الجنة بلا
عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ورجاء رحمة
من لا يطاع حمق وجهل وان شاء الله اذكر في كتابي هذا ان هذه
الاصناف الثلاثة التي ذكر الله سبحانه واتكلم عليهم في تسع مقامات
بعضها اعلى من بعض ابدا بالمقام التاسع ثم ادنى منه الى المقام الذي بعده
الى المقام الاول ثم ارتقي منه الى المقام الثاني ثم الى الثالث ثم كذلك الى المقام
التاسع ابدا به وبه اختم ختم الله لي به بمنه وفضله واذكر في التدلي
المقصود بالاختصار والتشوف بالبسط والاكثار اقتداء بصاحب كتاب ادب
الدنيا الماوردي رضي الله عنه قال الغلو يخرج الى الفنون المختلفة وذكر

الورقة الأولى من النسخة م

حمدا لمن اظهر معالم الدين وبين سنن المهتدين في كتابه المبين المنزل على رسوله
الامين وصفوة خلقه من الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى آله واصحابه اولي الغرة
والتحجيل [illegible] وبعد فقد تم طبع هذا الكتاب الجليل العديم النظير والمثيل
المسمى بسنن المهتدين في مقامات الدين الذي مبناه على آية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفى
[illegible] من عبادنا الآية وانبنائه على شرح مقامات ترقيا وتدليا وكفى ان مؤلفه هو
الشيخ الامام العلامة الهمام الحافظ النابغة خطيب حضرة غرناطة ومفتيها و
وقاضيها ابو عبد الله سيدي محمد بن يوسف بن ابي القاسم العبدري الغرناطي المعروف
بالمواق بفتح الميم بعدها واو مشددة اخذ عن شيوخ عديدة كالقاضي ابن سراج والا
ستاذ المنتوري ومحمد بن يوسف الصباغ وغيرهم واخذ عنه جماعة من اهل الاندلس
وغيرهم وله على مختصر خليل شرحان احدهما كبير والاخر صغير وهذا الكتاب المبارك
المذكور وكان متضلعا في فقه مذهب الامام مالك عارفا بالتصوف سالكا سبيل اهله
متفننا في علوم شتى وتوفي رحمه الله بغرناطة في شهر شعبان سنة سبع وتسعين
وثمانمائة وكان طبعه بالمطبعة الجديدة بفاس المحروسة بتصحيح العالم الاجل النبيل
الاحفل المدرس الانفع الحبر الانفع السيد عبد العزيز بناني بلغه الله جميع الاماني عن
[illegible] الاخيرة [illegible] الشريفين الجليلين الكاملين سيدي محمد بن البركة الخير
سيدي ادريس بوكاليا وسيدي عبد الله بن العالم الاديب سيدي المفضل افيلال التطواني
في ظل من سعدنا بوجود طلعته الغراء الحواضر والبوادي وطاب بذكر مكارمه
واخلاقه كل مجلس وناد ولهج بمدح دولته الفاخرة كل رائح وغاد من هو لتاج
المملكة الذهب الابريز ابو الوافي مولانا عبد العزيز اعز الله به دين الاسلام واعانه
على القيام بخلافة جده عليه الصلاة والسلام في
ستة وعشرين من شعبان الابرك عام
اربعة عشر وثلاثمائة

الورقة الأخيرة من النسخة م

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه الكريم

إن الله سبحانه يقول في محكم كتابه يخاطب هذه الأمة المحمدية بكريم خطابه ﴿ ثم أورثنا الكتَب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾، ثم قال:﴿ جنت عدن يدخلونها ﴾[1] .

قال ابن عباس[2]، وابن مسعود[3]: الأصناف الثلاثة كلها[4]في هذه الأمة المحمدية وكلهم في الجنة[5]، وقاله أبو سعيد الخدري[6] .

---

(1) الآيات رقم 32–33 من سورة فاطر
(2) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.وهو حبر الأمة وترجمان القرآن شارك في الفتوحات ولاه علي البصرة وكان معه يوم صفين ثم بقي بالبصرة ولم يزل بها إلى أن قتل علي فمضى إلى الحجاز ومات بالطائف رضي الله عنه سنة 68هـ –الإصابة 6/130إلى 140.
(3) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي حليف بني زهرة أحد السابقين إلى الإسلام أسلم قديما بمكة وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها ولازم النبي صلى الله عليه وسلم فكان صاحب نعليه وحدث عنه كثيرا وروى عنه ابناه عبد الرحمن وأبو عبيدة وعبد الله بن عتبة والعبادلة وغيرهم ومن التابعين علقمة ومسروق وغيرهم كثير ،مات رضي الله عنه بالكوفة سنة 32 هـ أو 33 هـ.الإصابة ج6/215 و216.
(4) في ت: "هي كلها"
(5) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج14/346، والدر المنثور للسيوطي7/26.
(6) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري اشتهر بكنيته استصغر بأحد وشهد ما بعدها أحد المكثرين في الحديث روى عن بعض كبار الصحابة وعنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر ومن التابعين ابن المسيب والنهدي وعطاء ومجاهد وغيرهم مات رضي الله عنه سنة 74هـ أو 64هـ– الإصابة 4/165–167.

وقالت عائشة[7] رضي الله عنها: دخلوا الجنة كلهم، وقال كعب الأحبار[8]: استوت مناكبهم ورب الكعبة وتفاضلوا بأعمالهم، وقال أبو إسحاق السبيعي[9]: أما الذي سمعت منذ ستين سنة كلهم ناج، وقرأ عمر بن الخطاب[10] هذه الآية ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له»[11][اهـ][12].

ولا شك أن الراكن لهذا العموم مغرور ما لم يقف سنن الأئمة[13] المهتدين، فقد قال معروف الكرخي[14]: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، ورجاء رحمة من لا يطاع حمق وجهل.

---

(7) عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة عثمان القرشية التيمية أم المؤمنين ولدت بعد البعثة بأربع سنين تزوجها الرسول صلوات الله وسلامه عيه وهي بنت ست وقيل سبع، ودخل بها وهي بنت تسع في شوال من السنة الأولى للهجرة وقبض عنها وهي بنت 18 سنة قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" من المكثرين في الحديث روى عنها الصحابة وخلق كثير من التابعين توفيت رضي الله عنها سنة 58هـ الإصابة 13/42-38.

(8) كعب بن ماتع بكسر مثناة فوقية وعين مهملة الحميري المعروف بكعب الأحبار من آل ذي رعين كان يهوديا ثم أسلم من الطبقة الأولى من التابعين توفي سنة 32هـ في خلافة عثمان عن ما يربو على مائة سنة حدث عن بني إسرائيل كثيرا خرج له في الصحيح لأ انظر تهذيب التهذيب ج8/438 عدد 793.

(9) اسمه عمر بن عبد الله بن عبيد الهمداني الكوفي الحافظ أبو إسحاق السبيعي روى عن علي وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وغيرهم من الصحابة والتابعين وعنه قتادة والأعمش وغيرهما أحد أعلام التابعين ولد لسنتين من خلافة عثمان وتوفي سنة 126هـ وقد ناهز المائة لأانظر تهذيب التهذيب8/ 63 عدد 100.

(10) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدي القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين كان مولده قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة أسلم قديما وكان إسلامه فتحا للمسلمين وفرجا لهم من الضيق فقد كان صلي الله عليه وسلم يقول: "اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين ، فكان إسلام عمر بن الخطاب" سماه الرسول صلى الله عليه وسلم الفاروق تولى الخلافة بعد أبي بكر وفتحت في عهده العراق والشام ومصر، نظم الدولة واستشهد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة 23هـ بعد أن طعنه أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة – الإصابة 7/ 75وما بعدها، الاستيعاب 8/258.

(11) انظر الجامع لأحكام القرآن ج14/346 وورد بهذا اللفظ في الدر المنثور للسيوطي 7/25

(12) ما بين المعكوفتين غير موجود في:م وفي ت: زيادة كلمة " انظر"

(13) في م و ط: أئمة

(14) معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ من كبار مشاييخ الصوفية شيخ سري السقطي=

وأنا إن شاء الله [تعالى][15] أذكر في كتابي هذا أدب هذه الأصناف الثلاثة التي ذكر الله سبحانه وأتكلم عليها في تسعة[16] مقامات بعضها أعلى من بعض أبدأ بالمقام التاسع، ثم أتدلى [منه][17] إلى المقام الذي بعده إلى المقام الأول، ثم أترقى[18] منه إلى المقام الثاني ثم إلى الثالث ثم كذلك إلى لمقام التاسع أبدأ به وبه أختم ختم الله لي به بمنه وفضله، فأذكر في التدلي المقصود باختصار، وبالترقي بالبسط والإكثار، اقتداء بصاحب كتاب أدب الدين الماوردي[19] رضي الله عنه قال: القلوب ترتاح إلى الفنون المختلفة وذكر حكاية [عن][20] المأمون[21] قال: كان ينتقل في قصره من موضع إلى موضع، وينشد قول أبي العتاهية[22]:

لا يصلح النفس إذ كانت مدبرة ... إلا التنقل من حال إلى حال[23]

وكذلك قول[24] عياض[25] في صدر مداركه: جمعنا من أخبار أعيان المالكية وسير قضاتهم ونوادر من فتاوي فقهائهم ما يحتاج الحكام إليه ولا غنى للعلماء عنه وأثبتنا من مناهج

=أسلم على يد علي بن موسى الرضى توفي رحمه الله سنة 201هـ-سير أعلام النبلاء 9/339، طبقات الشعراني ج1/72، الحلية ج8/360.

(15) ما بين المعكوفتين ساقط من ط و م.

(16) في: م و ط: تسع.

(17) كلمة "منه" ساقطة من م.

(18) في م و ط :أرتقى.

(19) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الفقيه الشافعي تولى قضاء القضاة اتهم بالاعتزال ورد عنه الخطيب البغدادي ألف الحاوي الكبير، توفي 450هـ – الأعلام للزركلي ج 4/ 327.

(20) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

(21) الخليفة العباسي عبد الله المأمون ابن الخليفة هارون الرشيد تولى الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين أول من أبتدع التشيع والاعتزال من الخلفاء العباسيين والقول بخلق القرآن، توفي 218هـ – شذرات الذهب2/39.

(22) اسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد العنزي الشاعر اشتهر بشعر الزهد ولد سنة 130هـ وتوفي سنة 211هـ في خلافة المأمون أوصى أن يكتب على قبره
إن عيشا يكون آخره المو ... ت لعيش معجل التنغيص"
-تاريخ بغداد 6/ 250 عدد 3288.

(23) انظر كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي ص7،

(24) في ت: "قال"

(25) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي عالم بالحديث والفقه والأصول واللغة أخذ عن المازري والطرطوشي وغيرهم كابن رشد وابن العربي وغيرهم وولي القضاء=

صلحائهم ما ترجى بركاته[26]، و[قد][27] قال سفيان[28]: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة[29].

وقال أبو حنيفة[30] الحكايات عن العلماء أحب إلي من كثير من الفقه لأنها أدب القوم وانتقينا أثناء ذلك من ملح آدابهم ما ينشط النفس [عند][31] كسلها، ويصقل عنها رين صدائها، فقد قال علي[32] رضي الله عنه: سلوا النفوس ساعة [وساعة][33] فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد[34].

=بسبتة وغرناطة ألف إكمال الإكمال والشفاء والمدارك والتنبيهات وغير ذلك ولد بسبتة سنة 476هـ وتوفي بمراكش سنة 544هـ -انظر نيل الابتهاج بتذييل الديباج ص168.

(26) في ت: "بركته
(27) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط
(28) هو سفيان بن عيينة الهلالي أبو محمد الكوفي روى عن عبد الملك بن عمير وأبي إسحاق السبيعي والزهري وخلق كثير وعنه أحمد بن حنبل والمديني وابن معين وطوائف كثيرون توفي بمكة سنة 198هـ أجمع الحفاظ على ضبطه وإمامته في الحديث انظر تهذيب التهذيب ج 4/ 120
(29) ذكر هذا الأثر الغزالي في الإحياء ونسبه إلى الحديث وعلق عليه العراقي قائلا ليس له أصل في الحديث المرفوع ولكنه من كلام سفيان ابن عيينة كما ذكر ابن الجوزي في مقدمة كتابه صفة الصفوة1/ 45
(30) أبو حنيفة الإمام النعمان بن ثابت رأس المذهب الحنفي مولى تيم ابن ثعلبة رأى أنسا وروى عن عطاء بن أبي رباح وعاصم بن أبي النجود وعلقمة بن مرثد والحكم بن عتيبة وغيرهم، وعنه ابنه حماد وزفر بن الهذيل وبه تفقه القاضي أبو يوسف.ومحمد بن الحسن ووكيع أثنى عليه غير واحد مات سنة 150هـ-التهذيب 10/ 449.
(31) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(32) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأول الناس به إسلاما على قول أكثر أهل العلم ولد قبل البعثة بعشر سنين تربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم شهد المشاهد كلها إلا تبوك، مناقبه كثيرة روى عنه كثير من الصحابة منهم ولداه وأبو مسعود وأبو موسى وابن عمر وغيرهم كان أحد الشورى الذين اختارهم عمر بويع بالخلافة سنة35 هـ استشهد رضي الله عنه في رمضان من سنة 40 هـ وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر -الإصابة 7/ 57 عدد5682.
(33) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.
(34) انظر مقدمة كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي ص7.

وحدثني شيخنا[35] المنتوري[36] بسنده إلى أبي العباس ابن العريف[37] ، قال كنت في مجلس أستاذي أبي علي الصدفي[38] أقرأ عليه الحديث فقرأ يوما الحديث ثم أغلق الكتاب وجعل يحكي حكايات الصالحين فوقع في نفسي كيف يجيز الشيخ أن يقطع حديث رسول الله ﷺ ويحكي الحكايات؟ قال فما تم لي الخاطر حتى نظر إلي الشيخ شزرا وقال يا أحمد الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب العارفين من عباده قال فما بقي في جسدي شعرة إلا قطر منها العرق فلما رآني دهشت قال[39] لي يا أحمد أين مصداق ذلك من كتاب الله [تعالى][40]؟ قلت الشيخ أعلم؛ قال قوله تعالى ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾[41][الآية][42]، وقال الجنيد[43]: الحكايات جند من جنود الله يقوي بها الله أبدان المريدين وكان سيدي المنتوري رحمه الله لم يزل ينشدنا[44]:

اسرد حديث الصالحين وسمهم فبذكرهم تتنزل الرحمات

(35) في ت: شيخي
(36) المنتوري بكسر الميم، هو محمد ابن عبد الملك القيسي المنتوري وبه اشتهر الغرناطي أخذ عن أبي عبد الله القيجاطي وابن لب وابن بقي وعنه ابن عاصم ونقل عنه والمواق ومن تآليفه: شرح ابن بري، وفهرست حافل، توفي 834هـ-انظر النيل ص291
(37) هو أحمد بن محمد بن عطاء الله الصنهاجي الأندلسي أبو العباس عرف بابن العريف أحد الأولياء وأعلام المتصوفة وقعت بينه وبين القاضي عياض مكاتبات وله كرامات مشهورة توفي بالسم بمراكش سنة 536هـ -انظر النيل ص58-59
(38) الحسين بن محمد بن فيرة بن حيوة أبو علي الصدفي المعروف بابن سكرة السرقسطي إمام الحديث في الأندلس أخذ عن أبي عمرو الداني وابن عبد البر والباجي وتقلد القضاء بمرسية ثم استعفى أخذ عنه القاضي عياض، ولد سنة 450هـ وتوفي شهيدا في الجهاد سنة 514هـ-الشجرة ص 128 عدد373
(39) في ت: "فقال"
(40) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط
(41) الآية 120 من سورة هود
(42) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(43) هو أبو القاسم محمد بن الزجاج من أكابر القوم الصوفية وساداتهم يلقب بسيد الطائفة أخذ عن خاله سري السقطي توفي ببغداد 297 هـ -انظر طبقات الشعراني 1/ 84، والبداية والنهاية لابن كثير 11/ 113، وصفة الصفوة 2/ 416 الرسالة للقشيري ص 430 عدد 65.
(44) في ت: "ينشدني"

واحضـــر مجالســـهم تنـــل بركـــاتهـــم   وقبـــورهم زرهـــا إذا [مـــا][45]ماتـــوا[46]

وأسمي كتابي هذا "سنن المهتدين في مقامات الدين" ويناسب أن يسمى "التدلي والترقي' لأن أوله تدلٍ وآخره ترقٍ وبالله أستعين وأعوذ به سبحانه أن أقول في علم بغير علم أو أعمل في الدين بغير يقين [وحسبي][47]الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وقصدي الاقتداء حتى في العبارة فلا أتعدى عبارة من أثق به من العلماء فأفتتح كتابي بحمدلة أبي حامد[48]، في الإحياء، فأقول أحمد الله ربي حمدا كثيرا الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وصلى الله على سيدنا محمد الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا[49] .

---

(45) ما بين المعكوفتين ساقط من ت

(46) تعزى هذه الأبيات لابن عطاء الله ويتداولها الناس وخمسوها كثيرا وممن خمسها سيدي الحاج علي بن سليمان الدمناتي البجمعوي دفين الضريح العباسي بمدينة مراكش على يمين الداخل المتوفى سنة 1306هـ إذ يقول:

بادر إلى أهل الإله ولذ بهم   متوسلا لجلاله بجمـــالهم
وإذا خشيت من البغاة ومكرهـم   اسرد حديث الصالحين وسمهم
فبذكرهم تتنزل الرحمات
قوم بدا سر الإله بذاتهـــم   ضاءت بطلعته جميع جهاتـهم
داوم هديت لذيذ ذكر لغاتهـــم   واحضر مجالسهم تنل بركاتهم
وقبورهم زرها إذا ما ماتوا

(47) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

(48) أبو حامد الغزالي حجة الإسلام اسمه محمد بن محمد بن محمد الغزالي برع في الفلسفة وعلم الكلام ورد على أصحاب الفلسفة ثم انكب على الزهد والتقشف حتى صار من سادة الصوفية أشهر مؤلفاته: تهافت الفلاسفة وإحياء علوم الدين، توفي رحمه الله بطوس سنة 505هـ-طبقات الشافعية 4/101، الأعلام 7/22.

(49) هذه الصيغة من الحمدلة لم نجدها في مقدمة كتاب الإحياء حسب النسخ المطبوعة التي بين أيدينا وأما ما وجدنا في هذه النسخ فهو كما يلي: أحمد الله أولا حمدا كثيرا متواليا وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين -انظر خطبة الكتاب ج1/7، ولكن هذه الصيغة هي الصيغة التي افتتح بها الغزالي كتاب ترتيب الأوراد وتفضيل إحياء الليل وهو الكتاب العاشر وبه ختم ربع العبادات ، وتصرف المواق في حمدلة الغزالي فاختصرها، ولم يكتف المواق بالافتتاح بحمدلة أبي حامد وإنما أخذ مقدمة كتاب ترتيب الأوراد من الإحياء فجعلها مقدمة للمقام التاسع الذي هو الأخذ بالجد في الدين وهو المقام الذي بدأ به وبه ختم.

منهج التدلي

المقام التاسع: الأخذ بالجد في الدين

أما بعد فإن الله سبحانه جعل الأرض ذلولا لعباده ليتخذوها منزلا فيتزودون منها محترزين من مصائدها ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة بركابها فالناس في هذا العالم سفر أول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن الجنة أو النار والعمر مسافة هذا السفر والسنون مراحل والشهور فراسخ والأيام أميال والأنفاس خطوات والطاعة هي البضاعة والأوقات هي رأس المال والشهوات قطاع الطريق والربح الفوز بلقاء الله سبحانه في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم، فإن كانت خسارة والعياذ بالله فهي فوت هذا الربح العظيم ويا ليت ذلك كان خاصة بل مع العذاب الأليم في دركات[1] الجحيم. فالغافل عن نَفَس من أنفاسه حتى ينقضي في غير ما[2] يقربه إلى الله زلفى قد عرض نفسه في يوم التغابن لخيبة وخسارة ما لهما منتهى.

قال الشاطبي[3] في موافقاته: لذلك قهر السلف الصالح أنفسهم تحت مشقات التعبد وسووا بين الواجب والمندوب في طلب الفعل وبين المحرم[4] والمكروه في

(1) في م: "درجات" وهو تصحيف "دركات" و دركات النار منازل أهلها—انظر القاموس المحيط مادة: درك

(2) في م: "فيما" وهو تصحيف

(3) إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي أبو إسحاق الشاطبي الإمام المحقق النظار أخذ عن ابن الفخار البيري وأبي عبد الله التلمساني وابن القاسم السبتي وأبي عبد الله المقري وابن لب وابن مرزوق الجد والزواوي وغيرهم له كتاب شرح الخلاصة والموافقات والاعتصام والإفادات، كان من المتصدين للبدع والمنافحين عن السنة توفي 790هـ—شجرة النور عدد 828 ص231.

(4) في م: " الحرام".

طلب الترك، وعدوا من لم يعمر أنفاسه بطالا. وعلى هذا نبه حديث الندامة: «يوم القيامة يندم المحسن ألا يكون ازداد ويندم المسيء ألا يكون نزع»[5].

قال سحنون[6]: رأيت ابن القاسم[7]، وغيره فما رأيت مثل[8] عبد الرحيم[9]، ثم نقل عنه أنه قال زيارة[10] الإخوان نقص من العمل، ومن كلام سحنون[11]: انظر أبدا الأمرين يكون فيهما الثواب فأثقلهما عليك هو الأفضل[12]. قال المحاسبي[13]

(5) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الزهد وقال هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه، وفيه يحيى بن عبيد الله قد تكلم فيه شعبة، قال في تهذيب التهذيب قال علي بن المديني سألت يحيى –يعني ابن سعيد– عنه فقال: قال شعبة رأيته يصلي صلاة لا يقيمها فتركت حديثه–التحفة ج7/84، ولكن لفظ الترمذي يختلف قليلا عن لفظ المصنف.

(6) اسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي سمع من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وابن عيينة ووكيع وابن مهدي وغيرهم الثقة الحافظ تولى القضاء ورفض العطاء من الخلفاء، صنف المدونة المعتمدة توفي سنة 240هـ –انظر الديباج ص163 فما بعدها

(7) اسمه عبد الرحمن بن القاسم العتقي أحد كبار تلامذة مالك روى عنه وعن الليث وابن الماجشون وعنه أصبغ وسحنون وخرج له البخاري في صحيحه، عليه المعول في فقه مالك ومسائله، كان لا يقبل جوائز السلطان، توفي بمصر رحمه الله في صفر سنة 191هـ–انظر الديباج ص.147

(8) في م و ط: "ابن عبد الرحيم" ولكن في ت لا توجد كلمة ابن، وما أثبتناه هو الصحيح لأننا لم نعثر في طبقة ابن القاسم ممن رووا عن مالك وممن أخذ عنه سحنون على من يسمى ابن عبد الرحيم، وإنما الموجود هو عبد الرحيم ابن أشرس الآتي

(9) عبد الرحيم بن أشرس أبو مسعود الأنصاري الأفريقي من الطبقة الأولى من أصحاب مالك أخذ عن مالك والعمري وعنه ابن القاسم وابن وهب وسحنون –شجرة النور ص62، والديباج ص152

(10) في م: زيادة، وهو تصحيف

(11) في ط و م "ومن كلام ابن سحنون" لكننا أثبتنا ما في ت وهو "من كلام سحنون" لأن هذا الكلام ذكره في الديباج وترتيب المدارك في ترجمة سحنون وعزاه إليه، ولم يعزه إلى ابن سحنون. وسيأتي قريبا أنه من كلام سحنون

(12) هكذا في جميع النسخ التي بين أيدينا والذي في ترتيب المدارك "انظر أبدا الأمرين يكون فيهما الثواب فأثقلهما عليك هو أفضل. ترتيب المدارك ج1/360.

(13) الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله من أكابر الصوفية كان عالما بالأصول والمعاملات واعظا أحد أشياخ الجنيد من مؤلفاته: آداب النفوس، توفي سنة 243هـ. –صفة الصفوة ج 2/369.

تبدأ في أوامر الله بالأوجب فالأوجب والأفضل فالأفضل فإن لم يتبين لك في الأمرين أيهما أفضل وأوجب فآت الذي هو أثقل على قلبك فإنه لا يؤمن عليك أن تعمل العمل الذي خف عليك لهوى نفسك لا لربك سبحانه فإن استوى الأمران فلم تقدر أن تعرف أثقلهما أو أخفهما فليعرض نفسه حينئذ على الموت وهو مقيم عليه على أيهما يحب أن يأتيه الموت، فإن النفس المؤمنة وإن كانت غافلة عاصية لا تتمنى لقاء الله ولا تحبه إلا على الخير الصافي الذي ترجو أن ينجيها من عذاب الله سبحانه لأنه لا هوى لها عند الموت في الدنيا إنما هواها في الدنيا للحياة مادامت حية.

قال أبو حامد: وكل نفس من أنفاسك خاتمة إذ يمكن أن يكون الموت متصلا[14] به انظر، وعلى فرض أنه ليس بآخر نفس فقد قال أرباب القلوب: ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه وحكم يقتضيه، يجب عليك أن تصرف ذلك النفس في طاعة مولاك وترضى بما يرد عليك منه وإن خالف هواك، فإن سوفت هذا النفس لنفس آخر ذهب هذا النفس وسيلحقك عليه [الأسف] [15].

قال تاج الدين [16]: لا تترقب فروغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود مراقبة له فيما هو مقيمك فيه، وقال: إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس.

(14) في م وط: "متصلة".

(15) ما بين المكعوفتين ساقط من م.

(16) تاج الدين بن عطاء الله صاحب الحكم واسمه أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأسكندري الشاذلي أحد مشاييخ الصوفية الأجلاء توفي سنة 709هـ رحمه الله الديباج ص 70.

وانظر هذا "مع" (17) الذي قالوه إنه التصوف أن يكون في الوقت فيما هو أولى في الوقت. قيل لسهل بن عبد الله التستري(18) متى يستريح الفقير؟ قال إذا لم ير غير الوقت الذي هو فيه. وحدثني شيخي المنتوري عن جدي ابن بقي(19) عن شيخه الأستاذ المقري(20) قال ما نصه: **حقيقة**: عمل قوم على السوابق وقوم على اللواحق والصوفي من لاماضي له فإن كنت زجاجيا فبخ بخ.

وقال تاج الدين [في حكمه](21): حقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها، إذ ما من وقت يرد إلا ولله فيه عليك حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضي فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه،

قال عياض كان مالك(22)لا يراه أحد من أهله ولا من أصدقائه إلا متعمما لابسا ثيابه لا يضحك ولا يتكلم فيما لا يعنيه. ويقول لا يكون العالم عالما حتى يكون

---

(17) في ت "هو" وهو تصحيف

(18) سهل ابن عبد الله التستري أبو محمد أحد كبار الزهاد العباد أسند عن خاله محمد بن سوار ولقي ذا النون المصري توفي سنة 283هـ وقيل 273هـ – انظر صفة الصفوة ج 4/64.

(19) اسمه محمد بن سعد بن أحمد بن لب بن بقي بهذا الأخير يعرف من علماء غرناطة قرأ على ابن الفخار والأستاذ ابن لب وأخذ عنه العلامة المنتوري وغيره ترجم له في الإحاطة وهو جد المواق لأمه توفي سنة 791هـ–النيل ص.272.

(20) بفتح الميم وتشديد القاف اسمه محمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني اشتهر بالمقري الإمام العلامة النظار أخذ عن المشذالي والسلوي والمجاصي وغيرهم تولى قضاء فاس وأخذ عنه الإمام الشاطبي وابن الخطيب وابن خلدون وغيرهم وهو جد المقري صاحب نفح الطيب توفي رحمه الله 758هـ–نيل الابتهاج ص249، الشجرة عدد:831 ص232، وقد ذكر هذا الكلام المقري صاحب النفح عازيا إياه للمقري الجد في كتابة الحقائق والرقائق وهو كتاب جيد شرحه سيدي أحمد زروق –انظر نفح الطيب 7/307.

(21) ما بين المعكوفتين غير موجودة في ت.

(22) الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي إمام دار الهجرة أحد الأئمة الأعلام أصله من أذواء حمير روى عن نافع وزيد بن أسلم وحميد الطويل وسعيد المقبري وغيرهم وعنه الأوزاعي والثوري وابن عيينة والليث وابن مهدي وغيرهم مناقبه لا تعد ولا تستقصى ولد سنة 95هـ، وتوفي سنة 179 هـ–تهذيب التهذيب 10/3، طبقات الفقهاء ص53.

كذلك وحتى يحتاط لنفسه بما لو تركه لم يكن عليه فيه إثم، وروى ابن القاسم عنه أنه قال: كان زياد(23) يضع يده على كتفي ويقول عليك بالجد فإن كان ما يقول أصحابك هؤلاء من الرخص حقا لم يضرك، وإن كان الأمر على غير ذلك كنت قد أخذت بالجد.

قال ابن رشد(24): حض زياد مالكا على أن يأخذ لنفسه في خاصته بأشد ما قيل في الاجتهاد في أحكام الدين فللمجتهد الذي كملت له آلات الاجتهاد في خاصته أن يترك ما رآه باجتهاده إلى ما رآه غيره باجتهاده مما هو أشد منه. وذلك مما يستحب له على ما حض عليه زياد مالكا في هذه الحكاية اهـ [من ابن رشد](25). وقال أبو حامد اتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد [فإذا أفتى المقلد إمامه بشيء ولإمامه فيه مخالف](26)فالفرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع المذكور.

وقال محيي الدين النووي(27): أهل العلم متفقون على(28) الحث على الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنة، قال أبو مصعب(29):«كان مالك يطيل

---

(23) زياد ابن أبي زياد ميسرة المخزومي المدني مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة الفقيه الرباني تابعي روى عن مولاه وأنس وعنه مالك وموسى ابن عقبة توفي 135هـ –التهذيب ج3/367–انظر كلام زياد لمالك في كتاب الجامع الخامس من البيان والتحصيل ج17/553 وفي الكلام المذكور اختلاف في اللفظ يسير وقد صحف مصحح كتاب البيان مولى ابن عياش بالمثناة ثم المعجمة إلى الموحدة ثم المهملة ابن عباس.

(24) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المالكي يكنى أبا الوليد قرطبي زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ألف كتاب البيان والتحصيل ولي قضاء الجماعة بقرطبة ثم استعفى أخذ عن الجياني وابن أبي العافية وعنه القاضي عياض توفي سنة 520هـ –الديباج ص280، الشجرة العدد 375 ص.129

(25) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(26) ما بين المعكوفتين ساقط من ت

(27) الإمام الحافظ العارف بالله محيي الدين يحيى بن شرف بن جري الخزاعي الحوراني الشافعي صاحب كتاب المهذب والمجموع ورياض الصالحين وحلية الأبرار وغير ذلك توفي سنة676هـ –العبر5/ 312، النجوم ص278

(28) في ت" "من

(29) اسمه مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار من موالي ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهو ابن أخت مالك وروى عنه وصحبه سبع عشرة سنة روى له البخاري

السجود والركوع »في ورده][30]، وإذا وقف في الصلاة كأنه خشبة يابسة لا يتحرك منه شيء، فلما أصابه ما أصابه قيل له لو خففت من هذا [قليلا][31]قال: لا ينبغي أن يعمل عملا لله إلا حسنه قال تعالى: ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا[32] ﴾ [اهـ][33]

انظر هذا الذي كان عليه مالك من الجد في الدين وما أجمع عليه العلماء من اتقاء مواضع الخلاف ومراعاة الأنفاس مع الله وإيثار الأثقل على النفس والأفضل الذي لو فجأه الموت وهو عليه ما وجد أفضل منه ولا يود أن يلقى الله إلا عليه كما قاله[34] سحنون وغيره هو الحق الذي لا شك فيه فمن ذم ما دون هذا المقام أو قال إنه من لهو الحديث أو [قال][35] بدعة ﴾أو فماذا بعد الحق إلا الضلال][36] بالنسبة لهذا المقام فأقول بموجبه: وأما الذم مطلقا من غير نسبة إضافية ولا سيما وربما لا يكون هو في هذا المقام فذلك حجةعليه ومذهب لبهاءأقاويل العلماء في الآية [الشريفة][37]التي افتتحت بها كتابي.

في الصحيح وأبو زرعة وأبو حاتم، وكانوا يقدمونه على أصحاب مالك، توفي 220هـ بالمدينة-الديباج ص345، شجرة النور ص57 عدد 14.

(30) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(31) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(32) الآية رقم 2 من سورة الملك.
(33) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ت.
(34) في ت: "قال" بدل "قاله" ويعني الكلام الذي تقدم "انظر ابدا الأمرين يكون فيهما الثواب... إلخ".
(35) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(36) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(37) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

ومن شأن العلماء بالله وبأحكام الله أن يذهبوا مع الناس في الرخصة والسعة ما لم يخف المأثم. صح من التمهيد[38]. ومن الرسالة[39]: كان رويم[40]من جملة المشايخ مقرئا فقيها قال: من حكم الحاكم أن يوسع على إخوانه[41]في الأحكام ويضيق على نفسه فيها فإن التوسعة اتباع العلم والتضييق على نفسك من حكم الورع. وسيأتي أن المرء لا يأخذ على أهله بالورع فإن كان ما ذم لم ينه الله عنه ولا نبيه ولا اتفق الناس على النهي عنه فسيأتي في المقام السادس أنه لا إثم على مرتكبه [وإن كنا نقول إن مرتكبه ظالم لنفسه ولا نقول إنه ضال مبتدع][42]وقل أنت إنه ظالم لنفسه كما تقول عن نفسك اللهم إن كنت في الوقت مما هو أولى في الوقت فلله درك، وما أظنك لو كنت إلا وغبت عن الأغيار إلا جهاد الكفار تقول بلسان حالك ونطقك ومقالك﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾[43].

(38) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر- كتاب جليل في شرح الموطأ رتبه على ترتيب المسانيد بخلاف كتاب الاستذكار طبع في 26 مجلدا كما أنه رتبه على حسب مسانيد شيوخ مالك أما كتاب الاستذكار فقد رتبه على حسب أبواب الفقه.
(39) الرسالة للإمام القشيري ألفها في الرد على أعداء التصوف مبينا فيها التصوف الصحيح ترجم فيها لجملة من أعلام التصوف من بينهم رويم الذي عزا له هذا الكلام -انظر الرسالة ص 390. والقشيري هو عبد الكريم بن هوازن القشيري أبو القاسم الاستوائي قمة من قمم التصوف والزهد تتلمذ على أبي علي الدقاق وأبي بكر الطوسي وأبي إسحاق الاسفرائيني وابن فورك وغيرهم تفقه على مذهب الشافعي وأخذ عنه جماعة منهم ابن الخطيب البغدادي وأبو محمد الهروي له مصنفات عديدة من أهمها كتاب الرسالة، وتفسيره الذي أثنى عليه غير واحد توفى سنة 465 هـ-طبقات الشافعية الكبرى ج 2/269 وما بعدها.
(40) رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم صوفي مشهور من جلة مشايخ بغداد من كلامه "الصبر ترك الشكوى والرضى استلذاذ البلوى"، كان مقرئا فقيها على مذهب داوود توفي 303هـ -الرسالة ص390.
(41) في م و ط: إخوته
(42) ما بين المعكوفتين ساقط من ت
(43) الآية 84 من سورة طه

لما ذكر الإمام مربي المريدين البلالي[44] ثمرات[45] المحبة، قال: ومنها نظر غير الكفرة[46] بعين الرحمة فمن فقد هذه العلامات كذب في دعوى المحبة. وأما قولك ضال أو مبتدع فتقوّلٌ على الشارع. [و][47]كان سيدي ابن سراج[48] رحمه الله يرشح هذا القول ويقول هذه هي بدعة الضلالة أعني أن تحكم على الشيء بغير حكمه وسيأتي لعز الدين[49]في المقام الثالث أن من الكذب على الله أن يلحق المكروه بالحرام.

انظر بهذا المنحط الاستلقاء لا [كان][50]ولكن لما وردت الأحاديث الصحيحة بالنهي عنه[51].

---

(44) شمس الدين محمد بن علي بن جعفر العجلوني البلالي المتوفى سنة 820هـ مؤلف مختصر الإحياء فقيه شافعي من أهل بلالة من أعمال عجلون تميز بالتصوف له "السول في شيء من أحاديث الرسول" ومختصر في فروع الفقه –السخاوي في الضوء اللامع 8/178.

(45) في م و ط:" ثمرة"

(46) في م: الفكرة وهو تصحيف

(47) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(48) محمد بن محمد بن سراج أبو القاسم الأندلسي الغرناطي مفتيها وقاضي الجماعة أخذ عن ابن لب والحفار وابن علاق وغيرهم له شرح على المختصر استفاد منه المواق في شرحه للمختصر وأخذ عنه خلق منهم ابن عاصم وابن منظور والمواق وغيرهم توفي سنة 848هـ انظر النيل 308، والشجرة عدد 893 ص.248

(49) عز الدين بن عبد السلام واسمه عبد العزيز السلمي الدمشقي الشافعي الملقب بسلطان العلماء سمع من ابن عساكر ودرس في دمشق وانتهت إليه رئاسة الشافعية بمصر ودمشق توفي سنة 660هـ –البداية 13/248، العبر 5/260.

(50) ما بين المعكوفتين غير موجود في م وليس لكلمة "لا كان" معنى هنا ولعلها تكرار لكن مصحفة واعتمدناها في النسخ لتواتر النسخ عليها.

(51) حديث النهي عن الاستلقاء خرجه مسلم في اللباس وأبو داوود في الأدب والترمذي في الاستئذان ولفظه: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضع الرجل إحدى رجليه على الأخرى وهو مستلق على ظهره –انظر فيض القدير 6/310، وقد غفل المناوي في فيض القدير بشرح الجامع الصغير حيث قال إن الحديث مخرج في صحيح البخاري، كتاب اللباس، ولعله اعتمد على ابن حجر في رده على المازري دعواه بأن حديث النهي عن الاستلقاء منسوخ وليس في الكتب الصحاح، ذكر أنه مخرج في البخاري، وما ذكره المناوي سبق قلم من ابن حجر واعترف بذلك حيث قال في شرح حديث الاستلقاء من الجامع=

وورد أيضا أن رسول الله ﷺ استلقى[52] رشح مالك هذا الخبر بفعل الخلفاء [أنهم استلقوا[53]تحريا][54] أن لا يظن في الاستلقاء أنه مكروه قال أبو عمر[55]: أتى مالك[56]بفعل الخلفاء ولو لم يرد عنهم أنهم استلقوا لكان[57]الأصل الإباحة لأن الأحاديث إذا تعارضت ولم يعلم الناسخ من المنسوخ تساقطت ويبقى الشيء[58]على إباحته إذ لا يثبت حكم على مسلم إلا بدليل لا معارض له

=الصحيح للبخاري ما لفظه: (وأوردت عليه بأنه غفل عما في كتاب اللباس من الصحيح والمراد بذلك صحيح مسلم وسبق القلم هنالك فكتبت صحيح البخاري وقد أصلحته في أصلي) ولعل المناوي لم يطلع على النسخة المصححة واعتمد سبق القلم ولم يستوثق رحمه الله –انظر فيض القدير 6/310، وفتح الباري 11/68–328، ويفهم من كلام المازري عندما قال "إنما بوب على ذلك لأنه وقع في كتاب أبي دوود وغيره لا في الكتب الصحاح: النهي . " إلخ أنه في شرحه لحديث البخاري الذي بوب له قال باب الاستلقاء في المسجد ومد الرجل وساق الحديث، والغريب أن المازري في شرحه المسمى المعلم على مسلم شرح هذا الحديث وتكلم عليه فكيف يقول إنه لم يرد النهي في الصحاح أو في الكتب الستة ولعله إذا كان ثبت عنه ذلك ففي شرحه للتلقين.

(52) حديث الاستلقاء رواه البخاري في الصحيح في كتاب الصلاة 85 وكتاب اللباس103 والاستئذان 44 عن عباد بن تميم عن عمه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا في المسجد .إلى آخر الحديث وله شاهد من حديث أبي هريرة صححه ابن حبان–انظر فتح الباري11/68.

(53) الأثر بفعل الخلفاء الاستلقاء ورد في البخاري في رواية الإسماعيلي عنه في آخر حديث الاستلقاء حيث زاد:...وأن أبا باكر كان يفعل ذلك وعمر وعثمان لأفتح الباري 10/328.

(54) ما بين المعكوفتين ساقط من ت

(55) أبو عمر ابن عبد البر يوسف النمري القرطبي الحافظ شيخ علماء الأندلس ومحدثيها له مؤلفات منها التمهيد والاستذكار و الاستيعاب وغيرها توفي سنة 463هـ–الديباج ص359

(56) في م و ط عمر بدل مالك وهو غلط

(57) في ت: لكن وهو تصحيف

(58) في ت: ويفتي الشرع

وقال ابن العربي[59] في مسالكه لما ذكر الاستلقاء والنهي عنه قال ما نصه: نكتة أصولية[60]: الأحاديث المتعارضة [حكمها][61] أن تسقط وترجع إلى أصل والأصل الإباحة حتى يرد الحظر ولا يثبت حكم على مسلم إلا بدليل لا معارض له، انتهى نصه.

وانظر هنا فرعا ثانيا يشبه حكمه حكم الاستلقاء وذلك أن أقوال العلماء إذا تعارضت في أمر فقيل هو مشروع وقيل غير مشروع وسيأتي أن قط ما يكون هذا أحط مرتبة من المباح بل نص من أثق به في دينه[62] وأمانته من الأئمة المالكية والأئمة الشافعية أن ما كرهه بعض الأئمة واستحبه آخرون ففعله أولى كرفع اليدين لأن الشرع يحتاط لفعل المندوبات كما يحتاط لفعل الواجبات وما ذكر من أثق به في دينه من المالكية والشافعية [في هذا][63] خلافا وسأبين هذا إن شاء الله وانظر أيضا ما[64] هو أخص من الاستلقاء ونص العلماء على جوازه أيضا وذلك كالزفن[65]، قال عياض الزفن الرقص، خاف عمر أن يكون مما لا ينبغي فحصب الحبشة من أجله فزجره النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم دونكم...الحديث[66] قال عياض: ففيه

(59) هو محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي يكنى أبا بكر له تصانيف منها: أحكام القرآن وعارضة الأحوذي، والمسالك على موطأ الإمام مالك الذي عزا له المؤلف الكلام الآتي، رحل إلى المشرق في طلب العلم أخذ عن ابن منظور وابن عتاب والغزالي والطرطوشي توفي سنة 543 هـ بفاس –الديباج ص281، الشجرة عدد 408 ص136.
(60) في ت: نكتة أصل
(61) ما بين المعكوفتين ساقط من ت و ط
(62) في ت: أثق بدينه
(63) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(64) في ت: "مما"
(65) في ت: "الزفن" بدون الكاف
(66) حديث زفن الحبشة ورد في مسلم في العيدين والنسائي في المناقب ومسند أحمد بألفاظ مختلفة ولفظ مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرابهم إذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا عمر.

أقوى دليل على إباحته إذ زاد النبي ﷺ على إقرارهم أن أغراهم.[اهـ نص الإكمال[67]][68]. ومن هذا المعنى المزاح[69] نصوا على جوازه [و][70] قيده عز الدين بما إذا لم يوحش نفسا، و[ما][71] لم يولم قلبا، ونحوه للإمام الماوردي[72] وأنشد:

أفد طبعك المكدود بالجد راحة ... يجم وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما يعطى الطعام من الملح[73]

وانظر أيضا من هذا المعنى مبرة أهل الذمة؛ خاف العلماء أن يظن أنها[74] مما لا ينبغي فصرحوا بأنها من قبيل الجائز، وعقد لها القرافي[75] فرقا بينها وبين المودة، وأن المبرة مباحة بخلاف المودة، قال مالك: للرجل أن يعزي جاره الكافر بموت أبيه

(67) الإكمال: كتاب ألفه عياض كمل به كتابا ألفه المازري في شرح مسلم وسماه المعلم على صحيح مسلم وجاء بعد عياض الأبي فألف إكمال الإكمال ثم جاء السنوسي فألف مكمل إكمال الإكمال.
(68) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(69) في ت: المزح
(70) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(71) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(72) تناول الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين المزاح في فصل عقده له ص.230
(73) هذه الأبيات نسبها الماوردي إلى أبي الفتح ولعل أبا الفتح هذا هو الشاعر أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي المشهور صاحب الطريقة البديعة في التجنيس توفى ببخارى سنة 400هـ–وفيات الأعيان عدد 470 وفي يتيمة الدهر في محاسن العصر للثعالبي ترجمة مطولة لأبي الفتح هذا ذكر فيها جملا من أشعاره وكتاباته الجميلة وذكر منها الأبيات ولكنه قال:
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكن ... بمقدار ما يعطي الطعام من الملح
انظر اليتيمة ج4/ 277 .وانظر أدب الدنيا والدين ص231.
(74) في م: "أن هذا"
(75) أحمد بن إدريس شهاب الدين أبو العباس القرافي الصنهاجي المصري الفقيه الحافظ تفقه على عز الدين بن عبد السلام وصنف في الفقه المالكي كتاب الذخيرة والفروق وغير ذلك توفي سنة 684، الديباج ص62–66، الشجرة عدد 628 ص188.

الكافر لذمام الجوار فيقول: بلغني الذي كان [من][76]مصابك بأبيك ألحقه الله بكبار أهل دينه وخيار ذوي ملته. وقال سحنون يقول[77][له][78]أخلف الله لك المصيبة وجزاك أفضل ما جزى به أحدا من أهل دينه. وفي طرر ابن عات[79]: لا بأس أن يحضر وليمة اليهودي ويأكل منها. [وقال بعض أصحابنا بعد أن يحلفه بالتوراة بأنه لم يتزوج عمته ولا خالته. قال ابن عرفة[80]: بعد أن يحلفه فيه نظر إن كان ذلك في ملتهم مباحا][81].

وانظر أيضا مما نص عليه مالك خوف ظن كراهته قراءة المحدث القرآن ترجم عليه في الموطأ فقال: الرخصة في قراءة القرآن على غير وضوء؛ مالك عن أيوب السختياني[82]عن ابن سيرين[83]أن عمر بن الخطاب كان في قوم وهم يقرءون القرآن

(76) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط
(77) في ت: تقول
(78) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(79) هو أبو عمر أحمد بن هارون المعروف بابن عات النفزي عالم بالحديث والتاريخ أندلسي شهد وقعة العقاب التي أفضت إلى خراب الأندلس وفقد فيها فلم يوجد حيا ولا ميتا له تصانيف منها: النزهة في التعريف بشيوخ الوجهة، عاش في الفترة ما بين509–542هـ – الأعلام 1/255، الديباج. ص59، شجرة النور عدد 549 ص172
(80) محمد بن محمد بن عرفة الورغمي الإمام عده السيوطي مجدد المائة الثامنة شيخ الإسلام أخذ عنه الأبي والبرزلي وابن علوان وغيرهم من مؤلفاته: مختصره الفقهي وحدوده، توفي 803هـ–الشجرة ص227 و نيل الابتهاج ص274
(81) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(82) في م و ط: أبي أيوب السجستاني، وهو غلط لأن شيخ مالك أيوب السختياني كما ورد في ت وتم إثباته في المتن ولا نعرف أبا أيوب السجستاني في شيوخ مالك. وأيوب السختياني هو أيوب بن أبي تميمة السختياني واسمه كيسان يكنى أبا بكر البصري مولى عنزة رأى أنسا وروى عن عمرو بن سلمة وحميد بن هلال والقاسم بن محمد وعنه مالك والأعمش والحمادان والسفيانان وخلق كثير أثنى عليه الأئمة توفي سنة 131هـ /تهذيب التهذيب 1/368.
(83) محمد بن سيرين أبو بكر البصري مولى أنس بن مالك تابعي جليل اشتهر بتعبير الرؤيا وروى عن جملة من الصحابة منهم أبو هريرة وعبد الله بن عمر وابن الزبير وأنس بن مالك وعمران بن حصين وعنه قتادة وأيوب السختياني وغيرهم من الأئمة يعد من فقهاء البصرة ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه انظر تهذيب التهذيب ج 9/214 ، وفيات الأعيان عدد 565.

فذهب لحاجته ثم رجع وهو يقرأ القرآن فقال له رجل يا أمير المؤمنين أتقرأ القرآن ولست على وضوء ؟ فقال عمر من أفتاك بهذا ؟ أمسيلمة[84] ؟

قال الباجي[85]: لا خلاف أن الحدث الأصغر لا يمنع القراءة، وقال أبو عمر[86] كان رسول الله ﷺ لا يحجبه عن قراءة القرآن شيء إلا الجنابة...الحديث[87]. ولا يختلف أهل العلم فيه إلا من شذ عن جماعتهم ممن هو محجوج بهم.

وخرج أبو داوود وغيره أن رسول الله ﷺ قال: [اقرءوا يس عند موتاكم][88]. انظر لو ورد حديث عن رسول الله ﷺ بخلاف هذا فما باله لا يكون كالاستلقاء. وانظر أيضا من هذا الأسلوب نص الشاطبي على جوازه وأنه مستثنى من أصل ممنوع: الاستدلال بالرؤيا، فقال أخطأ من يستدل بها على عمل من الأعمال لأن

(84) مسيلمة الكذاب من بني حنيفة ادعى النبوءة وحاول محاكاة القرآن فجاء بسخف وفضائح قتل يوم اليمامة على يد خالد بن الوليد سنة 12هـ، الأعلام 7/226
(85) هو سليمان القاضي أبو الوليد بن خلف بن سعد الأندلسي الباجي أقام بالحجاز سمع ابن محرز وأبا إسحاق الشيرازي والصيمري والخطيب البغدادي وعنه أبو عمر بن عبد البر والطرطوشي والجياني وغيرهم وقعت له مناظرات مع أبي محمد بن حزم توفي 474هـ عن 91 سنة –الديباج ص120، الشجرة عدد 341 ص120
(86) في م: ابن عمر وهو تصحيف
(87) أورده أبو عمر في الاستذكار في باب الرخصة في قراءة القرآن على غير وضوء، وهذا الحديث أخرجه أحمد في المسند عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبو داوود في كتاب الطهارة والترمذي كذلك وقال حسن صحيح والنسائي كذلك وابن ماجه وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة والحميدي والطيالسي والدارقطني والحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي. وأخرجه البيهقي–الاستذكار لابن عبد البر، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي 8/15
(88) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند وأبو داوود في الجنائز ابن ماجه وابن حبان والحاكم في المستدرك عن معقل بن يسار قال النووي في الأذكار: إسناده ضعيف فيه مجهولان ولم يضعفه أبو داوود، وقال ابن حجر أعله ابن القطان بالاضطراب والوقف بجهالة حال راويه أبي عثمان وأبيه قال الإمام أحمد وليس المقصود أبا عثمان النهدي وهنا غفل المناوي في فيض القدير إذ قال ويسمى بالنهدي –انظر فيض القدير 2/67، مسند أحمد الحديث رقم 20336.

الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعا على حال إلا أن تعرضها على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية فإن سوغتها[89]عمل بمقتضاها كما يحكى عن الكتاني[90] رحمه الله قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت ادع الله ألا يميت قلبي فقال: قل كل يوم أربعين مرة ياحي يا قيوم لا إله إلا أنت قال هذا[91]كلام حسن لا إشكال في صحته اهـ، مع أن ابن رشد قال لا يجوز الاستدلال بالرؤيا على حكم شرعي وانظر أيضا ما[92] نص الشاطبي على جوازه ورشح الجواز خوف أن يظن أن ذلك مما لا ينبغي مثل الإمام الذي التزم شعرا ينشده دبر كل صلاة، قال الشاطبي إن قوما أتوا عمر بن الخطاب فقالوا له يا أمير المؤمنين إن لنا إماما إذا فرغ من صلاته تغنى فقال له عمر ويحك يلغني عنك أمر ساءني[93] فقال له: وما هو يا أمير المؤمنين فإني أعينك من نفسي؟ قال [فإنه][94] بلغني أنك إذا صليت تغنيت قال نعم يا أمير المؤمنين قال أو تتمجن في عبادتك؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين ولكنها عظة أعظ بها نفسي قال [عمر][95] فقلها فإن كان كلاما حسنا قلته معك وإن كان قبيحا نهيتك عنه فأنشده أبياتا منها:

نفس[96]لا كنت ولا كان الهوى ... راقبي المولى وخافي وارهبي

فقال عمر رضي الله عنه:

نفس لا كنت ولا كان الهوى ... راقبي المولى وخافي وارهبي

(89) في م و ط: "صوغتها" وهو تصحيف
(90) محمد بن علي أبو بكر الكتاني البغدادي أحد أئمة التصوف صحب الجنيد وتوفي سنة 322هـ ترجم له القشيري في الرسالة ص427 وذكر القشيري هذه الحكاية عنه في رسالته ص328.
(91) في م وط: "فقال هذا"
(92) في ت "مما"
(93) في ت: "أساءني"
(94) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(95) ما بين المعكوفتين غير موجود في م
(96) في م و ط: "نفسي"

ثم قال عمر رضي الله عنه: على هذا فليغن من غنى. ثم رشح الشاطبي جواز هذا قائلا: فتأملوا قوله: بلغني عنك أمر ساءني[97]مع قوله أوتتمجن في عبادتك، فهي [من][98]أشد ما يكون في الإنكار حتى علمه أنه يردد على لسانه أبيات حكمة فيها عظة فخينئذ أقره وسلم له أحسن من هذا قال الشاطبي [وهذا كان فعل القوم قال][99]: وهم مع ذلك لم يقتصروا في التنشيط للنفوس ولا الوعظ على مجرد الشعر بل وعظوا أنفسهم بكل موعظة[100] اهـ نص الشاطبي.

وانظر أيضا تنبيهه على ما توهم أنه يلزمه أنه يكرهه لما ذكر مذهبه في الدعاء أدبار الصلوات قال: لو فرضنا الدعاء بالهيئة الاجتماعية وقع من أئمة الصلاة في المساجد في بعض الأوقات لكان جائزا كما دعا رسول الله ﷺ دعاء الاستسقاء على هيئة الاجتماع[101] قال وكان عمر إذا صلى العشاء أخرج الناس [من

(97) في ت: "أساءني"
(98) ما بين المعكوفتين غير موجود في م
(99) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(100) أورد الشاطبي قصة عمر هذه في كتابه الاعتصام نقلا عن أبي الحسن القرافي الصوفي في معرض مجالس الذكر وإنشاد الشعر فيها للتنشيط-انظر 1/265 فما بعدها إلى ص279 وأوردها كذلك أبو الوليد بن الفرضي في كتابه الألقاب في ترجمة فرحويه عبد الله بن سليمان الرازي الذي يروي هذه القصة بسنده إلى الحسن أن قوما أتوا عمر رضي الله عنه إلى آخر القصة والبيت المذكور هو آخر أبيات ستة ذكرها ابن الفرضي وهي:

وفؤادي كلما عاتبته ... عاد في الهجران يبغي تعبي
لا أراه الدهر إلا لاهيا ... في تماديه فقد برح بي
يا قرين السوء ما هذا الصبا ... تقطع الدهر كذا باللعب
وشباب بان مني فمضى ... قبل أن أقضي منه أربي
ويح نفسي لا أراها أبدا ... في جميل لا ولا في أدب
نفسي لا كنت ولا كان الهوى ... راقبي المولى وخافي وارهبي

انظر ابن الفرضي كتاب الألقاب 2/302.
(101) دعاء الاستسقاء على هيئة الاجتماع ورد في أحاديث كثيرة صحيحة منها الحديث الذي رواه البخاري وغيره في كتاب الصلاة باب رفع الناس أيدهم مع الإمام في الاستسقاء عن أنس بن مالك قال أتى أعرابي من أهل البدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلكت الماشية هلك العيال هلك الناس فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يدعو ورفع الناس أيديهم معه يدعون فهذا الحديث صريح في الدعاء على هيئة الاجتماع وفي الباب أحاديث كيثرة بهذا المعنى.

المسجد][102]فتخلف ليلة مع قوم يذكرون الله فأتى إليهم فعرفهم وجلس معهم فجعل يقول [يا][103]فلان ادع الله لنا يا فلان ادع الله لنا حتى صار الدعاء إلى عمر فكانوا يقولون عمرفظ غليظ فلم أر أحدا من الناس تلك الساعة أرق من عمر لا ثكلى ولا أحـد[104][من الناس][105].

وقال رجل لأنس[106]يوما: يا أبا حمزة لو دعوت الله لنا بدعوات، فقال: اللهم

(102) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(103) ما بين المعكوفتين غير موجود في م

(104) أورد الشاطبي في كتابه الاعتصام ردا على من أفتى في نازلة وقعت في بلاد الأندلس وهي أن إماما من أئمة المساجد ترك الدعاء أدبار الصلاة في الهيئة الاجتماعية التي اعتادها الناس في تلك البلاد بأن هذا الفعل بدعة لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة بعده ولا الأئمة من بعدهم إذ لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الذكر المجرد بعد الصلاة أو الدعاء الذي يخص به نفسه كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ولم يدع هو وخلفاؤه الراشدون والسلف الصالح للجماعة بعد الصلاة ثم نص العلماء على أن الإمام ينصرف ولا يقعد في موضع إمامته إذا سلم من الصلاة وقد خالف الشاطبي في هذه المسألة القاضي أبو الحسن الجذامي المالقي صاحب كتاب قضاة الأندلس المعروف بالنباهي وخالفه الفقيه الكبير أبو سعيد فرج بن لب وانتصر له محمد بن عاصم صاحب التحفة الذي ألف كتابا وصف بالنبل والإفادة في إنكار مثل هذا الاجتماع على الدعاء أدبار الصلوات و قد بسط الشاطبي الرد على ابن لب في "كتاب الاعتصام – الاعتصام 1/349 وما بعدها ، شجرة النور ص247، الإفادات والإنشادات ص42، وقد أورد الشاطبي قصة عمر هذه في كتاب الاعتصام قال وخرج عن أبي سعيد مولى أسيد قال كان عمر رضي الله عنه إلى آخر القصة . وحكاية أنس الآتية عن سلم العلوي قال رجل لأنس ... إلخ –انظر الاعتصام 2/ 22.

(105) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط

(106) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المكثرين عنه في الرواية خدمه منذ مقدمه المدينة حتى توفي صلى الله عليه وسلم، توفي رضي الله عنه سنة 90 أو 91هـ على خلاف في ذلك. –الإصابة 1/112 عدد 275.

آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قال الشاطبي[107] فإذا كان الأمر على هذا فلا إنكار فيه اهـ.

وقد أكثرت [من هذه المثل المنصوص][108] على أنها جائزة[109] منها ما التزم دبر كل صلاة كالغناء الذي ذكره الشاطبي ومنها ما التزم أربعين مرة في كل[110] يوم لرؤيا ريئت في النوم كما ذكره الشاطبي أيضا، ومنها ما فعل [عمر][111] عند الخروج من الخلاء [على غير وضوء][112] ومنها ما هو من الراحات أوالعادات[113] تنبيها على أن من وقف عندها وعند ما يشبهها قصارى ما أقول إنه ظالم لنفسه إن لم أقل إنه مقتصد ولا أقول إنه مبتدع أو ضال بل إن فعل شيئا من هذا قبل تسليمة التحليل من الفرض صحت صلاته عند أبي حنيفة، وإن فعلها بعد السلام وقبل تسليمة الرد صحت صلاته وفعل بدعة مذمومة إذ حقيقة البدعة المذمومة حسب ما يأتي هي التي تميت السنة أو تكاد تفضي إلى إماتتها وإن فعلها بعد تسليمة الرد صحت صلاته بإجماع[114] وفعل جائزا ثم أقول إن ترك ذلك لما هو أرفع وخير مما ترك فهو سابق بالخيرات وإن تركها لأخس منها خوف آفة من خارج يعمل بذلك يدا على الله [عز وجل][115] أن تعتقد العامة من أنا في الحي حتى أنسب[116] فهو كقول العامة

(107) انظر الهامش رقم 104

(108) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(109) في ت: "جائزات"

(110) في ت: "لكل"

(111) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط

(112) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(113) في ت: "أو العاديات"

(114) لأن سلام التحليل مختلف فيه فقال الحنفية إنه غير فرض ويتم الخروج من الصلاة بمناف، وقال المالكية والشافعية إن التسليمة الأولى هي التحليل من الصلاة والثانية سنة وقال ابن حنبل لا يتم الخروج والتحليل من الصلاة إلا بالتسليمة الثانية، ولذلك قال المواق إنه لو فعل هذه الدعوات بعد تسليمة الرد التي هي الثانية صحت صلاته بإجماع/الفقه الإسلامي وأدلته 1/670.

(115) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط

(116) عبارة من أنا في الحي حتى أنسب ساقها المؤلف سياق المثل السائر ولم نعثر عليها =

جائز بروحه مضل لغيره مستهزئ بنظرائه مدخل على الناس شغبا في دينهم وحيرة في قلوبهم وسوء ظن في مقلديهم كما يأتي لشيخي ابن سراج رحمه الله لاسيما إن كان هذا المتروك من قبيل المشروع الذي لا يكون أبدا أحظ[117] من المباح ومن نذره لزمه ولو أوصى بجزاء عليه لوجب تنفيذ الوصية.

وسيأتي أيضا للأئمة الذين لا ينعقد للمسلمين إجماع بدونهم من شافعية ومالكية أن ما اختلف في مشروعيته فقال بعض الأئمة إنه مكروه وقال بعضهم إنه مستحب، أن فعل ذلك أفضل. قال عز الدين بن عبد السلام وذلك كرفع اليدين قال: وإنما قلنا هذا لأن الشرع يحتاط لفعل المندوبات كما يحتاط لفعل الواجبات.

وقال القرافي: ولأن القائل بالشرعية مثبت لأمر لم يطلع عليه النافي والمثبت مقدم قال كتعارض البينتين وقال شيخ الشيوخ ابن لب[118]: إذا كان عمل الناس على قول لبعض العلماء فلا ينبغي إنكاره لاسيما إن كان الخلاف في كراهية، والأفضل[119] القيام بالمشروع والمسارعة إلى فعله، ولا يعارض ذلك بما عسى أن يعتقده جاهل

=في كتب الأمثال المتوفرة ولعلها مثل محلي أو شعبي عربه المؤلف والمقصود خشية أن تعتقد العامة مكانة خاصة لهذا الشخص وذلك مثل ما وقع لسعد بن أبي وقاص عندما قدم الشام أتاه رجل فقال استغفر لي؟ فقال غفر الله لك ثم أتاه آخر فقال استغفر لي؟ فقال لا غفر الله لك ولا لذاك أنبي أنا؟ وكما خرج الطبري عن مدرك بن عمران قال كتب رجل إلى عمر رضي الله عنه فادع الله لي؟ فكتب إليه عمر إني لست بنبي ولكن إذا أقيمت الصلاة فاستغفر الله لذنبك فكأن عمر وسعدا رضي الله عنهما فهما من المستغفرين أمرا زائدا على مجرد دعاء المسلم لأخيه وهو أن يعتقدا فيهما أنهما مثل النبي-راجع الاعتصام 2/24.

(117) في ت: "أحط أبدا"

(118) فرج بن قاسم بن لب الأندلسي الغرناطي إمامها أبو سعيد الإمام قرأ على القيجاطي وابن الفخار البيري وابن جابر الواد آشي أخذ عنه الشاطبي والمنتوري شيخ المواق والحفار وغيرهم توفي 782هـ-الديباج 220، الشجرة عدد826 ص230.

(119) في ت: "والأصل"

بسبب جهله. ففي الوضوء والصلاة [والصيام][120] وسائر الوظائف المشروعة فضائل يقام بها ويثابر عليها ولم يقل أحد بتركها مخافة اعتقاد الوجوب بها. قال وقد أشكل على الناس كلام مالك في مخالفة هذا الأصل [في صيام ست من شوال][121] واختلفوا في توجيه قوله، فكيف يستقيم لأحد أن يقيس على هذا غيره.

ثم قال فهذا جهالة عظيمة ما حمل من أنكره[122] على إنكاره إلا أنه أبصر ما أمامه ولم يلتفت إلى ما خلَّفَ وراءه، وقف على بعض مسائل في المذهب لم يهتد لواضح سبيلها و[لا][123] شعر بوجهها ودليلها ولا علم اختلاف العلماء في أصلها ولم يعطها من الفهم والتأمل حقها، ورأى أن العمل[124] بخلاف ما انتهى إليه فهمه فيها فظن أن لا علم إلا ما علم ولا فهم إلا دون ما فهم، استحقر العامة وجهل الخاصة، ورأى أنه وحده على الجادة، وصار في قيامه على الناس بالنكير كما قيل إنباض بغير[125] توتير وحاد ليس له بعير[126].اهـ بعض كلام شيخ الشيوخ ابن لب. وهذا تكلم عليه أيضا مفتي تونس البرزلي[127] في المنكر الدعاء أدبار الصلوات ونحو ذلك قائلا: لم تسر بسيرة السلف في أن الأمر بالمعروف يكون بمعروف قال سبحانه: ﴿فقولا له قولا لينا﴾[128] وهذا إذا كان المأمور به واجبا بإجماع أو المنهي

(120) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(121) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(122) في ت: "أنكر"

(123) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(124) في ت: "العلم"

(125) في ت: "من غير"

(126) مثل سائر أي ينبض القوس من غير أن يوترها أي توعد من غير أن يقدر لأن الإنباض ثان للتوتير أو فرع عنه فإذا لم يكن توتير لم يكن إنباض- الأمثال للميداني 2/340.

(127) أبو القاسم بن أحمد البلوي القيرواني التونسي الشهير بالبرزلي الإمام قرأ على ابن مرزوق وابن عرفة كان موصوفا بشيخ الإسلام توفي سنة 842 أو 843 عن ما يربو على 100 سنة لأنيل الابتهاج ص225، شجرة النور عدد 879 ص245.

(128) الآية 44 من سورة طه.

عنه محرما[129] بإجماع وأنت قد عمدت إلى مستحب جائز الترك أو مكروه جائز الفعل أو مباح وغيره خير منه وجل ذلك أو كله مختلف فيه.

ثم ذكر عن هذا الذي هو يتحدث معه أنه كَبَّرَ هذه الأشياء وصيرها مناكير. قال وقصاراها الاستحباب أو الكراهة أو الإباحة [على اختلاف فيها أو في بعضها، تُرِكَتْ أو فُعِلَتْ لموجب قابل للاستحباب أو الكراهة أو الإباحة][130]، وأخذ فيها بغير مذهب مالك المرجح وجرى عليه عمل الناس من غير نكير. وسيأتي أن أمر[131] الحسبة ليس بالهوينا. انظر النصوص الصريحة بالنهي في القرآن والسنة في مثل هذه الأمور، أعني مما[132] هو وارد على ما في ملك[133] الإنسان أنه نهي أدب أو إرشاد لا نهي تحريم حسب ما أبينه في المقام السادس، قصارى أمره إن لم يكن النهي عن فاضل لأفضل منه أنه مكروه، والمكروه من قبيل الجائز.

وانظر فيما هو أعظم قول ابن شأس[134] : لو رفع إلى قاض نكاح امرأة زوجت نفسها بغير ولي فقال: لا أجيزه أن هذا ليس بحكم، قال الإمام ابن عرفة: مقتضى هذا أن لغيره بعده أن ينقضه، والظاهر أنه لا يجوز للثاني نقضه لأن قول الأول لا أجيزه حكم منه بأنه مكروه والكراهة أحد أقسام الشرع الخمسة يجب رعي كل حكم منها ولازمه وحكم المكروه عدم نقضه بعد وقوعه.

قال ابن العربي: التوبة من المكروه مستحبة. وانظر إذا[135] كانت الكراهة بترك فاضل لأفضل، وربما يحتسب المحتسب فيترك المحتسب عليه ما فيه فضل[136] ولا يترقى لأفضل.

(129) في ت: "محرم"
(130) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و في متن ط وورد في ت وفي هامش ط
(131) في ت: "أجر"
(132) في ت: "فيما"
(133) في م: "ذلك" وهو تصحيف
(134) عبد الله بن شأس الجذامي السعدي الفقيه له كتاب الجواهر الثمينة في فقه عالم المدينة توفي سنة 610 هـالديباج ص141، شجرة النور عدد 517 ص165
(135) في ت: "إن"
(136) في ت: "أفضل"

قال الشاطبي في موافقاته قد رأيت[137] ترك الترخص في مواضع الترخص يوقع في مفسدة أو مفاسد يعظم موقعها شرعا، فالناهي إذن عن مثل هذه الرخصة قد أمر بهذه المفسدة، إذ مذهب أهل السنة أن النهي عن الشيء [الواحد][138] أمر بضده أو بأحد أضداده إن[139] كان ذا أضداد، قال بعضهم: رموا بهممهم إلى المراتب العالية[140] فلم يقدروا على الوصول إليها. قال أبو حامد فتركوا التمييز وهو عين الضلال ثم نقل من هذا المعنى وقال "إن لم تكن إبل فمعزى"[141].

وقال ابن العربي: قلة الإثم بالنسبة إلى كثرته خير كثير. وقال في الإحياء: هكذا ينبغي أن تفهم[142] حمد ما يحمد وذم ما يذم وإلا جهلت قول القائل [الصادق][143] : حسنات الأبرار سيئات المقربين[144] وقال في موضع آخر: ومباحات العوام سيئات الأبرار اهـ. وسيأتي لابن رشد وابن العربي أن على قوة الخلاف تقوى مرعاته.

وسيأتي في المقام السادس أن ما اختلف في مشروعيته أن فعله أولى وأن بموت النبي ﷺ أمن أن يلحق بالفرائض ما ليس منها. وأن القرب إذا شهد الشرع باعتبار جنسها فهي مندوبة، زاد الشاطبي وتؤخذ من المرائي في النوم وسيأتي

(137) في ت: "قد رأينا"
(138) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط
(139) في م: "إذا"
(140) في ت: "العلية"
(141) مثل مشهور متداول يضرب فيمن طلب شيئا فلم يجده ولكنه يطلب بديلا عنه دونه وأصله شطر بيت قديم:
ألا إن لم تكن إبلا فمعزى كأن قرون جلتها العصي
(142) في ت: "يفهم"
(143) ما بين المعكوفتين غير موجود في م
(144) من كلام أبي سعيد الخراز رواه ابن عساكر في ترجمته وعزاه بعضهم لذي النون والزركشي للجنيد وليس من الحديث. وأبو سعيد هذا من كبار الصوفية توفي سنة280 هـ انظر كشف الخفاء 1/ 428.

في المقام السادس أخيرا أن النوافل ما قدر الشرع[145] أن في فعله ثوابا من غير أن أمر [146] به أو رغب فيه أو فعله. وسيأتي أن المساعدة فيما لا إثم فيه مندوبة، لعل أن تعتاض بما تترك من الأفضل لأجل المساعدة ثواب المحسنين والله سبحانه يقول: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾[147].

وسيأتي أيضا في آخر المقام السادس أن النهي إذا كان على ما في ملكك أنه نهي أدب وإرشاد، وقد يكون النهي عن فاضل لأفضل كما يقال يكره للقاعد في المسجد أن يترك القراءة والذكر، وللمجاور بمكة أن لا يحج كل عام، وللمتزوج أن يعزل، وعلى هذا حمل ابن رشد كراهة الوصية للذمي. وقال عياض ما اختلف العلماء في تحليله وتحريمه فلا يقال فيه حرام، وقال في[أول][148] الإكمال: لا ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يحمل الناس على اجتهاده ومذهبه، وإنما يغير منه ما اجتمع على إحداثه وإنكاره[149]، ورشح محي الدين النووي كلام عياض قائلا: أما المختلف فيه فلا إنكار فيه وليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصَّ القرآن والسنة والإجماع. وانظر في آخر المقام السادس من فتيا الشاطبي: إذا كان عمل الناس على قول مرجوح في النظر فلا يعرض لهم ويجروا أنهم قلدوه في الزمان الأول وجرى به العمل. ومن مقدمات ابن رشد: ما اختلف العلماء في تحليله وتحريمه فهو مكروه، ومن تركه أجر ومن فعله لا يأثم. وقال القرافي وعز الدين: من أتى شيئا مختلفا فيه يعتقد تحريمه أنكر عليه لانتهاكه الحرمة، وإن اعتقد تحليله لم ينكر عليه إلا أن يكون مدرك المحلل ضعيفا ينقض الحكم بمثله في الشرع. وقال أبو عمر: ألا ترى أن الصحابة اختلفوا وهم الأسوة فلم يعب أحد

(145) في ت: "في أن"
(146) في ت: " يأمر "
(147) الآية 91 من سورة التوبة
(148) ما بين المعكوفتين غير موجود في "ت"
(149) في ت: "على إنكاره وإحداثه"

منهم على صاحبه اجتهاده ولا وجد عليه في نفسه؟ إلى الله الشكوى وهو المستعان على أمّة نحن بين أظهرها تستحل الأعراض إذا خولفت. ونقل أبو عمر بسنده إلى الثوري[150] قال: إذا رأيت الرجل يعمل بالعمل الذي اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه.

وقد أمرالمهدي[151] مالكا أن يجمع مذهبه في كتاب يحمل الناس عليه فقال مالك: أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلاد وأخذ أهل كل ناحية عمن وصل إليهم فدع الناس وما هم عليه. وكان سيدي بن سراج رحمه الله يرشح هذا ويقول: إذا ظهر للمرء خلاف ما يظهر لغيره فيمتنع في ذاته ولا يحمل الناس على مذهبه فإنه يدخل عليهم شغبا في أنفسهم وحيرة في دينهم.

ثم بعد ذلك اطلعت على أصول الفتيا[152] للإمام تقي الدين بن الصلاح[153] قال: إذا كان للمفتي مختار يأخذ به في خاصة نفسه[154] بينه للمستفتي، يقول له مذهبك كذا. وأنا يظهر لي كذا ومثل هذا أيضا ما ذكره عياض عن ابن الأعبس[155]

(150) هو سفيان بن سعيد الثوري أبو عبد الله الكوفي روى عن أبي إسحاق السبيعي والأعمش وحماد وعنه ابن مهدي والقطان وابن المبارك وغيرهم أحد الأئمة الأعلام توفي سنة 161هـ- تهذيب التهذيب 4/114، سير أعلام النبلاء7/229.
(151) اسمه محمد بن عبد الله أبو عبد الله العباسي ولي الخلافة بعد أبيه المنصور مات سنة 169هـ عن 43 سنة، مكث بالخلافة 10 سنين وأشهرا فيها وولي الخلافة بعده ابنه الهادي- سير أعلام النبلاء 7/400.
(152) نشرهذا الكتاب تحت عنوان أدب المفتي والمستفتي وقد ذكر ابن الصلاح في كتابه هذا كلاما قريبا من هذا الكلام تحت عنوان: القول في أحكام المفتي ص 108-128.
(153) تقي الدين أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الكردي الموصلي الشافعي الإمام الحافظ شيخ الإسلام صاحب كتاب علوم الحديث والفتاوى توفي سنة 643 هـ بدمشق عن 66 سنة/ الأعلام للزركلي 4/208، سير أعلام النبلاء 23/122.
(154) في م و ط: في خاصته
(155) في جميع النسخ ابن الأعبس بالمهملتين، وهو ابن الأغبش بالمعجمتين واسمه أحمد بن ميسر بن محمد أبو عمر القرطبي سمع ابن وضاح والخشني ومطرف بن قيس وتقدم في معرفة اللسان كان يميل إلى مذهب الشافعي ويفتي بمذهب مالك وقد أورد هذا الكلام عنه عياض وابن فرحون في الديباج ص33، توفي سنة 327هـ- الديباج ص33، الجذوة ص 111.

قال: كان مشاورا في الأحكام وكان إذا استفتي ربما يقول: أما مذهب بلدنا فكذا وأما الذي أراه فكذا. وانظر في الأقضية للخمي[156] في المفتي إذا استفتاه أحد الزوجين في يمين بالطلاق هل يفتيه أو حتى يحضر الزوجان ويحكماه بناء على التصويب وعدمه. ونقل عياض أيضا أن قاسم[157] بن محمد[158] كان أعلم من محمد بن عبد الحكم[159]سأله ابن خالد[160] وقال [له][161] [مالي][162] أراك تفتي الناس بما

(156) أبو الحسن علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي قيرواني الأصل استقر بصفاقس بعد خراب القيروان من قبل الأعراب تفقه بابن محرز وأبي الطيب عبد المنعم والتونسي والسيوزي وهو من شيوخ المازري الذين اعتمد عليهم له تعليق كبير على المدونة سماه التبصرة ربما اختار فيه فخرجت اختياراته عن المذهب توفي سنة 478هـ بمدينة صفاقس/الشجرة عدد 326 والديباج ص203.

(157) في م و ط: القاسم

(158) قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن يسار رحل رحلتين إلى المشرق سمع من محمد بن عبد الحكم والمزني ولزمهما للتفقه وسمع الحارث بن مسكين وإبراهيم بن المنذر وسحنون وغيرهم لم يكن في الأندلس مثله في النظر قال محمد بن عبد الحكم ما قدم علينا من الأندلس مثل قاسم، كان يفتي ويتحفظ كثيرا، ألف كتابا في الرد على خصومه سماه الرد على المقلدة وآخر في خبر الواحد، وعنه أخذ ابنه محمد وأحمد بن خالد وغيرهم، توفي سنة 277هـ- الديباج ص221.

(159) أبو عبد الله سمع أباه عبد الله بن عبد الحكم وابن وهب وابن القاسم وأشهب والشافعي وروى عنه أبو حاتم الرازي كان فقيه مصر في مذهب مالك توفي سنة 268هـ -الديباج ص231، الشجرة عدد 69 ص67، سير أعلام النبلاء 12/497.

(160) أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم بن سليمان يعرف بابن الحباب القرطبي سمع ابن وضاح وقاسم بن محمد وغيرهما ورحل وجاور بمكة ثم عاد مرورا بأفريقية كان إمام وقته بالأندلس في الفقه والحديث والعبادة سمع منه كثير، له مسند حديث مالك وكتاب فضائل الوضوء وغيرها، توفي سنة 322هـ- الديباج ص34، الشجرة عدد 182 ص87، وفي الديباج هذا الكلام عند ترجمة قاسم بن محمد ص221.

(161) مابين المعكوفين غير موجود في ت

(162) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط

لا تعتقد؟ فقال: لو سألوني عن مذهبي لأخبرتهم. قال القاسم[163]بن محمد نفعنا الله باختلاف أصحاب محمد ﷺ في أعمالهم لا يعمل العامل بعمل رجل منهم إلا رأى أنه في سعة ورأى أن خيرا منه قد عمله، وعنه أيضا أي ذلك أخذت به لم يكن في نفسك منه شيء، وقال عياض ومحيي الدين النووي: ومذهب المحققين أن كل مجتهد مصيب وكذلك [أيضا][164] قال أبو حامد في المستصفى وابن العربي في مسالكه قال: [و][165] قد بينا ذلك في المحصول[166]وقال ابن رشد في مقدماته: الصحيح عن أبي الحسن الأشعري[167]أن كل مجتهد مصيب قال: وقال الباقلاني[168]: إنه مذهب مالك ثم قال: فهذه جملة كافية لمن بصره الله وفهمه في بيان صحة القول بتصويب المجتهدين وهي من المسائل القطعيات ثم قال: فإذا صح ذلك واستحال أن الحق في واحد فيتأول[169] الحديث ورأيت فتيا لابن عرفة قال: قول ابن حزم[170]: أجمعوا أن متبع الرخص فاسق. مردود بما أفتى به الشيخ المتفق على علمه

(163) هكذا في النسخ والصحيح أنه قاسم بدون تعريف كما سبق

(164) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(165) ما بين المعكوفتين غير موجود في م

(166) المحصول من علم الأصول كتاب في أصول الفقه لابن العربي – كشف الظنون 4/442

(167) علي ابن إسماعيل ابن أبي بشر إسحاق بن سالم ابن إسماعيل شيخ الطائفة الأشعرية الأشعري نسبة إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وقد كان في أول أمره معتزليا ثم رجع عن ذلك وصنف في الرد عليهم توفي 324هـ- وفيات الأعيان عدد 429، سير أعلام النبلاء 15/85.

(168) محمد أبو بكر بن الطيب الباقلاني الملقب شيخ السنة الإمام المتكلم على طريقة الأشعرية توفي سنة 403هـ/الديباج ص267، سير أعلام النبلاء 17/190.

(169) في ت: "فيتناول"

(170) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أصله من الفرس وجده الأقصى في الإسلام اسمه يزيد مولى ليزيد بن أبي سفيان كان حافظا عالما بعلم الحديث والفقه واللغة والأدب سمع من أبي عمر الطلمنكي وأبي عمر بن عبد البر له كتاب المحلى وإحكام الأحكام مال إلى المذهب الظاهري فوقعت بينه وبين أصحاب المذاهب خصومات كثيرة توفي سنة 456 هـ الأعلام 4/254 نفح الطيب 1/364 الجذوة ص 290 سير أعلام النبلاء 18/184.

وصلاحه عز الدين بن عبد السلام أنه لا يتعين على العامي إذا قلد إماما في مسألة أن يقلده في سائر مسائل الخلاف، لأن الناس من لدن الصحابة إلى أن ظهرت المذاهب يسألون فيما يسنح لهم العلماء المختلفين من غير نكير من أحد، وسواء اتبع الرخص في ذلك[171] أو العزائم، لأن من جعل المصيب واحدا لم يعينه ومن قال كل مجتهد مصيب فلا إنكار على من قلد في الصواب. وقال القرافي: انعقد الإجماع على أن من أسلم فله أن يقلد من يشاء[172] من العلماء بغير حجر، وأجمع الصحابة أن من استفتى أبا بكر[173] وعمر وقلدهما فله أن يستفتي أبا هريرة[174] ومعاذ بن جبل[175] وغيرهما من غير نكير. فمن ادعى رفع هذين الإجماعين عليه الدليل، وزاد في شرح التنقيح؛ بشرط ألا يجمع بين الأقوال على صفة تخالف الإجماع، وبشرط أن يعتقد في من يقلده الفضل اهـ. وقد تقدم في صدر الكتاب أن عليه في خاصة نفسه الورع والخروج من الخلاف.

(171) في ت: "اتبع في ذلك الرخص"

(172) في ت: "من شاء"

(173) عبد الله بن عثمان أبي قحافة ابن عامر القرشي التيمي أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من آمن به من الرجال ولد بعد الفيل لسنتين وستة أشهر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه روى كثير من الصحابة كانت وفاته في جمادى الأولى سنة 13هـ رضي الله عنه وهو ابن 63سنة –الإصابة 6/155–161.

(174) اسمه عبد الرحمن بن صخر عامر الدوسي الصحابي الجليل اشتهر بكنيته أبي هريرة من المكثرين في الحديث أخذ عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين منهم فقهاء المدينة وغيرهم من أئمة الإسلام، كانت وفاته رحمه الله بالعقيق سنة 57هـ- الإصابة 6/63–79.

(175) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي أبو عبد الرحمن شهد العقبة وبدرا والمشاهد وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أعلم الأمة بالحلال والحرام، وأرسله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن للقضاء وظل بها حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج للفتوح وتوفي في طاعون عمواس سنة 18هـ- أسد الغابة 4/377.

وأما بالنسبة إلى الفتيا فكان سيدي ابن سراج رحمه الله يقول: لا تسع الفتيا والحكم إلا بمشهور المذهب، وكان ينقل لنا قول المازري[176] بلفظه مستحسنا له وهو ما نصه: ولست ممن يحمل الناس على غير المعروف من المذهب لكثرة من يدعي العلم ويتجاسر على الفتوى، ولو فتح هذا الباب لاتسع الخرق على الراقع وهتك حجاب المذهب وهو مفسدة لا خفاء فيها[177].

وكان يقول أيضا: وقد يصل المفتي لمدرك أصل بعض المسائل ويجد مرجحا في نازلة من غير القضية بحيث يدرك فرقا بينها وبين نص الإمام في مثلها، وكثيرا ما يقرر[178] هذا بالنسبة للمقاتل فيقول: إذا شككنا في المقاتل في غير محل الذبح فاحتطنا بعدم إعمال الذكاة يوشك ألا يوافق أحد على ذلك فإذا قلنا بإعمال الذكاة فنحن على يقين على قول الغير وعلى ريب من قول إمامنا.

وانظر الشيء يذكر بالشيء انظر الفرق الحادي والستين والمائة لشهاب الدين قال: لا يحل للمفتي أن يفتي أحدا بالطلاق حتى يعلم أنه من بلد ذلك العرف الذي ترتبت الفتيا عليه، فإن كان من بلد آخر أفتاه باعتبار حال بلده، قال: وهذه القاعدة في جميع الأحكام كالنقود والسكوك في المعاملات والمنافع في الإيجارات والأيمان والوصايا والنذور في الإطلاقات. قال: وقد غفل عن هذا كثير من الفقهاء وجدوا الأئمة الأُوَّلَ سطروا في كتبهم فتاوى بناء على عوائدهم فأفتى هؤلاء المتأخرون بها وقد زالت تلك العوائد فكانوا مخطئين خارقين الإجماع، فإن الفتيا بالحكم المبني على مدرك بعد زوال مدركه خلاف الإجماع.

(176) محمد بن علي بن عمر التميمي المازري يكنى أبا عبد الله ويعرف بالإمام أخذ عن اللخمي والسوسي وغيرهم من مؤلفاته: المعلم في شرح مسلم أخذه عنه القاضي عياض إجازة توفي سنة 536هـ – الديباج ص269، شجرة النور عدد 371 ص 127.

(177) في م و ط: "بها"

(178) في م و ط: "يقدر"

ومن [ذلك][179] لفظ الحرام والخلية والبرية ونحوهما مما هو مسطور لمالك أنه يلزمه به الطلاق الثلاث بناء على عادة كانت في زمانه. وأكثر المالكية اليوم يفتي بلزوم الطلاق الثلاث بناء على المنقول في الكتب عن مالك وتلك العوائد قد زالت، فلا نجد أحدا اليوم يطلق امرأته بالخلية والبرية. وله أيضا في الفرق التاسع والستين والمائتين: يباح من إكرام الناس قسمان:

الأول :ما وردت به الشريعة كإفشاء السلام.

والثاني : ما لم يرد في النصوص ولا كان في السلف؛ لأنه لم يكن أسباب اعتباره بلزومه موجودة حينئذ، وتجددت في عصرنا فتعين فعله لتجدد أسبابه كأنواع المخاطبات للملوك وأولي الرفعة من العظماء والقيام للإكرام.

فهذا كله ونحوه من الأمور العادية،لم تكن في السلف ونحن اليوم نفعلها، وذلك جائز مأمور به وإن كان بدعة. ولقد حضرت عند عز الدين بن عبد السلام وكان من أعيان العلماء وأولي الجد في الدين والثبات على الكتاب والسنة غير مكترث بالملوك فضلا عن غيرهم لا تأخذه في الله لومة لائم فقدم له سؤال؛ في القيام الذي أحدثه أهل زماننا مع أنه لم يكن في السلف هل يحرم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ «لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا»[180]وترك القيام في هذا الوقت يفضي للمقاطعة والمدابرة فلو قيل بوجوبه ما كان بعيدا. هذا نص ما كتب وهو معنى قول عمر بن عبد العزيز[181]: تحدث للناس أقضية... الأثر. وهذا بشرط ألا تستبيح

(179) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(180) حديث: "لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنافسوا وكونوا عباد الله إخوانا" رواه مسلم عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة ولفظ مسلم عن أنس ابن مالك "لاتباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ..إلخ" وتمام الحديث : "ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث". وفي رواية أخرى لمسلم: "لا تحاسدوا ولا تباغضوا". ورواه البخاري في كتاب الأدب من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما-انظر فتح الباري .397/10

(181) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أبو حفص المدني ثم الدمشقي أمير المؤمنين أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب روى عن أنس والسائب بن يزيد وعبد الله بن جعفر وعقبة الجهني وغيرهم من=

محرما ولا تترك واجبا. فلو كان الملك لا يرضى منا إلا بمعصية لم يحل لنا أن نواده بذلك. وإنما هذه أمور لولا هذه الأسباب المتجددة كانت مكروهة من غير تحريم فلما تجددت هذه الأسباب صار تركها يوجب المقاطعة المحرمة وإذا تعارض المكروه والمحرم حسم مادة المحرم وإن وقع المكروه. وينقسم القيام إلى أقسام الشريعة الخمس اهـ.

ولنرجع إلى ماكنت خرجت منه من أن الأخذ بالجد في الدين الذي يكون بحيث لو فجأ المرء الموت لم يجد مستزادا هو الحق الذي لا شك فيه وهو مذهب العارفين الذين هم أفضل من العلماء بأحكام الله لكن معلوم أن هذا ليس في طوق البشر فدون هذا المقام مقام آخر هو المقام الثامن.

=الصحابة والتابعين وعنه أبو سلمة بن عبد الرحمن وابناه عبد الله وعبد العزيز وأخوه زيان وابن عمه مسلمة وأبو بكر محمد بن حزم والزهري وعنبسة بن سعيد بن العاص وكاتبه ليث بن أبي رقية الثقفي كان مأمونا ثقة عابدا ولد سنة 63هـ وولي الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة 99هـ وكان عادلا رحمه الله وانتهت خلافته بوفاته سنة 101هـ-تهذيب التهذيب 476/7

المقام الثامن :مقام خواص العلماء بأحكام الله تعالى

أقول إنه مقام خواص العلماء بأحكام الله أن يكون المرء ساعة وساعة، ساعة في مهم وساعة في أهم يشهد لهذا حديث[1]حنظلة[2] ثم من دون هذا [المقام][3] مقام آخر دونه وهو المقام السابع.

(1) حديث حنظلة رواه مسلم عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة في كتاب التوبة ضمن حديث طويل آخره "... لو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة..." ورواه الترمذي في القيامة وأحمد في المسند. انظر صحيح مسلم ج 8/95.

(2) هو حنظلة التميمي الأسدي كما صرح بذلك في صحيح مسلم وهو حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي الأسدي له ولأبيه وجده صحبة روى عنه أبو عثمان النهدي لم يذكر ابن حجر تاريخ وفاته الإصابة 2/296 عدد1131.

(3) ما بين المعكوفتين غير موجود في "ت".

المقام السابع: أن يكون في مهم إن لم يكن في أهم

وهو من لم يقدر أن يكون على عمل أهم فليكن على عمل مهم وقد يضاهي صاحب هذا المقام مقام العارفين بحسن النية وهذا كما قاله مالك وأحمد بن حنبل[1]والشافعي[2]وسفيان والزهري[3]وغيرهم فقد قال مالك لابن وهب[4] لما جمع كتبه وقام يتنفل: ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه، إذا أحسنت النية، نقله ابن يونس[5]. ونقل أيضا عن أحمد بن حنبل أن رجلا قال له: هذا العلم فمتى العمل؟ فقال أحمد: ألسنا نحن في عمل؟ وقال الشافعي: طلب العلم أفضل من النافلة. وقال سفيان: ما أعلم عملاً أفضل من طلب العلم.

(1) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي أخذ عن بشر بن المفضل وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وأبي داوود الطيالسي والشافعي وغيرهم، وعنه البخاري ومسلم وأبو داوود وابن مهدي ووكيع وابنه عبدالله ويحيى بن معين والمديني وغيرهم، الإمام المحدث الفقيه المدافع عن الدين في محنته توفي سنة 241هـ تهذيب التهذيب 1/75-126.

(2)الإمام محمد بن إدريس المطلبي الشافعي روى عن مالك وابن عيينة والفضيل بن عياض وإبراهيم بن سعد وعنه ابن حنبل والمزني والربيع ومحمد بن عبد الحكم، كان حافظا فصيحا عاقلا قال فيه ابن حنبل: كان أفقه الناس في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إليه ينسب المذهب الشافعي توفي رحمه الله بمصر سنة 204 هـ الديباج ص.229

(3)هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري أبو بكر الحافظ المدني أحد الأئمة الأعلام روى عن ابن عمر وابن جعفر والمسور وغيرهم، وعنه عطاء بن أبي رباح ويحيى بن سعيد ومالك بن أنس وهشام بن عروة وغيرهم توفي في رمضان من سنة 125هـ-تهذيب التهذيب 9/445.

(4)عبد الله بن مسلم القرشي مولى عبد الرحمن بن يزيد العمري روى عن أربعمائة عالم منهم مالك والليث وعنه أصبغ وسحنون وعبد الحكم، وتفقه في مذهب مالك وصحبه عشرين سنة توفي سنة 197هـ-الديباج ص132، وقد ذكر عياض في المدارك قولة مالك لابن وهب هذه في ترجمة ابن وهب 1/247.

(5)محمد بن عبد الله بن يونس أبوبكر التميمي الصقلي كان فقيها فرضيا ملازما للجهاد جامعا للمدونة وأضاف إليها غيرها من الأمهات وعليه أعتماد طلبة العلم مؤلف كتاب الجامع توفي 451هـ الديباج ص274.

ونقل عياض عن ابن أخي ابن وهب[6] قال: كنت مع عمي بالإسكندرية مرابطا فاجتمع عليه الناس يسألونه [نشر العلم][7] فقال لي: هذا بلد[8] عبادة وقلما أمهد لنفسي فيه مع شغل الناس، فترك الجلوس لهم في الأوقات التي كان يجلس وأقبل على العبادة والحراسة، فبعد يومين أتاه إنسان فأخبره أنه رأى نفسه في مشهد عظيم نحو المسجد الحرام والنبي ﷺ فيه وأبوبكر عن يمينه وعمر عن شماله وأنت بين يديه وفي المسجد قناديل تزهر أحسن شيء وأشدها بياضا إذ خَفَتَ منها قنديل فانطفأ فقال لك رسول الله ﷺ: يا عبد الله أوْقِدْهُ، فأوقدته ثم آخر كذلك ثم أقمنا مليا فرأيت القناديل كلها همت تطفأ، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما ترى هذه القناديل؟ فقال رسول الله ﷺ: هذا عمل عبد الله بن وهب يريد يطفئها[9] فبكى ابن وهب فقال له الرجل: جئت لأبشرك ولو علمت أنه يغمك لم آتك، فقال له: هو خير، رؤياك هذه وعظت بها، ظننت أن العبادة أفضل من نشر العلم. ثم ترك كثيرا من عمله ورجع إلى الناس وحبس نفسه عليهم[10] يقرءون عليه ويسألونه.

وقال الزهري: العالم إذا لم يخل بواجب ولم يقصر في فرض أفضل من العابد.

وسئل عز الدين؛ أقراءة القرآن أفضل أم النظر في العلم؟ فقال: معرفة الأحكام الشرعية أفضل لعموم الحاجة إليها في الفتاوي و الأقضية والولايات العامة والخاصة ومصلحة القرآن مقصورة على القارئ وما عمت مصلحته ومست الضرورة والحاجة إليه أفضل مما كانت مصلحته مقصورة على فاعله.

(6) أورد عياض في مداركه هذه القصة في ترجمة ابن وهب المتقدم في المجلد الأول ص246، ولم يذكر اسم ابن أخي ابن وهب هذا وبعد ذلك أفرد له ترجمة مستقلة فقال إن اسمه أحمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله بن أخي ابن وهب روى عن عمه ومحمد بن عبدالحكم وأثنى عليه محمد والأعناقي وابن فطيس وتحامل عليه آخرون فوصفوه بالكذب توفي سنة 268، وقيل 264هـ/ المدارك 1/415.

(7) ما بين المكعوفين غير موجود في ت وم.

(8) في م و ط: "هذه بلدة".

(9) في ت: "يطفيها".

(10) في ت: "لهم".

وقال في الإحياء، لما ذكر أن الطريق إلى الله عمارة الأوقات بالأوراد، قال: أما العالم الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس فترتيب أوراده تخالف أوراد العابد، فإنه محتاج إلى المطالعة والإفادة فإن أمكنه أن يستغرق أوقاته في ذلك فهو أفضل ما يشغل به بعد المكتوبات ورواتبها، قال وكذلك المتعلم الاشتغال له بالتعلم[11] أفضل من النوافل، قال فحكمه حكم العالم. فقد تبين بهذا أن العالم قد يكون من السابقين بنسبة ومن المقتصدين بنسبة ومن الظالمين لأنفسهم بنسبة، فالذي هو من السابقين فكما قالوا[12] هوالذي لو قيل له غدا تموت لم يضع الكتاب من يده، والذي من المقتصدين فمن جعل سببه الدنيا، فمن قائل يقول هو خير من الأسباب، ومن قائل يقول طلب الدنيا بالدف والمزمار أحب إلي من طلبها بالعلم والدين.

حكى السيد مفتي تونس البرزلي، قال قدم علينا الشيخ الدكالي[13] وكان شيخا صالحا يأكل من كد يمينه البلغة من القوت، فأنكر أشياء منها لبس العمامة بغير حتك على ما يلبسها اليوم الفقهاء، ومنها أخذ المرتب من الأوقاف على الإمامة

(11) في ط و م: "بالعلم".

(12) في ت: "قالوه".

(13) هو الزاهد الصالح أبو عبد الله محمد الدكالي ذكر البرزلي أنه ورد عليهم في تونس في عشر التسعين والسبعمائة وكان شيخا صالحا مظهرا للزهد في الدنيا وأنكر على أهل تونس لبس العمامة والتختم ولبس الأحمر وأخذ المرتب على الإمامة والتدريس حتى ترك الجمع والجماعات لأجل ذلك، وكان يغلب عليه مذهب المحدثين فرمي بالزندقة وشنع عليه ابن عرفة أقبح تشنيع وازداد عليه إغلاظا لما علم أنه امتنع عن الجمع والجمعات لأجل المرتب فرحل الشيخ الدكالي إلى المشرق فارا بنفسه ودينه فكتب ابن عرفة إلى أهل مصر كتابا ضمنه الأبيات التالية:

يا أهل مصر ومن في الحكم شاركهم — تنبهوا لقبيح معضل نزلا
لزوم فسقكم أو فسق من زعمت — أقواله أنه بالحق قد عملا
في تركه الجمع والجمعات خلفكم — وشرط حكم إيجاب الكل قد حصلا
إن كان شأنكم التقوى فغيركم — قد باء بالفسق حتى عنه ما عدلا
وإن يكن غيره فالأمر منعكس — قولوا بحق فبان الحق معتدلا

فاجتمع العلماء والفقهاء من أهل مصر ومن والاها وامتحنوا القول غاية الامتحان ثم =

وأظن والتدريس، حتى أداه ذلك إلى عدم الصلاة خلف الأئمة الذين يصلون بالراتب[14]فأوجع ذلك سيدنا[15]الإمام فقلت له نجتمع به ونتكلم معه في هذه المسائل فمنعني. فلما قدر وحججت اجتمعت به في زاوية في الإسكندرية وقلت له أنا آخذ المرتب على التدريس والإمامة وأعتقد أنه أحل لي من أخذه من بيت

=اجتمع رأيهم واتفقت كلمتهم بأن أجابوه على لسان الإمام أبي حفص البلقيني بالأبيات التالية:

ما كان من شيم الأخيار أن يسموا ... بالفسق شيخا على الخيرات قد جبلا
لا لا ولكن إذا ما أبصروا خللا ... كسوه من حسن تأويلاتهم حللا
أليس قد قال في المنهاج صاحبه ... يسوغ ذاك لمن قد يختشي زللا
وقال فيه أبوبكر إذا ثبتت ... عدالة المرء فليترك وما عملا
وقد روينا عن ابن القاسم العتقي ... فيما اختصرنا كلاما أوضح السبلا
ما إن ترد شهادات لتاركها ... إن كان بالعلم والتقوى قد احتفلا
كذا الفقيه أبو عمران سوغه ... لمن تخيل خوفا واختشى خللا
نعم وقد كان في الأعلين منزلة ... من جانب الجمع والجمعات واعتزلا
كمالك غيرمبد فيه معذرة ... إلى الممات ولم يثلم وما عذلا

ذكر ميارة هذه الحكاية وزاد بعدها هذه الأبيات معضدا موقف الشيخ الدكالي إذ يقول:

هذا وأن الذي أبداه متضح ... أخذ الأئمة أجرا منعه نقلا
وهب بأنك راء حله نظرا ... فما اجتهادك أولى بالصواب ولا

وقد ذكر المنجور في فهرسته هذا الشيخ الصالح ولكنه سماه عمروا وترجم له صاحب نيل الابتهاج وصاحب الشجرة وابن القاضي في درة الحجاب والسخاوي في ذيل رفع الإصر، والرصاع في الفهرست وابن غازي وابن الخطيب والقرافي في التوشيح فقالوا جميعهم: عمر بن محمد الرجراجي، وقال بعضهم أبو علي وقال بعضهم أبو حفص وذكر بعضهم قصته مع ابن عرفة وقال بعضهم المعروف بالدكالي وتقدم أن ميارة عزا لفتاوى البرزلي أن اسمه أبو عبد الله محمد الدكالي ولا تنافي بين نسبة الدكالي إلى مدينة دكالة بالفتح وهي مدينة مغربية والرجراجي نسبة إلى قبيلة رجراج بالمغرب الأقصى وتوفي هذا الشيخ الصالح سنة 810هـ كما ذكره ابن غازي، وتبعه صاحب التوشيح والشجرة والنيل، وتقدم أن قدومه على تونس كان في عشر التسعين والسبعمائة، بل ذكر السخاوي أن قدومه من المغرب كان سنة 793هـ. وقد كان اجتماع البرزلي به في الإسكندرية سنة 799هـ حيث باحثه في مسألة خلافه مع ابن عرفة. وقد ذكر كل من ترجموا لهذا الشيخ أنه على قدر كبير من الزهد والانقطاع وأنه كان يحفظ الموطأ ويميل إلى مذهب المحدثين. يراجع الدر الثمين على المرشد المعين ص200، والنيل ص159، التوشيح ص128، الشجرة عدد 902، والنوازل لكبرى 3/635، وذيل رفع الإصر 3/203 فهرست الرصاع ص71–73، ودرة الحجال 2/281.

(14) في م و ط: "بالرواتب".

(15) في ت :"سيدي" والمقصود ابن عرفة المتقدم.

المال لأن بيت المال لعموم الناس والمرتب مختص بي من واضعه[16]. وهو إعانة على القول الصحيح لا على معنى الأجرة[17]فلم يكن له جواب، إلا أنه قال: ما قلت ظاهر إلا أني لا أريد لك هذه السخسخة ، وفهمت من كلامه أنه كان زاهدا.اهـ من نوازله، أول النوازل و[من][18] آخرها.

ونقل أيضا في أولها: اختلف فيما يأخذه الإمام مما حبس عليه بسبب الإمامة هل هو كالإجارة أو إعانة؟ الأول ظاهر كلام الموثقين والثاني للبوذري[19]وغيره من شيوخ شيوخنااهـ.

وإلى هذا كان يذهب السيد المفتي السرقسطي[20]رحمه الله ونصه: ما يأخذه الإمام على الإمامة من أحباسه، أو من أموالهم إجارة على عمله اهـ نصه.

وقد تقدم أن من الورع الخروج من الخلاف وسيأتي في المقام السابع إن لم يقم بالإمامة والعلم حسبة[21] فيكون كمن أخذ إجارة على أن يحج عن غيره، يراعى مقصد المحبس والعاهد. فكما أنه إذا حج عن غيره بعهد عهد له به فتورع عن أن يركع ركعتي الطواف "عن"[22]غيره فإنه يحرم عليه أخذ العهد، وكذا[23] إن ترك الزيارة حط من العهد قدر ما ينوبها. كذلك ما يأخذه على الوظيف الشرعي يراعي

---

(16) في ت: "من عين واضعه".

(17) في ت: "الأجر".

(18) من بين المعكوفتين غير موجود في ط و م.

(19) كذا في النسخ التي بين أيدينا والظاهر أنه الأبو ذري إبراهيم بن أحمد القاضي برهان الدين الأبوذري الأزهري المصري أخذ عن الشهاب الصنهاجي وأبي القاسم النويري وأبي الفضل المشذالي توفي سنة 859هـ/نيل الابتهاج ص57، شجرة النور عدد 930 ص256.

(20) محمد بن محمد بن محمد الأنصاري الغرناطي السرقسطي وبه يعرف أخذ عن ابن سراج وعنه جماعة كالقلصادي وابن الأزرق ونقل عنه المواق في سنن المهتدين، كماذكر صاحب النيل مما يدل على أنه المقصود هنا وليس أبا علي الصدفي السرقسطي توفي رحمه الله سنة 865هـ/ النيل ص314، الشجرة عدد 956 ص260.

(21) في ت: "حسبه".

(22) في ت: "على".

(23) في ت" "وكذلك".

قصد العاهد إن فاضلا ففاضل، وإن مفضولا فمفضول، وإن كان ورع وفَعَلَ أفضل منه فبينه وبين ربه.

[و](24) سئل عياض عمن يأكل بدينه فأجاب: هو كأحد الغاصبين إن كان ظاهرا كما هو في الباطن، وإن كان الذي يظهر أكثر مما يبطن فهو من الآكلين السحت، ونقل السيد مفتي تونس البرزلي هذه الفتوى بنصها اهـ.

ولاشك على كل تفصيل: العلم فضيلة(25) وقراءته كذلك فيقال: قول(26) تاج الدين في حكمه: العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك، فأقول: مثل هذا في الإحياء. ويقول العلماء في مثل هذا؛ إنه من تخليط البداية بالنهاية، ومن خَلَطَ البداية بالنهاية فطريقه إلى الضلال أقرب منه إلى البداية،فأقول قوله: إن قارنته الخشية فلك، فلاشك أن هذا بالنسبة لمن لم يجعله سببا، وهم السابقون نفعنا الله بهم. قال شارح هذه الحكم(27): إنه بين فيها طريق العارفين ومنهج السالكين، وأما من عدى هؤلاء رضي الله عنهم من مقتصد وظالم لنفسه إذا لم تكن فيه جرحة فالعلم له رحمة، وإن لم تدركه خشية. لا يستوي قط [مع](28) من لا علم له وإذا كان المنافق الذي لا يقبل الله منه مثقال ذرة من خير إن قرأ القرآن كالريحانة فكيف بمن يقبل الله منه مثقال الذر من الخير إذا قرأ القرآن(29).

(24) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(25) في ت: "ولاشك على تفضيل العلم فضيلة".
(26) في ت: "فقول".
(27) يقصد ابن عباد شارح حكم بن عطاء الله وهو محمد بن إبراهيم النفزي الرندي شهر بابن عباد الفقيه الصوفي الزاهد أخذ عن الرندي والشريف التلمساني و ابن عاشر السلوي له المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، توفي رحمه الله سنة 792هـ/ الديباج ص280-281.
(28) ما بين المعكوفتين غير موجود في م وط.
(29) إشارة إلى الحديث "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر" رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة والإمام أحمد من حديث أبي موسى-فيض القدير 513/5.

وبالجملة: متقي الشرك إن عمل بما علم فقد أطاع الله طاعتين، وإن لم يعلم ولم يعمل فقد عصى الله معصيتين، وإن علم ولم يعمل(30) بمقتضى علمه فقد أطاع الله سبحانه طاعة وعصاه معصية، قاله شهاب الدين.

فقد حصل من هذا أن العلم نعمة والعمل به نعمة يسألهما العبد من ربه مفرقين فيقول اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه [اهـ](31).

ثم إذا لم يكن العلم يورثه خشية فلا يزهد في قراءته لأنه كما تقدم نعمة لكن ينبغي أن يكون في قراءته متأدبا بآداب الشرع وحينئذ تسوغ(32) له الجراية عليه والأجر. ولا يؤيسه من العلم قول تاج الدين: إن العلم إذا لم تقارنه خشية أنه على قارئه نقمة فقط ماهو كذا(33) كما تقدم للإمام الموثوق بدينه شهاب الدين. وما يقال هذا إلا في العلوم المذمومة كعلم السحر والطلمسات، وأما العلوم الخادمة للشريعة فقراءتها حسنة والمرتب على ذلك سائغ إذا كان القارئ فيه أهلية ذلك، وقرأه على ما ينبغي، فأول ذلك أن يعتني بما ينبني عليه عمل من الدين، ويكون في طلب العلم كمنشد ضالة كما قاله ﷺ "الحكمة ضالة المؤمن"(34) لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يقرأ معه معينا لا خصما ويشكر له(35) إذا عرفه الخطأ أو أظهر له الحق، كما لو أخذ طريقا في طلب ضالته فينبهه صاحبه على ضالته في موضع آخر أكان يشكره أم يذمه؟ وأكان يكرهه أم يفرح به؟ وكذا الشيخ مع التلميذ

(30) في ت: "ولم يعلم" وهو تصحيف.
(31) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(32) في م و ط: "يسوغ".
(33) في ت: "ما هو هذا".
(34) الحديث أخرجه الترمذي عن أبي هريرة وقال هو حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفيه إبراهيم بن الفضل يضعف في الحديث وأخرجه أيضا من هذا الوجه البيهقي في المدخل والعسكري في الأمثال والقضاعي في الشهاب وعزاه السيوطي في الكبير لابن النجار - الترمذي 115/2، المقاصد ص415.
(35) في ت: "ويشكره".

[والتلميذ مع الشيخ][36] كلاهما لا تكون همته إلا في إصلاح[37] متن وتكميل نقص وتبيين ما أشكل هكذا قاله بعضهم وأنا أقول: تبيين ما أشكل ليس بمتعين على المقلد، إنما المطلوب إصلاح المتن وتصوير النص وتكميل النقص.

وأما تبيين ما أشكل ونقل الخلاف فإن قلت أنت إنه مهم فأقول أنا ليس بأهم. الأولى لكل ذي عزم وحزم أن يبدأ في العلم بالأهم فالأهم قال السيد مفتي تونس البرزلي لا يخلو السائل للعالم من أربعة أوجه: مسترشد واجب على العالم دلالته، علامة ذلك في السائل: قبوله وتسليمه، ومستفهم واجب على العالم هدايته. وعلامة ذلك في السائل؛ بحثه بالرفق وطلب الدليل بالوقار، ومستخبر واجب على الإمام الإعراض عنه، والتنزه عن الجدال والخصومة والتعريض بالله وبرسوله وبأئمة الدين للرد عليهم والتكذيب لهم، وَمُفْتُون بالدعوى مستدرج بالرؤية لحاله واجب على العالم الصمت عنه.

ونقل الملوردي أن قوما تحققوا بالعلم تحقق المتكلمين واشتهروا به اشتهار المنحرفين إذا أخذوا في المناورة ظهر كلامهم وإذا سئلوا عن واضح المذهب ضلت أفهامهم، حتى أنهم يتخبطون في الجواب خبط عشواء، فلا يظهر لهم صواب ولا يتقرر منهم جواب، ولا يرون ذلك نقصا إذا لفقوا[38] على المخالف حججا[39] مألوفة، وهم قد جهلوا من المذهب ما يعلمه المبتدئ.

وقال أبو الدرداء[40] رضي الله عنه: لا تتعلموا العلم لتتجملوا به فإنه يوشك إن طال بكم عمر أن يتجمل أحدكم بعلمه كما يتجمل ذو البزة ببزته.

(36) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(37) في ت: "في صلاح".
(38) في ت: "لفظوا".
(39) في ت : "حجاجا".
(40) هو عويمر بن عامر بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب ابن الخزرج الأنصاري=

ونقل ابن أبي زيد[41] في صدر مختصره قال نبينا عليه السلام: "من تعلم العلم ليباهي به أو ليرائي به أوقفه الله موقف الذل وجعله عليه حسرة يوم القيامة"[42] ولا يقال هذه الآفة من قراءة العلم إنما هي من خبث الدخيلة كالمنافق يقرأ القرآن، ولذلك قال ربيعة[43]: لا تعلموا العلم سفهاءكم فيصرفوا أخلاقهم فيه، وقال وهب بن منبه[44]: العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار فتحوله على قدر طعومها يزداد المر مرارة والحلو حلاوة. فالقائل أعوذ بالله من العلم يضاهي من يقول أعوذ بالله من الغيث. وقال الشاطبي: أجاز النظار أن يتصور[45] الاجتهاد في الشريعة من غير المسلم. ومن الإحياء: أدركنا الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة.

وروى ابن ماجه[46] بسند جيد: قيل متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فقال ﷺ: «إذا ظهر الادهان في خياركم والفقه في

=الخزرجي أسلم يوم بدر وشهد أحدا وأبلى فيها بلاء حسنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الفارس عويمر ، و قال هو حكيم أمتي، ولي قضاء دمشق لمعاوية في خلافة عمر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت وعائشة وأبي أمامة وعنه ابنه بلال وزوجته أم الدرداء وأبو إدريس الخولاني مات في خلافة عثمان سنة 32هـ – الإصابة ج182/7 عدد 6112.
(41) عبد الله بن عبد الرحمن النفزي القيرواني إمام المالكية في عصره كان يلقب بمالك الأصغر من مؤلفاته المشهورة: الرسالة والنوادر توفي سنة 386هـ–الديباج ص138، شجرة النور عدد 227 ص97.
(42) حديث "من تعلم العلم..."رواه ابن ماجه من حديث حذيفة بلفظ:"لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتماروا به السفهاء أو لتصرفوا وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار" ولغل ابن أبي زيد روى الحديث بالمعنى –كشف الخفاء ومزيل الإلباس 513/2.
(43) ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ أبو عثمان الملقب ربيعة الرأي أحد الأئمة الأثبات روى عنه مالك بن أنس، توفي سنة 136هـ– تهذيب التهذيب 258/3.
(44) وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني ابو عبد الله روى عن أبي هريرة والعبادلة وجابر وأنس تابعي ثقة خرج له البخاري حديثا واحدا، زاهد توفي سنة 110هـ–تهذيب التهذيب 168/11.
(45) في ط و م: "يصدر".
(46) أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربعي مولاهم القزويني الحافظ صاحب كتاب السنن والتفسير سمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام، سمع منه خلق منهم أبو الطيب=

أراذلكم»[47]. وقال ربيعة: لا تعلموا العلم سفهاءكم فيصرفوا أخلاقهم فيه، و[قد][48] تقدم قول وهب بن منبه، وقال مكحول[49]: بفقه[50]الرعاع فساد الدنيا، وبفقه[51]السفلة فساد الدين.

وكان سفيان إذا رأى هؤلاء القبط[52]يكتبون العلم يتغير وجهه، فقيل له في ذلك فقال: كان العلم في سادات الناس فإذا خرج وصار إلى هؤلاء غُيِّرَ الدين وهذا كما قيل: لا يخون أمين ولكن إذا ائتمن الخائن خان، ونقل عياض في مداركه تقديم من أخر الله وتأخير من قدم الله فتنة في الأرض وفساد كبير، وقال ابن مسعود: لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم فإذا أخذوه عن أشرارهم ضلوا، وقال عمر رضي الله عنه: قد علمت متى صلاح الناس ومتى فسادهم؛ إذا جاء الفقه من قبل الصغير [استعصى عليه الكبير، وإذا جاء من قبل الكبير تابعه الصغير][53] فاهتديا[54].

=البغدادي وإسحاق ابن محمد القزويني وعلي بن إبراهيم القطان ثقة متفق عليه له معرفة بالحديث والتفسير والتاريخ مات سنة 283هـ-انظر تذكرة الحفاظ للسيوطي عدد 636 ص278

(47) الحديث الذي رواه ابن ماجه عن مكحول عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قيل متي نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: "إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم قالوا يا رسول الله: وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: "الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم والعلم في رذالتكم" قال ابن ماجه :قال زيد: معنى العلم في رذالتكم: أي في الفساق، انفرد به ابن ماجه، قال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. تحفة الأشراف عدد 1604 سنن ابن ماجه عدد 4015.

(48) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(49) مكحول الشامي أبو عبد الله الفقيه الدمشقي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وعن أبي بن كعب وعبادة وأبي هريرة وعائشة وغيرهم قال الزهري العلماء أربعة وذكر منهم مكحولاً، وهو إمام تابعي ثقة توفي سنة 113هـ-تهذيب التهذيب 10/289-293.

(50) في ت: "تفقه".

(51) في ت: "تفقه".

(52) في ت: "النبط".

(53) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(54) في م: "فاهتدينا".

ونقل أبو عمر بسنده أن عطاء الخراساني[55]كان إذا صلى يتكلم بكلمات فغاب يوما فتكلم رجل من المؤذنين فسمع رجاء[56]بن حيوة[57] صوته فقال من هذا؟ قال أنا قال اسكت فإنا نكره أن نسمع الخير إلا من أهله. تاب قيس[58] من الخمر في الجاهلية فجمع بنيه عند موته وقال لهم: يا بني احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني إذا مت فسيدوا[59]كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا على الناس.

انظر هذا مع ما نقل ابن العربي في سراجه في الاسم التاسع والسبعين وهو المتواضع.

وانظر قول الإمام الماوردي: إذا أخذوا[60]في المناظرة ظهر كلامهم وإذا سئلوا عن واضح المذهب ضلت أفهامهم. قال في الإحياء: أي فائدة في المناظرة لمن ليس

(55) هو أبو مسلم عطاء بن عبد الله الخراساني مولى المهلب بن أبي صفرة أرسل عن الصحابة كابن عباس وأبي هريرة وأنس وعنه ابن المسيب ونافع مولى ابن عمر و ابنه عثمان والأوزاعي ومالك وغيرهم وثقه ابن أبي حاتم وابن معين، مات سنة 135هـ-تهذيب التهذيب 7/213.

(56) رجاء بن حيوة بن جرول ويقال بن جندل ابن امرئ القيس الكندي لجده صحبة روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعبادة وأبي الدرداء وعنه الزهري أثنى عليه غير واحد توفي سنة 112هـ-تهذيب التهذيب 3/267.

(57) في م و ط: "حياة" وهو تصحيف.

(58) قيس ابن عاصم المنقري التميمي أبو علي أحد أمراء العرب وعقلائهم وحلمائهم ساد في الجاهلية ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة 9هـ فأسلم واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقات روى أحاديث وتوفي بالبصرة سنة 20 هـ رثاه عبدة بن الطيب بقصيدة منها:

وما كان قيس هلكه هلك واحد . ولكنه بنيان قوم تهدما

كان لقيس ثلاثة وثلاثون ولدا قال لهم في مرض موته المقالة التي ذكرها المواق: يا بني احفظوا عني ثلاثا فلا أحد أنصح لكم مني: إذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فتحقر الناس كباركم وتهونوا على الناس، وعليكم بحفظ المال فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل- الأعلام 5/206، والإصابة 8/197 عدد7188.

(59) هكذا في النسخ والذي في الإصابة "سودوا" وهو القياس.

(60) في م و ط: "إذا أخذ".

له رتبة الاجتهاد؟ وهو حكم كل أهل العصر الذي لو ظهر له ضعف مذهب مقلده لم يجز له أن يتركه[61]، بل يجب عليه أن يقول. ولعل لمقلِّده[62]مدرك لم يدركه[63]. ثم قال: ومن وظائف المتعلم الاحتراز من الإصغاء إلى اختلاف الناس فإن إصغاءه لذلك يدهش عقله ويُحَيِّرُ ذهنه ويُفْتِرُ رأيه ويؤيسه من الإدراك والاطلاع بل ينبغي أن يتقن أولا الطريقة الواحدة المرضية عند أستاذه فإن كان أستاذه من عادته نقل المذاهب فليحذر منه فإن إضلاله أكبر من إرشاده، ولا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم، ومن هذه حاله فهو يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل.

وقال المازري: كنت بين يدي أستاذي[64] في الأصول فجاء الثَّبت أن اليوم من رمضان فقلت: هذا اليوم لا يقضى على رواية مالك وبعض أصحابه. فأخذ بأذني أستاذي وقال لي: إن قرأت العلم على هذا فلا تقرأه فإنه يجيء منك زنيديق بهذه اللفظة تصغير زنديق وقد يكون بعضهم كما قال ابن محرز[65]في مسألة من تداخل

(61) في ت: "تركه".
(62) في ت: "لمقلد".
(63) في ت: "أدركه".
(64) أستاذ المازري في الأصول قد يكون هو أبا بكر الطرطوشي المتوفى سنة 520هـ مع أن المترجمين للمازري لم يذكروا الطرطوشي من أشياخه وإنما ذكروا منهم اللخمي وعبد الحميد بن الصائغ ولم يذكروا غيرهما ووهم من زعم أن المازري يقصد بأستاذه في الأصول أبا الطيب عبد المنعم الكندي الذي توفي – حسب الشجرة –سنة 435هـ أي قبل ولادة المازري بتسع سنوات وإنما هو من أشياخ أشياخه وعلى هذا فالمراد بأستاذه في الأصول قد يكون عبد الحميد بن الصائغ الذي لازمه المازري حتى توفي سنة 486هـ وقد يكون المراد بالأصول ليس علم الأصول وإنما يقصد أصول العلم أي مبادئه بدليل أن الأستاذ أخذ بأذن الولد وهذا لا يليق بمقام الرجولة، وعبارة الونشريسي: "فلا تقرأه فإنك إن اتبعت في بنيات الطريق جاء منك زنديق" – المعيار 3/251.
(65) هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن عرف بابن محرز قرأ بالأندلس ثم ارتحل إلى بجاية بعد 640هـ وبها توفي سنة 655هـ له تقييد على التلقين وصفه صاحب النيل بأنه رأس الجماعة بالأندلس –انظر نيل الابتهاج ص229، والشجرة عدد 655، وقد يكون ابن محرز الأول وهو عبد الرحمن بن محرز القيرواني يكنى أبا القاسم تفقه بأبي عمران الفاسي والقابسي وبه عبد الحميد واللخمي له تعليق على المدونة توفي سنة 450هـ ولعل الكلام المنسوب إليه في تعليقه على المدونة وإن كنا لم نعثر على هذا الكلام. –الشجرة عدد288.

العدد قال: من لم يبلغ فكره إلىٰ معرفة المعنى يفزع إلى الاستراحة من أتعاب فكره إلى التعلق بظاهر الاختلاف اهـ. فانظر من كانت همته في القراءة فأي[66] ثمرة تكون له في الخارج في فتوى أو عبادة. وما العلم إلا للعمل، وسيأتي في الكلام على هذا المقام في الترقي: أنه لا ينبغي للمقتصد في قراءة العلم فضلا عن السابق في الخيرات أن يتغمر في جدل. قالوا: ولا يلزم [المرء][67]معرفة الجوهر والعرض إذ مات الصحابة رضوان الله عليهم ولا عرفوهما، ولا يلزمه أيضا أن يعرف هل الاسم المسمى أولا، ولا تفسير الأحاديث التي فيها الوجه واليد والاستواء والكلام والتنزل والرؤية والكرسي والضحك ومسح ظهر آدم[68]وأن "قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن"[69]، ولا يسأل المرء يوم القيامة عن القضاء والقدر، ولا يلزمه أن يعلم حكم الأطفال الذين ماتوا صغارا، ولا فلان أفضل من فلان ولو كان صحابيا، ولا هل مع الكفار ملائكة، ولا حكم يأجوج ومأجوج، ولا هل الروح عرض أو جسم، ولا كيفية قبض الروح، ومحاجة آدم موسى[70]، ورؤية النبي ﷺ [لعيسى][71]

(66) في م و ط: "فأن"
(67) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(68) هذه الأحاديث من المتشابه الذي يمره البعض على ظاهره ويؤوله البعض بما يليق وسيأتي تخريجها.
(69) رواه مالك في الموطأ وأحمد وأبو داوود والنسائي عن أبي سعيد الخدري والبخاري عن قتادة بن النعمان ومسلم عن أبي الدرداء والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة والنسائي عن أبي أيوب وأحمد وابن ماجه عن أبي مسعود الأنصاري والطبراني في الكبير عن ابن مسعود ومعاذ وأحمد عن أم كلثوم بنت عقبة وهو حديث متواتر –فيض القدير 4/520.
(70) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه الشيخان في القدر والطبراني وأحمد ولفظه كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة "فحج آدم موسى" – الجامع الصحيح الحديث رقم 6614 المجلد الرابع ص274.
(71) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

والدجال[72]، ولا [معنى][73] نقص من أجره قيراط[74] ولا معنى [إنما][75] نسمة المؤمن طائر[76]ومدى صوت المؤذن[77] وعقد الشيطان على قافية الرأس[78]، وكيفية أكل الشياطين[79] وشربهم[80] ،ولا معنى "أنزل القرآن على سبعة أحرف"[81]، ولا «يزني الزاني [حين يزني][82]وهو مؤمن»[83]ولا كيفية ميزان الأعمال يوم القيامة، ولا

---

(72) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه أحمد في المسند والبخاري عن ابن عباس ولفظه كما في البخاري "رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طُوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن النار والدجال" قال: واللفظ للبخاري – فيض القدير4/7.

(73) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(74) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي والإمام أحمد في لمسند عن ابن عمر ولفظه "من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو ضاريا نقص من عمله كل يوم قيراطان" فيض القدير مجلد 6 ص81.

(75) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(76) أخرجه النسائي في الجنائز وابن ماجه في الزهد وأحمد والطبراني.

(77) إشارة إلى الحديث "فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس" –أخرجه البخاري في بدء الخلق، والنسائي في الأذان، والطبراني وأحمد ولفظ البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "إذا كنت في غنمك فأذنت للصلاة فارفع صوتك فإنه ..." – صحيح البخاري الحديث رقم 3296.

(78) إشارة إلى حديث "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم" رواه البخاري في التهجد، وبدء الخلق، ومسلم وأبو داوود وابن ماجه والطبراني وأحمد ولفظ البخاري من حديث أبي هريرة "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس . "الحديث 1142.

(79) في ت: "الشيطان".

(80) إشارة إلى حديث "لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بالشمال" رواه مسلم في الأشربة وأبو داوود والنسائي في الأطعمة والطبراني وأحمد من حديث جابر رضي الله عنه واللفظ مسلم–فيض القدير3/ 108.

(81) رواه أحمد في المسند من حديث أبي والترمذي من حديث حذيفة وفيه روايات للطبراني في الكبير عن معاذ وابن مسعود– فيض القدير مجلد 3 ص53.

(82) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(83) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ورواه ابن ماجه في الفتن – المغني عن حمل الأسفار 4/8.

(84) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الهيثمي رجاله ثقات وقال=

الفرق بين الفقير والمسكين، ولا معنى «لا ضرر ولا ضرار»[84]و«لا تحسسوا ولا تجسسوا»[85]ولا معنى «الذاريات» [والمرسلات][86]والميسر والأب[87]، ولا متى الساعة، ولا يلزمه أيضا [أن يتعلم][88]من صناعة النحو إلا مؤدي إلى الوقوف على كيفية التكلم. وأن ما عدى ذلك فإنه فضول كرافع[89] المبتدإ وناصب الظرف خبرا [90].

وقد يكون للعالم في هذا المأخذ مقصد يُصَيِّر ذلك كله له[91]حسنة بنسبة

=النووي في الأذكار حسن ورواه ابن ماجه عن عبادة بن الصامت ورمز لحسنه قال الذهبي حديث لم يصح، وأخرجه ابن أبي شيبة والدارقطني ومالك مرسلا والحاكم وله شواهد ترقى به إلى مستوى الصحة–فيض القدير 6/432.

(85) رواه البخاري ضمن حديث طويل سبق تخريجه.

(86) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(87) الأب ما تأكله البهائم من العشب أو كل الذي تنبت الأرض مما لا يأكله الناس، وقد سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الأب فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم وقال عمر كل هذا قد عرفنا فماهو الأب، ثم رفع عصى كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف إلى آخر القصة.–تفسير القرطبي 19/223.

(88) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(89) في ت: "كرفع".

(90) يشير إلى البحث النظري العقيم الذي يعتبر من الفضول في رافع المبتدإ والخبر وناصب الظرف خبرا قال ابن مالك في الخلاصة:

ورفعوا مبتدأ بالابتدا   كذاك رفع خبر بالمبتدا

يعني أن المبتدأ رفع بالابتداء وهو التجرد من العوامل اللفظية للإسناد وذلك خلافا لمن قال إن المبتدأ والخبر ترافعا ويرد عليه بأن العامل المعنوي أضعف من اللفظي واللفظي لا يرفع شيئين واعترض على هذا بقوله تعالى "أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" بأن تدعوا نصبت أيا وأيا جزمت تدعوا وهذا بحث طويل ولا طائل منه، وكذلك نصب الظرف خبرا، قال ابن مالك:

فانصبه بالواقع فيه مظهرا   كان وإلا فانوه مقدرا

أي فانصبه وهوالظرف أو المفعول فيه باللفظ الدال على المعنى الواقع فيه من فعل أو شبهه مظهرا كجلست أمامك يوم الجمعة، وإلا يظهر فانوه مقدرا وهناك حالات لا يجوز ذكره فيها ومنها إذا كان خبرا، قال الناظم أحمد محمود الملقب مم الجكني الموريتاني المتوفى 1361هـ.

وعامل في الظرف ذكره احظرا   إن يك حالا صلة أو خبرا

انظر شروح الخلاصة في بابي المبتدإ والظرف.

(91) في ت: "يصير له ذلك".

كقول المازري: لما فرغ من الحكم على من نسي صلاة وثانيتها ونحو ذلك قال: وإنما ذكرنا هذه المسائل لِيُكِدَّ الطالب فيها فهمه فيكتسب من كده لفهمه فيها انتباها وتيقظا فيما سواها من المعاني الفقهية وغيرها مما يطالعه. وقد قسم في الإحياء العلوم المحمودة وأن منها علوما ليست بشرعية كالطب والحساب قال: وكلاهما فرض كفاية لو خلا البلد عمن يقوم بذلك لحرج أهل البلد، وإذا قام بذلك أحد سقط عن الباقين. قال ولا تعجب من كون هذين من فروض الكفاية [فإن أصول الصناعات من فروض الكفاية][92] حتى الحجامة لو خلا البلد من حجام لسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه. فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله. قال وأما ما يعد فضيلة لا فريضة [فـ][93] التعمق[94] في دقائق الحساب وخفايا الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه[95] ولكن يفيد زيادة قوة[96] في القدر المحتاج إليه اهـ من الإحياء[97]. فانظر فإذا كان هذا التقسيم بالنسبة للعلوم غير الشرعية، من باب أولى للعلوم الشرعية من باب ما لا يتوصل للواجب إلا به فهو واجب.

وقد قال [أيضا][98] في الإحياء: وأما المباح من العلوم فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراها، ومن نحو هذا قول الحافظ أبي عمر[99] في استذكاره قال: معرفة أعمار العلماء والوقوف على وفياتهم من علم خاصة أهل العلم، وأنه لا ينبغي من وَسَمَ بالعلم نفسه جهلُ ذلك وإنه مما يلزمه من العلم العناية به والقيام بحفظه. وبالجملة فقد تبين بما قررته[100] أن طلاب العلم كما قال

(92) ما بين المكفوتين ساقط من م و ط.
(93) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(94) في م و ط: "التغمر".
(95) في ت: "مما لا يستغنى عنه".
(96) في ت: "ولكنه يزيد قوة ويفيد زيادة".
(97) انظر هذا الكلام في الجزء الأول الباب الثاني من كتاب العلم ص27.
(98) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(99) في ط و م: "أبي عمرو" وهو تصحيف.
(100) في ت: "قدرته".

الله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾.الآية، ثم قال سبحانه:﴿جنات عدن يدخلونها...﴾، وتقدم قول رسول الله ﷺ «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج[101] وظالمنا مغفور له» فنسأل الله العظيم أن يحقق لنا هذا الوعد الكريم وأن ينفع البعض بالبعض وأن يغفر لنا[102] أجمعين إنه أرحم الراحمين ثم من دون هذا المقام مقام آخر هوالمقام السادس.

(101) في ت: "لاحق".
(102) في ت: "يعفو عنا".

المقام السادس: إن لم يكن في عمل أفضل فلا أقل من أن يكون في عمل فاضل

إن لم يكن على عمل فاضل عند كل قائل فلا يحتقر أن يتحرى من الأقوال والأعمال ما قال أحد من العلماء الموثوق بدينهم إن في ذلك [القول و][1] العمل فضلا. فقصارى أمره أنه لا يكون أبدا أحط من مباح عند كل قائل.

فقد قال مالك: إن نذر المباح معصية لا يوفى به بخلاف ما اختلف في مشروعيته فقال إنه يلزمه الوفاء به فقال: لا يجزئ هدي ديك ولا هدي معيب، فإن فعل ذلك أونذره لزمه المعيب ولم يلزمه الديك مراعاة للخلاف[2].

وسيأتي أيضًا بسط هذا [في هذا المقام][3] في الترقي ولا سيما إن جرى عمل بما هو مفضول عند المعارض فالمساعدة في ذلك من شيم الأئمة وترك المساعدة عند الصوفية قلة مروءة حسبما يتقرر.

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من ت

(2) اختلف العلماء في نذر المباح، فالمالكية يرون من شرط النذر أن يكون قربة لأن النذر عندهم لا يؤثر إلا في مندوب فما لا رجحان في فعله في نظر الشرع لا يؤثر فيه الالتزام، قال خليل: "وإنما يلزم به ما ندب". وقال الحنابلة: إن من نذر أمرا مباحا يخير بين كفارة اليمين وفعل المباح لحديث أبي داوود والمسند بسند حسن أن إمرأة قالت يارسول الله: أني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف فقال عليه السلام: "أوفي بنذرك" وقال المالكية والشافعية والحنفية: لا كفارة عليه، وقال الحنفية وبعض الشافعية: لا يلزم بالنذر إلا مندوب من جنسه واجب، وأما المعصية فيحرم نذرها واختلف في المكروه والمباح، ولعل وجه التحريم قلب الوضع الشرعي. وأما إهداء المعيب ففيه خلاف بالإجزاء وعدمه ولكن إن نذره أهداه مراعاة للخلاف، قال أشهب: إن نذر بدنة عرجاء عوراء معينة أهداها أو غير معينة أهدى سليمة قال وأرى المعين وغيره سواء إذا قصد القربة وإلا فهو نذر معصية- راجع الذخيرة ج 4/ 87، ومنح الجليل على مختصر خليل ج1/ 686.

(3) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

وانظر قول الإمام: الفصل بين الشفع والوتر بسلام هو الشأن قيل له: فإن صليت مع من لا يفصل؟ قال: اتبعه[4] ولا تخالفه ولو كنت صانعه لم أسلم بين الاثنتين والواحدة. قال ابن رشد: يعني مالك[5] أنه لو أوتر بالناس لعارض يعرض بإمامهم الذي من شأنه أن يوتر بثلاث لا يفصل بينهن لم يخالف فعله في ترك الفصل[6]، وفي المدونة قال مالك: من صلى خلف من يرى أن السجود في النقص بعد السلام لا يسجد معه حتى يسلم فإن الخلاف شر اهـ.

انظر يسارة هذه المخالفة إذ لو لم يسلم ما شعر به أحد، وقد كان فعل في صلاته المطلوب فمن باب أولى المساعدة فيما هو في غير صلب[7] الصلاة مما ليس من باب الحلال والحرام.

وذكر أبو عمر في استذكاره عن ابن هاشم[8] أنه كان يرشح رفع اليدين عند

---

(4) في م و ط: "اتبعته".

(5) في ت: "قال ابن رشد يريد يعني مالكا".

(6) يشير إلى ما ذكره ابن رشد في البيان والتحصيل من أن مذهب مالك عدم التسليم بين اثنتين وواحدة خلف من لا يسلم بينهن وحكى ابن حبيب خلاف ذلك أنه يسلم بين الاثنتين والواحدة على ما يوجبه مذهب مالك قال والصحيح خلافه ونحوه الذي يدرك الإمام في آخر ركعة من الوتر وهو ممن لا يسلم أنه يضيف إليها ركعتين بغيرسلام -البيان والتحصيل ج 1/ 452.

(7) في ت: "صنف".

(8) ابن هاشم هو أبو عمر أحمد بن عبد الله ابن هاشم كما ورد في الاستذكار قال أبو عمر: وسمعت شيخنا أبا عمر أحمد بن عبد الله بن هاشم يقول كان أبو إبراهيم إسحاق ابن إبراهيم يرفع يديه كلما خفض ورفع على حديث ابن عمر في الموطأ وكان أفضل من رأيت وأفهمهم وأصحهم علما فقلت لأبي عمر ألا ترفع فنقتدي بك؟ قال أني لا أخالف رواية ابن القاسم لأن الجماعة اليوم عليها ومخالفة الجماعة فيما قد أبيح لنا ليس من شأن الأئمة الاستذكار ج 4/ 102 وقد ورد في النسخ م و ط: "ابن هشام" وهو تصحيف لابن هاشم كما أن عبد الله الذي في الاستذكار تصحيف عبد الملك لأن صاحب الديباج وصاحب الشجرة إنما ترجما لأبي عمر هذا فقالا: أحمد بن عبد الملك المعروف بابن المكوى تفقه على أبي إبراهيم وعليه تفقه أبو عمر ابن عبد البر- الديباج ص 39 الشجرة عدد 257. وهناك أحمد بن عبد الله ابن هشام يكنى أبا عمر من شيوخ أبى عمر بن عبد البر ولكن المقصود هنا هو ابن هاشم أحمد بن عبد الملك لأنه أحد تلامذة أبي إبراهيم إسحاق=

الركوع وعند الرفع منه وذلك رواية أشهب[9] وغيره عن مالك قال: ولم يرو واحد مثل قول ابن القاسم، فقال له ألا ترفع[10] فنقتدي بك؟ فقال: مخالفة الجماعة فيما أبيح لنا ليس من شيم الأئمة. وقال ابن العربي: رفع اليدين عند الركوع وعند الرفع منه قد ثبت ثبوتا لا مرد له فلا وجه للعدول عنه إلا في بلادنا فيستحب تركه لأن وقاية العرض بترك سنة واجب في الدين.

ومن حكم الشيخ الإمام شيخ العارفين القرشي[11]: المروءة موافقة الإخوان فيما لم يحجر عليك العلم.

وسيأتي قول أبي عمر: منْ شأن العالم أن يذهب مع الناس في السعة والرخصة ما لم يخف المأثم. وكل ما ترضي به جليسك مما لا إثم فيه فلا تبخل به لعل أن تعتاض[12] بذلك ثواب المحسنين والله سبحان وتعالى يقول ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾[13].

وقال الشيخ أبو إسحاق الشاطبي: الأولى عندي في كل نازلة يكون لعلماء المذهب فيها قولان فيعمل الناس على موافقة أحدهما ـ وإن كان مرجوحا في النظر ـ أن لا يعرض لهم، وأن يجروا على أنهم قلدوه في الزمان الأول، وجرى به العمل

=ابن مسرة وقد أعاد هذا الكلام المصنف في المقام السادس في الترقي وذكر فيه قال شيخنا بن هاشم وذكر الحكاية عن أبي إبراهيم -أنظر جذوة المقتبس ص 124 وقد اعتمدنا ما ورد في ت من كونه ابن هاشم لأنه الصحيح كما تقدم.

(9) أشهب بن عبد العزيز بن داوود القيسي العامري المصري، من كلاب ابن ربيعة من عامر اسمه مسكين من الطبقة الوسطى من أصحاب مالك لقب بأشهب روى عن مالك والليث والفضيل بن عياض وغيرهم وعنه الحارث ابن مسكين وسحنون ابن سعيد وبنو عبد الكريم قال فيه الشافعي ما رأيت أفقه من أشهب وإليه انتهت رئاسة العلم بمصر بعد ابن القاسم توفى سنة 204 هـ المدارك 1 / 259 شجرة النور ص 59 عدد26..

(10) في م و ط: "لا ترفع".

(11) يقصد ابن عطاء الله صاحب الحكم الذي تقدم التعريف به، وفي النسخ م و ط: القدسي وهو تصحيف.

(12) في ت: "لعلك أن تعاوض".

(13) الآية 91 من سورة التوبة.

فإنهم إن حملوا على غير ذلك كان في ذلك تشويش للعامة وفتح لأبواب الخصام، وربما يخالفني في ذلك غيري، وذلك لا يصدني عن القول به ولي فيه أسوة .انتهى.

وأما سيدي ابن سراج رحمه الله فكان لا يرضى هذا المأخذ في الحلال والحرام ويأخذ به في فضائل الشريعة عكس الشاطبي وقد وقع لي حكاية ذكرتها في الأصل الذي خرجت منه هذا ولم يزل الشيخ رحمه الله يقول: مازلت تصعب[14]علي الفتيا فيما يكون النص بحكم والعمل [جار][15]بخلافه. ويمثل لنا ذلك بمن وهب [موضع][16]سكناه وعاد لسكناه بعد عام، النص: أنه باطل والعمل بخلافه، وكذلك إذا اختلعت الزوجة بنفقة الولد إلى سقوط ذلك عن الأب شرعا، فقول مالك وابن القاسم في المدونة وابن وهب وابن عبد الحكم[17] ومطرف واصبغ[18]إنه لا يلزمها ما أناف على الحولين من نفقة الولد، قال المخزومي[19]: يلزمها ذلك، قال ابن العطار[20]: وبقول[21]المغيرة[22] القضاء عندنا وكذلك أيضا أكثر الشيوخ أن الحوالة

(14) في ت: "يصعب".

(15) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(16) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(17) لعل المقصود هنا هو عبد الله بن عبد الحكم والد محمد بن عبد الحكم بن أعين المعاصر لابن وهب وابن القاسم وأصبغ ومطرف المذكورين سمع الليث وابن عيينة وعبد الرزاق والقعنبي أفضت إليه رئاسة المذهب بمصر بعد أشهب فقيه حافظ حجة روى الموطأ عن مالك وكان أعلم أصحابه بمختلف قوله وعنه ابن حبيب وابنه محمد وابن المواز من تآليفه المختصر الكبير والأوسط والصغير وكتاب الأهوال وكتاب القضايا وكتاب المناسك ولد بمصر سنة 155هـ وتوفي سنة 214هـ، الشجرة عدد 27 ص59، الديباج ص134.

(18) أصبغ بن الفرج أبو عبد الله من موالي عبد العزيز ابن مروان سكن الفسطاط رحل إلى المدينة ليسمع من مالك فدخلها يوم مات مالك وصحب ابن القاسم وابن وهب وأشهب وهو أجل أصحاب ابن وهب روى عنه البخاري وأبو حاتم الرازي وعليه تفقه ابن المواز وابن حبيب وابن مزين توفى 224 أو 225هـ -الديباج ص 97، شجرة النور ص 66 عدد58

(19) لعل المخزومي المقصود هنا هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي الآتي

(20) ابن العطار محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن العطار برع في علم اللسان والشروط وعلوم الإسلام ناله حسد من معاصريه وتوفى سنة 399هـ -الديباج ص 269 الشجرة عدد 254.

(21) في م و ط: "ويقول".

(22) المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي سمع من أبيه وهشام ابن عروة ومالك=

تسقط إذا استحق المبيع المحال بثمنه أو رد بعيب خلافا لقول ابن القاسم ومالك في المدونة. وانظر إذا كان العمل قد جرى بمثل هذا مع مخالفته للإمام في الحلال والحرام فمن باب أولى أن يمشي مع العمل كما فعل مالك في ترك الفصل بين الشفع والوتر بسلام، وكقوله في سجود السهو لأن هذا كله كما قال السيد مفتي تونس البرزلي إما مستحب أو مكروه أو مباح تُركَ ذلك أو فُعِلَ وأُخِذَ فيه بغير مذهب مالك لموجب قائل الاستحباب أو الإباحة أوالكراهة، إما لفضل أو لترك فرقة أو وحشة[23]، فمن ذلك نص شيخ الشيوخ ابن لب قال الشيخ أبو الحسن بن زرقون[24]: ورد الخبر بمسح الوجه باليدين عند انقضاء الدعاء واتصل به عمل الناس والعلماء قال شيخ الشيوخ ابن لب أشار بهذا إلى حديث الترمذي[25] كان ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه، وصححه الترمذي[26] وحديث أبي داوود[27] [قال][28] قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله ببطون أكفكم فإذا

=وأبي الزناد وغيرهم وعنه مصعب بن عبد الله وأبو مصعب الزبيري خرج له البخاري ووثقه يحي وعليه مدار الفقه في المدينة بعد مالك عرض عليه القضاء فامتنع توفى سنة 188هـ أو 186هـ الديباج ص 347 الشجرة عدد 5 ص 56.

(23) في ت: "وإما لترك فرقه ورشحه".

(24) هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري الاشبيلي يعرف بابن زرقون شيخ المالكية من كبار المتعصبين للمذهب أوذي من قبل بني عبد المومن ولما أبطلوا القياس ألزموا الناس بالأثر والظاهر صنف كتاب المعلى في الرد على المحلى لابن حزم توفى سنة 721هـ عن 83 سنة– الديباج ص 286.

(25) هو محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك الترمذي السلمي أبو عيسى أحد أئمة الحديث طاف البلاد وسمع خلقا كثيرا من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين وعنه كثير ذكره ابن حبان في الثقات، صنف "الجامع" و"العلل" و"التواريخ" مات بترمذ سنة 279 هـ طبقات الحفاظ ص278 عدد 635.

(26) الحديث أخرجه الترمذي في الدعوات والحاكم في مستدركه كلاهما عن ابن عمر وصححه الترمذي لكن جزم النووي في الأذكار بضعف سنده–فيض القدير المجلد 5 ص138.

(27) أبو داوود السجستاني سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي الإمام العالم صاحب كتاب السنن والناسخ والمنسوخ وغيرها روى عن القعنبي ومسلم بن إبراهيم وابن المديني وغيرهم وعنه الترمذي وابنه أبو بكر وحرب الكرماني وأبو عُوانة وغيرهم أثنى عليه غير واحد وعلى كتابه السنن توفي سنة 275هـ–الطبقات عدد 593 ص261.

(28) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

فرغتم فامسحوا بها وجوهكم»[29].

قال الإمام العارف بالله شمس الدين البلالي: ومن آداب الدعاء كذا [وكذا][30] ثم قال يسمح وجهه بكفيه لما رواه أبو داوود والبزار[31] وابن حبان[32] وابن ماجه والحاكم[33] في المستدرك بأسانيد جيدة جدا بهذا النص، وكذلك السيد مفتي تونس البرزلي قال: يؤيد مسح الوجه عقب الدعاء حديث الترمذي، وكذلك سيدي[34] القاسم العقباني[35] نقل ترجيح[36] ابن رشد المسح عقب الدعاء بالذي رقى بفاتحة الكتاب ومسح، وبمسحه ﷺ بكفيه ما استطاع من جسده بعد ما قرأ فيهما وبحديث عثمان بن العاص[37] ولم يعز هذا النقل لابن رشد وإنما عزاه لبعض

(29) الحديث أخرجه أبو داوود والبيهقي في السنن عن ابن عباس ونصه "اسألوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم" أنظر فيض القدير 4/109.

(30) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(31) البزار هو الحافظ العلامة الشهير أبوبكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير رحل في آخر عمره إلى إصبهان والشام ينشر علمه مات سنة 292هـ–طبقات الحفاظ عدد 652 ص 285.

(32) الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي سمع النسائي والحسن بن سفيان وأبا يعلى الموصلي ولي قضاء سمرقند كان من أوعية العلم والفقه والحديث واللغة ثقة نبيل له المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء مات سنة 354هـ–طبقات الحفاظ عدد 849 ص374.

(33) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي النيسابوري الشافعي أبو عبد الله الحاكم محدث حافظ مؤرخ سمع من أزيد من ألفي شيخ حدث عن الأصم وعثمان بن السماك وطبقتهم وقرأ القراءات على جماعة وتفقه على ابن هريرة وغيره وعنه أخذ أبو بكر البيهقي له المستدرك وتاريخ نيسابور والإكليل في الحديث وغيرها توفي سنة 405هـ– طبقات الحفاظ ص409 عدد929.

(34) في ت: "السيد".

(35) قاسم بن سعيد ابن محمد العقباني التلمساني شيخ الإسلام أخذ عن والده وغيره ووصف بالاجتهاد نازعه في بعض آرائه واختياراته الخارجية عن المذهب معاصره ابن مرزوق الحفيد. أثنى عليه غير واحد. ولي القضاء بتلمسان أخذ عنه ولده وابن زكري والكفيف ابن مرزوق وغيرهم توفى سنة 854هـ –النيل ص224.

(36) في ت: "ترشيح".

(37) هكذا في جميع النسخ ولكن لم نعثر على عثمان بن العاص ولعله عثمان ابن أبي العاص ابن بشر الثقفي أبو عبد الله نزيل البصرة أسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر على الطائف ثم عمان والبحرين والبصرة وبها مات في خلافة=

الشيوخ ثم قال: ما كان هذا الشيخ يحتاج إلى هذا التخريج لما قدمناه أن المسح على الوجه هو من المسح في الرقى حتى لا يحتاج إلى تخريج قال: ثم نقول وقد جاء في هذا المسح أيضا في صحيح الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه، قال: فأنت ترى هذا [في][38] الخبر الصحيح كيف أثبت المسح ومع ثبوت الخبر لا تسع[39] مخالفته، لاسيما والإمام قد قال ما علمته.

وهذا محمول على أنه لم يبلغه الخبر فلما وجد من يوثق به وجب المصير إليه، كما قال الشافعي: إذا صح الحديث فاضربوا بمذهبي عرض الحائط. ثم قال وبالمسح باليدين عقب الدعاء أخذ أكثر المتأخرين، ثم قال بعد ذلك: فقد تبين بما حصلنا في مسألة المسح عقب الدعاء أنه مختلف فيه وأن الراجح ما وافق الخبر الصحيح من ذلك وهو استعماله. لا يقال إنما هذا للمجتهد وأما المقلد فلا، لأنا نمنع التقليد في هذه القضية لأن حقيقة التقليد قبول قول الغير من غير حجة، وأما ما سمعته عن رسول الله ﷺ فليس بتقليد لأنه حجة في نفسه. وذكر أن التقليد إنما هو في الأحكام ومسائل الآداب ليست من هذا إلى كلام طويل ذكره رحمه الله. وهممت أن أنقل كلام ابن العربي في السراج ثم بدا لي فانظره عند قوله مغلطة[40] في الاسم الرابع والخمسين من السراج[41] وسيأتي في التكلم عن هذا المقام في الترقي مثل هذا عن ابن عرفة والبرزلي وشيخ الشيوخ ابن لب وسيدي ابن سراج

=معاوية سنة 51 أو 55هـ وهو الذي رد ثقيفا عن الردة له أحاديث في الصحيح والسنن وطال عمره حتى بلغ 120 سنة –الإصابة عدد 5433، والتهذيب ج7/ 128.

(38) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(39) في ط و م: "لا تسمع".

(40) في م و ط: "مغلظة".

(41) كتاب السراج هو كتاب سراج المريدين وموفي سبيل المهتدين للاستنارة بالأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية من آخر ما ألفه ابن العربي رحمه الله لا يزال مخطوطا لم يطبع. لم يزد حاجي خليفة على أن ذكره فقط ص948.

وسيدي المنتوري وأشياخهما ؛ سيدي القيجاطي[42] وسيدي الحفار[43] يستخفون ما استثقله الشاطبي ويستثقلون ما استخفه الشاطبي. وانظر أيضا مما جرى به عمل الدعاء أدبار الصلوات وزيارة قبر الميت صبيحة سبعة أيام بعد دفنه؛ قال شيخ الشيوخ ابن لب: لم يزل الدعاء أدبار الصلوات المفروضة معمولا به في جميع أقطار الأرض أو جلها من غير نكير إلا ما قد سلف؛ قدم غرطانة رجل سماه واشتد في إنكاره ذلك ممن كان يقرأ عليه فكان إذا فرغ مجلس كلامه بين يدي صلاة خرجوا مزدحمين فرارا من الصلاة خلف الأئمة الذين يدعون دبر الصلوات وإن صلى أحدهم خلفهم قام بنفس ما يسلم الإمام مسرعا مذعورا كالخائف أن يمسه الدعاء بنصب أو عذاب أو ينشب منه في ظفر أو[44] ناب، وأنكر الرجل مع ذلك أشياء مما درج الناس عليه في هذا القطر الأندلسي كتصبيح القبر سبعة أيام بعد دفن الميت، وكان أتباعه أشد إنكارا منه في ذلك حتى قال بعضهم لي وأنا راجع من تصبيح قبر إذ ذاك أتفعل هذا وهو كفر؟اهـ نص شيخ الشيوخ ابن لب. فانظر تسفيه هذا وإنكاره على شيخ الشيوخ ابن لب الذي نحن على فتاويه في الاعتقاد والحلال والحرام وعلى مذهبه في الأيمان اللازمة وغيرها من أحكام الدماء والأنكحة والطلاق، فيما قصارى أمره أنه مباح مع مأخذ مقلِّده، القائل في الحلال والحرام أنه إذا جرى عمل بقول مرجوح في النظر أنه لا يعرض للناس في ذلك[45].

وانظر أيضا مما جرى به عمل ورشحه الفضلاء دون من شذ من جماعتهم: تلقين الميت عند دفنه، قال القاضي أبوبكر بن العربي: هو فعل أهل المدينة

(42) القيجاطي محمد بن علي بن إبراهيم الكناني القيجاطي الغرناطي أبو عبد الله قرأ على ابن الفخار البيري وأبي سعيد بن لب والخطيب ابن مرزوق وعنه المنتوري وابن عاصم وبالإجازة ابن مرزوق توفى سنة 816 أو 811هـ –النيل ص 282.

(43) أبو عبد الله محمد بن علي اشتهر بالحفار الأنصاري الغرناطي إمامها ومحدثها ومفتيها أخذ عن ابن لب لازمه وأنتفع به وغيره وعنه خلق كابن سراج وأبي بكر بن عاصم له فتاوى نقل بعضها في المعيار توفى سنة 811 –الشجرة عدد 889.

(44) في ت: "و".

(45) تقدم هذا الكلام للشاطبي ويفهم منه أن الرجل الذي قدم غرناطة ولم يسمه ابن لب من أتباع الشاطبي.

والصالحين من الأخيار، وكذلك قراءة يس خرجه أبو داوود وغيره[46]ورشحه الأئمة وتأولوا ما ورد عن الإمام.

وقد كنت سئلت عن بعض فقهاء البادية يتورع[47]عن القراءة على القبر ثم آل حاله إلى أن قام قارئ يقرأ على قبر فانتهره بعنف ووكزه بيده، وكنت قبل ذلك جاوبت بأن هذا ليس بمقامه ويجب أدبه لأنه سفه جميع الأئمة الذين تأولوا اللفظ الوارد عن الإمام، وأدخل[48]على الناس شغبا في دينهم وحيرة في نفوسهم وسوء ظن في مفتيهم، ما شذ منهم أحد فإنهم ما غضب منهم أحد هذا الغضب، ولا احتسب هذه الحسبة ولكن "على كل ساقطة لاقطة"[49]، رشحت لهذا المحتسب حسبته[50]فزاد في التبديع والطعن في الحديث والإنكار حتى كتب إلى إمام قرية دركل[51]يذكر غيرته علي و ما هو يجده في نفسه من التشنيع علي ورغب مني كأنه يستفهمني هل لي حجة؟ وكان ذلك مني زلة فكتبت إليه رسالة أن لا يجد في نفسه من معترض علي فإن عقيدتي بالنسبة لمعارضي أن لا أزيده على: "سلاما" إلا "سلاما" امتثالا لأمر الله ثم أقول الحمد لله [الحمد لله][52]اقتداء بخبر الحسن[53] رحمه الله.

(46)الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند وأبو داوود وابن ماجه في الجنائز وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك كلهم عن معقل ابن يسار قال النووي في الأذكار إسناد ضعيف فيه مجهولان لكن لم يضعفه أبو داوود وقال ابن حجر أعله ابن القطان بالاضطراب وبالوقف وبجهالة حال روايه أبي عثمان وأبيه ويسمى بالنهدي ونقل ابن العربي عن الدارقطني أنه حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن وقال لا يصح في الباب حديث– انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير 2/67.

(47) في ت: "صار يتورع".

(48) في ت: "ودخل".

(49) المثل: "لكل ساقطة لاقطة" يضرب في التحفظ عند النطق فمعناه لكل كلمة ساقطة أذن لاقطة لأن الأذن أداة لقط الكلام – مجمع الأمثال 2/193عدد 3340.

(50) في م و ط: "حسبة".

(51) ضبطت في النسخ بضم فسكون فضم ولم نجد ذكرا لهذه المحلة ولعلها قرية صغيرة من أعمال غرناطة.

(52) ما بين المعكوفين غير موجود في ت.

(53) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد مولى الأنصار ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر كان إماما فقيها كثير العلم والورع مناقبه لا تعد وهو من سادات وعباد التابعين وعلمائهم الكبار روى عن أبي بن كعب وسعد ابن عبادة وعمر وأبي هريرة مرسلا =

وكان من معنى ما أخبرته به من مدرك علمي أن قلت له: إياك يا وليي في الله ثم إياك أن يتخالجك[54]ريب أو يعرض لك شك أن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أنه ليسمع خفق نعالهم فيأتيه ملكان يسألانه[55] وكذلك الخبر الآخر الصحيح أيضا عن عمرو بن العاص[56]قال: إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها [حتى][57]أستأنس بكم، وانظر بماذا أراجع به رسل ربي[58]. قال ابن العربي و عبد الحق[59]على جلالة قدرهما والمفضلان عندي على من يعارضهما والنص لابن العربي: يستحب حينئذ إذا أدخل الميت قبر ه أن يلقن. قال ابن العربي: وهذا التلقين مستحب. قال: وهو فعل أهل المدينة والصالحين من

=وسمع من ابن عمر وابن عباس وأنس وعنه أيوب وقتادة وحميد الطويل وغيرهم توفي سنة 110هـ –تهذيب التهذيب 2/263–270.

(54) في ت: "يتخالك".

(55) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه أن للنبي صلى عليه وسلم قال "العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه" الخ الحديث ورواه البخاري في الجنائز ومسلم في الجنة والدراقطني وأحمد وغيره من حديث البراء ابن عازب . ورقم الحديث في صحيح البخاري 1338.

(56) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي أسلم قبل الفتح مع خالد بن الوليد، أحد القواد المشهورين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده وهو من عقلاء العرب ودهاتهم ، أمير مصر ساعد في قيام الدولة الأموية، مناقبه جليلة، مات سنة 43هـ–الإصابة 7/123 عدد 5877.

(57) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(58) أخرجه مسلم عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت الحديث . وفيه: فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم أقيموا حول قبري عدد ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وأنظر ما ذا أراجع به رسل ربي عز وجل. وأخرجه ابن المبارك بمعنى حديث مسلم من حديث ابن لهيعة قال: العلماء لأن الصلاة بجماعة المؤمنين استشفاع للميت لدى باب الملك الجبار والوقوف على القبر لسؤال التثبيت لانتظار حصول الشفاعة والمدد من الله سبحانه وتعالى –انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة 1/130.

(59) عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي أبو محمد الإشبيلي يعرف بابن الخراط نزل بجاية عند انقراض الدولة اللمتونية فنشر بها العلم وولي الخطابة بها والصلاة كان فقيها حافظا عالما بالحديث والرجال ولعل الكلام الذي عزاه إليه المصنف من كتابه العافية الذي ذكر فيه الموت وما بعده أوكتابه تلقين الوليد ذكرهما صاحب الديباج ص 177 توفي سنة 581 هـ – الشجرة ص 156 وذكر هذا الكلام ابن العربي في كتابه الجليل المسالك في شرح موطأ مالك لا يزال مخطوطا ويترقب طبعه.

الأخيار قال: لأنه مطابق لقوله تعالى﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[60] قال: وأحوج ما يكون العبد إلى التذكير عند سؤال الملك اهـ نص المسالك.

ولتعلم يا وليي في الله أن الميت في قبره كالغريق ينتظر رحمة الله أو دعوة إذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها فإياك ياوليي في الله ثم إياك أن يدركك ريب أو يعتريك شك أن كتاب الله أوثق شافع و أغنى غناء واهبا متفضلا وما تستمطر رحمة الله أبدا بأرجى منه، والرحمة إذا نزلت شملت وعمت. [و][61] حدثني شيخي المتتوري؛ قال حدثني شيخ الشيوخ ابن لب قال: خطر لي خاطر خير والعاصي قد يخطر له خاطر خير، فأردت أن أجعل على نفسي وظيفة من ذكر أو تلاوة وترددت في أي أفضل فأُنشدت في النوم:

إذا الأحباب فاتهم التلاقي فما صلة بأنفع من كتاب

فلما استيقظت علمت أن قراءة القرآن أفضل[62]. في الصحيحين؛ البخاري ومسلم والترمذي: بينا رجل يقرأ سورة الكهف إذ رأى دابته[63] تركض فنظر فإذا مثل الغمامة أو السحابة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ

(60) الآية 55 من سورة الذاريات.
(61) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(62) هذا الكلام ذكره صاحب نيل الابتهاج بتطريز الديباج بلفظه ص 221 في ترجمة ابن لب في نفس الكتاب ولعل صاحب النيل طالعه في كتاب سنن المهتدين للمواق الذي عزا إليه كثيرا والبيت :
إذا الأحباب فاتهم التلاقي فما صلة بأنفع من كتاب
صاحبه:
وإن كتب الصديق إلى أخيه فحق كتابه رد الجواب
وقد ذكر عياض في المدارك هذه الأبيات في ترجمة قتيبة بن سعيد حيث قال إن إسحاق بن راهويه كتب إلى قتيبة بن سعيد مرة وثانية فلم يجبه فكتب إليه ثالثة هذين البيتين بالصيغة التالية:
إذا الإخوان فاتهم التلاقي فلا شيء أسر من الكتاب
وان كتب الصديق إلى أخيه فحق كتابه رد الجواب
انظر المدارك ج1/303.
(63) في م و ط: "دابة".

« تلك السكينة "نزلت مع القرءان أو نزلت على القرآن"[64] »[65]. وفي [الحديث][66] [أيضا][67] الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: « ما اجتمع قوم يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده »، زاد ابن حبيب « وأظلتهم الملائكة بأجنحتها واستغفروا لهم »[68] ثم يا وليي في الله السكينة إذا نزلت والملائكة إذا أظلت واستغفرت والرحمة إذا غشيت شملت وعمت.

ويصدق هذا [الحديث الصحيح][69] الحديث الصحيح الآخر « فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم فيقول الجليل جل جلاله وله قد غفرت هم القوم لا يشقى جليسهم »[70].

فمن باب أولى ياوليي في الله إن شاء الله من كان الاجتماع من أجله والقراءة له [وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه »[71]][72].

(64) مقابل هذه العبارة في م و ط: "أنزلت مع القرآن"
(65) الحديث رواه البخاري في المناقب وفضائل القرءان ومسلم في السفر والنسائي في ثواب القرءان وأحمد المسند في حديث الترمذي كما ذكر المصنف ولفظ البخاري: "تلك السكينة تنزلت بالقران" والرجل المذكور هو أسيد بن حضير رضي الله عنه كما صرح به في حديث البخاري في فضائل القران ،باب نزول السكينة-فتح الباري 52/9.
(66) ما بين المعكوفين غير موجود في ت.
(67) مابين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(68) الحديث رواه مسلم وأبو داوود عن أبي هريرة دون الزيادة التي نسبها المؤلف لابن حبيب- انظر فيض القدير 5/ 409.
(69) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(70) الحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا في حديث طويل في التماس الملائكة أهل الذكر وقولهم لله عز وجل فلان خطاء مر فجلس معهم فقال عز وجل. وذكره، ورواه الطبراني عن ابن عباس والبزار عن أنس بلفظ "هم الجلساء لا يشقى جليسهم"، وكان الأقدمون يتمادحون بذلك ويذمون من أغفله، ولبعض الشعراء:
وكنت جليس قعقاع بن سور ولا يشقى لقعقاع جليس
انظر كشف الخفاء ج2/444 الحديث رقم 2887.
(71) الحديث مخرج في مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم وسنن أبي داوود وابن ماجة من حديث ابن عباس وهذا لفظ مسلم في الصحيح وفي رواية "مائة" بدل "أربعون" -انظر صحيح مسلم ج 3/ 53، وفيض القدير ج5/ 480 عدد 8034.
(72) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

حدثني شيخي المنتوري عن الأستاذ ابن عمر[73] عن الأستاذ أبي الحسن القرطبي[74] عن الراوية[أبي عمر][75] بن حوط الله[76] عن القاضي أبي الخطاب[77] عن أبي القاسم بن بشكوال[78] عن أبي محمد بن يربوع[79] عن أبي محمد بن

(73) في م و ط: "أبي عمر" وفي ت: "ابن عمر" وهو الصحيح لما في المعيار والرهوني، والمقصود به عبد الله بن عمر أستاذ المنتوري واسمه محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر وبه اشتهر اللخمي الفاسي المعمر أبو عبد الله الأستاذ قال السراج في فهرسته شيخنا الأستاذ الجليل انفرد بعلو الرواية أخذ عن أبي الحسن بن سليمان القرطبي القراءات وابن عبد الرزاق وعنه خلق كثير منهم المنتوري ولد سنة 703 هـ توفي 794هـ النيل ص 273

(74) أبو الحسن القرطبي هو علي بن سليمان بن أحمد الانصاري القرطبي المقرئ النحوي المتوفى بفاس سنة 730 –درة الحجال 3/245.

(75) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(76) أبو عمر بن حوط الله هو عبد الرحمن بن عبد الله بن سليمان بن داوود بن حوط الله الانصاري الحارثي الاندي الراوية الكبير أخذ عن أبيه أبي محمد وعمه أبي سليمان والقاضي أبي الخطاب وغيرهم، ويروي فهرس أبيه ويرويه عنه أبو الحسن ابن سليمان القرطبي وأما ماذكره الكتاني في فهرس الفهارس عازيا للسيوطي في ترجمة أبي محمد بن حوط الله إذ قال: حصّل من السماع ما لم يحصل لأحد في المغرب له الفهرس الحافل أرويها بالسند إلى المنتوري عن أبي عبد الله ابن عمر عن أبي الحسن بن سليمان القرطبي فلعله فيه حذف لأن أبا الحسن لم يرو عن أبي محمد روى عن أبي عمر ابن أبي محمد ابن حوط الله ولعله أسقط الابن أبا عمر لاشتراكهما في الجد الذي هو حوط الله وأبو عمر ابن حوط الله هذا قل من ترجم له بالانفراد وذكره ابن الأبار في ذيل الصلة وقال إنه من الآخذين عن أبي محمد عبد الله بن سيمان وذكره صاحب الديباج ضمن شيوخ يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن أبي الأحوص المتوفى سنة 705هـ وقد ترجم له الغرناطي في صلة الصلة ج3/214 حيث ذكر شيوخه ونوه بفضله وذكر أنه توفي سنة 667 هـ وكأن مولده سنة 590 هـ – انظر التكملة ج2/885، الديباج ص859، فهرس الفهارس ج1/360.

(77) القاضي أبو الخطاب هو أحمد ابن أبي الحسين محمد بن عمر بن واجب ، الإمام روى عن شيوخ كثر منهم ابن العربي وابن بشكوال وابن زرقون وابن الفرس وأخذ عنه خلق كثير اختصر كتاب ابن بشكوال في الغوامض والمبهمات ورتبه ترتيبا جيدا ، ذكر الغرناطي في صلة الصلة أنه من أشياخ أبي عمر بن حوط الله وأجاز له ابن بشكوال كما في ترجمته في الشجرة والصلة توفى بمراكش 614هـ الشجرة العدد 559 ص 174، صلة الصلة ج3/214.

(78) أبو القاسم خلف بن عبد الملك الانصاري الغرناطي فقيه قرطبة الخبير بأخبارها سمع أباه وابن عتاب وابن رشد وابن العربي وعنه ابن البقال والحفيد ابن رشد وابن دحية وأبو الخطاب بن واجب. ألف كثيرا ومن أهم كتبه تاريخه الذي ذيل به تاريخ ابن الفرضي وسماه الصلة توفى سنة 578 هـ الشجرة عدد 470.

(79) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن يربوع الفقيه الراوية أخذ عن أبي عبد الله ابن منظور وأبي مروان بن سراج وأخذ عنه جماعة منهم أبو القاسم بن بشكوال له كتب منها الإقليد في بيان الأسانيد ولد 444هـ وتوفى 522 الشجرة عدد 381 الصلة القسم الأول عدد 645 ص293.

خزرج[80] عن أبي محمد الخزرجي[81] قال أخبرني أبو عبد الله القروي[82] في المسجد الجامع بقرطبة قال كنت بمصر فأتاني نعي أبي فوجدت عليه وجدا شديدا فبلغ ذلك الشيخ أبا الطيب بن غلبون المقرئ[83] فوجه بي فأتيته فجعل يصبرني ويذكرني[84] ثواب الصبر على المصيبة والرزية ثم قال لي ارجع إلى ما هو أعود عليك وعلى الميت من أفعال البر والخير مثل الصدقة وما شاكلها وأمرني أن أقرأ عنه قل هو الله أحد عشر مرات [في][85] كل ليلة ثم قال لي أحدثك في ذلك بحديث قال: كان رجل معروف بالخير والفضل فرأى في منامه كأنه في مقبرة مصر وكأن الناس قد نشروا من مقابرهم كأنه مشى خلفهم ليسألهم عن الشيء الذي أوجب نهوضهم إلى

(80) هو عبد الله ابن إسماعيل بن محمد بن خزرج بن محمد اللخمي الإشبيلي أبو محمد روى عن أبيه والخولاني وابن عبد البر والباجي وروى عنه أبو محمد بن يربوع وأبو الحسن شريح بن محمد توفي سنة 478هـ بإشبيلية ومولده سنة 407هـ أثنى عليه غير واحد منهم صاحب الصلة –انظر الصلة عدد 626.

(81) هو قاسم بن إبراهيم ابن قاسم من ولد عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي يعرف بالصابوني يكنى أبا محمد أخذ عن أبي عمر الطلمنكي وابن الجسور وأبي العباس الباغاني وغيرهم، وكان من أهل القرآن والعلم توفي سنة 446هـ –الصلة عدد 1015.

(82) في م و ط "أبو عبد الله القوري" وهو تصحيف لما في النسخة ت القروي لأن أبا عبد الله القوري معاصر للمؤلف المواق ولا يصح أن يكون في هذا السند بهذه المرتبة معاصرا لعبد المنعم ابن غلبون وإنما هو أبو عبد الله القروي واسمه محمد ابن القاسم بن أبي حاج القروي يكنى أبا عبد الله قدم قرطبة تاجرا وحدث بها في نحو الأربعمائة وله رواية عن أبي الطيب بن غلبون المقرئ وغيره وصفه ابن حيان بأنه كان من أهل العلم والرواية والعفاف والبصر بأنواع التجارات وتوفي بالمرية يوم الفطر سنة 428هـ.
وقد ذكر هذه القصة الرهوني في حاشيته على البناني في باب الجنائز وذكرها المعيار في فتاوي الجنائز كذلك ونقلها أبو القاسم ابن بشكوال الذي هو ضمن سند المواق في كتابه الصلة إلا أنه قال أخبرنا أبو محمد بن يربوع وغيره عن أبي محمد بن خزرج قال أنا أبو محمد قاسم ابن إبراهيم الخزرجي ونقلته من خطه قال أخبرني أبو عبد الله محمد بن القاسم ابن أبي حاج القروي في المسجد الجامع بقرطبة وساق الرواية بنصها –انظر كتاب الصلة القسم الثاني عدد 1309 ص 596، أما صاحب المعيار والرهوني فإنهم أسقطوا من السند أبا محمد بن خزرج والحال أن ابن بشكوال أثبته كما قدمنا مما يتفق مع سند المؤلف وذكر ابن بشكوال في الصلة أن الواقعة حدثت سنة 85 أي وثلاثمائة.

(83) أبو الطيب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون المقرئ الحلبي المصري قال عنه الثعالبي كان على دينه وفضله عالما بالقرآن ومعانيه وإعرابه متفننا في سائر علوم الأدب له كتاب استكمال الفائدة في القراءات توفى سنة 389هـ – وفيات الأعيان ج 5/277.

(84) في م و ط: "يذكر لي".

(85) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

الجهة التي توجهوا إليها فوجد رجلا على حفرته قد تخلف عن جماعتهم فسأله[86] عن القوم إلى أين يريدون؟ فقال: رحمة جاءتهم يقتسمونها، قال[87]فهلا مضيت معهم؟ فقال: إني قد قنعت بما يأتيني من ولد عن [أن][88]أقاسمهم فيما يأتيهم من المسلمين فقلت له: وما [الذي][89]يأتيك من ولدك؟ فقال: يقرأ كل يوم ﴿قل هو الله أحد﴾ عشر مرات ويهدي إلي ثوابها، فذكر الشيخ ابن غلبون [لي][90] أنه منذ سمع هذه الحكاية كان يقرأ عن والديه ﴿قل هو الله أحد﴾كل يوم عشر مرات عن كل منهما، ولم يزل بهذه الحالة إلى أن مات أبو العباس الخياط[91]فجعل يقرأ كل ليلة قل هو الله أحد عشر مرات ويهدي إليه ثوابها قال الشيخ ابن غلبون فمكثت على هذا مدة ثم عرض لي[92] فتور قطعني عن ذلك فرأيت أبا العباس في النوم فقال لي يا أبا الطيب لم قطعت [عنا][93]ذلك السكر الخالص الذي كنت توجه به إلينا فانتبهت من منامي[94] وقلت [السكر][95]الخالص كلام الله عز وجل وإنما كنت أوجه إليه ثواب قل هو الله أحد فجعلت أقراها عنه رحمه الله.

وقال ابن رشد في نوازله [ما نصه][96] : إذا قرأ الرجل ووهب ثواب قراءته لميت جاز ذلك وحصل للميت أجره وحصل له نفعه اهـ نصه.

(86) في م و ط: "فسأل".
(87) في ت: "فقال".
(88) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(89) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(90) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(91) لعله أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي الخياط أبو العباس الطيفوراباذي الهمذاني المعروف بابن الحداد روى عن الفضل بن الفضل الكندي وغيره وعنه طاهر بن أحمد البصير وكان ثقة توفي قبل سنة 385 هـ وكان معاصرا لابن غلبون المتوفى سنة 389هـ انظر معجم البلدان 4/55.
(92) في ت: "علي".
(93) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(94) في ت: "من النوم".
(95) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(96) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

وانظر إذا كانت القراءة عند القبر فقد تقدم أن سبب نزول الرحمة هي أرجى للنفع ولوجه آخر قاله العلماء من ديوان ابن يونس ما نصه: أرواح المؤمنين خاصة تطلع قبورها ومواضع رميم أجسادها ذاهبة وراجعة تكرمة من الله ولذلك أمر رسول الله عليه وسلم بالتسليم على القبور وبزيارتها[97]اهـ نقل ابن يونس.

وانظر تخصيص هذه الزيارة صبيحة سبعة أيام بعد دفن الميت في شرح البخاري عن ابن طاووس[98] أن التصبيح كان معمولا به عند السلف الصالح رضي الله عنهم.

وقال به ابن بطال[99] والقابسي[100] وأئمة تحقق صدقهم وظننا في مأخذهم[101] أحسن من ظننا في مأخذ[102]غيرهم. ولما تكلم أبو عمر في شرح الموطإ على[103] قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى القبور فقال: «السلام عليكم»[104] ذكر الأثر

(97) الحديث «كنت نهيتكم عن القبور فزوروها.» جزء من الحديث الذي رواه مسلم والنسائي وأبو داوود ومالك في الموطأ من حديث أبي سعيد وعلي وبريدة الأسلمي وجابر وأنس –انظر التمهيد 3/214.
(98) هو عبد الله ابن طاووس بن كيسان اليماني أبو محمد روى عن أبيه وعطاء وعمرو بن شعيب وعنه أيوب السختياني ومعمر وحماد بن زيد وزمعة بن صالح والسفيانان وغيرهم أثنى عليه غير واحد من العلماء توفي سنة 131 أو 132هـ لاالتهذيب ج5/267.
(99) هو محمد بن بطال بن وهب التميمي رحل إلى مكة ومصر وسمع من ابن الأعرابي وابن الجلاب وأبي القاسم العلاف وحدث بقرطبة، وصف بالرواية والحفظ،له شرح على البخاري توفي سنة 366هـ وهو ابن 62 سنة –الديباج ص 321.
(100) هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بالشيخ أبي الحسن القابسي الفقيه النظار المتكلم كان عليه الاعتماد، وكان أعمى وهو مع ذلك من أصلح الناس وأجودهم كتبا وضبطا سمع من الأبياني وابن مسرور وحج وسمع من القاضي التستري وأبي زيد المروزي و الجرجاني وغيرهم ت 403 هـ – البداية والنهاية ج11 ص351 الديباج ص201.
(101) في ت: "أخذهم".
(102) في ت: "أخذ".
(103) في ت :"في".
(104) الحديث: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كان ليلتها(أي عائشة) يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون." رواه مسلم، وفي رواية له أيضا: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين=

عن ابن عمر[105] حين قدم من سفر فقام على باب عائشة فقال: السلام عليك يارسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت[106] قال: وكان عامر[107] إذا خرج إلى القبور يقول ألا تسلمون فيردون عليكم.

قال أبو عمر: وهذا كثير جدا في الأخبار وذهب إليه أكثر أهل العلم واستدلوا [عليه][108] بقوله عليه السلام «ما أنتم بأسمع منهم»[109] وبغير

=والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية" من حديث بريدة، وفي الترمذي من حديث ابن عباس: "السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر" وقال حديث حسن غريب – مشكاة المصابيح عدد 1764–1765–1766.

(105) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ولد سنة ثلاث من البعثة النبوية استصغر ببدر وأحد وأجيز في الخندق الصحابي الجليل القدر من المكثرين في الحديث روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر ومعاذ وعائشة وغيرهم وعنه من الصحابة جابر وابن عباس ومن التابعين ابن المسيب وأسلم وابناه سالم وعبد الله ومولاه نافع وعلقمة والنهدي وغيرهم مناقبه في الفضل والورع والعلم كثيرة توفي سنة 72 هـ –الإصابة ج6/167–173 عدد 4825.

(106) الأثر عن ابن عمر ذكره أبو عمرفي الاستذكار ج2/163 الأثر 1851 وقال: "ياأبه" بدل "ياأبت" وهي لغة والأثر كذلك في مصنف عبد الرزاق 3/576.

(107) لعله عامر الشعبي أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار وهو قيل من أقيال اليمن الشعبي من حمير وعداده في همذان كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم أخذ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام ويقال إنه أدرك أكثر من خمسمائة من الصحابة توفي بالكوفة سنة 104هـ –وفيات الأعيان ج3/12 عدد 317.

(108) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(109) إشارة إلى ما رواه مسلم في الصحيح وغيره عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب حدث عن أهل بدر فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع بدر بالأمس يقول: "هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله" قال فقال عمر فوالذي بعثه بالحق نبيا ما أخطأوا الحدود التي حد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم فقال "يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا"؟ فقال عمر كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها؟! قال: "ما أنتم بأسمع منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئا"، وقد أنكرت عائشة هذا المعنى مستدلة بقوله تعالى "وما أنت بمسمع من في القبور" وبقوله "فإنك لا تسمع الموتى"، ولا تعارض بينهما لأنه جائز أن يكون السماع في وقت دون وقت وحال دون حال ولأن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص، وقد وجد هنا بدليل الحديث وحديث: "وإنه ليسمع قرع نعالهم" وبحديث سلام صاحب القبر على من يعرفه في الدنيا، صححه أبو محمد=

ذلك. وشهر[110] هذا كثيرا في الاستذكار والتمهيد.

وقال ابن العربي: لا بأس بالمشي إلى القبور وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بأمر ربه إلى أهل البقيع يستغفر لهم ولو شاء لاستغفر لهم في مكانه ولكن الله أراد أن يشرع الإتيان إلى القبور.

وكان محمد بن واسع[111] يزور القبور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت إلى يوم الاثنين؟ قال بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم[112] يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده. وقال الباجي في منتقاه[113]: إنما أمرت عائشة أن يمر عليها بجنازة سعد أرادت أن يحضر لتدعوا له بحضرته لأن مشاهدته تدعوا إلى الإشفاق والاجتهاد له ولذلك يُسعى إلى الجنائز ولا يجتزي بما يدعى[114] له في المنزل اهـ.

ولم يذكر ابن عرفة في ديوانه الفقهي إلا استحباب القراءة على [القبور فقال ما نصه: قبل عياض استدلال بعض العلماء على استحباب القراءة على][115] القبر لحديث[116] الجريدتين[117] اهـ[118].

=الإشبيلي –التذكرة ج1/172.

(110) في ت: "ورشح".

(111) محمد بن واسع بن جابر الأزدي أبوبكر فقيه ورع من الزهاد من أهل البصرة عرض عليه قضاؤها فأبى وهو من ثقات أهل الحديث قال الأصمعي لما صاف قتيبة بن مسلم الباهلي الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فقيل هو ذلك في الميمنة يبصبص بإصبعه في السماء قال تلك الإصبع أحب إلي من مائة ألف سيف توفي سنة 123هـ – تهذيب التهذيب9/ 499.

(112) في ت: "تزاورهم".

(113) المنتقى شرح موطأ مالك للباجي انتقاه من الاستيفاء واختصره بكتاب الإملاء ولم يذكره صاحب كشف الظنون ولامعجم المؤلفين ولكنه كتاب موجود ومعروف ولايختلف فيه – انظر الشجرة في ترجمة الباجي عدد 341.

(114) في م: "يدعو" وهو تصحيف.

(115) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(116) في ت: "بحديث".

(117) إشارة إلى حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين يعذبان فقال: "إنهما ليعذبأن وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة" ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرس في كل قبر واحدة، أخرجه البخاري في الوضوء والجنائز، وخرجه مسلم وأبو داوود الطيالسي في مسنده، ووجه استئناس ابن عرفة بحديث الجريدتين في استحباب قراءة القرآن بأنه لما صح أنه يخفف عن الميت بالأشجار الرطبة فكيف بالألسن الرطبة بذكر الله.

(118) ورد في ت بعد عبارة: اهـ: "ولم يذكر ابن عرفة في ديوانه الفقهي" وهو تكرار لما سبق.

وقد ورد الأثر عن عبد الله بن عمر أنه أوصى عند موته أن يقرأ من سورة البقرة عند دفنه[119].

وكذلك "اقرؤوا يس عند موتاكم" هو خبر مشهور خرجه غير واحد من الأئمة وخرجه أبو داوود وما ذكر فيه مغمزا. واستحباب قراءتها عند العلماء مأثور قال عبد الحق: يحتمل[120] هذه القراءة أن تكون عند الميت في حال موته ويحتمل[121] أن تكون عند قبره. ولم ينقل اللخمي في ديوانه الفقهي إلا استحباب قراءتها ورشح هذا الاستحباب ابن رشد وابن يونس وغيرهما من الأئمة الأعلام وكلهم تأول اللفظة الواردة عن الإمام، انتهت النصوص المالكية.

وأما النصوص الشافعية التي لو كان مذهبنا متفقا على المنع لوجب من أجلها أن لا يكون في ذلك حسبة لأن ما اختلف المالكية والشافعية في منعه لا حسبة فيه. وخارج عن السنة من يقول ذلك[122] ضلال أوبدعة.

فمن ذلك نص السيد الإمام مربي المريدين البلالي من أئمة الشافعية المعتمدين قال: تلقين الميت غير الطفل مهم جدا، ونحو هذا للإمام محي الدين النووي وذكر لفظ التلقين كيف هو.

---

(119) الأثر الوارد عن ابن عمر ذكره القرطبي في كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة قال قال محمد بن أحمد المروزي سمعت أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول إذا دخلتم المقابر فاقرأوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد إلى أن قال وقال علي بن موسى الحداد: كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري يقرأ فلما دفنا الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة على القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر بن إسماعيل قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا ؟ قال نعم، قال أخبرني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن الحجاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة، وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك قال أحمد فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ– التذكرة ج1/96.

(120) في ت: "تحتمل".

(121) في ت: "تحتمل".

(122) في ت: "من يقول عن ذلك".

وقد سئل عنه الإمام ابن الصلاح فقال: تلقين الميت هو الذي نختاره ونعمل به وقال البلالي: أدب[123] زائر [القبور][124] أن يقرأ ويدعو فإنه يصل إليهم دعاءه وصدقته، نعم وقسنا عليهما[125] القراءة من وجوه تحسن لمن تأملها ورجحها السبكي[126] قال: لهذا أدلة ليس هذا موضع بسطها والإشارة كافية وقد ريئ كثير من الموتى وأخبروا بنفعهم بالقرءان. انتهت نصوص من رأيت تآليفهم من الأئمة الموثوق بعلمهم من الشافعية وأما أحمد بن حنبل وأبو حنيفة فما رأيت منقولا عنهما إلا أن[127] مذهبهما أن القراءة يصل ثوابها إلى الميت.

وانظر أيضا مأخذ الإمام شهاب الدين الذي لا شك في صدق مأخذه أنه قال لا خلاف أن بركة القرءان تصل[128] للميت كما قد ثبت أنه يحصل له بركة الرجل الصالح يدفن بجنبه، يبقى النظر في ثواب القراءة قال والذي ينبغي ألا تهمل هذه المسالة فلعل[129] الحق هو الوصول إلى الموتى فإن هذه أمور مغيبة عنا وليس الخلاف فيها في حكم شرعي إنما هو في أمر[130] واقع هل هو كذلك أو لا؟. [قال][131] وكذلك التهليل الذي عادة الناس يعملونه اليوم الذي ينبغي أن يعمل ويعتمد في ذلك على فضل الله تعالى [ويسره][132]. ويلتمس فضل الله تعالى بكل سبب ممكن

---

(123) في ت: "آداب"

(124) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط

(125) في م و ط: "عليهم"

(126) هو تقي الدين علي ابن عبد الكافي السبكي الخزرجي قمة من قمم العلم والفقه الشافعي في مصر عاش في العهد المملوكي وولي القضاء بالشام عاصر ابن تيمية ورد عليه في قضايا الطلاق وزيارة قبر النبي صلى عليه وسلم تراجع ترجمته مفصلة في الطبقات لابنه تاج الدين ولد سنة 683 وتوفي سنة 756هـ –الطبقات 6/120 حسن المحاضرة 1/177 وذيل تذكرة الحفاظ ص 39 والدرر 3/64–70.

(127) في م و ط: "لأن".

(128) في ت: "تحصل".

(129) في م و ط: "ولعل".

(130) في ت: "فيها في أمر".

(130) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(131) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(132) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

ومن الله الجود والإحسان. هذا هو اللائق بالعبد، فقد تحصل مما قررته أن شتان بين من هو على عمل تحمل عهدته موثوق بعلمه ودينه [و][133]أنه مشروع وبين من هو على مباح لا قائل إنه مشروع ولكن قد يصير المباح مكرمة بنسبة كقول مالك: لو علمت أن قلبي يصلح بالجلوس على كناسة لجلست عليها. ونحن نعلم أنه ليس للشرع مقصد في ذلك إلا بالنية [و][134] هذا مقام دون المقام الذي هو مختلف في مشروعيته فاعدد هذا المقام أنه المقام الخامس.

(133) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(134) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

المقام الخامس: حضور النية يصير المباح مكرمة

هو من حيث فتوى المفتي مباح ولكنه يصير مكرمة بالنية بل قالوا: من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح أولى، مثل أن تكون له نية في الأكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نفسه في الحال للصوم والصلاة فالنوم والأكل هو الأفضل له، وعندي أن هذا هو دون [هذا][1] المقام الذي [قد][2]قصرت الكلام عليه وإنما عنيت بهذا المقام أن يتحرى من المباحات ما يكسبه رقة في قلبه كزيارة أماكن الصالحين والشرب من قدح النبي ﷺ وإيثار سكنى العقيق كما حكى مالك عن نفسه وإدارة ابن عمر ناقته إثر ناقة رسول الله ﷺ[3]فهذه كلها مقاصد لذاتها تنتظم في سلك المندوبات فما من مباح إلا ويصير مكرمة بسبب النية والمعصية هي التي لا تنقلب أبدا مكرمة بسبب النية إلا أنهم استثنوا من هذا مصلحة شرعية لم تنل إلا بمفسدة دونها وأعدد هذا [أيضا][4]من المقام بعد هذا وهو المقام الرابع.

(1) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(2) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(3) سيأتي ذكر هذه الآثار مفصلة ومخرجة في المقام الخامس من الترقي.
(4) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

المقام الرابع: درء الأخس بالخسيس

وأن يقصد بالأمور الخسيسة التوسل بها لمقاصد تضمحل خسة الوسيلة في جنب المقصد المتوسل إليه، وقد تقدم أن المعصية إذا كانت تدرأ معصية أعظم فإنها تفعل كالكذب بالنسبة لنجاة معصوم الدم من القتل، أو من أخذ ماله وكذا يقول الصوفية بل وغيرهم كإمامنا مالك بالنسبة لصلاح القلب.

أما مالك فمثل قوله: لو علمت أن قلبي يصلح بالجلوس على كناسة لجلست عليها. ونقل ابن عباد قال: إذا جاز لمن غص باللقمة من طعام حلال أن يسيغها بجرعة من الخمر إذا لم يجد غيره مع أن تحريمه مقطوع به ولا تفوته إلا حياة فانية، فلأن يجوز مثل هذا[إذا تعين أولى إذ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله.

وعنى بمثل هذا[(1) ما يستدفع المريد به الدواخل على قلبه، قالوا: ولابد لكل مريد من معالجة الدواخل بعلم وعمل: أما العلم فمثل قول تاج الدين في حكمه: الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن أنت ذاما لنفسك بما تعلمه منها ومن جهل المريد أن يترك يقين ما عنده لما يظنه الناس(2). وأما العمل فيما يسقطه من قلوب الأغيار وسفره أسلم.

وقال سيدي مربي المريدين: المباحات بلا شره لقصد التقوية على الطاعة عبادات بل تجب نحو نومة بعد سهر مؤثر وأكلة وشربة بعد جوع أو ظمإ مؤثر وسيأتي بسط هذا عند التكلم على هذا المقام نفسه في الترقي.

(1) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(2) في ت: "لظن ما عند الناس".

وقال تاج الدين من حكمه: ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار، فرغ قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والأسرار.

ومن هذا هو السماع عند القائلين به، كان موضعه(3) زمن السلف لحظ الأنفس لطيب نغمات الغناء(4) في أوقات السرور، وشدد الفقهاء في إنكار هذا. فقال أصبغ:

(3) في ت: "موضوعه"
(4) اختلف العلماء كثيرا في السماع فالشافعية يرون أنه مكروه باطل ترد شهادة فاعله وقالت المالكية يجب إخراجهم من المساجد وزجرهم وردعهم حتى يتوبوا وكذلك قال الحنابلة: لا يصلى خلف أصحاب السماع ولا تقبل شهادتهم وتنقض أحكامهم وعقودهم وذهبت الحنفية إلى أبعد من ذلك معتبرين الأماكن التي يرقص عليها غير صالحة لإقامة الشعائر عليها.
والمنكرون للسماع يحرمون الغناء ففي عوارف المعارف للسهروردي: "وسماع الغناء من الذنوب" ومأباحه إلا نفر قليل من الفقهاء ومن أباحه منهم لم ير إعلانه في المساجد والبقاع الشريفة. وقد قيل في قوله تعالى: "ومن الناس من يشتري لهو الحديث." قال عبد الله بن مسعود: " هو الغناء والاستماع إليه" وفي قوله تعالى: "وأنتم سامدون. "أي مغنون ، رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه لأنه هو الغناء بلغة حمير. وعن الضحاك " الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب" وقال عبد الله بن مسعود: "الغناء ينبت النفاق في القلب" ثم قال السهروردي في موضع آخر وقد نقل عن الشافعي أنه قال في كتاب القضاء: "والغناء لهو مكروه يشبه الباطل وقال من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته" واتفق أصحاب الشافعي.أن المرأة غير المحرم لا يجوز الاستماع إليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب ونقل عن الشافعي رحمه الله أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن.
وقد ذكر الشيخ زروق أن الإمام مالكا نقل عنه قولان في السماع فقد أخذ من المدونة جوازه على خلاف ما ذكره أصحاب القول الثاني وهو المنع. قال في قواعده: اختلف الصوفية في السماع على أقوال ثلاثة وذلك على غرار الاختلاف في الأشياء قبل ورود الشرع فيها فقيل: التوقف وعليه يكون السماع متوقفا فيه وقيل: هي على الإباحة فالسماع إذا مباح وقيل: هي على المنع فالسماع ممنوع . وقال الشاطبي: "ليس من التصوف لا بالأصل ولا بالعرض وإنما أخذ من عمل الفلاسفة".
والتحقيق أنه شبهة تتقى لشبهها بالباطل وهو اللهو إلا لضرورة ، وذكر المقدسي أن أبا مصعب سأل مالكا رضي الله عنه فقال: "لا أدري إلا أن أهل العلم ببلدنا لا ينكرون ذلك . "إلى كلام نحو هذا. وقال صالح بن أحمد بن حنبل: "رأيت أبي يسمع من وراء الحائط لسماع كان عند جيراننا" وقال ابن المسيب لقوم يحبون الشعر " نسكوا نسكا أعجميا" وقد صح عن مالك إنكاره وكراهته وأخذ من المدونة جوازه، كل ذلك إن تجرد عن آلة وإلا فمتفق على تحريمه غير ما ورد عن العنبري وإبراهيم بن سعد – انظر الرسالة ص 335 والمدخل لابن الحاج 3/95 التعرف لمذهب أهل التصوف ص 378.

لا يكون الغناء إلا في العرس للنساء خاصة بالدف والكبر[5] هملا أوبذكر الله أو تسبيحا أو تحميدا على ما هدى أو برجز خفيف لا بمنكر ولا بطويل[6].

قال ابن رشد: لا فرق في هذا بين الرجال والنساء وقال ابن العربي: قول أصبغ لا يكون إلا للنساء ويكره حضوره لذي الهيئة فاسد لأن النبي ﷺ حضر ضرب الدف ولا يصح أن يكون ذو الهيئة[7] أعظم من النبي ﷺ.

قال عياض: ومثل العرس أعياد المسلمين وأفراحهم. قال غيره: وكذا لقدوم غائب أو لولادة أو لختان أو لحفظ الصبي القرآن أو لدعوة فاضل ثم إذا سمع السامع بالنغمات ذكر عتاب أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بعهد أو نقض عهد أو خوف فراق أو فرح بوصال أو غير ذلك مما يشتمل عليه لفظ السماع فلا بد أن يوافق بعضها حال السامع في مطلبه فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناد قلبه فيكون له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله، فإن كان الغالب على السامع هوى محرما فيهيجه [هذا][8] السماع إلى السعي في الحرام، وإن كان الغالب هوى مباحا فيهيجه السماع[9] ويؤثر فيه آثار الشوق وخوف الفراق ورجاء التلاقي. فسماع هذا من المباح وإن كان هذا السامع ذكَّره السماع ما اقتضته أحواله[10] مع ربه فقد حصل له أمران: لذة نفسه والتعلق بأوصاف ربه، لكن في هذا الحال نقص من

(5) قال في القاموس: الكبر بالتحريك الطبل قاله في القاموس قال الزبيدي: وبه فسر حديث عبد الله بن زيد صاحب الأذان أنه أخذ عودا في منامه ليتخذ منه كبرا .-تاج العروس ج3/515 مادة كبر.
(6) في ت: "تطويل".
(7) في ت: "ذو هيئة".
(8) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(9) في ت: فهذا يهيجه السماع".
(10) في ت: "حاله".

جهة ما فيه من حظ نفسه قالوا في هذا: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل [اهـ][11].

وقد تبين بهذا أن السماع قط ما هو مقصد لا عند الصوفية ولا عند الفقهاء وهل هو وسيلة؟ كثير من العلماء ينكرون أن يكون وسيلة لجد، وجميع الصوفية وكثير من العلماء بأحكام الله يتحملون عهدة أنه وسيلة قال القشيري في رسالته: إن الروذباري[12] كان أعلم الناس بالطريقة من[13] أصحاب الجنيد قال: ليتنا تخلصنا من هذا السماع رأسا برأس.

قال ابن السبكي[14]: نعتقد أن طريق الجنيد وصحبه طريق مقدم والجنيد رضي الله عنه يقول: السماع فتنة لمن طلبه راحة لمن صادفه. وحرموا حضوره على العوام فإن السماع بالنغمات يتلذذ به الفاسق والسفيه والطفل والصغير فمن قصد التوسل به مع هؤلاء السامعين له بحظ نفس لا يخفى ما فيه وإن قصد مجرد السماع لا بمعنى آخر تبرأ منه العلماء بأحكام الله، وإمام الطريقة الجنيد لقوله: طالب السماع مجردا هو من المفتونين. اللهم إن كان كما قال الجنيد: جمع قدرا ولحضور صنيع به فلا حرج إلا إن كان من العامة الغوغاء فلا حسبة عليه. وهذا هو المقام الثالث.

(11) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(12) هو أبو علي أحمد بن محمد الروذباري البغدادي أقام بمصر ومات فيها صحب الجنيد والنوري وكان أعلم المشايخ بالطريقة سئل عن التصوف فقال هذا مذهب كله جد فلا تخلطوه بشيء من الهزل توفى 322 هـ -الرسالة ص416.
(13) في ت: "ومن".
(14) هو تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي أحد فحول العلماء وجهابذتهم عاصر المماليك أخذ عن أبيه والمزي والذهبي وغيرهم تولى القضاء وامتحن ثم عاد إلى القضاء بعد وضوح براءته مما نسب إليه ، ولد بالقاهرة سنة 727هـ وتوفى سنة 771هـ وكان عمره 44 سنة ، ترجم له في الدرر ج2 ص426، حسن المحاضرة ج1 ص 182.

المقام الثالث : مقام الغوغاء

مقام الغوغاء الذين ليست لهم همة [لا][1] في تحل ولا تخل، حسب هؤلاء أن يقال لهم تحفظوا من الأوتار والمزامير وما عليكم فيه حسبة، ويكون لهم بهذا حينئذ[2]مكرمة على المخلطين وبالجملة فالفتوى تقتضي جواز أن تتسبب العامة فيما لا نفع فيه ولا ضر وإن كان هذا مأخذا خسيسا فنفس المتوجه نحوه أخس إذا كان إن تركه اشتغل بما عليه [فيه][3]تباعة فالرقص واللهو للغوغاء إذا لم يتركوا لأجله فرضا ولا حسبوه عبادة خير من أكل العرض ثم من دون هذا المقام مقام آخر وهو المقام الثاني.

(1) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(2) في ت: "حينئذ بهذا".
(3) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

المقام الثاني والأول: المخلط المبتلى بالمخالفة والمسرف على نفسه

مقام المخلط المبتلى[1]بالمخالفة والعياذ بالله ولكن ليس قط كالمسرف على نفسه وهذا المقام هو أخس مقام.

وقد تدليت من المقام الأعلى إلى هذا المقام أعني مقام المسرف على نفسه.

فلنرجع بالترقي على هذه المقامات إلى المقام الذي بدأت به وبه إن شاء الله أختم ختم الله لي [به][2]بمنه وفضله وقد بينت في هذا التدلي المقصد بلسان العلم باختصار فلنعد بالترقي بالكلام على هذه المقامات بالتطويل والإكثار وبلسان الشريعة ولسان الحقيقة وبألسنة أرباب الأحوال إذ لسانهم أبلغ من لسان أرباب المقال وبالرفق وبكتم الوجد وكل ما أنقل عليّ عهدته من جهة الشرع وأقتدي[3] بالرفق بسيد الطريقة وإمام الحقيقة الجنيد رضي الله عنه قال: ابدأ بالرفق ولا تبدأ بالعلم فإن الرفق يونس والعلم يوحش. لأنه كما قال أبوبكر لعمر: يا عمر إن العلم ثقيل ومع ثقله مر.

(1) في م و ط: "للمبتلى".
(2) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(3) في م و ط: "واقتدائي".

منهج الترقي

المقام الأول: مقام المسرف على نفسه

مقام مسرف على نفسه لم يتمسك إلا بكلمة التوحيد، فهذا مخوف عليه إلا أن مذهب أهل السنة والجماعة أن لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة، ويجب علينا أن نكون معه على حالة[1] لو وزناها بحال كافر أدركنا تفرقة بينهما. فذلك هو الحب في الله الذي هو فرض عين ونعلم أن الكافر لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا بخلاف هذا فإنه لا يخرجه ذنبه وإن عظم عن الإسلام، وكل ذرة يفعلها [هذا][2] من خير يتقبلها الله منه لأن متقي الشرك يتقبل الله منه كل طاعة.

قال ابن عطية[3] في تفسيره: روي عن ابن عباس أن العبد إذا ذكر الله [ولم يؤد فرائضه رد قوله، قال ابن عطية وهذا قول يرده معتقد أهل الحق والسنة ولا يصح عن ابن عباس، والحق أن العاصي التارك للفرائض إذا ذكر الله][4] وقال كلاما طيبا فإنه مكتوب له متقبل منه وله حسناته وعليه سيئاته والله تعالى يتقبل من كل من اتقى الشرك. وأيضا فإن الكلم[5] الطيب عمل صالح اهـ نص ابن عطية.

(1) في ت: "حاله".
(2) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(3) هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن غالب ابن عطية الفقيه المفسر أخذ عن والده والصدفي وجماعة وعنه ابنه حمزة وأبو جعفر ابن مضاء ألف الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز وهو كتاب نفيس أبدع فيه وقد طبع هذا الكتاب أخيرا توفى رحمه الله سنة 543هـ – الشجرة عدد 375.
(4) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(5) في ت: "الكلام"

وفي الصحيح «الذي تفوته صلاة العصر فقد حبط عمله»[6] قال أبو عمر: هذا حديث بمعنى الحديث الآخر «فكأنما وتر أهله وماله»[7]لا أنه يحبط عمله في غيرها، أعوذ بالله من مثل هذا التأويل، فإنه مذهب الخوارج وإنما يحبط العمل الكفر.

وقال أيضا في حديث سادس لعبد الله: اتفق أهل السنة والجماعة وهم أهل الفقه والأثر على أن أحدا لا يخرجه ذنبه وإن عظم من الإسلام وخالفهم أهل البدع.

ثم نقل بسنده إلى عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ، ونقله ابن المبارك[8] عن أبي أمامة[9] أن رجلا سأل رسول الله ﷺ ما الإيمان؟ فقال «إذا أساءتك سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن»[10].

قال أبو عمر: فليت شعري لأي شيء تكون الشهادة على أحد بالكفر أولى من الشهادة له بالإيمان؟. وقال ابن العربي: من اقتحم الشهوة ولام النفس فهو خائف من وجه مسرف من وجه آخر وإذا عصى وظن أنه يغفر له فهو مغرور.

(6) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة من حديث ابن عمر بروايات هذه إحداها

(7) أخرجه البخاري عن ابن عمر في المواقيت ومسلم في المساجد ولفظ البخاري "الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله" وأخرجه مالك في الموطأ في باب جامع الوقوت وأبو داوود في الصلاة والنسائي في الكبرى وللحديث طرق أخرى

(8) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي أحد الأئمة الأعلام روى عن حميد الطويل وإسماعيل بن أبي خالد ويحيى بن سعيد الأنصاري وعاصم الأحول والأعمش وهشام بن عروة ومالك والليث وغيرهم وعنه الثوري ومعمر بن راشد والفضيل بن عياض ونعيم بن حماد وابن مهدي والقطان وابن راهويه، أثنى عليه غير واحد، مات سنة 181هـ-التهذيب عدد 657 ج5/382.

(9) هو صدي بالتصغير بن عجلان بن الحارث الباهلي أبو أمامة اشتهر بكنيته روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء عدى أبي بكر وجماعة من الصحابة وعنه القاسم بن عبد الرحمن وشهر بن حوشب سكن الشام توفي سنة 86هـ -الإصابة عدد 4054 ج5/134.

(10) الحديث رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولفظه "من سرته حسناته وساءته سيئاته فذلكم المؤمن". وذكره أبو عمر بن عبد البر بسنده عن عمر بن الخطاب يرفعه-التمهيد ج17/27، ورواه الطبراني من حديث أبي موسى -انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ج6/152.

وكذلك إذا استجار بالله وهو يهتك حريمة فكيف يرجو إجاره[11]بيد أنه ينبغي أن يقول يا من بيده ملكوت كل شيء [وهو يجير ولا يجار عليه][12]استجرت بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها فأجرني فربما استجيب. وليستحضر مثل هذا في ذهنه قول تاج الدين في حكمه: من استغرب أن ينقذه الله من شهوته و أن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز قدرة إلهية ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾[13]ويستحضر أيضا صاحب هذا المقام في ذهنه معتقد أهل الحق أن التوبة[14]من ذنب دون ذنب صحيحة فيقول في نفسه لئن قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلم ينبغ أن أخلع العذار وأرخي العنان بل أجاهده في بعض المعاصي [فعساني أن أغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق أن يصلي ويصوم وهذا حال كل مسلم إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين المعصية والطاعة][15]ولا شك أن المسرف إذا كان هكذا فقد خرج عن الإسراف وخالط بسيئاته[16]إشفاقا وانكسارا ودعاء[17]وهذا كله عمل صالح وهذا هو المقام الثاني.

(11) هكذا ورد في النسخ ولعله تصحيف إيجاره أو إجارته ويجوز إجارا على غرار إقام الصلاة على حذف الفاء دون تعويض.

(12) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(13) الآية 45 من سورة الكهف.

(14) في ت: "توبة".

(15) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(16) في ت: "سيئة".

(17) في ت: "ودعا".

المقام الثاني :المخلط المبتلى بالمخالفة

قط ما هو كالمسرف على نفسه، فإذا كان خائفا على نفسه من وجه مجاهدا لها من وجه فيوشك أن يكون نور[1] مجاهدته يمحو ظلام[2] جنايته فيتداركه الله برحمته.

وقد نص على هذا أبو حامد فيمن يشتهي الخمر وسماع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدته لنفسه[3] بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي من معصيته سماع الأوتار اهـ.

وانظر إذا كانت الصغائر تضمحل باجتناب الكبائر كما تقدم لابن العربي في حديث «من أعتق عبدا»[4] كذلك الحسنات يذهبن السيئات. وعبارة أبي عمر في الحديث الثالث والثلاثين لزيد[5] ما نصه: من اجتنب كبائر ما نهي عنه كفرت سيئاته الصغائر بالوضوء والصلاة والصيام ومن تاب من كبيرة كان كمن لم يأتها قط فإن لم

(1) في م و ط: "قدر"
(2) في ت : "ظلم"
(3) في ت: "فمجاهدته النفس"
(4) الحديث إشارة إلى الحديث "من اعتق رقبة مسلمة أعتق الله له بكل عضو منها عضوا منه حتى فرجه بفرجه" ، أخرجه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة –فيض القدير 74/6.
(5) زيد بن أسلم أبو خالد مولى عمر بن الخطاب يكنى أبا أسامة دخل المدينة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه كان أبوه من جلة الموالي علما ودينا وزيد أحد ثقات المدينة وعلمائها أثنى عليه مالك وعلي بن الحسن بن علي توفي سنة 136 هـ –التمهيد ج3/240 وما بعدها والحديث المشار إليه "من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة" انظر التمهيد ج5/60.

يتب منها فأمره إلى الله. والشيء يذكر بالشيء تذكرت مقام إبراهيم بن سعد[6] أحد رجال الحديث خرج له الأئمة الستة البخاري ومسلم والأئمة الأخر أُلْجِئَ أن حلف أن لا يحدث حتى يضرب العود وكذلك قول سحنون: لأن أطلب الدنيا بالمزمار[7] أحب إلي من أن أطلبها بالدين.

إذ لا شك أن ذلك لو صدر من سحنون مع مقامه من خوفه من الله لكان المزمار كاللمم في حقه، كما كان كذلك في حق إبراهيم بن سعد.

وليس رد شهادة من يسمع المزمار من أجل عظمها، إنما ذلك من أجل خسته وقلة مروءته ففرق بين من مروءته ثابتة فلا يقدح في عدالته ما يعلم قطعا أن الله لا يعذبه عليه وبين من ليس كذلك. وهذا معنى قول ابن عبد الحكم: ترد شهادة من

(6) إبراهيم ابن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (109–184هـ) أبو إسحاق الزهري من العلماء بالحديث الثقات، من أهل المدينة روى له البخاري ومسلم وأصحاب السنن وكان يجيز السماع، ولي قضاء بغداد وبها توفي رحمه الله–تهذيب التهذيب1/121، وهذه القصة رواها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بسنده عن عبيد الله بن سعيد بن عفير عن أبيه قال قدم إبراهيم بن سعد الزهري العراق سنة 184 فأكرمه الرشيد وأظهر بره وسئل عن الغناء فأفتى بتحليله وأتاه بعض أصحاب الحديث ليسمع منه أحاديث الزهري فسمعه يتغنى قال: لقد كنت حريصا على أن أسمع منك فأما الآن فلا سمعت منك حديثا أبدا فقال: إذا لا أفقد إلا شخصك علي وعلي إن حدثت ببغداد ما أقمت حديثا حتى أغني قبله وشاعت هذه عنه في بغداد فبلغت الرشيد فدعا به فسأله عن حديث المخزومية التي قطعها النبي صلى الله عليه وسلم في سرقة الحلي فدعا بعود فقال الرشيد أعود المجمر؟ قال لا ولكن الطرب فتبسم ففهمها إبراهيم بن سعد فقال لعله بلغك يا أمير المؤمنين حديث السفيه الذي آذاني بالأمس والجأني إلى أن حلفت؟ قال نعم ودعا له الرشيد بعود فغناه:

يا أم طلحة إن البين قد أفدا   قل الثواء لئن كان الرحيل غدا

إلى آخر القصة التي تناولها بعضهم بالنقض والتضعيف من قبل عبيد الله بن سعيد الذي اتهمه ابن عدي برواية المناكير وأبوه سعيد بن كثير وإن كان ثقة إلا أنه لم يصرح بمعاينة القصة ولم يذكر عمن رواها وفي متن القصة ما يدل على عدم صحتها ومن أهم ذلك إسناد الغناء والضرب بالدف إلى الإمام مالك بن أنس وذلك في آخر القصة. و مثل هذا لو صح لتناقله أصحاب مالك واحتجوا به في إباحة الغناء، والضرب كيف؟ ولم يذكر القصة أحد ممن ترجموا للإمام مالك وهم كثير حسبما اطلعنا عليه وإنما ذكرها صاحب الأغاني وصاحب العقد الفريد، وليس عليهما المعول في هذا المجال–انظر العقد الفريد 14/6، تاريخ بغداد 84/6.
(7) في ت: "بمزمار".

يسمع العود إلا أن يكون ذلك في صنيع. وهذا فرع أن لو كان حراما عنده[بعينه][8] لاستوى الصنيع وغيره. ونحو هذا لابن العربي في عارضته[9]قال: الغناء ليس بحرام لأن النبي ﷺ سمعه وإن زاد فيه أحد على ما كان في عهد النبي ﷺ من نقر طنبور ونحوه[10]فقد دخل في قوله مزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ فلا يؤثر ذلك في تحريمه لأنها كلها آلات يتعلق بها قلوب الضعفاء فسمح الشرع في ذلك. وقال المازري الغناء بآلة إن كان أوتارا كالعود والطنبور والمعزفة فإن ذلك ممنوع. وكذلك المزمار، والظاهر عند بعض العلماء أن ذلك يلحق[11] بالمحرمات، وإن كان [ابن عبد الحكم أطلق في سماع العود أنه مكروه ولما حرمت الخمر وكان][12]ضرب الأوتار يقارن شربها [غالبا ويحرك النفس لشربها][13]حتى يصير الإنسان كالمغلوب على ذلك من هيجان الطباع انسحب حكم التحريم على ذلك.

قال في الإحياء: وليس إسقاط الشهادة من حرمة سماعها، إنما هو من أجل خستها، فالمباحات الخسيسة تقدح في العدالة، وثم ذنوب لا تقدح في العدالة لمجاري العادة كالغيبة وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على المصلحة والتكاسل عن تعليم الأهل والولد.

وقال غيره وكذا تكاسل من يحكم قراءة الفاتحة عن تعليمها من يلحن فيها. قال خليل[14]: فيجب تعلمها[15]إن أمكن وإلا ائتم. وسئل عز الدين أي [قراءة][16]

(8) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(9) عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي لابن العربي المعافري طبع عدة مرات، والعارضة بمعنى القدرة على الكلام والأحوذي المشمر في الأمور القاهر لها الذي لا يشذ عليه شيء في ذلك قاله الأصمعي.
(10) في ت: "وغيره".
(11) في ت: "يلتحق".
(12) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(13) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(14) خليل ابن اسحاق الجندي صاحب المختصر المشهور كان صدرا في علماء القاهرة تفقه بالإمام المنوفى وتلقى الناس تآليفه بالقبول وخاصة كتاب التوضيح الذي شرح به جامع الأمهات لابن الحاجب والمختصر الذي جمع فيه فروعا كثيرة وجرده من الخلاف توفى رحمه الله سنة 767 هـ على المشهور – الديباج 115.
(15) في ت: "تعليمها" وهو تصحيف لأن الذي في نص المختصر ما أثبتناه.
(16) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

أفضل: قراءة العلم أو قراءة القرآن؟ فقال: يجب على كل أحد أن يتعلم من القرآن الفاتحة ثم ما بصدده من زكاة أو تجارة، وما عدى ذلك من أحكام الشرع والقرآن ففرض كفاية. قال في الإحياء: من تعلم مسألة من العلم فهو من أهل العلم بها وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعلم غيره وإلا فهو شريكه في الإثم، كما إذا علم بمنكر في السوق وهو قادر على تغييره لا يجوز له الجلوس في بيته بل يجب عليه الخروج لتغييره. وقال في موضع آخر: فإن الأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا يدورون على أبوابهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا ليرشدوه، وقد عرض رسول الله ﷺ [نفسه][17]على الطائف. والعلماء ورثة الأنبياء ومن علم الفاتحة صلى عالما بها يجب عليه تعليمها.

وقال السيد الإمام مربي المريدين البلالي: تصح التوبة بعد نقضها وعن ذنب ولو صغر مع إصرار على غيره ولو كبر، فالكبيرة[18]كقتل ولو بشبهة عمدا[19]، وطء في حيض، نميمة، غيبة، قطيعة رحم، عقوق ولو لعم أو خال، فرار، أكل مال اليتيم، تأخير صلاة عن وقتها، مراء بباطل، ضرب مسلم بلا حق، كزيادة على ما يستحقه، كتمان شهادة، منع زكاة، يأس من رحمة [الله][20]، أمن مكر، ترك أمر بمعروف و نهي عن منكر لقادر، إحراق حيوان ولو استحب قتله، والصغيرة كالنظر[21] لما حرم، كثرة ضحك، هجر فوق ثلاث، كثرة مخاصمة، مجالسة فسقة إيناسا، إمامة بكراهة لعيبه، تخطي رقاب يوم الجمعة، استمناء، بيع على بيع أخيه، بيع حاضر لباد، تلقي الركبان، اتخاذ كلب بلا مبيحة، ويمحوها ترك كل كبيرة وإلا فالعبادة تكفر منها.

ومن شرح الرسالة للمنتوري: الناس على ضربين مؤمن وكافر؛ الكافر في النار بإجماع والمؤمن على ضربين طائع وعاص، المطيع في الجنة بإجماع والعاصي على ضربين تائب ومصر التائب في الجنة بإجماع والمصر على ضربين مصر على الصغائر ومصر على الكبائر، المصر على الصغائر دون الكبائر في الجنة بإجماع والمصر على الكبائر على قسمين

(17) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(18) في ت: "والكبيرة".
(19) في ت: "شبهة عمد".
(20) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(21) في ت: "كنظر".

مستحل لها وغير مستحل لها فالمستحل لها في النار بإجماع والمصر عليها القائل بتحريمها في مشيئة الله سبحانه.

وقال ابن العربي في مسالكه: كفة السيئات إن تفرغت عن الكبائر علم قطعا أن الميزان لا يميل إليها. وقال أيضا: الذنوب على قسمين: صغيرة لا أصغر منها وهي النظر وكبيرة لا أكبر منها وهي الكفر وما بينهما يختلف حكمه.

وفي حديث مجاهد «القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب ذنبا انقبض إصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فتشتد على القلب فذلك هو القفل»[22] وقال الحسن: إن بين العبد وبين الله حدا من المعاصي معلوما إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفق بعدها.

وبالجملة فمتى استطاع هذا العاصي أن يزكي كلمة التوحيد التي خرج بها من سلك الكافرين بكلمة أخرى طيبة فلا يحقرها فإن الله كما أخفى سخطه في معصيته كذلك أخفى رضاه في طاعته.

قال ابن العربي: فإن قلت فهذا المصر على ذنبه المستمر العزيمة على فعله هل ينفعه الاستغفار؟ قلنا نعم بالاستغفار ينحل عنه معظم الإصرار، فإن العاصي إذا كان منتهكا بعصيانه منهمكا في خذلانه متماديا في طغيانه مستمرا على غلوائه كان من جملة المعرضين عن [الله][23] الذين أعرض الله عنهم ومن الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ومن الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، وهو شخص يخاف عليه سوء الخاتمة.

وإذا عصى واستغفر كان من اللوامين ورجي الخروج من الفتنة بما هو عليه من الفتنة فإذا كان فينة[24] في معصية وفينة[25] في استغفار رجي له تأثير القلب

(22) الحديث عزاه في الإحياء لمجاهد قال العراقي وكأنه أراد به قول مجاهد وكذا ذكره المفسرون من قوله وليس بمرفوع وقد رويناه في شعب الإيمان للبيهقي من قول حذيفة – المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء 54/4.
(23) ما بين المعكوفتين ساقط من ط و م.
(24) في م و ط: "فئة".
(25) في م و ط: "فئة".

بالانكفاف ومن الحسن له أن يسأل الدعاء من غيره ممن يرجو عنده بركة من ذوي مودة أو ذوي صلاح[26]. اهـ نص ابن العربي.

وقال أبو حامد: للتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لا[27] تخلو عن الفائدة. والمقصود أن للتوبة ثمرتين إحداهما تكفر السيئات [حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات][28] حتى يصير حبيب الله كما قال عليه السلام[29].

وللتكفير أيضا درجات محو لأصل الذنب بالكلية وبعضها تخفيف له بالاستغفار باللسان، والمتدارك بالحسنات وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات. ولا تخلو ذرة من الخير عن أثر قال تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾[30].

ولما تكلم ابن رشد على ما في سماع سحنون من قول ابن عمر: إن خبيثا لن يكفر خبيثا، وقوله: إن طابت المكسبة زكت النفقة، وقول عائشة: لا تسرف [و][31] لا تنفق. قال ابن رشد: معناه فعل الخير من بعضه لا يطيب له ذلك باقيه، وما أنفق منه في وجه البر نزل أصحابه على أجره وخلص هذا من إثم إمساكه على أربابه المجهولين فيما يستقبل، وصحت توبته فيما بينه وبين ربه وبقي مرتهنا بإثم امساكه عن أربابه وظلمه لهم بذلك.

وحكى السيد مفتي تونس البرزلي أن سيدي ابن منتصر[32] قال إذا مرَّ بسبالة ابن طاهر[33] فيرى ما عليها من كثرة الواردين فيقول: هذا العامل وقع على درهم حلال

(26) في م و ط: "ذي صلاح".
(27) في ت: "أن لا".
(28) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.
(29) إشارة إلى الحديث "التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتئب حبيب الرحمن" رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير والبيهقي عن ابن مسعود رفعه ورجاله ثقات وله شواهد والأصح أنه موقوف ولابن أبي الدنيا بزيادة "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" وهي إن لم تصح زيادة في الحديث فهي آية محكمة – كشف الخفاء عدد944.
(30) الآية رقم 7 من سورة الزلزلة.
(31) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(32) هو أبو الحسن علي ابن المنتصر التونسي العالم الصالح وصف بالولاية والزهد والكرامة والإمامة قال ابن عرفة لم أدرك مبرزا إلا هو وابن عاشر بالمغرب أي السلوي حج مع ابن جماعة سنة 699هـ وتوفي سنة 742 هـ –الشجرة عدد 725.
(33) لم نتمكن من تعريفه ولعله أحد ولاة الحفصيين في تونس بدليل السياق.

طيبة حتى أنفق منها فعظم ثواب مالكها. وقال في الإحياء: إياك أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بأنها لا تقدر في الساعة إلا على خيط واحد وأي غنى يحصل بخيط وما وقْعُ ذلك في الثياب؟ ولا تدري المعتوهة أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان أجسام العالم مع اتساع أقطاره[34] اجتمعت ذرة ذرة. بل أقول إن الاستغفار باللسان خاصة حسنة إذ حركة اللسان به عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام، بل هو خير من السكوت عنه، فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يظهر نقصانا بالإضافة إلى عمل القلب.

قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي[35]: لساني يجري بالذكر وقلبي غافل. قال: احمد الله إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعودها الذكر ولم يستعملها في الشر[36] ويعودها الفضول. وما ذكره حق فإن من تعود لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه إلى ما تعود فقال: أستغفر الله. ومن تعود لسانه الفضول سبق لسانه أن يقول ما أكذبك. ومن تعود الاستعاذة إذا حُدِّث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان: نعوذ بالله. ومن تعود الفضول قال: لعنه الله. فيعصي في إحدى الكلمتين ويسلم في الأخرى وسلامته إثر اعتياد لسانه الخير وهذا من جملة معاني قوله سبحانه: ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[37] و﴿إن تك حسنة يضاعفها﴾[38] هذا تضعيف في الدنيا لأدنى الطاعات وتضعيف في الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. اللخمي: يذكر الله قاضي الحاجة قبل دخوله موضع قضاء الحاجة [و][39] روى عياض جوازه فيه. القاضي: ذهب بعضهم إلى جواز ذكر الله في

(34) في ت: "أقطارها".
(35) هو أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي أحد مشايخ التصوف والزهد وصف بأوحد زمانه صحب ابن الكاتب وحبيب وأبا عمر الزجاجي وغيرهم من كلامه "التقوى هي الوقوف على الحدود لا يقصر فيها ولا يتعداها"، مات بنيسابور سنة 373 هـ - الرسالة ص 434.
(36) في م وط: "في شر".
(37) الآية رقم 120 من سورة التوبة.
(38) الآية رقم 40 من سورة النساء.
(39) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

الكنيف وهو قول مالك والنخعي[40] وعبد الله بن عمرو بن العاص[41] وقال ابن القاسم: إذا عطس وهو يبول يحمد الله [42]. ابن رشد: الدليل لابن القاسم من جهة الأثر أن رسول الله ﷺ[«كان إذا دخل الخلاء استعاذ»[43] وعن عائشة كان رسول الله ﷺ][44]«يذكر الله على كل أحيانه»[45]، ومن طريق النظر أن ذكر الله يصعد إلى الله فلا يتعلق به من دناءة الموضع شيء فلا ينبغي أن يمتنع من ذكر الله على حال إلا بنص ليس فيه احتمال اهـ نص ابن رشد. وقال خليل في المسابقة: وجاز الافتخار عند الرمي والتسمية والصياح والأحب ذكر الله. ابن عرفة: وكذا عند الإصابة بالرمي وذكر[46] الله أحب إلي. وانظر ما شدد أحد في الغناء مثل ما شدد أصبغ حتى تعقب ابن العربي تشديده ونصه: لا يكون الغناء إلا للنساء خاصة بالدف و الكبر هملا أو بذكر الله أو تسبيحه أو تحميده[47] على ما هدى ولا يعجبني معه الصفق بالأيدي وهو أخف من غيره. وقال ابن العربي: ليس الغناء بحرام لأن النبي ﷺ حضر ضرب الدف ولا يصح أن يكون ذو الهيئة أعظم من النبي ﷺ، أنشد النساء بالدف والألحان عند قدوم النبي ﷺ :

(40) هو إبراهيم بن يزيد النخعي لم يصح له سماع من الصحابة قال الذهبي: استقر الأمر أن إبراهيم حجة وأنه إذا أرسل عن ابن مسعود وغيره فليس بحجة، أخرج له الستة، وهو أحد الأئمة الأعلام وكنيته أبو عمران روى عن الأسود وعبد الرحمن بن يزيد ومسروق وعلقمة وعنه الأعمش ومنصور بن عون وغيرهم، توفي سنة 96هـ-التهذيب 1/177..
(41) هو عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي أبو محمد صحابي جليل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر وأبي الدرداء ومعاذ وأبيه عمرو بن العاص وحدث عنه بعض الصحابة كأبي أمامة والمسور، وعنه من التابعين سعيد بن المسيب وعطاء وغيرهم، من المكثرين في الحديث مات بالشام سنة 65هـ على أصح الأقوال-الإصابة عدد4838، ج6/177.
(42) في ت: "فيحمد الله".
(43) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأبو داوود والنسائي وابن ماجه عن أنس بن مالك ولفظه: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال: "اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث" انظر سنن الترمذي - باب ما يقول إذا دخل الخلاء.
(44) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(45) الحديث أخرجه مسلم وأبو داوود والترمذي وابن ماجه كلهم من حديث عائشة -فيض القدير 5/214.
(46) في م و ط: "بذكر".
(47) في ت: "تسبيحا أو تحميدا".

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع[48]

ابن رشد: في فعل أبي موسى الأشعري[49]جواز قراءة القرآن في الأسواق والطرق[50]واختلف قول مالك وروى ابن حبيب[51]عنه انه أجاز ذلك ويدل على جوازه أيضا ما وقع في الموطإ أن عمر رجع من حاجة وهو يقرأ القرآن. وبوب في الحلية[52]: باب الذكر في الطرق وأدخل فيه قوله صلى الله عليه وسلم «يا جبريل بم بلغ معاوية[53]هذه المنزلة؟» قال بقراءة قل هو الله أحد قائما وراكبا وماشيا[54].

(48) حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله عليه وسلم

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا   ما دعا لله داعي

أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من حديث عائشة معضلا وليس فيه ذكر للدف والدخان انظر المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء 302/2.

(49) عبد الله بن قيس الأشعري الكوفي من السابقين الأولين هاجر الهجرتين واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم وعمر وعثمان ثم كان أحد الحكمين بين علي ومعاوية ثم اعتزل الفتنة كان من القراء أحسن الناس صوتا ونغمة وهو أحد الستة الذين انتهى إليهم العلم كما قال الشعبي قيل مات سنة 50هـ وقيل سنة نيف وأربعين-الإصابة عدد 489، ج149/6.

(50) إشارة إلى حديث استماع النبي صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال "لقد أوتي هذا من مزامير آل داوود" فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا ، متفق عليه من حديث أبي موسى انظر المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء 330/1.

(51) هو عبد الملك ابن حبيب من ولد العباس بن مرداس السلمي روى بالأندلس عن الغازي بن قيس وصعصعة بن سلام وزياد بن عبد الرحمان ورحل وسمع ابن الماجشون ومطرفا وعبد الله ابن عبد الحكم وابن المبارك وأصبغ بن الفرج وغيرهم وولي الإفتاء بقرطبة وانفرد برئاسة العلم بها بعد يحيى ابن يحيى وصف بالحفظ والأدب والدين من مؤلفاته: الواضحة، وهي من الأمهات في الفقه المالكي توفي سنة 238 أو 239هـ- الديباج ص156.

(52) يقصد حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار لمحيي الدين النووي الدمشقي الشافعي المتوفى سنة 676.

(53) معاوية بن معاوية المزني صحابي جليل توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وحديث إعلام جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم بموته وهو بتبوك مشهور. أسد الغابة 388/4.

(54) الحديث أخرجه ابن السني والبيهقي في دلائل النبوة عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام وهو بتبوك فقال يا محمد اشهد جنازة معاية بن معاوية المزني فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل جبريل في سبعين ألفا من الملائكة فوضع جناحه الأيمن على الجبال فتواضعت ووضع=

وقال النخعي: إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس أن يذكر الله.

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام أنا جليس من ذكرني، قال يارب إنا نكون على حال نجلك أن نذكرك عليها كالجنابة والغائط فقال اذكرني على كل حال [انظر][55].

ومن سوق العروس[56]في باب التكبير: روى ابن الصباح[57]عن أبي ربيعة[58]وقنبل[59]: لا اله إلا الله والله أكبر ولله الحمد[60]. وروى أن عطاء يأبى التكبير ثم قال له هبنيه[61]يعني

=جناحه الأيسر على الأراضين فتواضعت حتى نظر إلى مكة والمدينة فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل والملائكة عليهم السلام فلما فرغ قال: "يا جبريل بم بلغ معاوية هذه المنزلة؟" قال بقراءته "قل هو الله أحد" قائما وماشيا وراكبا -الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ص266.

(55) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط وفي ت: "انظر عـ ع".

(56) كتاب في القراءات لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري نزيل مكة المتوفى سنة 478هـ فيه ألف وخمسمائة وخمسون رواية وطريقة-كشف الظنون ج1009/2.

(57) هو محمد بن عبد العزيز بن الصباح أبو عبد الله المكي الضرير مقرئ جليل أخذ عن قنبل وهو من أجلة أصحابه وعن أبي ربيعة محمد بن إسحاق وإسحاق الخزاعي ذكره الداني وذكر من فضله ولم يذكر ابن الجزري في طبقات القراء تاريخ وفاته.-غاية النهاية في طبقات القراء لابن جزري ج172/2 عدد 3137.

(58) هو محمد بن إسحاق بن وهب بن أعين بن سنان أبو ربيعة الربعي المكي المؤدب مؤذن المسجد الحرام مقرئ جليل ضابط أخذ القراءة عرضا على البزي وقنبل قال الداني وضبط عنهما روايتهما وصنف في ذلك كتابا أخذه الناس وسمعوه منه، وهو من كبار أصحابهما وقدمائهم من أهل الضبط والإتقان والثقة والعدالة وأقرأ الناس في حياتهما مات في رمضان سنة 294هـ-غاية النهاية 99/2.

(59)في م و ط وليقل، وهو تصحيف لما في النسخة ت "قنبل" وهو الذي يقتضيه السياق لأنه روي عنه التكبير وروى عنه ابن الصباح وأبو ربيعة، وقنبل هو محمد بن عبد الرحمن أبو عمرو روى عن أصحابه "القواس، وهب بن واضح، والقسط، وشبل بن عباد، ومعروف بن مسكان" عن ابن كثير إمام في القراءة متقن ضابط انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز توفي سنة 291هـ - النشر في القراءات العشر 121/1، التيسير ص11.

(60)المقصود بالتكبير هو التكبير عند ختم وابتداء بعض السور من قصار المفصل أي بين الضحى و ألم نشرح وهذا التكبير مروي عن قراء مكة وعلمائها وعن أبي عمرو في رواية السوسي وأبي جعفر من رواية العمري وعن ابن كثير من رواية البزي وقنبل وأما محله فقد روى البزي عن ابن كثير أنه يكبر من آخر سورة الضحى حتى آخر سورة الناس، وعن بعض أهل الأداء في خواتم السور جميعها وأما صيغته فاختلف فيها وما ذكر المصنف منها رواه ابن الحباب وابن فرح عن البزي وابن الصباح عن قنبل وأبي ربيعة عن البزي -انظر التيسير في القراءات السبع ص226، والنشر في القراءات العشر 431/2.

(61) في ت: "هيه".

رد علي من يكبر في المقام ليلة الختمة فما رد فلما فرغ من الصلاة قال[62]: أي شيء أقول وما أقول لرجل يقول الله أكبر وانصرف ولم يقل شيئا.

وقال تاج الدين في حكمه: لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز.

وقال الإمام الشافعي: إذا أنت خفت على عملك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي أي نعيم ترغب ومن أي عقاب ترهب وأي عافية تشكر وأي بلاء تذكر فإنك إذا فكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك. فذكر العلاج ولم يقل اترك العمل وقال الحسن لمطرف[63] بن عبد الله[64]: عظ أصحابك فقال: أخاف أن أقول ما لا أفعل فقال: يرحمك الله وأينا يفعل ما يقول؟ يود الشيطان أنه قد ظفر بهذا. وقال الحسن: كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة وقاله سيفان الثوري.

وقال ابن ثابت[65]:طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية ثم جاءت النية بعد ذلك. وقال رجل لأبي هريرة: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه؟ فقال:كفى بتركك العلم إضاعة [له][66].

وقال في الإحياء: لا تترك العلم خوف الآفة والرياء فإن ذلك منتهى بغية الشيطان منك إذ المقصود أن لا يفوته[67]الإخلاص ومهما ترك العلم فقد ضيع العمل والإخلاص

(62) في ت: "فقال".
(63) في ت: "الحسن بن حطرب بن عبد الله" والظاهر أنه تصحيف.
(64) مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري أبو عبد الله البصري روى عن عثمان وأبيه وعلي وأبي ذر وعمار ابن ياسر وغيرهم وعنه حميد بن هلال وأبو نضرة والحسن البصري خرج له الستة ووصف بالزهد والعبادة توفي في ولاية الحجاج وقيل سنة 95 هـ وقيل 87 هـ وهناك ثلاثة كلهم يدعى مطرف ابن عبد الله ولكن أيا منهم لم يلق الحسن فتعين أن يكون المقصود هو ابن الشخير التابعي من كبارهم التهذيب ج 10/173.
(65) هو يحيى بن ثابت من قدماء أصحاب مالك قال أحمد بن خالد يحيى بن ثابت من أقدم أصحاب مالك وهو أول من وطأ الموطأ لم يذكره صاحب الديباج حسب نسخة الديباج المتداولة وذكره في المدارك بدون تحديد سنة وفاته المدارك ج1/168.
(66) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(67) في ت :"أن لا يفوت".

جميعا وكان بعضهم يخدم أبا سعيد الخراز[68][ويخف في عمله][69]فتكلم أبو سعيد يوما في الإخلاص فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة يطالب الإخلاص فتعذر[70] عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ به فسأله عن ذلك فأخبره بمطالبة نفسه بحقيقة الإخلاص وأنه يعجز عن ذلك في أكثر أعماله فيتركها فقال أبو سعيد لا تفعل فإن ترك الإخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الإخلاص فما قلت لك اترك العمل وإنما قلت لك أخلص العمل.

وقال الفضيل[71]: العمل من أجل الناس شرك وتركه من أجلهم رياء. وانظر قول الشيوخ: إن كل ترك أو عمل بغير اقتداء فهو حظ نفس فإن ترك فعل ما ندب إليه خوف حظ نفسه فقد أخطر بحظ نفسه.

في عوارف المعارف[72]: أن بعضهم كان يجوع نفسه ولا يصوم أدبا لنفسه أن لا يمتعها برؤية الصوم. قال وعندي أن هذا قد تمتع برؤية عدم الصوم، قال وهذا يتسلسل والأليق بموافقة العلم فيصوم. وقال سهل: كل عمل يعمله العبد بغير اقتداء فهو عيش نفس[73]وقال ابن السبكي: إذا خطر لك خاطر فزنه بالشرع فإن كان مأمورا به فبادر فإنه من الرحمان فإن خشيت وقوعه لا إيقاعه على صفة منهية فلا عليك، واحتياج استغفارنا إلى استغفار[74] لا يوجب ترك الاستغفار.

(68) أبو سعيد الخراز صوفي بغدادي اسمه أحمد بن عيسى صحب ذا النون والسري وبشر ابن الحارث وغيرهم من كلامه رضي الله عنه "كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل" توفي سنة 277هـ-رسالة القشيري ص 409.
(69) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(70) في ت: "فيتعذر".
(71) الفضيل ابن عياض هو أبو علي ينسب إلى مرو وسمرقند ومات بمكة سنة 187 وكان مولده سنة105 هـ وقصة توبته مشهورة ومن كلامه رضي الله عنه "ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك" -الرسالة ص424.
(72) عوارف المعارف في بيان طريق القوم للسهرودي وهو عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمويه القرشي التيمي البكري السهروردي الشافعي شهاب الدين أبو حفص الصوفي الفقيه له بغية البيان في تفسير القرآن وعقيدة أرباب التقى وعوارف المعارف توفي سنة 632هـ ببغداد - وفيات الأعيان 3/446-448.
(73) في ت: "النفس" وفي جميع النسخ "عيش" ولعله تصحيف غش.
(74) في ت: "الاستغفار".

ومن ثم قال السهروردي: اعمل وإن خفت العجب مستغفرا منه وإن كان منهيا فإياك فإنه من الشيطان.

قال في الإحياء: ولا تقل لأحد [من عباد الله][75] اترك العلم بل اشتغل بالعلم واترك مرايات الخلق وإن لم يكن في البلد إلا من غرضه الجاه فلا نمنعه ونجعله فداءً. وقال إياك أن تتلمح في الطاعة مجرد الآفات فتفتر رغبتك في العبادات فإن هذه مكيدة روجها إبليس بلعنته على المغرورين وخيل لهم أنهم[76] أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا والسرائر فأي خير في ذكر اللسان مع غفلة القلب. فانقسم الناس في هذه المكيدة ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات.

أما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق أردت بها باطلا فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم أنفك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان هذا كالذي داوى جرح الشيطان فنثر[77] الملح عليه.

وأما الظالم لنفسه فاستشعر في نفسه حيلة الشيطان[78] لهذه الدقيقة ثم عجز عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فأسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينه وبين إبليس المشاكلة والموافقة كما يقال «وافق شن طبقة»[79]، وأما المقتصد فلم يقدر على إرغام الشيطان بإشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالإضافة [إلى القلب][80] ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول واستمر عليه وسأل الله أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير، فكان السابق كالحائك ذمت حياكته فتركها وأصبح كاتبا، والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة

(75) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(76) في ت: "أنكم".
(77) في ت: "بنثر".
(78) في ت: "الفطنة" بدل "الشيطان".
(79) مثل سائر قصته طويلة يراد به الموافقة والمشاكلة واختلف هل طبقة هذه امرأة وافقت شنا في ذكائها أم هي قبيلة أم أن شنا وعاء وافقه طبقه –راجع مجمع الأمثال للميداني2/359 عدد 4340.
(80) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

وأصبح كناسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال لا أنكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكناس فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة.

فقول رابعة[81]: استغفارنا يحتاج[82] إلى استغفار [لا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث أنه ذكر بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج إلى استغفار][83] من غفلة القلب لا من حركة اللسان. فإن سكت عن الاستغفار باللسان أيضا احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد. فهذه أمور بينت[84] بالإضافة، فينبغي أن لا تستحقر ذرات الطاعة[85] والمعاصي.

قال جعفر الصادق[86]: إن الله خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عباده فلا تحقروا منهم أحدا فلعله ولي الله[87]. وانظر في هذا المعنى قول [القائل][88]: لا تحقرن أن تطيع الله في كسب فلس، ليس الفلس يراد إنما المراد الطاعة، عسى أن تشتري بذلك الفلس بقلا فلا يستقر في جوفك إلا وقد غفر لك. قال في الإحياء: والتوبة عن الكبائر دون الصغائر تمكن للعلم بأن الكبائر أجلب لسخط الله ومقته وكذلك[89] التوبة أيضا عن بعض الكبائر دون بعض وعن صغيرة مع إصراره[90] على كبيرة هذا أيضا

(81) هي أم الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة. أخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة توفيت سنة 135هـ– وفيات الأعيان ج2/285 عدد 231.
(82) في م و ط: "محتاج".
(83) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(84) في ت: "ثبتت".
(85) في ت: "الطاعات".
(86) جعفر بن محمد الإمام الصادق أبو عبد الله ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين رضي الله عنهم أحد الأئمة الاثني عشر من سادات أهل البيت لقب بالصادق لصدقه وفضله وأمه بنت القاسم بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ولد في رمضان سنة 83هـ وتوفي في شوال سنة 148هـ –وفيات الأعيان1/128.
(87) الكلام عزاه أبو سعيد منصور بن الحسن في كتابه نثر الدرر إلى محمد الباقر بن زين العابدين قال لابنه جعفر الصادق: يا بني إن الله خبأ... إلى آخر الكلام – انظر جواهر العقدين للسمهودي القسم الثاني ص424.
(88) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت لأن في محله بياضا.
(89) في ت: "وكذا".
(90) في ت: "إصرار".

يمكن إذ ما من مؤمن إلا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله ندما مّا. ومن قواعد عز الدين: النظر إلى الأجنبية محرم ومعانقتها[91]أقبح والدلالة[92] على القتل بغير حق أقبح من الدلالة[93]على الضرب بغير حق وليس من قتل ظالما فاسقا بمثابة من قتل إماما عدلا. وقال أبو عمر في تمهيده: معلوم أن من صلى صلواته من غير محافظة على أوقاتها أحسن حالا ممن لم يصلها وإن كان مقرا بها ونقل في الاستذكار أن رسول الله ﷺ صلى هو وأصحابه يوم الخندق صلاة الظهر والعصر بعدما غربت الشمس لشغله بما نصبه[94] له المشركون ولم يكن يومئذ نائما ولا ناسيا[95]ونقل اللخمي عن ابن المعذل[96]: لو أن رجلين تعمدا فصلى أحدهما في الوقت بثوب نجس وهو ذاكر قادر على غيره وآخر أخر الصلاة وهو ذاكر حتى خرج الوقت وصلاها بثوب طاهر ما استوت حالاهما[97]عند مسلم ولا قربت.

ونقلت هذا بالانجرار يناسب هذا المقام [وفيه تنبيه][98]لنحو ما قاله أبو حامد في فقهاء الزمان: يرفعون همم[99]الخلق إلى رتب يعجز عن الوصول إليها فلا إلى ما رقت[100]هممهم يرقون.

---

(91) في ت: "ومعانقاتها"
(92) في م و ط: "الولاية"
(93) ي م و ط: "الولاية"
(94) في م و ط: "نصب"
(95) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى هو وأصحابه يوم الخندق الظهر والعصر بعدما غربت الشمس أخرجه مالك في الموطأ في كتاب وقوت الصلاة الحديث رقم 14 وأخرجه الشيخان من حديث جابر وإن كانت رواية الشيخين اقتصرت على الظهر وفي مسند أحمد والشافعي أنهم حبسوه عن صلاة الظهر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعا – انظر شرح مسلم للنووي ج227/1
(96) أحمد بن المعذل بالمعجمة بن غيلان بن الحكم العبلي أبو الفضل البصري الكوفي الأصل من الطبقة الأولى الذين انتهى إليهم فقه مالك ممن لم يره ولم يسمع منه صحب ابن الماجشون وابن مسلمة وابن أبي أويس وتفقه به جماعة كإسماعيل ابن إسحاق وأخيه حماد وغيرهم وصف بالزهد والأدب والنبل توفي عن زهاء 40 سنة قال صاحب الشجرة إنه لم يقف على سنة وفاته وكذلك صاحب الديباج– الديباج ص 30 شجرة النور ص 64
(97) في م و ط: "حالتاهما"
(98) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط
(99) في ت: "هم"
(100) في م و ط: "رقيت"

قال وتركوا التمييز قال: وهو عين الضلال.

ومن هذا المعنى فتيا الشيخ أبي عمران[101]لمن تولع بعمل البقول ولا يقوى على عملها إلا بالعذرة فيسقيها الماء ويجر ثيابه فلابد[102]من وصول ذلك إلى ثيابه[103]فقال أبو عمران: يعد[104]للصلاة ثوبا غير هذا الثوب فإن لم يعد[105]وحضرته الصلاة صلى بثوبه. قال فذلك خير له من تركه الصلاة حتى يفوت الوقت.

وقال ابن العربي: من قاتل على فرس مغصوب فله الشهادة وعليه المعصية، فله[106]أجر شهادته وعليه إثم معصيته. قال اللخمي: وله سهما الفرس مع سهم نفسه ولاحظ في ذلك لرب الفرس إنما له ما لمن غصب فرسه[107]. القرافي: وكذلك من غصب مالا وحج به عليه درك المخالفة وحجه مجزئ عنه. وذلك كمن صلى بدار مغصوبة قال وهو قول جمهور العلماء خلافا لأحمد فيهما قال خليل: وعصى وصحت إن [لبس حريرا أو ذهبا أو][108]سرق.

وقال في الإحياء: ومن بيده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد أن يتطوع بالحج إن كان ماشيا فلا بأس لأنه«ليس سببا لأكل هذا المال»[109]في غير عبادة فأكله في عبادة أولى وإن كان يحتاج إلى مركوب فلا يجوز له ثم قال بعد كلام وليجتهد أن يكون قوته في حجه [في المحجة][110]من الطيب فإن لم يقدر فمن

---

(101) هو أبو عمران موسى بن عيسى ابن أبي حاج الغفجومي الفاسي القيرواني الفقيه الحافظ الإمام العالم المحدث أصله من فاس واستوطن القيروان فحصل بها رئاسة العلم تفقه بالقابسي والأصيلي وحج ودخل العراق فدرس الأصول على الباقلاني وأخذ عنه خلق كثير منهم من لقيه ومنهم من استجازه بدون أن يلقاه منهم ابن محرز والسيوري له كتاب تعليق على المدونة توفي 430 هـ– الشجرة عدد 276 الديباج ص 344.
(102) في ت: "ولابد".
(103) في ت: "ثوبه".
(104) في م و ط: "يعتد".
(105) في م و ط: "يعتد".
(106) في ت: "له".
(107) هذا الكلام ورد بهذه الصيغة في النسخ الأربع التي بين أيدينا وهو غير مفهوم وكأنه محرف أو مبتور أو تركيب غير فصيح يقصد أنه إنما يسهم له أي الغاصب وما يسهم لمن غصب الغاصب فرسه ومدار الكلام على هذا بدليل السياق.
(108) ما بين المعكوفين ساقط من ت.
(109) بدل هذه الجملة ورد في ت: "سيأكل هذا المال".
(110) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

وقت الإحرام إلى التحليل، فإن لم يقدر فيوم عرفة، فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف مما هو مضطر إليه. وقال في موضع آخر وليخص نفسه بالحلال وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن كأجرة الحجام والإطلاء[111] بالنورة وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه وإذا دار بين القوت واللباس فالأظهر عندي أن يخص القوت بالحلال وقال المحاسبي: يقدم اللباس وأصل هذا قوله ﷺ «أعلفوه الناضح»[112].

وسئل ابن عباس عن الاستمناء باليد فقال: الزنى أفحش منه. قال في الإحياء لا تفهم من ابن عباس أنه أباح الاستمناء إذ ليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة المطلقة وهذا[113] كما قاله ﷺ في الفتنة: «القاعد فيها خير من القائم»[114] قال ابن العربي: في كل فتنة[115] شر، ولكن النبي ﷺ سمى أخف الشرين [خيرا][116]. قال: فقلة[117] الإثم بالنسبة إلى كثرته خير كثير.

ومن التمهيد ما نصه: المصر على ذنب[118] مشتمل على فتنة فإن كان مع ذلك يود أن لو تاب ولا تأتيه منيته على تلك الحال فهذا وإن كان مصرا لم تأت منه توبة فهو يرجى له. قال بعضهم: ولا هو ممن نكت في قلبه نكتة سوداء.

---

(111) في ت: "الإطلا".
(112) الحديث أخرجه الترمذي في البيوع وابن ماجه في التجارات والطبراني في الاستئذان وأحمد، ولفظ الترمذي عن ابن محيصة عن أبيه أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجارة الحجام فنهاه عنها فلم يزل يسأله ويستأذنه حتى قال: "أعلفه ناضحك وأطعمه رقيقك" –جامع الترمذي، كتاب البيوع ، باب ما جاء في كسب الحجام.
(113) في م و ط: "وكهذا".
(114) الحديث: قوله صلى الله عليه وسلم "ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تشرفته ومن وجد منها ملجأ أو معاذا فليعذ به" أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده من حديث أبي هريرة – فيض القدير 4/99.
(115) في م و ط: "الفتنة"
(116) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(117) في ت: "قلت" وهو تصحيف.
(118) في ت: "ذنب".

ومن كلام ابن شافع[119] أظنه عن تاج الدين: احضر مجالس الخير ولو كانت الخمر في بيتك ولم تقدر على إراقتها ولا تقل ما الفائدة في سماع الحكمة ولا أقدر على ترك المعصية؟ بل على الرامي أن يرمي إن لم يأخذ اليوم يأخذ غدا. ولعل أن تلبس بالمجلس[120] لباس التقوى. ونقل أيضا إذا قيل لك أي فائدة استفدت من [حضور][121] مجالس الحكمة؟ فلا تقل لم أستفد شيئا، وقل استفدت المعرفة بإساءة نفسي [اهـ][122].

وبالجملة فمذهب أهل السنة أن التوبة من بعض الذنوب صحيحة. قال في الإحياء: يقول هذا لئن قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلم ينبغ أن أخلع العذار وأرخي العنان بالكلية.

بل أجاهده في بعض المعاصي فعساني أغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة [لبعض][123] ذنوبي ولو لم يتصور هذا ما تصور من الفاسق أن يصلي ويصوم وهذا حال كل مسلم. وفي الصحيح «كل ابن آدم خطاء»[124].

وقد طال بي الكلام في نصح الذي هو في الحقيقة مثلي وأنا مثله فنسأل الله تعالى أن ينقل جميعنا إلى درجة التوبة من ذنوبنا وأن يمدنا برحمة نفر إليها من مقرنا ونتوجه نحوها بهمتنا يا أرحم الراحمين.

وكيف لا أقول في صاحب هذا المقام إني مثله وهو مثلي وأنا أعتقد أن من نوقش الحساب عذب[125]. وأنه كما قال تاج الدين في حكمه: لا صغيرة إذا قابلك عدله ولا كبيرة إذا واجهك فضله.

---

(119) هو أحمد بن صالح بن شافع الملي البغدادي الإمام الحافظ القارئ أثنى عليه غير واحد سمع من أبي غالب ابن البناء والقاضي أبي بكر وتلا على أبي محمد سبط الخياط ولازم الحديث أخذ عنه الشيخ الموفق والحافظ عبد الغني كان مولده سنة 520 هـ وتوفى سنة 565 هـ – سير أعلام النبلاء عدد 355.
(120) في م و ط: "باليوم".
(121) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(122) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(123) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(124) حديث "كل ابن آدم خطاء" أخرجه أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه والحاكم في مستدركه من حديث أنس–فيض القدير 5/16.
(125) إشارة إلى حديث "من نوقش الحساب عذب" اتفق عليه البخاري ومسلم من حديث عائشة–فيض القدير 6/234.

ومن مناجاة السيد الشاذلي[126]: اللهم اجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت. قال تاج الدين أيضا في حكمه: ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وقضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول.

وقال أيضا في حكمه: أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته.

وقال أبو يزيد البسطامي[127]: توبة المعصية [توبة][128]واحدة وتوبة الطاعة ألف توبة اهـ، وبهذا يتبين لك شرف أول حكمة صدر بها تاج الدين في حكمه إذا قال: من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل. فإذا كان هذا عند وجود زللك في نفسك فقل كيف الحال عند وجود زلل غيرك؟ انظر كلام شارح الحكم هنا، وعند قول تاج الدين أيضا في حكمه: إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك. واعتقد أيضا أن ذنوب القلوب موضوعة في ميزان الأعمال وشديدة عند الله.

ومن الكتب المنزلة أن الجليل جل جلاله يقول «بشر التائبين أنهم إن تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين أني إن وضعت عدلي عليهم عذبتهم». قال في الإحياء: ربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات[129]القلوب[من حب الله وإخلاص وتعظيم][130] ما أنت خال عنه فيكفر ذلك سيئاته. وسيأتي قول ابن المبارك لحفص

(126) هو تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي الشريف الحسني العارف بالله شيخ السادة الشاذلية وصف بالغوث القطب الفرد.. إلخ. أخذ عن ابن حرزهم وابن مشيش وعنه خلق لا يحصون قدم تونس وأقام بها واشتهر أمره ثم رحل إلى مصر وحضر مجلسه أكابر العلماء كابن عصفور وابن عبد السلام وابن دقيق العيد وابن جماعة و ابن الحاجب والمنذري وابن الصلاح وأبى العباس المرسي وغيرهم أفرد ترجمته في التأليف ابن عطاء الله وابن عباد وغيرهم قصد الحج وتوفى ووقع أجره على الله في صعيد مصر في شوال سنة 656 هـ وقبره معروف هناك وكان مولده سنة 571 هـ- شجرة النور عدد 620 ص 186.

(127) هو طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي كان أحد ثلاثة إخوة زهاد وكان جده مجوسيا ثم أسلم وتوفى سنة 261 ومولده سنة 188 هـ ومن كلامه: "لو نظرت إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة" - الرسالة ص 395.

(128) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(129) في ت: "طاعة".

(130) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

بن حميد[131]إذا [رأى][132]رجلا قتل رجلا فوقع في نفس حفص أنه خير منه فقال له ابن المبارك: أمنك على نفسك أشد من ذنبه.

وقال تاج الدين في حكمه:حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي، ومداواة ما يخفى صعب علاجه.

ومن الإحياء: يجب علينا أن نجوز العفو عن العاصي وإن كثرت السيئات الظاهرة والغضب على المطيع وإن كثرت طاعته الظاهرة [اهـ][133].

وانظر بهذه النسبة الخبر الصحيح «نية المؤمن خير من عمله»[134] قد يكون لهذا المخلط نية صادقة في الجهاد وهذه خاصية لا[135]يوازيها شيء من أعمال البر التي خوطب بها العباد يقول الصادق المصدوق ﷺ [«من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق»[136]وقال ﷺ][137]«من سأل الشهادة بصدق بلغه منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[138]اهـ. وكلا الوجهين بالقلب بين العبد وبين الرب. وكذلك أيضا بالعمل يقول هذا المتعبد أنا أقوم الليل وأصوم النهار.

(131) حفص بن حميد المروزي الإكافي العابدي روى عن إبراهيم بن أدهم ويزيد النحوي وأبي بكر بن عياش والفضيل بن عياض وغيرهم وعنه الحكم بن المبارك وأحمد بن جميل المروزي ذكره ابن حيان في الثقات ولم يذكر ابن حجر تاريخ وفاته -التهذيب ج2/399.

(132) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

(133) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(134) حديث "نية المؤمن أبلغ من عمله" رواه العسكري في الأمثال والبيهقي عن أنس مرفوعا قال ابن دحية لا يصح وله شواهد منها ما أخرجه الطبراني عن سهل بن سعد الساعدي ومنها ما للعسكري بسند ضعيف عن النواس بن سمعان وما روى الديلمي عن أبي موسى قال في المقاصد: وهذه الطرق وإن كانت ضعيفة فبمجموعها يتقوى الحديث -كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ج2/430.

(135) في ت: "ما".

(136) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه -كشف الخفاء ومزيل الإلباس ج2/369، مشكاة المصابيح رقم 3813.

(137) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(138) الحديث رواه مسلم عن سهل ابن حنيف في كتاب الإمارة: باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله، وأخرجه عنه أيضا أبو داوود والترمذي وابن ماجه والنسائي-فيض القدير المجلد6/144.

فيقال له ونبيك ﷺ يقول لك «لو قمت الليل لا تنام وصمت النهار لا تفطر ما بلغت نوم المجاهد في سبيل الله»[139] وفي الحديث الآخر «ما بلغت غبار شراك نعل المجاهد في سبيل الله»[140].

ولما نقل ابن يونس في ديوانه الفقهي هذين الحديثين نقل عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لأن أقف موقفا في سبيل الله تلقاء[141] العدو ولا أضرب بسيف ولا أطعن برمح ولا أرمي بسهم أحب إلي من أن أعبد الله ستين سنة لا أعصيه.

ونقل أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لحرس ليلة في سبيل الله أحب إلي من ألف يوم أصومها وأقوم لياليها بالمسجد الحرام أوعند قبر النبي ﷺ.

ونقل أبو عمر في استيعابه عن المسور بن مخرمة[142] وفد على معاوية[143] قال

(139) جزء من حديث أورده ابن رشد في البيان والتحصيل في كتاب الجامع الثالث في الرغبة في الرباط في الجهاد ج7/298 والحديث بتمامه كما أورده ابن رشد "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم ... إلى آخر الحديث وهو مخرج كذلك في الموطأ عن أبي هريرة في كتاب الجهاد باب الترغيب في الجهاد وفي البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فضل الجهاد ومسلم في كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله وذلك دون الزيادة التي ذكر ابن رشد وذكرها المواق هنا.

(140) لم نقف على تخريج هذا الحديث بهذا القظ ولكن ابن رشد في البيان والتحصيل أورد حديثا بلفظ قريب من هذا اللفظ وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل له ستة آلاف دينار "لو أنفقتها في طاعة الله ما بلغت شراك نعل المجاهد" وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة – البيان والتحصيل ج17/298.

(141) في ت: "أتلقى".

(142) مسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري أبو عبد الرحمن صحابي جليل ولد بعد الهجرة بسنتين كان فقيها من أهل العلم والدين أقام بالمدينة حتى مقتل عثمان ثم سكن مكة وكان مع علي ثم لم يزل بها حتى أيام ابن الزبير فكان معه حتى قدم الحصين بن نمير مكة لقتال ابن الزبير فأصيب بحجر منجنيق وهو يصلي في الحجر فتوفي في مستهل ربيع سنة 64هـ وصلى عليه ابن الزبير رضي الله عنهما. –أسد الغابة 5/395.

(143) معاوية بن أبي سيفان الخليفة السادس في الإسلام بويع البيعة الأخيرة سنة 41هـ كان من مسلمة الفتح ومن كتبة الوحي حليما فصيحا وقورا كتب للنبي صلى الله عليه وسلم وولاه عمر وعثمان ولم يبايع عليا بل حاربه ثم استقل بالخلافة خاصة بعد أن تنازل له الحسن عنها وصفه ابن عباس بأنه فقيه كما في البخاري في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي سنة 60هـ –الإصابة ج6/151.

المسور: فلما أدخلت عليه سلمت قال ما فعل ظنك[144] في الأئمة يا مسور؟ قال قلت ارفضنا من هذا وأحسن فيما قدمنا له قال والله لتتكلمن بذات نفسك قال فلم أدع شيئا أعيبه عليه إلا بينته له قال فقال لي لا أبرأ من الذنوب، فمالك ذنوب يا مسور وتخاف أن تهلكك إن لم يغفرها الله لك؟ قال قلت بلى، قال فما جعلك أحق أن ترجوَّ المغفرة مني؟ فوالله ما ألي[145] من الجهاد في سبيل الله وإقامة الحدود والأمور العظام أكثر مما تلي وإني[146] على دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات ووالله مع ذلك [ما كنت][147] لا أخير بين الله وبين ما سواه إلا اخترت الله[على ما سواه قال المسور ففكرت حين قال ما][148] قال فعرفت أنه خصمني.

فقال فكان المسور بعد ذلك إذا ذكره دعا له بخير. قال أبو عمر وهذا الخبر من أصح ما يروى من حديث ابن شهاب. قال في الإحياء: اعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستحقر ولو [كان ظالما فاسقا][149] فقد قال عمرو بن العاص: سلطان غشوم خير من فتنة تدوم. قال محمد ﷺ: «سيكون عليكم أمراء يفسقون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر»[150] قال الطرطوشي[151] في سراجه: طاعة السلطان فرض على كل الرعية، طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله، واتقوا الله بحقه والسلطان بطاعته، من إجلال الله إجلال السلطان عادلا كان أو جائرا، الطاعة تولف شمل الدين وتنظم أمر المسلمين،

(144) في ت: "طعنك".

(145) في ت: "ألو".

(146) في ت: "وأنت".

(147) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(148) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(149) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(150) ورد في معنى هذا الحديث أحاديث كثيرة وفيها اختلاف في الألفاظ أخرجها الإمام أحمد في المسند والحاكم والبيهقي وغيرهم – موسوعة الأطراف 5/260–261.

(151) أبوبكر محمد بن الوليد القرشي الفهري المعروف بابن رندقة الطرطوشي الأسكندري الإمام الحافظ الفقيه المشهور صحب الباجي وأخذ عن الشاسي والجرجاني وغيرهم ببغداد وأخذ عنه سند صاحب الطراز وابن العربي والقاضي عياض إجازة توفي بالإسكندرية سنة 520 هـ– شجرة النور عدد 360.

عصيان الأئمة يهدم أركان الملة، الطاعة ملاك الدين، الطاعة معاقل السلامة وأرفع منازل السعادة، الطاعة الطريقة المثلى والعروة الوثقى، قوام الأمة وقيام السنة بطاعة الأئمة، الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة، طاعة الأئمة عصمة لمن لجأ[152] إليها وحرز لمن دخل فيها، ليس للرعية الاعتراض على الأئمة.

قال ابن العربي: في سراجه [في حديث][153] «الدين النصيحة»[154]: أما النصح لرسول الله ﷺ فمن أوجه، منها تعظيمه وطاعته والرضى بحكمه قال: وأما النصح للسلطان فهو نائب رسول الله ﷺ يجب له ما يجب لرسول الله ﷺ من التعظيم والحرمة والطاعة ويزيد على النبي ﷺ لا بحرمة زائدة لكن لعلة حادثة بأوجه من الصبر على أذاه ويدعى [له][155] عند فساده[156] بصلاحه وينبه إذا غفل.

قال الطرطوشي في سراجه: يعطى السلطان ما طلب من الظلم ولا ينازع في ذلك[157].

قال أبو عمر في تمهيده: ذهبت طائفة من المعتزلة[158] وعامة الخوارج[159] إلى منازعته في ذلك قال وأما أهل الحق وهم أهل السنة والأثر فقالوا الصبر على طاعته أولى وأوجب وأحرى قال عياض: وأحاديث مسلم كلها حجة على ذلك لقوله ﷺ

(152) في ت: "نجأ" وهو تصحيف
(153) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(154) الحديث أخرجه البخاري في التاريخ عن ثوبان والبزار عن ابن عمر–فيض القدير 555/3، وأخرجه مسلم عن تميم الداري –مشكاة المصابيح ج2 عدد 4966.
(155) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(156) في م و ط: "مفاسده".
(157) زاد في ت هنا عبارة "وكذا نقل ابن المناصف عن مالك" وفي الظاهر أنها تكرار لما يأتي قريبا في المتن.
(158) المعتزلة هم فرقة من الفرق الإسلامية اعتمدت العقل وقالت بخلق القرآن وإنكار صفات المعاني من أقطابهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والعلاء وبشر بن المعتمر والنظام والجاحظ والزمخشري المفسر وغيرهم بلغوا أوجهم في عهد الخليفة المأمون والمعتصم حيث جرت محنة القول بخلق القرآن–راجع الملل والنحل 53/1.
(159) الخوارج طائفة خرجت على علي بن أبي طالب بعد معركة صفين وقبوله التحكيم ينسب إليهم بعض الفضلاء كعكرمة مولى ابن عباس ومنهم طوائف ينكرون النسخ في القرآن والإيمان بالحوض والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويقولون إن مرتكب الكبيرة كافر، خطأوا عليا في التحكيم وقالوا لا حكم إلا لله، وهي كلمة حق أريد بها باطل كما قال علي رضي الله عنه من أئمتهم عبد الله بن وهب وعبد الله بن الكوا وعروة بن جرير، ومن أهم طوائفهم: الأزارقة والأباضية والبهسية وغيرها–الملل والنحل ج154/1.

«أطعهم وإن أخذوا مالك وضربوا ظهرك»[160] وكذا نقل ابن المناصف[161] عن مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وجماعة أهل العلم أن للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله وأهله إذا أريد ظلمه.

قال ابن المنذر[162]: إلا السلطان أن من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله إلا بالخروج على[163] السلطان فإنه لا يخرج عليه للأخبار التي فيها الأمر بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم وترك قتالهم.

قال [أبو عمر][164]: وكل من أمكنه نصح السلطان نصحه. قال مالك: وذلك إذا رجا أن يسمعه وإلا فهو من ذلك في سعة. قال أبو عمر: وإلا دعا له. قال لأن السلف كانوا ينهون عن سب الأمراء وقال سهل بن عبد الله: من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان ولم يجبه فهو مبتدع ومن أتاه بغير دعوة فهو جاهل. ومنع الأمير أبا حنيفة من الفتيا فسألته ابنته عن دم خرج لها وهي صائمة فقال لها: سلي أخاك فإن الأمير منعني من الفتيا فقالت له: فأين الأمير؟ فقال لها: ما كنت أطيعه جهرا وأعصيه سرا.

ومن كتاب الفروق ما نصه: منع السلطان القاضي عن حكم بين خصمين بين أن يكون الحكم قد تبين أو لا فرق، فإن كان بعد تبين الحكم فبين أن يمنعه أو يعزله، فرق. ومن [كتاب][165] الذخيرة ما نصه: قاعدة ضبط المصالح العامة واجب ولا تنضبط إلا بتعظيم الأئمة في نفوس الرعية ومهما أهينوا تعذرت المصلحة ولذلك لا يتقدم في صلاة الجنازة ولا في غيرها إلا بإذنهم ألا يخل بأبهتهم[166].

(160) وردت في معنى هذا الحديث أحاديث كثيرة صحيحة في الصحاح والسنن ولكن هذا اللفظ لم نتمكن من تخريجه من كتب الحديث.
(161) ابن المناصف أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد الأزدي يعرف بابن المناصف من أهل قرطبة انتقل أبوه إلى إفريقية تفقه بأبي الحجاج الخزرجي والتجيبي تولى القضاء ببلنسية توفى بمراكش سنة 620هـ أخذ عنه ابن الأبار–الشجرة عدد 574.
(162) هو محمد بن إبراهيم ابن المنذر النيسابوري أبو بكر فقيه أصولي من أكابر علماء الشافعية له الإشراف على مذاهب أهل العلم والمبسوط في الفقه وتفسير القرآن والأوسط في السنن والإجماع والخلاف وإثبات القياس– طبقات الشافعية للسبكي ج126/2.
(163) في ت: "عن".
(164) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(165) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(166) قال القرافي في الذخيرة القاعدة ضبط المصالح العامة واجب ولا تنضبط إلا بتعظيم=

ومن ابن يونس: من صلى خلف من يشرب المسكر أعاد أبدا إلا يكون الخليفة أو صاحب شرطته. وقد صلى ابن عمر خلف الحجاج[167].

ومن ابن العربي ما نصه: حديث النهي عن الإنكار على السلطان جهرة بحيث يؤدي إلى خرق هيبته. الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن تميم[168] «من كان عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخل به فإن قبلها وإلا كان [قد][169] أدى الذي عليه والذي له» قال صحيح الإسناد[170]. وللترمذي وحسنه من حديث بكرة[171] «من

=الأئمة في نفس الرعية ومتى اختلفت عليهم أو أهينوا تعذرت المصلحة ولذلك قلنا لا يتقدم في إمامة صلاة الجنازة ولا غيرها إلا بإذنهم لأن ذلك مخل بأبهتهم–الذخيرة ج234/13.

(167) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل ابن مسعود بن عامر أبو محمد الثقفي سمع من ابن عباس وروى عن أنس وسمرة بن جندب وعبد الملك بن مروان وعنه حميد الطويل ومالك بن دينار، أحد عمال بني أمية المشهورين في الحجاز والعراق اتهم بالفسق وقتل كثير من سادات الصحابة والتابعين كابن الزبير وسعيد بن جبير، مات سنة 95هـ في خلافة سليمان بن عبد الملك، وأما خبر صلاة ابن عمر خلفه فلم نجد له مصدرا سوى ما أورد ابن كثير حيث قال: روي الشافعي عن نافع أن ابن عمر اعتزل ليالي قتال الحجاج وابن الزبير فكان لا يصلي مع الحجاج وكذا قال الثوري عن جابر أن ابن عمر دخل على الحجاج فلم يسلم عليه ولم يكن يصلي وراءه وروى شهر بن حوشب أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول: الصلاة الصلاة مرارا ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس فصلى الحجاج بالناس فلما انصرف قال لابن عمر ما حملك على ذلك فقال إنما نجيء للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم تعتق ما شئت بعد. والتوفيق بين هذه الروايات والله أعلم أن ابن عمر صلى خلفه قبل ما بدر به من فسق ثم ترك الصلاة خلفه بعد ذلك –البداية والنهاية 122/9.

(168) هكذا ورد في النسخ "عياض بن تميم" وهو تصحيف عياض بن غنم الفهري لأنه لا يوجد في الصحابة من اسمه عياض بن تميم ولأن عياض بن غنم هذا هو الذي أخرج له ابن منده من طريق ابن عائذ عن جبير بن نفير أن عياض بن غنم وقع على صاحب داريا حين فتحت فأغلظ له هشام بن حكيم وذكر قصة وفيها فقال عياض لهشام: ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يقل له علانية" قال ابن حجر في الإصابة: "أخرجه في المستدرك ووقع عنده عياض بن غنم الأشعري وأظنه الأشعري وهما والله أعلم فإن الذي ولي الإمرة حيث كان هشام بالشام هو الفهري لا الأشعري" الإصابة 19/7 عدد 6136.

(169) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(170) أخرجه الحاكم في المستدرك –كما ذكر المؤلف – من حديث عياض بن غنم وقال الأشعري وتعقبه ابن حجر –كما تقدم – بأنه الفهري كما أخرجه ابن منده – الإصابة ج19/7.

(171) هكذا ورد في النسخ التي بين أيدينا والمقصود أبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة راوي الحديث الآتي وهو صحابي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه أولاده وربعي=

أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله في الأرض»[172]. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من كره من أميره [شيئا][173] فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس يخرج من السلطان شبرا [فمات][174] إلا مات ميتة جاهلية»[175].

وسئل سهل بن عبد الله التستري أي الناس خير؟ قال: السلطان قيل كنا نرى أن شر الناس السلطان قال: مهلا إن لله في كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أفكارهم فيطلع في صحيفة السلطان [فيغفر له][176] والخشبات[177] المعلقة على أبوابهم خير من سبعين واعظا يعظون.

ومن سراج ابن العربي: وقد روي عن الفضيل وابن المبارك كلمة بديعة من الجود والإيثار على أنفسهم للأمة لأنهما قالا: لو كانت لنا دعوة مجابة لجعلناها في السلطان. يعنيان لما فيه[178] من صلاح العامة واستقامة الأمر وسلامة ذات البين. وفي[179] الطرطوشي عن الفضيل: لو ظفرت ببيت المال لأخذت من حلاله وصنعت أطيب الطعام ودعوت الصالحين وأهل الفضل [من الأخيار][180] والأبرار فإذا فرغوا

=ابن حراش والأحنف بن قيس والحسن وابن سيرين وغيرهم، وكان من خيار الصحابة مات سنة 50هـ أو 51هـ صلى عليه أبو برزة الأسلمي لأن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينهما– تهذيب التهذيب ج10/470 عدد846.

(172) الحديث رواه الترمذي في سننه عن زياد بن كسيب العدوي قال كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق فقال أبو بلال انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق قال أبو بكرة اسكت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر الحديث بلفظه قال الترمذي حديث حسن غريب–انظر المشكاة عدد 3695.

(173) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

(174) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

(175) الحديث رواه الشيخان من حديث ابن عباس بلفظ "من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية"–المشكاة عدد3668.

(176) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(177) في ت: "والخشبة".

(178) في ت: "فيها".

(179) في ت: "ومن".

(180) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

قلت لهم تعالوا ندعو ربنا أن يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل إليه أمرنا. وعن حذيفة بن اليمان[181]قال: ما ذهب قوم أن يذلوا سلطان الله في أرضه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا.

وفي الصحيح «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ....منهم رجل بايع سلطانا إن أعطاه من الدنيا وفى وإن لم يعطه لم يف»[182]. فإن قلت فالشرع[183] قد أوجب بغض الظلمة والفسقة والأخذ على أيديهم فالجواب على هذا: أما بغضهم بأن تكون معهم على حالة لو قستها بحال كافر أدركت تفرقة بينهما فتلك التفرقة هي حب الإسلام وتستحضر في ذهنك قول الحسن رحمه الله: إن من قبلت منه حسنة واحدة لا بد من دخوله الجنة. من ابن بطال.

قال في الإحياء: لو خطب هذا العاصي امرأة لو تيسر عليه نكاحها لكان مغبوطا عليه إلا أن ذلك لا يؤثر في ترك معصية فليس لك أن تسعى في صرف ذلك عنه وأما الأخذ على أيديهم فذلك رحمة بهم لا كجهاد الكفار بحيث إن علمت أن ذلك لا يجدي سقط عنك وإن علمت أنه يزيد شرا لشره حرم عليك.

قال عز الدين في قواعده: لذلك[184]ترك السلف الصالح رضوان الله عليهم التغيير على الفسقة والظلمة لعلمهم أنه لا يجدي ومنهم من إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فيزداد فسقا إلى فسقه وظلما إلى ظلمه. اهـ.ولا يقال مثل هذا في الكفار.

(181) حذيفة بن اليمان واسمه حسل بن عتبة بن ربيعة العبشمي لقب أبوه باليمان لما حالف القبائل اليمانية أسلم هو وأبوه قديما استشهد أبوه في أحد، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا كان يلقب بصاحب السر خيره رسول الله عليه وسلم بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة شهد فتوح العراق واستعمله عمر على المدائن وبقي بها حتى مات بعد مقتل عثمان بأربعين يوما سنة 36هـ-الإصابة 2/223 عدد 1643.

(182) بعض حديث صحيح أخرجه أبو داوود وغيره عن أبي هريرة ولفظ أبي داوود في كتاب البيوع باب من منع الماء "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة رجل على فضل ماء يمنعه من ابن السبيل ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كذا فصدقه وهو على غير ذلك ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفي وإن لم يعطه لم يف".

(183) في ت: "الشرع" بدون فاء.

(184) في ت: "ولذلك".

ومن الإحياء: وليلاحظ المحتسب ما هو متميز به من الطاعة فيرى ذلك نعمة من الله عليه فلله المنة فيه لا له ويلتفت أيضا إلى ما سبق من ذنوب نفسه ويلتفت أيضا إلى الخاتمة والسابقة.

وقد قال تاج الدين في حكمه: من اطلع على أسرار العباد فلم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا يجر الوبال إليه.

قال شارحها: إن لم يرحم صاحب هذا المقام المذنبين ويحلم على الظالمين ويصفح عن الجاهلين ويرأف بجميع المؤمنين وإلا فيخاف عليه أن يبتلى والعياذ بالله. قال لأن ذلك يؤدي به لرؤية نفسه والتكبر على غيره.

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «من قال هلك الناس فهو أهلكهم»[185]روي بالضم والفتح[186]وفيه أيضا أن رسول الله ﷺ حدث «أن رجلا قال والله لا يغفر [الله][187]لفلان وأن الله تعالى قال من الذي يتألى[188]علي أن لا أغفر لفلان قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»[189]. قال ابن العربي: لكل مؤمن حجة ويقبل الله من خيره مثقال ذرة[190]. وقال في سراجه: ولكل عالم هفوة ولكل عارف حجبة ولكل خير حدة ولكل صارم نبوة ولكل عابد شرة[191]ولكل قاصد فترة ولكل سار وقفة قال هذ بعد أن قال لا بد من الغفلة من المتقين.

ونقل أبو عمر في تمهيده بسنده أن بين يدي الرحمن جل جلاله لوحا فيه ثلاث مائة وخمس عشرة شريعة يقول الرحمن جل جلاله «وعزتي لا يأتي عبد من عبادي بواحدة منهن وهو لا يشرك بي شيئا إلا دخل الجنة»[192].

(185) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب النهي عن قول هلك الناس من حديث أبي هريرة ورواه أحمد في المسند وأبو داوود في سننه.

(186) يعني أن الراوي شك هل "أهلكهم" بضم الكاف أم بفتحه.

(187) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

(188) في م و ط: "تألى".

(189) الحديث في صحيح مسلم في كتاب البر والصلة والأدب باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى صحيح مسلم 8/36.

(190) في م و ط: "الذر".

(191) في م و ط: "شدة".

(192) الحديث أخرجه أبو عمر في التمهيد بسنده من حديث أبي سعيد الخدري قال قال=

وفي مسند البزار والطبراني[193] وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «الخصلة الصالحة تكون في الرجل الصالح فيصلح الله بها عمله كله وطهور الرجل لصلاته يكفر الله بطهوره ذنوبه وتبقى صلاته نافلة»[194] وانظر الأثر عن عيسى عليه السلام في جامع الموطأ "لا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد إنما الناس مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء و احمدوا الله على العافية"[195].

و[196] في الحقيقة هذا هو وصف الصحابة رضي الله عنهم قال الله سبحانه ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[197] وخص الشدة على الكفار خاصة ومن على الكفار فما ثم إلا رحمة. في التفسير: يدعو صالحهم لعاصيهم، اللهم بغض المعصية في عينه اللهم أزل حبها من قلبه ويدعو عاصيهم لصالحهم، اللهم ثبته على ما هو عليه من الخير و انفعني به.

قال في التنوير[198]: إن لم تنظر العصاة من المؤمنين بعين الرحمة وإلا خيف عليك: قال واسمع ما قال الشيخ أبو الحسن: وأكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين

=رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ساق الحديث-انظر التمهيد 25/17، في شرح حديث سابع لعبد الله بن ابن عمر.

(193) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني حافظ عصره رحل في طلب الحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وبلاد الجزيرة صنف المعجم الكبير والصغير ومسانيد أخرى، سمع الكثير عن كثير من الشيوخ توفي سنة 360هـ عن عمر مائة عام وعشرة أشهر- طبقات الحفاظ عدد 846، وفيات الأعيان عدد 374 ج2/407.

(194) الحديث رواه الطبراني والبزار كما ذكر المؤلف فأغنى ذلك عن تخريجه.

(195) الأثر أخرجه مالك في الموطأ كما قال المصنف حيث قال: أنه بلغه أن عيسى بن مريم كان يقول: "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تنظرون ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد فإنما الناس مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء وسلوا الله العافية"-جامع الموطأ – انظر الزرقاني ج4/404 الأثر رقم 1917.

(196) في ت: "وانظر".

(197) الآية 29 من سورة الفتح.

(198) التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله ألفه في مكة ثم استدرك عليه في دمشق وزاد فيه فوائد ولم يرتبه وإنما هو كلمات من حيث الورود-كشف الظنون ج 502/1.

ومرهم بالمعروف وانههم عن المنكر رحمة بهم لا تعززا عليهم. قال تاج الدين: واجعل عوض احتقارك لهم رحمتك لهم وعوض دعائك عليهم دعاءك لهم، واقتد بما فعل العارف بالله معروف فما فعله فهو عين المعروف، عبر هو وأصحابه على دجلة فرأى أصحابه سمارية فيها قوم أهل لهو وفسق فقالوا: يا أستاذ ادع الله عليهم فرفع يديه وقال[199]: اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة. فقالوا يا أستاذ إنما قلنا لك ادع عليهم قال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ولا يضركم من ذلك شيء، فألصقت السمارية في الوقت إلى البر وخرجوا إلى الله تائبين.

وللمقري ما نصه: **رقيقة**[200]: حدثت أن بعض فقهاء المشرق اختلس متاعه فهتف بالسالب قد وهبتكه فقل: قبلت. [فقلت][201] تخلق هذا بالسماح والسماح رباح ورحم ذليل العصيان والراحمون يرحمهم الرحمان فنسأل الله أن يجعلنا رحماء [فيما][202] بيننا وأن يشفع محسننا في مسيئنا.

ومن مختصر الإحياء للسيد البلالي ما نصه: حب الله ورسوله [ﷺ][203] فرض إجماعا، وهو الغاية والمقامات توابعه والأحوال ثمراته وحال[204] المحبة الميل الحاث على إيثار المحبوب بما يحبه، فمن ثمراتها كذا وكذا إلى أن قال ومنها ملازمة خوف القطيعة ومنها عظيم تأسفه على ساعة خلت خالية ومنها حبه للخلوة والمناجاة والتهجد ونحوها ومنها نظر غير الكفرة بعين الرحمة فمن فقد هذه العلامات كذب في دعوى المحبة. وقد حصل مما[205] قررته في هذا المقام أن قلة الإثم بالنسبة إلى كثرته خير كثير، ولا شك أن من تحفظ من المأثم[206] وارتكب مكانه خسيسا لا إثم فيه فإنه[207] مكرمة في حقه وهذا هو المقام الثالث.

(199) في م: "فقال".

(200) في م و ط: "دقيقة" وهو تصحيف.

(201) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(202) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

(203) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.

(204) في م و ط: "وحاصل وصال" بدل "وحال".

(205) في ت: "بما".

(206) في م و ط: "الإثم".

(207) في ت: "إنه" بدون فاء.

المقام الثالث: مقام الغوغاء

نقل أبو عمر في تمهيده بسنده ينبغي للعالم أن يحمل الناس على الرخصة والسعة ما لم يخف المأثم ونقل بسنده عن[1] الثوري؛ العلم: رخصة[2] من عالم[3] أما التشديد فيحكمه كل أحد.

ومن الإحياء من نصه: متصوفة الوقت تشبهوا بالقوم ظنا أن المشاركة في الظاهر توجب المساهمة في الباطن وهيهات ما أغزر حماقة من لا يميز بين شحم وورم. ثم قال: هؤلاء بغضاء الله في أرضه لكن لا نقول بمنعهم من ذلك لأن حظوظهم التفرج من كرب البطالة، وهذه الحظوظ وإن كانت خسيسة فنفوس المتحركين بهذه[4] الحظوظ أيضا خسيسة فهم كالبهائم في الصحراء، لا بأس بهم ما كفوا الناس شرهم والفتوى تقتضي جواب أن تتسبب العامة فيما لا نفع فيه ولا ضرر مما هو مباح. قال: وكذلك نذم الوسوسة ثم نعدها معروفا بالنسبة إلى البطالين الذين لم يشتغلوا بصرف الأوقات إلى المبالغة في الطهارة، اشتغلوا بما لا يعني فيصير شغلهم بذلك أولى لأن التشاغل بالطهارة يجدد ذكر الله وذكر العبادات وهو يتصرف في بدنه وثيابه فيفعل فيها ما يريد وإنما نعد ذلك منكرا بالنسبة إلى [أهل

(1) في ت: "إلى".
(2) في ت: "الرخصة".
(3) في ت: "من العالم".
(4) في ت: "لهذه".

المراقبة ولا تعجب من هذا فإن حسنات الأبرار سيئات][5] المقربين. وقال في موضع آخر: مباحات العوام سيئات الأبرار.

وانظر هذا المأخذ وإن كان خلاف الأولى فقد يكون مكرمة بنسبة كما قاله الإمام عز الدين في قواعده ما نصه: وبالجملة فليأت المرء من أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة بما فيه مصلحة عاجلة وآجلة أو درء مفسدة عاجلة وآجلة مع الاقتصاد المتوسط بين الغلو والتقصير، قال من ذلك المزاح ما لم يوحش نفسا أويولم قلبا، قال: وأما ما يفعله الناس من تخبئة[6] المتاع، فمحظور لما فيه من ترويع صاحب المتاع ونقل من هذا المعنى للإمام الماوردي وأنشد :

أفد طبعك المكدود بالجد راحة ... يجمّ وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

قال وكان النبي ﷺ يمزح على هذا الوجه؛ أتته عجوز من الأنصار فقالت يا رسول الله:ادع لي بالمغفرة، فقال: «أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجائز؟» فصرخت، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أما قرأت قول الله تعالى﴿إنا أنشأنهن إنشاء﴾[7] الآية»[8]. وأتته امرأة أخرى في حاجة لزوجها فقال لها رسول ﷺ: «من زوجك؟» قالت: فلان، قال: «الذي في عينه بياض؟» فقالت: لا، قال: «بلى» فانصرفت عجلى إلى زوجها وجعلت تتأمل عينيه فقال: لها ما شأنك؟ قالت: أخبرني رسول الله ﷺ أن بعينيك بياضا فقال لها أما ترين أن بياض عيني أكثر[9].

(5) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(6) في ت و ط: "تخبية".
(7) الآية رقم 35 من سورة الواقعة.
(8) أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث الحسن مرسلا – انظر الشمائل عدد 241.
(9) لم نجده في كتب الحديث وقد أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين في المزاح والضحك – أدب الدنيا والدين ص 233.

وعن البخاري بسنده؛ لم يكن أصحاب النبي ﷺ متخوفين ولا متهاونين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد أحد منهم على شيء من دينه دارت حمالق عينيه في وجهه كأنه مجنون[10]. وقال مالك: كان عمر بن الخطاب إذا صلى الظهر قعد يحدث الناس بما يأتيه من أخبار الأجناد ويحدثونه فقال مالك: وقوم إذا رأوا الناس يتحدثون يقولون[11] اذكروا الله ولم يكن ذلك من شأن الأخيار، كانوا يتحدثون.

وبوب عياض في مداركه فقال: باب ملح من أخبار مالك، من ذلك أن امرأة أتته مع زوجها كلاهما يشكو صاحبه فقال مالك: للرجل ما نقمت منها؟ قال: : تضحك إذا خرج مني ريح، قال مالك: فتباعد عنها إذا كان ذلك منك، قالت: المرأة هو رعد كرعد الخريف، فقال لها مالك: احشي في أذنيك قطنا، فقالت: والله لو جعلت في أذني سندان حداد لنفذ، فقال مالك: اذهبي فاضحكي كما[12] شئت وقال للرجل عليك بأكل السعتر فدام عليه فانقطع عنه[13].

[وقال ابن مهدي[14]: قلت لمالك: ارفق علي، فقد طال مقامي ولم أدر ما حدث على أهلي بعدي، فتبسم ضاحكا، وقال: يا ابن أخي أهلي بالقرب مني ولم أدر ما حدث عليهم بعدي][15].

---

(10) رواه البخاري في الأدب المفرد بلفظ: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبادحون بالبطيخ فإذا جاء الجد كانوا هم الرجالة "وللحديث روايات أخرى.
(11) في ط و م: "قالوا".
(12) في ت: "كيف شئت".
(13) انظر هذا الكلام في المدارك لعياض ج1/128.
(14) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري أبو سعيد الأزدي البصري سمع السفيانين والحماديين ومالكا وغيرهم وعنه ابن وهب وابن حنبل وابن المديني وأخرج عنه الشيخان وكان يتفقه بمذهب مالك، توفى سنة 198 هـ ذ الديباج ص46 الشجرة عدد 21 ص58، التهذيب 6/279.
(15) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

وعن ابن أبي أويس[16] قال: أخبرني مالك [قال][17]: وجدت ابن شهاب بطريق المسجد[18] ومعه غلامه وكان قد زوجه، فقال له ابن شهاب: كيف وجدت أهلك؟ قال وجدتها يا مولاي جنة، فقال ابن شهاب: فالحمد لله، قال مالك: ففطنت له وضحكت، فسألني ابن شهاب، "فقلت له: إنه"[19] يقول: إنها لا توافقه، إن في الجنة سعة وبردا فقال للغلام: كذلك هو؟ قال: كذلك إني والله يا مولاي، فما زال يضحك ويعيدها إلى أن فاتته الجماعة، قال مالك: فصلى في منزله.

وعن معن[20] قال أتى ابن سرجون[21] الشاعر إلى مالك، وقال له قلت شعرا وأردت أن تسمعه فقال مالك: لا، وظن أنه هجاه، فقال: لتسمعنه فقال: هات وأنشد:

---

(16) هو إسماعيل بن أبي أويس أبو عبد الله ابن عم الإمام مالك بن أنس وابن أخته وزوج ابنته سمع من خاله مالك وجماعة وعنه ابن حبيب وابن وضاح وغيرهم وخرج له الشيخان وصف بالصدق وشيء من الغفلة توفى سنة 226هـ الديباج 92 الشجرة عدد 9 ص 56.
(17) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(18) في م و ط: "مسجد".
(19) في ت: "قال إنه" بدل "فقلت له إنه".
(20) معن بن عيسى القزاز أبو يحي روى عن مالك وعنه ابن المديني وابن معين وسحنون كان ملازما لمالك خرج له الشيخان وصف بالصدق والثقة وتوفى سنة 198 هـ الديباج ص347 الشجرة عدد 6 ص 56.
(21) هكذا في م و ط: ابن سرجون، وقد ذكر أبو الفرج الإصفهاني سرجون بن منصور النصراني مولى يزيد بن معاوية الذي كان ينادمه هو والأخطل. كم ذكر أيضا سرجون بن توفل الذي كان ينادم النعمان بن المنذر وذكر من ادبه وحسن منادمته –الأغاني ج17ص301 وص 188. ولعل واحدا من هذين والد أو جد الشاعر صاحب القصة، الذي لم نجد له ذكرا في مظان وجوده في كتب تراجم الشعراء والأدباء والأعلام، إلا ما ذكره عياض فقد أورد هذه القصة والأبيات معها في المدارك كما ذكر قصة القينة التي كانت تغني بأبيات فسمعها مالك وقال لو غني بهذا حول الكعبة لجاز وزاد عياض بيتا ثالثا على ما ذكره المصنف وهو:
أنا للجار ما تغيب عني حافظ للمغيب في الأسرار
وأورد البيت الأول من الأبيات:
أنت أختي وأنت حرمة جاري وحقيق علي حفظ الجوار
بدل حفظ الجار التي أورد المصنف– ترتيب المدارك ج1/128،
لكنه في ت: ابن سرحون بالحاء المهملة، وقد ذكر الإصفهاني أن عبد الملك بن مروان كان له كاتب يسمى ابن سرحون وأنه كانت له علاقة بالأخطل، كما ذكر عبد السلام=

سلوا مالك المفتي عن اللهو والغنا　　　وحب الحسان المعجبات العوارك

فيفتيكم أني مصيب وإنما　　　أسلي هموم النفس عني بذلك

فهل في محب يكتم الحب والهوى　　　أثام وهل في ضمة المتهالك

قال فضحك مالك وكان قليل الضحك، ومر مالك بقينة تغني :

أنت أختي وأنت حرمة جاري　　　وحقيق علي حفظ الجار

ما أبالي أكان للباب ستر　　　مسبل أم بَقي بغير ستار

فقال مالك: لو غنى بهذا حول الكعبة لجاز، وقال: يا أهل الدار علموا فتيانكم مثل هذا.

وعرف أبو عمر في تمهيده بعبيد الله بن عبد الله[22] وذكر عن دينه وفضله وقال: هو أحد الفقهاء السبعة، وأن عمر بن عبد العزيز قال وددت أن لي [اليوم][23] به مجلسا بدية[24] قال: وكانت امرأة جميلة خطبها جماعة فأبت أن تتزوجهم وكان معها بني لها[25] فعرض عبيد الله للقوم فقال:

أحبك حبا لا يحبك مثله　　　قريب ولا في العاشقين بعيد

وحبك يا أم الصبي مولهي　　　شهيدي أبو بكر فنعم شهيد

ويعلم وجدي قاسم بن محمد　　　وعروة ما ألقى بكم وسعيد

ويعلم ما أخفي سليمان علمه　　　وخارجة يبدي بنا ويعيد

=السميج في كتابه "الفوائد الجامعة" هذه القصة وسمى الشاعر ابن سرحون السلمي– انظر الفوائد الجامعة ص146 والأغاني 8/301.

(22) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله المدني أحد فقهاء المدينة السبعة روى عن أبيه وأرسل عن عم أبيه ابن مسعود وعمار وعمر وأبي هريرة وعائشة وابن عباس وابن عمر وغيرهم وعنه أخوه عون والزهري وأبو الزناد وصالح بن كيسان وكثير غيرهم، كان عالما ثقة أحد أجلة التابعين، مات سنة 99هـ – تهذيب التهذيب ج7/23 عدد 50.

(23) ما بين المعكوفين غير موجود في م.

(24) في ت: "بين يديه".

(25) في م و ط: "وكان بين يديه عبيد مولع بها" بدل "وكان معها بني لها".

متى تسألي عما أقول فتخبري　　　فلله عندي طارف وتليد

فقال له سعيد بن المسيب[26]: أما أنت فقد أمنت أن تسألنا وما رجوت أن تسألنا أن تشهد لك بزور.

قال أبو عمر: فذكر في هذه الأبيات الفقهاء الستة وكان هو سابعهم[27]، وقال أبو عمر: وقيل له: تقول مثل هذا وأنت فقيه؟ فقال وهل يستطيع الذي به الصدر أن لا ينفث؟ وقال ابن شهاب: قلت له: يرحمك الله تقول الشعر وأنت في نسكك وفضلك! فقال إن المصدور إذا نفث برئ[28]، وقال له آخر: تقول الشعر في التغزل فقال: في اللدود راحة المفئود.

والشيء يذكر بالشيء؛ حكى المبرد[29] عن الأصمعي[30] قال: حججت مع

(26) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي روى عن أبي بكر مرسلا وروى عن عمر وعثمان وعلي وسعد بن أبي وقاص وحكيم بن حزام وابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وأبيه المسيب وأبي سعيد وعائشة وأبي هريرة وغيرهم كثير وعنه ابنه محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر والزهري وقتادة وشريك وأبو الزناد وغيرهم، عالم المدينة الثقة التابعي الجليل أثنى عليه كل أهل العلم توفي رضي الله عنه سنة 94هـ–تهذيب التهذيب ج4/84.

(27) ستأتي ترجمة مستقلة لبقية الفقهاء السبعة.

(28) في م و ط: "برأ".

(29) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير الأزدي المعروف بالمبرد أبو العباس إمام اللغة ورأس النحاة البصريين في زمانه وأخذ أئمة الأدب والنحو والأخبار ولد بالبصرة وتتلمذ على المازني والسجستاني وغيرهم وأخذ عنه الصولي ونفطويه والأخفش الصغير من مؤلفاته المقتضب في النحو وإعراب القرآن والمقصور والممدود وغيرها مات سنة 285هـ –تاريخ بغداد ج 3/380، سير أعلام النبلاء 9/139.

(30) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي المعروف بالأصمعي أبو سعيد أديب لغوي نحوي إخباري محدث فقيه أصولي من أهل البصرة قدم بغداد في أيام الرشيد من تواليفه نوادر الأعراب والأجناس في أصول الفقه والمذكر والمؤنث وكتاب اللغات مات بالبصرة سنة 216هـ –وفيات الأعيان ج1/362، شذرات الذهب ج2/36–37.

الرشيد[31]فلما قفلنا نزلنا المدينة فتاخيت بها رجلا كانت[32]له سر ومعرفة فكان يمتعني، فأنا ذات ليلة في منزلي إذا أنا بصوته يستأذن علي فظننت أمرا فدحه ففزع فيه إلي، فأسرعت نحو الباب فقلت ما جاء بك؟ فقال إذن أخبرك؛ دعاني صديق إلى طعام عتيد وشراب قد التقى طرفاه وشواء رشراش وحديث ممتع وغناء مطرب فأجبته وأقمت معه إلى هذا الوقت فأخذت مني حميا الكأس مأخذها ثم غنيت بقول نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب   وقل إن تملينا فما ملك القلب[33]

فكدت أطير طربا ثم وجدت في الطرب نقصا إذا لم يكن معي من يفهم كذا كما فهمته ففزعت إليك لأصف لك هذه الحالة ثم أرجع إلى صاحبي، وضرب بغلته موليا، فقلت قف أكلمك، فقال: ما لي إلى الوقوف عليك من حاجة.

وتقدم نقل أبي عمر: ينبغي للعالم أن يحمل الناس على الرخصة والسعة ما لم يخف المأثم. [و][34]قال في الإحياء: الورع فضيلة ولا يأخذ به على عياله مخافة أن يعجزوا فيتركوا أصل الورع: قال: وهذا مستند أكثر الناس في زماننا إذا ضيق عليهم الطريق ويئسوا عن القيام به توسعوا وتركوا التمييز[35]. قال وهذا هو عين الضلال.

---

(31) هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو جعفر أمير المؤمنين أمه الخيزران الجرشية ولد بالري سنة 150هـ واستخلف بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170هـ يعتبر من أهم خلفاء بني العباس كان في آخر أيامه يحج عاما ويغزو آخر دامت خلافته ثلاثا وعشرين سنة كانت فيها الخلافة أعظم ما تكون توفي بطوس سنة 193هـ-تاريخ بغداد المجلد 14 ص5- 13.

(32) في م: "كان".

(33) البيت ذكره صاحب الأغاني ونسبه لنصيب، وذكر له صاحبا وهو:
وقل في تجنيها لك الذنب إنما   عتابك من عاتبت فيما له عتب
الأغاني ج 6/125. وذكر صاحب الأغاني القصة التي ذكر المواق وذكر أن الرجل المبهم هنا هو منقذ الهلالي ونصيب الشاعر بضم النون هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان كان شاعرا مبدعا في المديح والغزل ولم يتشبب إلا بزوجته زينب وصف بالعفاف- الأغاني ج1/324.

(34) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(35) في ت: "التبيين".

ومن موافقات الشاطبي: وجدنا ترك الترخص في مواضع الترخص يوقع في مفسدة أو مفاسد يعظم موقعها شرعا. قال: وكذا[36] قطع العوائد المباحة قد يوقع في المحرمات. وتقدم قول ابن العربي: سمح الشرع في الغناء لأنه يتعلق به قلوب الضعفاء وللناس عليه استراحة وطرحٌ لثقل الجد الذي لا تحمله كل نفس ولا يتعلق به كل قلب. وقال في عوارف المعارف: إذا الشيوخ[37] علموا من بعض المسترشدين ضعفا في مراغمة النفس واعتماد صدق العزيمة وقفوا[38]به ووقفوه على حد الرخصة، وما دام العبد لا يتعدى حريم الرخصة فهو بخير. ثم إذا ثبت يتدرج بالرفق إلى أوطان العزيمة.

ومن الإحياء والشفاء[39]: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة وهو مع ذلك لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وقال له ألك حاجة؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته، يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف[40] بالبر لهم ويؤلفهم ولا ينفرهم[41] ويمازح أصحابه ويخاطبهم ويداعب صبيانهم ويرى اللعب المباح فلا ينكره ويأتي بساتين أصحابه[42] ويتحدث إذا هم تحدثوا ويتبسم إذا هم ضحكوا خلطا لنفسه معهم ولا يزجرهم إلا عن حرام قال الله تعالى:﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[43].

---

(36) في م: "كنا".

(37) في ت: "الشيوخ إذا".

(38) في ت: "وفقوا".

(39) كتاب الشفاء للقاضي عياض واسمه الشفا بتعريف حقوق المصطفى قيل فيه كاد الشفا أن يكون قرآنا يتلى لم يبق أحد من أهل المذهب إلا شرحه وقد طبع مرات.

(40) في م و ط: "السر".

(41) في ت: "ينفر منهم".

(42) في ت: "الصحابة".

(43) الآية 159 من سورة آل عمران.

انظر قوله لا يزجرهم إلا عن حرام، الشيء بالشيء يذكر، انظر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مقامه في الصحابة مقامه، كانت له زوجتان مسلمتان عربيتان فتزوج عليهما يهودية فكتب إليه عمر رضي الله عنه ينهاه فكتب إليه حذيفة أحرام هي؟ قال: لا.

وقد تزوج طلحة بن عبيد الله[44] رضي الله عنه يهودية وكذلك سعد بن أبي وقاص[45] [وعثمان[46] رضي الله عنهما][47] وأسلمت زوجة عثمان رضي الله عنه. وانظر هذا المعنى هو في الحقيقة كما قاله بعض الفضلاء لمن اعترض عليه هذا زيادة علم أو نقصان ورع لو لم يكن أجرا وإلا فلا حرج.

وانظر من هذا المعنى تطيب مالك وحسن ملبسه وأن بشر بن الحارث[48] قال: دخلت على مالك فرأيت عليه طيلسانا يساوي خمسمائة قد وقع جناحاه على

(44) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد القرشي التيمي أبو محمد أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام لقب بطلحة الفياض لإنفاقه في سبيل الله شهد المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم عدى بدرا حيث كان في الشام وأسهم له النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد ستة الشورى الذين اختارهم عمر رضي الله عنه استشهد يوم الجمل وذلك في جمادى الأولى من سنة 36هـ-الإصابة ج5/232 عدد 4359.

(45) سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري أحد المبشرين بالجنة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من رمى بسهم في الإسلام أحد ستة الشورى الذين اختارهم عمر كان رأس من فتح العراق توفي سنة 51هـ-الإصابة ج4/160 عدد 3187.

(46) عثمان بن عفان بن أمية بن أبي العاص بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو عبد الله أسلم قديما وهاجر الهجرتين خليفة خلفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه أولاده عمرو وأبان وسعيد ومن الصحابة ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة ومن التابعين الأحنف وابن المسيب بايع عنه صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان، كان مقتله ظلما في ذي الحجة سنة 35هـ وتسبب ذلك في الفتنة الكبرى-الإصابة عدد 5444 ج6/391.

(47) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

(48) بشر بن الحارث ويدعى بشر الحافي أبو نصر المروزي من كبار الزهاد والصلحاء وكان مجاب الدعوة و لتوبته حكاية ذكرها المترجمون له ولد سنة 150 هـ وتوفي سنة 226 هـ من كلامه رضي الله عنه "عقوبة العالم في الدنيا أن يعمى بصر قلبه" نعوذ بالله -وفيات الأعيان ج1/274.

عينيه أشبه شيء بالملوك، وكان يجلس بمنزلة على ضجاع ونمارق مطروحة[49] يمنة ويسرة في سائر البيت لمن يأتيه من وجوه الناس وكان خاتمه الذي مات وهو في يده فصه حجر أسود ونقشه سطران فيهما حسبي الله ونعم الوكيل.

ونقل ابن يونس في ديوانه الفقهي عن مطرف قال: رأيت على مالك ساج إبريسم كساه إياه هارون الرشيد وكان يفتي بكراهية ذلك هو وأصحابه ولم يكن ذلك عندهم كالخز المحض اهـ. نص ابن يونس أن الإمام كان يفتي بكراهة ما كان ملابسا له. انظر هذا المعنى في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ «شرب من زمزم قائما» و«زجر على الشرب قائما» وقال ابن عباس «سقيت رسول الله ﷺ من زمزم وهو قائم»[50] قال في المنهاج[51]: هذه أحاديث كلها صحيحة ولا إشكال فيها لأن النهي فيها محمول على كراهة التنزيه، وشربه[52] ﷺ قائما ليبين[53] الجواز، قال: وهذا الذي ذكرناه متعين كما توضأ ﷺ مرة مرة[54] وطاف على بعيره[55]. مع أن الإجماع على أن الوضوء ثلاثا و[56] الطواف ماشيا أكمل.

(49) في م: "و مطروحة"

(50) حديث النهي عن الشرب قائما أخرجه مسلم في كتاب الأشربة من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائما، وأخرج مسلم في كتاب الأشربة من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من زمزم من دلو فيها وهو قائم وفي البخاري في كتاب الأشربة من حديث علي وابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من زمزم قائما، وأخرج الإمام أحمد من حديث علي أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب فضل وضوئه وهو قائم، ولم يخرج البخاري حديث النهي عن الشرب قائما. -مسلم ج6 كتاب الأشربة ص110، البخاري كتاب الأشربة الباب 16، المسند الحديث رقم 943.

(51) يسمى منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الشافعية للإمام محيي الدين النووي.

(52) في ت: "وشرب".

(53) في م و ط: "يبين".

(54) الحديث أخرجه البخاري حيث قال باب الوضوء مرة مرة عن ابن عباس وذكر الحديث وله شواهد أخرى في النسائي وأبي داوود- فتح الباري ج1/207 و194.

(55) حديث طواف النبي صلى الله عليه وسلم على بعيره أخرجه البخاري في الحج باب المريض يطوف راكبا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت وهو على بعير كلما أتى إلى الركن أشار إليه بشيء في يده وكبر، وأخرجه أبو داوود أيضا مبينا سبب ركوبه في الطواف وأنه اشتكى فطاف على راحلته، وأخرجه مسلم من حديث جابر معللا طوافه راكبا بأنه فعل ذلك ليسهل على الناس رؤيته ويسألوه عن أحكامهم-فتح الباري ج3/385.

(56) في ت: "أو".

وبالجملة فإذا[57] كان المتفرغ للعبادة إن شادَّ الدين غلبه من باب أولى المتفرغ لنصيحة، الخلق قال رسول الله ﷺ: «لن يشاد الدين أحد إلا غلبه»[58] قال ابن العربي: هذا[59] المعنى خفي على قوم وحقيقة معناه أن من أراد أن يستوفي فضائل الشريعة لم يقدر على ذلك لأنه خارج عن الطوق، فمن تعرض لاستيفاء[60] الشريعة بل لاستيفاء نوع منها غلبه الدين.

فأما استيفاء الفرائض امتثالا واجتنابا فإنه ممكن لكل أحد اهـ نص ابن العربي.

وانظر من هذا المعنى قضية عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل المسجد يوم الجمعة وعمر رضي الله عنه على المنبر فقال له عمر أي ساعة هذه؟ قال عثمان انقلبت من السوق وسمعت[61] النداء فما زدت على أن توضأت فقال عمر الوضوء [أيضا؟ وقد][62] كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالغسل[63] قال الباجي: أنكر عمر اشتغاله بالسوق حتى فاتته[64] فضيلة الرواح، ثم أنكر عليه ترك الغسل ولا أمره بالخروج ولا أنكر قعوده لأن غسل الجمعة ليس بفرض واجب.

(57) في ت: "إذا".
(58) حديث "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" أخرجه البخاري والنسائي من حديث أبي هريرة ذفيض القدير المجلد 2/329.
(59) في ت: "هي هذا".
(60) في م: "استفتاء".
(61) في ت: "فسمعت".
(62) ما بين المعكوفتين ساقط من ت وبدله "إنه".
(63) إشارة من عمر رضي الله عنه إلى حديث: "غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم" أخرجه السبعة الشيخان وأصحاب السنن الأربعة وأحمد-انظر بلوغ المرام الحديث رقم 112، وقصة عمر مع عثمان رواها البخاري ولكنه قال دخل رجل من المهاجرين ولم يسمه، وقد سمى ابن وهب وابن القاسم في روايتهما عن مالك في الموطأ الرجل المذكور عثمان بن عفان وكذا سماه معمر في روايته عن الزهري عند الشافعي وغيره وقد سماه أيضا أبو هريرة عند مسلم قال ابن عبد البر لا أعلم خلافا في ذلك-فتح الباري ج 2/286، صحيح مسلم: كتاب الجمعة 3/3.
(64) في ت: "فاته".

وكان عبد الله بن المبارك يخص[65] بمعروفه طلبة العلم، ويقول: أفرغهم ويقول إن العلم يحتاج إلى الفراغ، قال: إذا المرء اشترى بصله فلا تسأله عن مسألة.

شروط العلم أربعة أولها: التفرغ له قالوا: العلم[66] هو إن أعطيته كلك فأنت في أخذ البعض منه على خطر وإن أعطيته بعضك لم تحظ منه بشيء. قال الزهري: ولا تأخذه بالمكابدة ولكن مع الليالي والأيام أخذا رفيقا.

قال مالك: لو قيل لي إن دق الجوهر يعينك على هذا الشان لدققته. وقال الشبلي[67] في وصية له: يا طالب العلم عليك باللحم فإنه يعين على طلب العلم ويقوي البصر. وقال عياض: كان لمالك في كل يوم في لحمه درهمان. قال مطرف: لو لم يجد مالك كل يوم درهمين يبتاع بهما لحما إلا أن يبيع في ذلك بعض متاعه لفعل، وكانت وظيفته في لحمه. ويعين على العلم الاتساع في المباح.

وكتب [عبد الله][68] العمري[69] العابد إلى مالك رضي الله عنه يحضه[70] على التعبد فكتب إليه مالك: إن الله تعالى قسم بين عباده الأعمال كما قسم بينهم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الجهاد

(65) في ت: "يختص".
(66) في ت: "والعلم".
(67) أبو بكر الشبلي اسمه دلف بن جحدر الشبلي البغدادي المولد والمنشأ صحب الجنيد وكان مالكي المذهب كان يكتحل بالملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم وكان يقول في رمضان "هذا شهر عظمه ربي فأنا أول من يعظمه من الناس، توفي ببغداد سنة 334هـ-الرسالة عدد 49 ص419.
(68) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(69) هو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي العمري الزاهد المدني أرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن أبيه وغيره من أعلام المدينة وعنه سليمان بن محمد بن يحيي بن عروة بن الزبير وابن عيينة وابن المبارك وغيرهم أثنى عليه غير واحد من السلف، له مآثر في الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توفي سنة 184هـ-تهذيب التهذيب ج 5/302، صفة الصفوة ج2/181.
(70) في ت: "حضه".

ولم يفتح له في الصلاة[71][وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح في الصيام][72]وقد علمت أن نشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح الله لي وقسم لي منه وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه من العبادة وكلانا على خير إن شاء الله.

وكتب يحي بن يزيد[73]أيضا إلى مالك: بلغني أنك تلبس الرقيق وتأكل الرقاق[74]وتجلس على الوطاء[75]وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست[76]مجلس العلم واتخذك الناس إماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع، كتبته لك بالنصيحة كتابا ما اطلع عليه إلا الله والسلام. فكتب إليه مالك: وصل إلي كتابك فوقع مني موقع النصيحة في الإشفاق والأدب متعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا، وأما ما ذكرت أني آكل الرقاق[77]وألبس الرقيق وأحتجب وأجلس على الوطاء[78] فنحن نفعل علم الله ذلك ونستغفر الله [عز وجل][79][وقد قال الله عز وجل][80]: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعبادة والطيبت من الرزق﴾ الآية[81].

وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه، ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا[82]والسلام.

---

(71) في ت: "في الصيام".
(72) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(73) يحيى بن يزيد بن عبد الملك بن أنس النوفلي ذكر هذه الحكاية بين يحيى بن يزيد ومالك الإمام الغزالي في كتاب الإحياءفي كتاب العلم في الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء السوء وعلماء الآخرة وذكر أن مالكا أنصف إذا اعترف بأن ترك ذلك خير وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيهما -الإحياء 83/1.
(74) في ت: "الرقيق".
(75) في ت: "الوطا".
(76) في م و ط: "جعلت".
(77) في ت: "الرقيق".
(78) في م و ت: "الوطا".
(79) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.
(80) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(81) الآية 32 من سورة الأعراف.
(82) في ت: "كتبنا".

وفي الموطإ كان عمر رضي الله عنه يطرح له صاع من تمر فيأكل حتى يأكل حشفه[83]. قال الباجي: ليس كل الزاهدين زهده في قلة الأكل قد يكون في التوسط مع الإقبال على العبادة وقد يكون بالإنفاق وقلة الاحتكار، قال مالك: إن رجلا دخل على رجل له قدر وهو يأكل فلم يعرض عليه أن يأكل معه فعاب ذلك عليه فقال إن في مستمتعا في أمور كثيرة.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه إن الله يؤتي الرجل العلم ولا يوتيه الحلم ويوتيه الحلم ولا يوتيه العلم وإن شداد بن أوس[84]ممن آتاه الله العلم والحلم[85]وسئل ابن وهب وابن القاسم عن قبالة[86]مصر فكلاهما قال: لا تجوز، فقيل لهما: فأشهب يتقبلها فقال ابن القاسم: افعل أنت ما يفعل أشهب وتقبل الجامع. وقال ابن وهب: أعطنا آخر كأشهب ونبيح له أن يحدث في مسجدنا. وسئل أشهب عن ذلك [فمنع][87] فقيل له: أنت تحدث فيها، قال: فأحمل لنفسي ولك أيضا؟

وقال ابن أبي زيد في نوادره[88] في ترجمة الأخذ من الأمراء بعدما أحدثوا من الجور: قال مالك لا تقبل أموال الظلمة أمراء كانوا أم غير أمراء أخذوا المال بغير حقه. قيل له: فأنت تأخذ فقال: إني أكره أن أبوء بإثمي وإثمك.

---

(83) الأثر أخرجه مالك في الموطأ من رواية أبي مصعب (رقم الأثر 1960) عن إسحاق بن عبد الله عن أنس بن مالك أنه قال رأيت عمر ين الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين إلى آخر الأثر – الاستذكار ج26/331 الأثر في الموطأ رقم 1737 شرح الزرقاني ج4/313 حديث 1800.
(84) شداد بن أوس بن المنذر الأنصاري الخزرجي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه ابناه يعلى ومحمد ومحمود بن الربيع وآخرون روي عن عبادة بن الصامت أنه قال شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم ومن الناس من أوتي أحدهما وروي أيضا هذا الكلام عن أبي الدرداء كما في الاستيعاب لابن عبد البر وشداد هذا سكن حمص وأخذ عنه أهل الشام مات سنة 58هـ-الإصابة ج5/52 عدد 3842، والاستيعاب عدد 1158.
(85) في ت: "ممن أتاه الله الحلم والعلم".
(86) يبدوا من خلال السياق والمعاجم اللغوية أنه يقصد بالقبالة جعلا أو كفالة مالية تجعل على الإمامة أو التدريس أو العرافة.
(87) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(88) نوادر ابن أبي زيد كتاب مشهور في الفقه لمحمد بن أبي زيد.

قال عياض: إنه قال لآخر: جئت تبكتني بذنوبي قال وأجازه هارون مرة بثلاثة آلاف فقال له رجل من الزهاد: أبا عبد الله ثلاثة آلاف تأخذها من هذا؟! كأنه يستكثرها فقال مالك: إذا كان مقدار ما لو كان إمام عدل[89] فأنصف أهل المروءة أصابه شبهة[90] لذلك لم أر به بأسا وإنما أكره الكثير الذي لا يشبه أن يستحقه صاحبه وقيل للفضيل: سفيان يقبل جوائز السلطان؟ فقال الفضيل ما أخذ إلا ما دون حقه ثم خلا به وعذله فقال سفيان يا أبا علي إن لم أكن من الصالحين فإنا نحب الصالحين.

وبالجملة فللعلماء مقاصد كما تقدم زيادة علم أو نقصان ورع إن لم يكن ثواب وإلا فلا حرج وقد قيل لمالك تترك الجماعة والجمعة فإذا دعاك السلطان أسرعت إليه!؟ فقال لو لم أفعل هذا يا بني لم تر في هذه البلدة[91] سنة قائمة.

وكان سيدي ابن سراج رحمه الله يحكي لنا عن الصالح الزيات[92] ببلش[93] أنها كانت بيد[94] أحد الرؤساء من ملوكنا النصريين[95]. وكان هذا الرئيس يأتي حلقة الشيخ المذكور فيتزحزح الشيخ له ويرحب به، فكان بعض الطلبة يجد في

(89) في ت: "عادل".
(90) في ت: "بشيه" ولعل الكلام أصابه شبه ذلك والله أعلم
(91) في ت: "بهذه البلدة" وفي م: "في هذه البلد"
(92) الظاهر أنه ابن الزيات الذي هو من شيوخ شيوخ المؤلف في بلش وهو أبو جعفر أحمد بن الحسن الكلاعي يعرف بابن الزيات من أهل بلش مالقة، الإمام الخطيب المتصوف الجليل أخذ عن جماعة منهم أبو الفضل عياض الحفيد وابن الزبير وابن الطباع وابن الصائغ وأبو الحسن ابن أبى الربيع والغافقي وعنه ابن جابر الوادي آشي وابن لب وغيره وله تصانيف كثيرة منها تخليص الدلالة في تلخيص الرسالة وشرف المهارق في اختصار كتاب المشارق وغير ذلك، ولد سنة 649 هـ تقريبا وتوفى سنة 728هـ-الشجرة عدد 745 ص 212، ، نفح الطيب ج8/60.
(93) بلش وهي بالموحدة المفتوحة وتشديد اللام والشين المعجمة بلدة بالأندلس – معجم البلدان ج1/ 484.
(94) في م: "بين" وهو تصحيف.
(95) في م و ط: "النضريين" وهو تصحيف النصريين ملوك بني الأحمر الذين حكموا غرناطة وكان سقوطها على أيديهم سنة 897 هـ سنة وفاة المواق كما تقدم.

نفسه من ذلك، فبينما ذلك الطالب يجئ من قرية بشخص [من][96] حرير بيده، أخذه له الشرطي[97]، فجاء الشيخ فشكا له، فأمر الشيخ مؤذنا إلى الرئيس، فما كان بأسرع[98] أن أتى الرئيس على عادته، وتزحزح له الشيخ وجلس، ثم بعد الفراغ من المجلس وأراد الرئيس القيام، قال للشيخ: أنت أرسلت في هذا وأخرج الحرير، فقال: نعم هو لهذا الطالب فقال الرئيس للطالب: خذ يا حبيبي متاعك وانصرف فقام الشيخ وقال لذلك الطالب: يا زبلح[99] هو لمثل هذا هو ذلك التزحزح.

قال ابن العربي: من حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير، ومن أسماء البارى تعالى الرفيق. هذا رسول الله ﷺ وهو هو[100] إلى ما لا ينقضي[101] من الأخبار العظيمة عنه قال لعائشة رضي الله عنها: تشهين ترين[102] لعبهم قالت فقلت نعم فأقامني وراءه الحديث[103]. والحديث الآخر الجاريتان تغنيان فانتهرهما أبو بكر وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ [فأقبل رسول الله ﷺ][104] وقال دعهما يا أبا بكر فإنه يوم عيد[105]. قال ابن بطال: أنكر أبو بكر كثرة التنغيم والخروج إلى التطريب، ولذلك شبهه بالزمير، وبوب عليه البخاري فقال باب الضرب بالدفوف.

قال ابن بطال: فيه إقبال الإمام والعالم إلى العرس وإن كان فيه لعب ولهو ونحوه.

(96) في م و ط: بياض بدل "من".
(97) في ت: "الشرط".
(98) في ت: "أسرع" بدون باء.
(99) في م: "زبلج" وفي النسخ الأخرى: "زبلح" ولم تجد لها أصلا في القاموس ولعلها كلمة دارجة.
(100) في ت: تكررت "هو" ثلاثة مرات.
(101) في ت: "تنقضي".
(102) في ت: "أن تري".
(103) يقصد حديث زفن الحبشة المتقدم.
(104) ما بين المعكوفتين ساقطة من ت.
(105) أخرجه البخاري في العيدين والنكاح ومسلم في العيدين والنسائي في العيدين كذلك. وله روايات أخرى سيأتي تخريج بعضها قريبا.

قال أبو عمر: وفي صحيح البخاري قالت [الربيع][106]: جاء النبي ﷺ فدخل علي فجلس على فراشي فجعلت جويريات[107] يضربن الدف[108] الحديث[109] وقال ابن العربي: ليس الغناء بحرام لأن النبي ﷺ سمعه في بيته وبيت غيره، وما وقع في سماع أصبغ من كراهة حضوره ذو الهيئة فاسد لأن النبي ﷺ حضر ضرب الدف، ولا يصح أن يكون ذو الهيئة أعظم من النبي ﷺ اهـ نص ابن العربي. والذي[110] في سماع أصبغ ألا يكون الغناء إلا للسناء خاصة بالدف والكبر هملا أو بذكر الله أو تسبيحا أو تحميدا على ما هدى، أو برجز خفيف لا بمنكر ولا بتطويل. ابن رشد: لا فرق بين الرجال والنساء.

(106) في النسخ م و ط: "قال الربيع" وفي النسخة ت: "قالت" مع حذف كلمة الربيع ولعل كل ذلك تصحيف من النساخ ذلك أن هذا الحديث مروي عن الربيع بنت معوذ وهي الربيع بنت معوذ بن عفْبة بن حرام بن جندب الأنصارية النجارية من بني عدي بن النجار كانت من المبايعات تحت الشجرة ربما غزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم روت عنه أحاديث منها دخوله صلى الله عليه وسلم عليها يوم عرسها وحولها جويريات يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائهن يوم بدر ولم ينههن صلى الله عليه وسلم عن ذلك، ومنها أنه صلى الله عليه وسلم توضأ عندها، وروى عنها ابن عباس صفة وضوئه ووصفت النبي صلى الله عليه وسلم وروت عنها ابنتها وعائشة وسليمان بن يسار وأبو سلمة بن عبد الرحمن ونافع مولى ابن عمر وغيرهم، لم يذكر ابن حجر في الإصابة ولا ابن عبد البر في الاستيعاب تاريخ وفاتها -الإصابة 12/251 عدد 413، الاستيعاب 12/314، عدد 3329. وقد ذكر الذهبي في السير أنها توفيت في خلافة عبد الملك بن مروان سنة بضع وسبعين - سير أعلام النبلاء ج3/198.

(107) في م: "جويرات" وهو تصحيف.

(108) في ت: "الدفوف".

(109) أخرجه البخاري في النكاح والمغازي وأبو داوود في الأدب وابن ماجه في الأنكحة ورواية البخاري كما في كتاب الأنكحة عن الربيع بنت معوذ أنها قالت جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتلن من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين - صحيح البخاري ج6 كتاب الأنكحة الباب 49.

(110) في ت: "فالذي".

ونقل عياض عن محمد بن عبد الحكم قال كان أبي[111] والشافعي وابن بكير[112] وجماعة من أصحابهم في منزل يوسف بن عمرو[113] في صنيع عرس لهم وكان ثم لهو ودف فما أنكره واحد منهم وعن عكرمة[114] قال: لما ختن ابن عباس رضي الله عنهما بنيه أرسلني فدعوت اللعابين فلعبوا فأعطاهم ابن عباس أربعة دراهم، قال أبو عمر في تمهيده: ما منع لنفسه وعينه يستوي قليله وكثيره إلا أن يكون مضطرا إليه فيستوي أيضا، كما قاله في الموطإ: للمضطر أن يأكل الميتة[ويشبع][115] ويتزود.

وانظر تعقب ابن رشد على[116] أصبغ: اختصاص ذلك بالنساء. وكذا[117] تعقب ابن العربي كراهة حضوره[118] ذو الهيئة وما تعقب أحد كون ذلك بذكر الله والتسبيح والتحميد. والمذهب أيضا متفق أن الافتخار عند السبق والانتماء للقبيلة جائز، وكونه بذكر الله أحسن. وقال أبو عمر في استذكاره في قول بلال[119]:

(111) المقصود أبو محمد بن عبد الحكم وهو عبد الله بن عبد الحكم وقد تقدم.

(112) يحيى بن عبد الله بن بكير القرشي المخزومي مولاهم أبو زكرياء الحافظ روى عن مالك والليث وحماد بن زيد وغيرهم وعنه البخاري ومسلم وابن ماجه بواسطة محمد بن عبد الله الذهلي وعنه أيضا يحيى بن معين وغيرهم أثنى عليه غير واحد من السلف مات سنة 231هـ، تهذيب التهذيب ج11/237.

(113) في ط و م: "بن عمر" وهو تصحيف والصحيح أنه يوسف بن عمرو بن يزيد بن يوسف بن جرجس ويقال خرخس الفارسي أبو يزيد المصري روى عن مالك والليث وابن أبي الزناد وابن وهب والشافعي وغيرهم وعنه يحيى بن بكير والحارث بن مسكين وهما من أقرانه وابنه أبو سعيد يزيد ومحمد وعبد الرحمن ابنا عبد الله بن عبد الحكم وآخرون كان رجلا صالحا فقيها مفتيا توفي سنة 205هـ- تهذيب التهذيب 11/420.

(114) عكرمة البربري أبو عبد الله مولى ابن عباس كان لحصين بن أبي الجبر فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة لعلي روى عن مولاه وعن الحسن بن علي وأبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد وعقبة ومعاوية وعائشة وغيرهم وعنه إبراهيم النخعي والشعبي وأبو إسحاق السبيعي وغيرهم أطلق له مولاه في الفتوى لعلمه وورعه كان عالما عارفا بكتاب الله وتفسيره وثقه أكثر أهل العلم توفي سنة 107هـ-تهذيب التهذيب 7/263.

(115) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(116) في ت: "و" بدل "على"

(117) في ت: "كذلك"

(118) في ت: "كراهته حضور"

(119) بلال بن رباح الحبشي ويقال بلال بن حمامة المؤذن الصحابي الجليل اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف لما كان يعذبه على دخوله الإسلام استشهد رضي الله عنه في طاعون=

أ لا ليت شعري ... البيت.

قال أبو عمر: فيه تمثل الصالحين بالشعر ودليل على جواز إنشاده ورفع العقيرة به وهو الغناء الذي يسمى غناء الركبان[120]وغناء العرب. والعقيرة: الصوت وقد قال عز الدين [بن عبد السلام][121]في قواعده: من يغلب عليه هوى مباح كمن يعشق زوجته أو سريته فهذا يهيجه السماع ويؤثر فيه آثار الشوق وخوف الفراق ورجاء التلاقي[122] فسماع هذا لا بأس به.

فانظر إذا كان هذا كله مباحا على البراءة الأصلية، وأجمعوا أنّ المباح قد يصير مكرمة بالنية، فمباح بمباح، ينبغي أن يتحرى منهما ما يتخلى به من هواجس نفسه الردية وأحاديثها الدنية. فعوض ما ينزل السماع على ما[123] يجب ينزله على حال نفسه في معاملة ربه وقد تقدم ما حكاه الشاطبي عن الإمام الذي شكاه قومه لعمر رضي الله عنه قالوا له إنه إذا فرغ من صلاته تغنى فقال له عمر: أو تتمجن في عبادتك؟ فلما أنشده الأبيات قال له عمر: على هذا فليغن من غنى. وهذا هو المقام الرابع.

=عمواس في بلاد الشام سنة 20هـ الإصابة 1/273 عدد 732، والبيت المشار إليه تمامه كما يلي:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامت وطفيل

أنشد بلال هذه الأبيات في الاشتياق إلى أرض مكة وتمثل بها وهي في صحيح البخاري في كتاب مناقب الأنصار وكتاب التمني وكتاب الدعوات ونسبها العيني في عمدة القارئ 10/250 إلى أبي بكر بن عامر الجرهمي.

(120) في ت: "للركبان".
(121) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(122) في ت: "رجى لتلاق".
(123) في ت: "على من".

المقام الرابع: درء الأخس بالخسيس

بهذا القصد يصير مكرمة بالنسبة للمقام الثالث، نقل القشيري في رسالته: أفضل أوقاتك وقت تسلم فيه من هواجس نفسك ويسلم الناس فيه من سوء ظنك.

وقال تاج الدين في حكمه: ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت، فرغ قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والأسرار.

ومن كلام سيدي أحمد الزيات[1]من شيوخ شيوخنا[2]: خذ حظوظك من حيث الأمر ولا تأخذها من حيث هواك، وغاية الطاعة أن توافق أمر مولاك، وقد أمرك بالرفق بنفسك فإن كلفتها خيف عليك لدخول هواك، وخذ المباح كرسيا للاستراحة عليه إذ لا تزال[3]حمولة التكليف على ظهر العبد فإذا كلّ وضعها على ذلك الكرسي قليلا ليستريح ويرد النفس، ثم يرجع لحمولة التكليف.

يبقى النظر [في][4]أيّ المباحات يكون أولى لتجميم النفس فيقول العلماء بمثل المزاح وقالت طائفة كثيرة[5]منهم وبالشطرنج، قال ابن عرفة: علق مالك رد الشهادة بها على الإدمان لا المرة بعد المرة لأنه لا يسلم الإنسان من يسير لهو.

قال أبو عمر هذا كله يدلك على أنّ اللعب بها ليس بمحرم لنفسه وعينه إذا لم يقامر به وتستّر، لأنه لو كان حراما لاستوى قليله وكثيره في التحريم إذا ليس

---

(1) المقصود أحمد بن الحسن المعروف بابن الزيات المتقدم.
(2) في ت: "شيوخي".
(3) في م و ط: "تزول".
(4) مابين المعكوفتين غير موجود في ت.
(5) في ت: "كذلك".

بمضطر إليه ولا مما لا ينفك عنه[6] فيعفى عن اليسير منه. قال: وممن أجاز اللعب بالشطرنج سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير[7]ومحمد بن سيرين ومحمد بن المنكدر[8]وعروة بن الزبير[9]وابنه هشام[10]وسليمان بن يسار[11]والشعبي والحسن البصري وأبو وائل[12]وعلي بن الحسين بن علي[13] وابن شهاب وجعفر بن محمد وعطاء على غير قمار اهـ.

---

(6) في ت: "ولأنه لا ينفك عنه".

(7) سعيد بن جبير أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء الكوفي أحد أعلام التابعين أخذ عن ابن عباس وابن عمر وعنه كثير منهم المنهال بن أبي عمرو وأبو عمرو بن العلاء خرج على بني أمية مع ابن الأشعث فتمكن منه الحجاج وقتله سنة 95 هـ وعمره 49 سنة قال ابن حنبل قتل الحجاج سعيدا وما على الأرض أحدا إلا هو مفتقر إلى علمه وبعده بقليل مات الحجاج–وفيات الأعيان ج 2/371 عدد261.

(8) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بالتصغير بن عبد العزى التيمي أبو عبد الله أو أبو بكر أحد الأئمة الأعلام روى عن أبيه وعمه ربيعة وله صحبة وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وعنه ابناه يوسف والمنكدر وزيد بن أسلم والزهري وهما من أقرانه وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد الأنصاري كان من سادات قراء التابعين أثنى عليه غير واحد توفي سنة 131هـ عن 76 سنة –التهذيب ج9/473 عدد 767.

(9) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي أبو عبد الله القرشي الأسدي أحد الفقهاء السبعة بالمدينة شقيق عبد الله سمع من خالته عائشة بنت أبي بكر وعنه أخذ الزهري وغيره توفي سنة 93 هـ بقرية قرب المدينة تعرف بفرع –وفيات الأعيان ج 3/258 عدد 416.

(10) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو المنذر ابن سابقه أحد تابعي المدينة المشهورين المكثرين من الحديث معدود من أكابر العلماء وأجلة التابعين معدود في الطبقة الرابعة من أهل المدينة سمع من عمه عبد الله وابن عمر وراح جابرا وانسا وعنه أخذ يحي بن سعيد وسفيان الثوري ومالك وأيوب السختياني والليث وغيرهم توفى سنة 146 هـ ببغداد–وفيات الأعيان لابن حلكان ج 6ص 8 عدد 780.

(11) سليمان بن يسار أبو أيوب سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أحد الفقهاء السبعة بالمدينة عالم ثقة عابد ورع أخذ عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم وعنه الزهري وجماعة توفي سنة 107 – وفيات الأعيان ج 2/399 عدد 270

(12) شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي أبو وائل أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ وسعد بن أبي وقاص وحذيفة وبن مسعود وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وعنه الأعمش والثوري وغيرهم ، ثقة كثير التحديث مات في خلافة عمر بن عبد العزيز–التهذيب 4/361 عدد 609.

(13) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين رضي الله عنهم يعرف بزين العابدين=

ويقول الصوفية: يكون ذلك بما يجمع بين الارتياح وملازمة [أمر][14]العبودية كي لا تخرج النفس عن مقتضى العبادة فتنسى معنى التعبد فيجمعون نفوسهم بالاجتماع على بعض الأعمال الجهرية من ذكر وسماع [الذي قال في المدونة أكره الإجارة على تعليم النوح قال عياض هو غناء المتصوفة المسمى بالتغبير وتقدم أن مضمون هذا المكروه الإجارة عليه لا سماعه][15]قال في الرسالة: الانفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء ولأمثالنا الاجتماع أنفع، فيعمل بعضنا على رؤية بعض، وينصون أيضا رضي الله عنهم أنه قط ما على هذا[16]الاجتماع معولهم وأنها حالة مرغوب عنها وبطالة بالنسبة لما هو مقصدهم وأنه مهما أخذت النفس من ذلك رجع السامع إلى استدامة[17]خلوته واستراحة عبادته وقد قال ابن البناء[18]بالنسبة للشيخ والمشْيَخَة:

وإنما القوم مُسافرونا / لحضرة القدس وظاعنونا

فافتقروا فيه إلى دليل / [ذي بصر بالسير والمقيل][19]

ثم قال:

فرتب القوم إلى[20] مراتب / ما بين ماش راجل وراكب

وحيث كلت نجب الأبدان / قال احدها ياحادي الأظعان

فمن هنا يلقب القوّالا / حاد لأجل حدوه الرجالا

=يسمى الأصغر ليس للحسين رضي الله عنه عقب إلا من ولد زين العابدين.أحد الأئمة ومن سادات التابعين قال الزهري ما رأيت قرشيا أفضل منه توفى سنة 94 هـ رحمه الله–وفيات الأعيان ج 3/288 عدد 422.

(14) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(15) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(16) في م: "أنه قطعا على هذا".

(17) في م و ط: "التزام".

(18) هو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي أبو العباس المراكشي عرف بابن البنّاء عالم له مكاشفات وله مؤلفات كثيرة له حاشية على الكشاف ومنتهى السول في علم الأصول وغير ذلك من علوم الفقه والتفسير والنجوم والعربية والحساب توفى سنة 724 هـ –النيل ص66.

(19) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(20) في ت: "على".

وقال:

وليس يحتاج إلى السماع ... إلا أخو الضعف القصير الباع

وقال:

وهو صراط عندهم ممدود ... يعبره الواجد والفقيد
ولا يجوز عنده التكلم ... ولا التلهي لا ولا التبسم
ويمنع الأحداث من حضوره ... فإن يكن ذاك فمن ظهوره
وأمروا فيه بغلق الباب ... وإنما ذاك للاجتناب
وليس أيضا كان فيه طر ... ولا مزامير عليها نقر
ولم يكن لأجله اجتماع ... ولا لدي غيبته انصداع

وكان سيدي ابن سراج رحمه الله يقول بهذا كان ينبغي أن يجمم طلاب العلم أنفسهم لولا التشيع والتشنيع، وقد كنت بينت هذا المعنى في رسالة صدرت مني[21]، وأن أكثر العلماء بأحكام الله أنكروا استحداث الزوايا ورأوا الأوقاف عليها معطلة المصرف ومنهم من وافق الصوفية ورشح اتخاذها وأن في الاجتماع بها بركة جمعية[22] من بواطن الشيوخ الماضين لما ينشأ بها من التوبة ولما يلحق بها من الرقة، وقد ورد الخبر: «اطلبوا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة»[23]. ونص القوم على أن مصرف أوقافها هو لفقير صالح متجرد لاحظ في ذلك لتاجر ولا عامل إذا لا يتصور أن يقال صوفي تاجر ولا صوفي دهقان. هذا هو نص القوم فمن أتى الزوايا وهو بهذا الوصف فقد تحمل عهدته من وجب أن يعتقد[24]طريقهم مقدم[25]حسبما يأتي للشاطبي والسبكي وعز الدين وغيرهم.

(21) ذكر المواق مضمون هذه الرسالة في رده على منكري التصبيح والدعاء أدبار الصلوات
(22) في ت: "جميعة".
(23) الخبر "اطلبوا الدعاء عند الرقة ... "ذكره السهروردي في عوارف المعارف بلفظ "اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة"انظر الباب الثاني والعشرين في القول في السماع قبولا وإيثارا.ولم نجد تخريجه في الكتب الستة.
(24) في ت: "تعتقد".
(25)في ت: "فقوم" وهو تصحيف وفي الكلام تعقيد ولعل المعنى "فقد تحمل عهدته من يعتقد أن طريقه قويم".

وأما من أتاها من غيرهم فإن كان من العامة فقد تقدم أن الفتوى تقتضي جواز أن تتسبب العامة فيما لا نفع فيه ولا ضر ما لم تترك لأجله طاعة ولا تحسبه عبادة وانظر إذا كان المختلف في تحليله وتحريمه لا حسبة فيه من باب أولى. إذ[26]لا يحتسب على مثل هؤلاء، بل بالحسبة عليهم يثبتون لأنفسهم مقاما إذ بالضرورة هم خير ممن هو شر منهم ممن لا حسبة عليهم، فإن احتسب هذا المحتسب بنسبة، ويقول ليلة بالمزمر[27] خير من ليلة [من][28] هؤلاء[29] فبالحري أن يقتصروا لأنفسهم بنسبة ويقولون قط ما هو كذا.

وكان سيدي ابن سراج رحمه الله يقول: هذه هي بدعة الضلالة أن يحكم على المباح بأنه[30]مكروه أو بأنه مستحب. ويقول الصوفية من مزج لك كأسا من التذكرة [بذرة][31] من أوصاف بشريته فقد آذاك. ويقولون: كل عارف لا يميت وجوده أمام مريده لا يصل مريد على يديه إلى الله.

وأما إن كان الذي يأتيها من طلاب العلم ولم يكن صالحا فقيرا متجردا فعلى طريق المنكرين من العلماء بأحكام الله يتبرءون منه وعلى طريق القوم لا يتحملون عهدته ولا ينظمونه في سلكهم ولا سيما إن لم يكن القصد إلا السماع، فقد قال الإمام [السيد][32] القدوة الجنيد: السماع فتنة لمن طلبه اللهم لو صادف السماع جمع قدر كحضور صنيع ونحوه فقد، لا حرج كما يأتي لسحنون وغيره. ولأن هذا كان موضوعه زمان[33]الصحابة رضي الله عنهم.

(26) في ت: "أن".
(27) في ت: "بالزمير".
(28) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(29) في ط: "فهؤلاء".
(30) في ت: "أنه".
(31) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(32) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(33) في ت: "زمن" وفي م: "زفاف".

وانظر أيضا كما بوب الصوفية على السماع بوبوا أيضا على السفر [قال في الرسالة: رأى كثير من هذه الطائفة اختيار السفر][34] .

فلهذا أفردنا لذكر[35]السفر بابا لكونه[36]من عظيم[37]شأنهم.

وحكي أن فقيرا قال للكتاني أوصني فقال: اجهد [في][38] أن تكون كل ليلة ضيف مسجد وأن لا تموت إلا بين منزلين. قال وسئل رويم عن أدب السفر فقال: أن لا تجاوز[39]همته قدمه وحيثما وقف قلبه يكون[40]منزله.

قال وقدم شاب[41]على أبي علي الروذباري فلما أراد الخروج فقال يقول الشيخ شيئا فقال: يا فتى كانوا لا يجتمعون على موعد[42][ولا يفترقون عن مشورة][43].

قال: واعلم أن القوم أضافوا أحكام السفر إلى مجاهدتهم[44]رياضة لأنفسهم حين أخرجوها عن المعلومات وحملوها على مفارقة المعارف كي يعيشوا مع الله بلا علاقة ولا واسطة فلم يتركوا شيئا من أورادهم في أسفارهم وقالوا: الترخص[45]لمن كان سفره ضرورة، ونحن لا شغل لنا ولا ضرورة من أسفارنا علينا قال ابن البناء [رحمه الله][46]:

(34) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(35) في م و ط: "لذلك".
(36) في م و ط: "لكونهم".
(37) في م و ط: "عظم".
(38) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(39) في ت: "تجوز".
(40) في ت: "كان".
(41) في ت: "شاه".
(42) في ت: "عن موعد".
(43) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(44) في ت: "مجاهداتهم".
(45) في م و ط: "الرخص".
(46) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

مذهبهم في جولة البلدان زيارة الشيوخ والإخوان
[ثم اقتباس العلم والآثار][47] أو رد ظلم أو للاعتبار
أو للخمول أو لنفي الجاه [أو للرسول أو لبيت الله][48]
ولم تكن أسفارهم تنزها [بل كان فيها نحوه التنزها][49]

وقال:

وكرهوا تضييعه أوراده كيف وقد جاء إلى الزيادة

وكذلك بوبوا[50]أيضا على العزلة [وقد قال عمر رضي الله عنه خذوا بحظكم من العزلة][51]قال في الرسالة: الخلوة صفوة أهل الصفوة والعزلة من أمارات الوصلة ولابد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه[52]، ثم في نهايته لا بد من الخلوة[53]لتحققه بأنسه وليعتقد باعتزاله على الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق فإن الأول من القسمين نتيجة استصغار نفسه والثاني شهود مزيته على الخلق، [و][54]من استصغر نفسه فهو متواضع ومن رأى لنفسه مزية على أحد فهو متكبر.

ريء بعض الرهبان فقيل له أنت راهب؟ فقال لا أنا حارس كلب إن نفسي كلب يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ليسلموا منها. [ثم][55]قال في الرسالة: إن هذا كله للأقوياء وأما لغيرهم فالاجتماع أنفع[56][أن يعمل بعضهم على رؤية

(47) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(48) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(49) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(50) في م و ط: "بوب".
(51) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(52) الرسالة للإمام القشيري انظر ص 101 تحت عنوان الخلوة والعزلة.
(53) في ت: "خلوة" بدون تعريف.
(54) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(55) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(56) في ت: "أفضل".

بعض][57]ومع ذلك إنما هو عندهم تجميم وبالجملة فقد قالوا: عامل البر وطالب العلم كلاهما لا بد له أن يجمم نفسه. وورد في الأثر[58]«طالب العلم وعامل البر كآكل الطعام إن أخذ القوت عصمه وإن أسرف أبشمه»[59].

[و][60] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سلوا هذه النفوس [ساعة بعد ساعة][61]فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد.

وكان ابن عباس يقول إذا أفاض من عنده في الحديث بعد القرآن والتفسير: أحمضوا إذا مللتم من الحديث والفقه فخذوا في الشعر وأخبار العرب كالإبل إذا ملت ما حلا رعت الحمض[62]وهو ما ملح منه.

وقال الزهري: هاتوا من أشعاركم فإن الأذن مجاجة وللنفس[63] حمضة أي[64] تشتهي الشيء بعد الشيء كما تفعل الإبل. وقال أبو الدرداء: إني لأستجمم نفسي ببعض اللهو ليكون ذلك عونا لي على الحق. عن علي رضي الله عنه: القلب إذا أكره عمي.

وروى ابن المبارك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يأخذ بهم في العلم فإذا ملوا أخذوا في غيره حتى يذكر الغراس[65].

وقال أبو عمر في حديث بير حاء[66] أن رسول الله ﷺ كان يأتيها ويشرب من

(57) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(58) في ت: "في الآثار".
(59) أبشمه: أي أتخمه انظر القاموس مادة بشم ولم نجد هذا الأثر في مظانه.
(60) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(61) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(62) في ت: "الحضض" وهو تصحيف.
(63) في ت: "والنفس".
(64) في ت: "أن".
(65) في م: "العراس".
(66) بير حاء في المدينة تنسب إلى رجل اسمه حاء، القاموس باب الألف فصل الحاء، وانظر تاج العروس أيضا 59/1 وقيل سميت كذلك لزجر الإبل لأن الإبل إذا زجرت عن الماء وقد رويت يقال لها حا حا فسميت بذلك بير حاء.

ماء فيها طيب[67]، فقال فيها لا نقيصة على فاضل في حبه الماء[68]. وفيه إباحة دخول الفضلاء للجنات طلبا للراحة والفرح والنظر إلى ما يسلي النفس وما يوجب شكر الله [تعالى][69]على نعمه، وقال ابن مسعود: إن لهذه النفوس[70]شهوة وإقبالا وإن لها نفورا وإدبارا فخذوها عند شهوتها وإقبالها وذروها عند نفورها وإدبارها. وقال أبو حامد: الحاذق بالطب قد يعالج المجذوم[71]باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وإنما يبغي به أن يعيد أولا قوته إليه ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق بالشطرنج ينزل عن الرخم والفرس مجانا ليتوصل به إلى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه والخبير بالقتال قد يعمل الهزيمة ويولي العدو دبره ويستجره إلى مضيق فيكر عليه فكذلك سلوك طريق الله كله[72]قتال مع [العدو][73] الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء.

ثم قال: وهذه حقائق لا يعرفها إلا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم قال: ومن لطائف الرياضة أن النفس إذا كانت لا تسخو بترك الرعونة رأسا أو ترك صفة

(67) أخرجه مالك في الموطأ عن أنس بن مالك قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري مالا بالمدينة وكان أحب أمواله إليه ببر حاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت : "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" قام أبو طلحة فقال يا رسول الله إن الله يقول: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" وإن أحب أموالي ببر حاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ ذاك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة بين أقاربه وبني عمه وهذا الحديث أخرجه البخاري في الزكاة والوكالة والوصايا والتفسير والأشربة ومسلم في الزكاة والترمذي بنحوه في التفسير وأحمد وبن خزيمة وأبو عمر في التمهيد والاستذكار –التمهيد ج 1/ 198، الاستذكار رقم 1881.
(68) في ت: "المال" وهو تصحيف.
(69) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(70) في ت: "القلوب".
(71) في ت: "المجدور".
(72) في م و ط: "كلها".
(73) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

أخرى ولم تسمح بضدها فينبغي أن تنقل من خلق مذموم إلى مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول إذا كان الماء لا يزيل الدم. وكما أن الطبيب لا يعالج العليل ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو ضدها أو يعرف درجتها من ضعيفة أو قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن والزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله. فكذلك الشيخ الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالتكاليف في فن مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم كما[74] أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم كذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وحاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه فيبني على ذلك رياضته.

وتقدم قول صاحب كتاب عوارف المعارف. وما دام المريد لا يتخطى حريم الرخصة فهو بخير، ثم إذا ثبت يتدرج برفق إلى أوطان العزيمة. قال وانقطع شاب إلى الصوفية وكان لأبيه نعمة وصحب أبا أحمد الغلانسي[75]، فربما كان يقع بيد الشيخ شيء من الدراهم فكان يشتري للشاب الحلوى ويقول: هذا خرج من الدنيا وتعود النعمة فيجب أن يرفق به وقد قال سيد الطريقة أبو القاسم الجنيد: إذا لقيت المريد فابدأه بالرفق ولا تبدأه بالعلم فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه. قال: وكل من هو أكمل وأوفر علما كان أكثر رفقا بالمبتدئ السالك. وفي الصحيح كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا[76]. ونقل أبو عمر في تمهيده أن عمر بن

(74) في ت: "وكما".
(75) في م و ط: "الغلانسي" وفي ت: "القابسي" وهو القلانسي، قال في الحلية قال الشيخ: أما أبو أحمد القلانسي فمخصوص بالتواضع والفتوة والاحتمال وطيب القلب والابتذال صحب أبا حمزة وكان يكرمه كما كان ابن وهب يفعل ذلك وذكر أبو نعيم من فضائله وصلاحه قال منبه البصري سافرت مع أبي أحمد القلانسي فكان يحتال لإيثاري وعدم تعرضي للمشاق والمتاعب وعندما أريد أن أتحمل شيئا أو أن يشاركني في الزاد يقول لا تعترض فأنا الأمير وذلك لأنه طلب منه الإمارة عند مخرجهما للسفر، وبه انتفع أبو سعيد الأعرابي وسمنون—حلية الأولياء ج10/306 عدد 578، طبقات الأولياء ص166.
(76) أخرجه البخاري في العلم ومسلم في المنافقين والترمذي في الأدب وأحمد في المسند، وإحدى روايات البخاري عن ابن مسعود قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا. صحيح البخاري 1/31.

الخطاب رضي الله عنه قال: أيها الناس لا تبغضوا الله إلى عباده، فقال قائل منهم وكيف ذلك؟ قال يكون الرجل إماما بالناس يصلي بهم فلا يزال يطول عليهم حتى يبغض[77] إليهم ما هم فيه.

وانظر وصية الخضر لموسى عليه السلام: يا طالب العلم إن القائل أقل ملالة من المستمع فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم وأعرض عن الجهال، واحلم عن السفهاء فإن ذلك فعل الحكماء وزي العلماء، وإذا أسمعك الجاهل كلمة تغيظك فأعرض عنه حلما وجانبه حزما فإن ما بقي من جهله عليك وشتمه إياك أغيظ وأكثر.

ومن الموافقات: الرباني الذي يربي بصغار العلم قبل كباره. قال وعن أبي رجاء العطاردي[78] قال قلت للزبير بن العوام[79] ما لي أراكم يا أصحاب محمد ﷺ من أخف الناس صلاة؟ قال: نبادر الوسواس مع أن التطويل مستحب ولكن جاء ما يعارضه.

وفي البخاري أن رجلا قال يا رسول الله إننا نتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب في موعظة كان أشد غضبا منه يومئذ ثم قال «أيها الناس إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجوز»[80] وفيه أيضا أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ «أفتان أنت» أو «فاتن [81] أنت» ثلاث مرات «فلولا

(77) في ت: "بتبغض".
(78) هو الإمام الكبير شيخ الإسلام عمران بن ملحان التميمي البصري من كبار المخضرمين أسلم بعد الفتح ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم ذكره أبو عمر في الاستيعاب. وقيل رأى أبا بكر الصديق حدث عن عمر وعمران بن حصين وعلي وابن عباس وأبي موسى وعليه تلقى القرآن وعنه أيوب بن عون وبن أبى عروبة وخلق، توفي سنة 105 هـ أو 107 أو 108 والثاني هو الأصح – سير أعلام النبلاء ج 4/253.
(79) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد العشرة المبشرين بالجنة أسلم قديما وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبلى فيها بلاء حسنا استشهد يوم الجمل في جمادى الأولى سنة 36هـ –الإصابة 4/7 عدد 2783.
(80) أخرجه البخاري في الأذان ومسلم في الصلاة والترمذي في الصلاة وابن ماجه في الإمامة وأحمد في المسند والرواية التي ذكر المؤلف رواية البخاري عن ابن مسعود– صحيح البخاري ج1/214 كتاب الأذان الباب 63.
(81) في ت: "أو لفتان".

صليت «بسبح [اسم ربك الأعلى»][82] «والشمس[وضحاها»][83] «والليل إذا يغشى» وذلك في العشاء[84]، قال أبو عمر: ينبغي لكل إمام أن يخفف جهده إذا أكمل الركوع والسجود ولا يجوز له التطويل وإن علم قدرة[85] من خلفه فإنه لا يدري ما يحدث عليهم من حادث وشغل وعارض وحاجة وحدث وبول وغيره. قال وما بعد قيام الصلب والاعتدال من الطمأنينة والمكث قليلا فليس من الواجب ولكنه من الكمال والعمل في الأئمة التخفيف لا يختلفون في ذلك.

وقال في التمهيد: التخفيف لكل إمام أمر مجمع عليه. إلا أن ذلك [إنما هو][86] أقل الكمال وأما الحذف والنقصان فلا، لأن رسول الله ﷺ نهى عن نقر الغراب[87] ثم قال ولا أعلم خلافا من أهل العلم في استحباب التخفيف لكل من أمّ قوما فريضة أو نافلة إلا صلاة الكسوف. قال وقد قال عمر رضي الله عنه: يا أيها الناس لا تبغضوا الله لعباده وقال ﷺ لمعاذ: «أتريد أن تكون فتانا» لما أطال بالناس [في][88] الصلاة.

وانظر في هذا المعنى ما وقع لابن العربي في عواصمه[89]: ينبغي للفقيه

(82) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(83) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(84) الحديث أخرجه البخاري في الأدب الباب رقم 74 ومسلم وأبو داوود في الصلاة والنسائي في الإمامة وأحمد من حديث جابر بن عبد الله بروايات متقاربة والرواية التي أوردها المصنف هي رواية الإمام أحمد في المسند –ج5/20، ورواية البخاري من حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال: يا معاذ أفتان أنت ثلاثا اقرأ والشمس وضحاها وسبح اسم ربك الأعلى ونحوهما –صحيح البخاري ج7 كتاب الأدب ص127.
(85) في ت: "قوة".
(86) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(87) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نقر الغراب أي تخفيف السجود وعدم المكث فيه إلا بمقدار ما يضع الغراب منقاره للأكل ولفظ الحديث: نهى عن نقرة الغراب وافتراش السبع –رواه الإمام أحمد في المسند وأبو داوود وابن ماجه والحاكم في المستدرك من حديث تميم بن محمود عن عبد الرحمن قال الحاكم صحيح تفرد به تميم عن ابن شمل –انظر فيض القدير رقم الحديث 9513.
(88) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(89) كتاب العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لابن العربي طبع مرات.

المجتهد إذا جاءه من وقع في الورطة[90] من يمين أن يخلصه بمسألة ظاهرة بين الصحابة والتابعين إذا رأى أنه إن لم يخلصه بها وقع في أشد منها وهو أن يستهين[91] بالمسألة ويقتحم فيها ما لا يجوز، فالأفضل للمفتي أن يفتح له بابا ويمشي به على طريق، فإنه إن سد عليه باب الشرع فتح هو إلى الحنث بابا يقتحمه، وأخذ في طريق من المعصية يسلكه، ويرى أنه قد وقع في ورطة فلا يبالي ما صنع بعد ذلك.

ثم قال بعد ذلك: فهذه سيرة العلماء المتقدمين، كمالك مع المغيرة وابن القاسم مع ابنه خاف إن كلفه المشي أن لا يفعل فيستهين بمسألة من الدين فيكون ذلك طريقا إلى غيرها فيستهين أيضا بها فأراد أن يخرجه عنها. قال ابن رشد : على قوة الخلاف تقوى مراعاته. وقال ابن العربي أيضا: وجزء من الفتوى عظيم أن يركب المتفق عليه على المختلف فيه، وهذا أمر خفي على علمائنا فافهموه.

وفي حكمة آل داوود؛ ينبغي للعاقل المميز أن لا يخلي نفسه من واحدة من أربع: من غدو لمعاد أوإصلاح لمعاش أو فكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده أو لذة في غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث.

وقد تقدم قول تاج الدين: ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار. قال سهل ابن عبد الله: أسوأ المعاصي حديث النفس وكذلك أيضا عند أهل الحكمة آفة الذهن، قال الحجاج لابن القرية[92]: تزعم العرب أن لكل شئ آفة فما آفة الذهن؟ قال: حديث النفس وآفة العبادة الفترة وآفة العلم النسيان إلى أمور ذكرها. وكذلك الأطباء أيضا قالوا حديث النفس مبتدأ المالخوليا[93] وقال

(90) في ت: "أنشوطة".
(91) في ت: "يستهزئ".
(92) بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة وتشديد الياء المفتوحة اسم شاعر كان من الفصحاء البلغاء ترجم له ابن خلكان فقال أيوب بن أحمد أبو سليمان الهلالي المعروف بابن القِرِّيَّة وهي جدته كان أعرابيا أميا معدودا من جملة الخطباء وقصة قدومه على الحجاج ذكرها ابن خلكان في ترجمته له – في وفيات الأعيان ج1/250.
(93) في ت: "المالحلونيا" وهو تصحيف والمالخوليا مرض عقلي يصيب الذهن بالفساد أو هو الجنون الديني.

جالينوس[94]: يحدث من النظر في العلم من الهم والغيرة والفكرة أمراض كثيرة. وقال في كامل الصناعة[95]: ينبغي للمرء أن لا يدمن ولا يكثر من الفكر فإن ذلك كله مما يغير مزاج البدن ويعين على إنهاكه وضعف الحرارة الغريزية. ومن كان مزاجه حارا فإن هذه الأعراض تولد حميات رديئة بمنزلة حمى الدق[96]وقرحة السل وما يجري هذا المجرى. قال ولذلك ينبغي أن يجتنب الإنسان الأعراض النفسانية كلها وأن يلهي نفسه بالسرور فإنه يقوى الحرارة الغريزية ويحركها إلى ظاهر البدن ويزيد في النشاط ويقوى النفس اهـ من كامل الصناعة.

[وانظر قوله يلهي نفسه بالسرور ويقول الفقهاء بالمزاح. ويقول الصوفية بالغناء. وقد تقدم في المقام قبل هذا أن كليهما مباح][97]. وعرف عياض بابن وضاح[98][قال وبه وببقي بن مخلد[99]صارت الأندلس دار حديث قال وكان ابن

(94) جالينوس أو جاليتوس طبيب يوناني معروف له اكتشافات مهمة في مجال الطب البشري اعتمد عليه الأطباء العرب كثيرا ولد سنة 201 ق.م وتوفى 131 ق م تقريبا –انظر منجد الأعلام ص206.

(95)كامل الصناعة كتاب في الطب معروف بالملكى صنفه علي بن عباس المجوسي لعضد الدولة فناخسر بن بويه الديلمي المتوفى سنة .372 والكتاب جامع لكل ما يحتاج له المتطبب وينقسم إلى جزئين الأول نظري والثاني عملي وصاحبه علي المذكور تلميذ أبي ماهر موسي بن يوسف المتوفى سنة 384هـ–كشف الظنون2/1380.

(96) في م: "العرق".

(97) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(98) محمد بن وضاح مولى عبد الرحمن بن معاوية القرطبي أبو عبد الله روى عن محمد بن عيسى الأعشى ويحيى بن يحيى ورحل ولقي بالمشرق سعيد بن منصور وابن حنبل وابن المديني وغيرهم وسمع سحنونا واصبغ وغيرهم وكان موصوفا بالزهد والفضل والعلم وقد أورد عياض هذه الحكاية في ترجمته في ترتيب المدارك توفى رحمه الله 286هـ–الديباج ص241. الجذوة ص87 عدد 152.

(99)بقي بن مخلد أبو عبد الرحمن من حفاظ الحديث وأئمة الإسلام رحل إلى المشرق وأخذ عن أحمد بن حنبل ،ابن أبي شيبة وجماعة يزيدون على المائتين وكتب المصنفات الكبار مثل تفسير القرآن والمصنف الذي رتبه على أسماء الصحابة ومصنفه في فتاوي الصحابة وغير ذلك روى عنه جماعة منهم أحمد بن خالد وأسلم بن عبد العزيز وعبد الله بن يونس المرادي توفى بالأندلس سنة 276هـ وقيل سنة 273هـ، والأول الأصح–الجذوة ص168.

وضاح][100]معلم [أهل][101]الأندلس العلم والزهد، احتبس لسانه فقال اللهم إن كان في إطلاق لساني صلاح لنشر هذا العلم فأطلقه، فأطلق الله لسانه وأحيا الله به أهل الأندلس، وذكر له كرامات قال وضعف آخر حاله فدله الأطباء على أن يروح نفسه فكان يداعب[102]ويضحك. وكان له ثمانون يوما لا يشغل نفسه فيها بشيء: أربعون في شدة الحر وأربعون في شدة البرد. وقد نص الأطباء بالنسبة إلى الشيوخ وذكروا من تدبيرهم أن يلتزموا الراحة والدعة وليدعوا للكد والتعب إلى أمور ذكروها، قالوا: هذا أن يندفع عنهم الذبول ولا تتحطم أبدانهم بسرعة إن شاء الله. وانظر بالنسبة للفقه أن من خاف مرضا أو زيادته أو تأخر برء بسبب صيام رمضان أو بسبب غسل الجنابة فإنه يترك الفرض ويأكل ويتيمم فمن باب أولى ترك الفضل. ومن هذا المعنى نص [أهل][103]كتب الأحكام بالنسبة للقاضي قالوا: لا يتعب نفسه نهاره كله، قال في الرواية[104]وأخاف أن يكثر فيخطئ وليتخذ أوقاتا لجلوسه ولا يحكم في حال غضب ونحوه.

[و][105] قال في الإحياء: اللهو مروح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر وذلك عون له على الجد. قال: فالمواظب على التفقه ينبغي أن يعطل يوما لينبعث نشاطه في أيام ولو مل العبادة وسكن نشاطه وعلم أنه لو ترفه ساعة بلهو عاد نشاطه فاللهو أفضل له كما قال ابن مسعود: إني لأستجم نفسي بشيء من اللهو ليكون عونا لي على الحق[106].

(100) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(101) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(102) في ت: "يلاعب".

(103) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(104) لعله كتاب رواية الأكابر عن الأصاغر للخطيب البغدادي.

(105) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(106) تقدم عزو المؤلف هذا الكلام لأبي الدرداء قريبا في هذا المقام.

وللمقري ما نصه: **حقيقة**: النفس الأمارة لا تملك إلا بلطائف الحيل، والمطمئنة ذلول لا تنفلت إلا عمن غفل ﴿وأخاف أن يأكله الذيب﴾[107] وقال أيضا ما نصه: **رقيقة**: كان خرق السفينة إراءة لكرامة ﴿فاقذفيه في اليم﴾[108] في مرآة ﴿وكان وراءهم ملك﴾[109] وربما صحت الأجسام بالعلل اهـ. وانظر هذا الأصل كذلك. قال الفقهاء: إن المصلحة إذا كانت أعظم من المفسدة حصلنا المنفعة مع التزام المفسدة كما يبذل في فكاك الأسرى[110] وللظالم[111] افتداء من التعدي. وباتفاق إذا اجتمع ضرران[112] وقي الأصغر للأكبر.

وانظر فاحشة الكذب تضمحل في جنب إصلاح ذات البين. وبالجملة مريد الآخرة إذا استشعر من نفسه أنه إن ارتكب خسيسا لا إثم فيه تخلى بسببه من هواجس نفسه ويجد بعده قلبه[113] مع ربه فلا يأنف[114] منه فلعله[115] يقوم يصلي إثر ذلك المباح مستحضرا الذهن مجتمع البال. ولا شك أن القيام للصلاة كذلك فرض متعين عليه قال سبحانه وتعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾[116].

قال في الإحياء: وهب أن المراد من الآية ظاهرها ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين سبحانه العلة فقال ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ فانظر ربما تجد أحدنا قد رفع همته عن هذه المآخذ العلاجية وارتكب وقارا يربي على وقار الصحابة فضلا عن غيرهم بحيث لو كلف أن يلبس ثوبا تستنقصه به العامة وذلك الثوب قد لبسه

(107) إشارة إلى الآية 13 من سورة يوسف.
(108) إشارة إلى الآية 39 من سورة طه.
(109) إشارة إلى الآية 79 من سورة الكهف.
(110) في ت: "الأسارى".
(111) في ت: "المظالم".
(112) في م و ط: "الضرران".
(113) في م: "قتب".
(114) في م و ط: "يتأنف".
(115) في م و ط: "لعله".
(116) الآية 43 من سورة النساء.

السلف وأجازوه، أوطلب منه أن يحضر لهوا مما فعل مثله في السلف وحضروه لكان ذلك عنده بمنزلة الريح تمر به[117] يقوم يصلي فلا يدري ما يقرأ، أنت تراه ظاهرا على أعلى غاية من الوقار والسكينة والخضوع وهو في الحقيقة قائم بين يدي شهوة من شهواته قرد يبصبص أو كلب ينبح أو خنزير يشره. قالوا: وهبه الله نية [صالحة][118] في وقاره لأجل صون عرضه وحفظ مروءته فقد فاته الصدق بسبب هواجس النفس قال سهل بن عبد الله: أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم وقالوا: إذ اظهر على المرء الوقار أكثر مما في باطنه فهو غير صادق في وقاره، وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرائيا إياهم.

ولهذا قالوا: مخالفة الظاهر للباطن إن كان عن قصد فهو الرياء وإن كان عن غير قصد فقد فاته به الصدق وهذا معنى الأثر «اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي خالصة لوجهك الكريم»[119] وكان بعضهم يتسع في بعض المباحات فعوتب في ذلك فقال: هل خطر على أحدكم خاطر شهوة وهو واقف بين يدي الله؟ قالوا قد يصيبنا ذلك، قال: لو رضيت في عمري بمثل حالكم ما توسعت ولكن ما خطر لي خاطر يشغلني عن حالي إلا نفرته[120] لأستريح منه وارجع إلى شغلي.

وفي الرسالة: الصادق الذي يتمنى يموت ولا يستحي من سره لو كشف قال الله سبحانه ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾[121].

وقال عياض: بينا أشهب مع أصحابه إذ سمع إنسانا ينذر بلص فقام وأخذ سلاحه وخرج يتبعه فقيل له: مثلك لا يليق به هذا، فقال ما كنت لأتخلق بغير ما جبلني الله عليه، ولما نقل عياض هذه الحكاية قال عن بعضهم: رحم الله أشهب ما

(117) في ت: "بمنزلة الذبح ثم به يقوم".
(118) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(119) أخرجه الترمذي في الدعوات من حديث عمر بن الخطاب قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم. الحديث رقم الحديث 3586 وهو في مسند الإمام أحمد.
(120) في ت: "نفيته".
(121) الآية 6 من سورة الجمعة.

كان أصدقه وأخوفه لله. قال: وقال له ابن عبد الحكم يوما: لو أمسكت قليلا، قال: قد علمت الذي تقول ولو فعلت لكنت أجل[122]في أعين الناس، ولكن والله لا أعمل شيئا أبدا إلا أريد به الله اهـ من عياض.

[وعرف أيضا بمحمد بن عيسى[123]من الفقهاء المالكية كان ثقة الثقات وكانت له وجاهة في العلم مع فضل وورع وروى عن ابن القاسم وأشهب وابن وهب وغيرهم، عوتب في كثرة دعابته فقال: علي بن أبي طالب،لم يتركها للخلافة أتركها أنا للشهادة والعدالة؟][124] وقال الشيخ أبو مدين[125]: ترك الدنيا للدنيا شر من أخذها.

ومن الرسالة: من تزين للناس بما ليس فيه سقط في عين الله[126]. ومنها[127] أيضا: لأن ألقى الله بجميع المعاصي أحب إلي من[أن][128]ألقاه بذرة من التصنع. دخل سيار[129]البصرة فبينما هو يصلي وكان حسن الصلاة وعليه ثياب جياد

(122) في ت: "رجل".
(123) محمد بن عيسى بن عبد الواحد المعافري أبو عبد الله المعروف الأعشي القرطبي رحل في العام الذي مات فيه مالمك وسمع ابن عيينة و وكيعا وابن سعيد القطان وغيرهم وتفقه بابن القاسم وابن وهب وغيرهم كانت فيه دعابة وقد ذكر هذه الحكاية عنه القاضي عياض نقلا عن أحمد بن سعيد توفى سنة 218 هـ على خلاف في ذلك انظر ترتيب المدارك4/114
(124) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(125) الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي شيخ المشائخ وسيد العارفين العابد ألف ابن الخطيب القسنطيني في ترجمته وأثنى عليه كثيرا وكذلك التادلي وكان حافظا للحديث عارفا بالقه على مذهب مالك أخذ عن الحافظ أبى الحسن ابن حرزهم والفقيه ابن غالب وأخذ علوم الحقيقة عن أبي يعزى من كلامه "بفساد العامة يظهر ولاة الجور وبفساد الخاصة يظهر الدجالون توفى سنة 594 -النيل ص 128.
(126) في ت زيادة هنا للفقرة التي ستأتي فيما بعد: "ونقل أبو عمر في تمهيده عن مسلم بن يسار قال إذا لبست ثوبا... إلخ" وستأتي هذه الفقرة في المتن حسب ترتيب م و ط فأغنى ذلك عن إدراجها هنا.
(127) في ت: "وفي الرسالة".
(128) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(129) سيار بن دينار وقيل بن وردان أبو الحكم العنبري العابد الزاهد أسند عن طارق بن شهاب وروى عن الشعبي وأبي وائل وابن أبي حازم ونظرائهم وأخذ عنهُ غير واحد منهم مالك بن دينار وهشيم بن بشير وغيرهم وذكر هذه القصة ابن الجوزي في صفة الصفوة في ترجمة سيار عدد 374 وقال في التهذيب ثبت ثقة ويقال في كنيته أبو حمزة قاله يحيى وأحمد=

فرآه مالك بن دينار[130]فجلس إليه فسلم يسار فقال مالك: هذه الصلاة وهذه الثياب، فقال له يسار: ثيابي هذه ترفعني عندك أوتضعني، قال: تضعك قال: هذا أردت، ثم قال: يا مالك إني لأحسب[131]ثوبيك هذين قد أنزلاك من نفسك ما لم تنزلك من الله فبكى مالك وقال [له][132]: أنت سيار؟ قال: نعم، فعانقه مالك [وقعد بين يديه] [133]. ونقل أبو عمر في تمهيده عن مسلم بن يسار[134]: قال إذا لبست ثوبا فظننت أنك في ذلك أفضل منك في غيره فبئس الثوب [هو][135] لك. قال بعضهم: خوفا من هذا كان أكثر الفضلاء يشوشون ظواهرهم بما يستبشعه الناس ويكرهه الشرع لأن[136] قصارى أمره إن لم يثب[137] على تركه فلا يعاقب على فعله وهذا كما اعتذر به بعض الفضلاء فقال: زيادة علم أونقصان ورع إن لم يكن ثواب وإلا فلا حرج. ويقيسونه بمن غص بالطعام أن له أن يسيغها بجرعة من الخمر[138]إذا لم يجد غيره مع أن تحريمه مقطوع به ولا يفوته بتركه إلا حياة فانية فلأن يجوز ما يحكى عن هؤلاء الفضلاء أولي وأحرى إذ يفوت إن لم يتعالج بمثلها القرب من الله ويقولون: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل. ويقولون: ربما صحت الأجسام بالعلل.

=له أحاديث في السنن توفي سنة 122هـ - التهذيب4/292.
(130) مالك بن دينار السلمي مولاهم أبو يحي البصري الزاهد كان أبوه من سبي سجستان روى عن أنس بن مالك والأحنف وشهر بن حوشب والحسن وابن سيرين وعكرمة وعطاء بن ابي رباح والقاسم بن محمد وعنه أخوه عثمان وأبان بن يزيد العطار وغيرهم أثنى عليه غير واحد من السلف في العلم والزهد والورع توفي قبل سنة131 هـ بالبصرة- وفيات الأعيان عدد 551-تهذيب التهذيب 10/14.
(131) في م و ط: "أي لله لأحسب".
(132) ما بين المعكوفتين غير موجود في ب.
(133) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(134) مسلم بن يسار السلولي المدني مولى الأنصار روى عن أبي سعيد الخدري وابن عمر وعطاء بن يسار وغيرهم وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك والليث ثقة قليل الحديث شديد على المبتدعة مات في خلافة المنصور العباسي- تهذيب التهذيب10/138.
(135) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(136) في ط و م: "إذ".
(137) في ت: "إن حرم الثواب".
(138) في ت: "من خمر".

ونقل عياض عن ابن مهدي قال سمعت مالكا يقول: لو علمت أن قلبي يصلح بالجلوس على كناسة لجلست عليها.

ونقل ابن المبارك وغيره عن وهب بن منبه قال كان رجل من أفضل أهل زمانه قال: خرجنا من الدنيا مخافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما[139]دخل على أهل الأموال في أموالهم، أرانا نحب أن نقضي حوائجنا ونحترم لمكان ديننا، وإن اشترينا شيئا نحب أن يرخص لنا لمكان ديننا، فبلغ الملك دين هذا الرجل فركب في موكبه فجاءه[140]وسلم عليه والرجل قد جمع بقلا وزيتا وجعل يجمع البقول في اللقمة الكبيرة ويغمسها في الزيت ويحشو شدقه فقال له الملك: كيف أنت؟ فقال بخير فقال الملك لمن معه ما عند هذا من خير وانصرف عنه، فقال الرجل: الحمد لله الذي صرفه عني وهو لي ذام.

وقد نص في الإحياء أن علاج القلب بمثل هذا مطلوب وعبارة السيد البلالي؛ علاج الرياء والشهوة الخفية بعلم وعمل. ثم قال وأما العمل فبما يسقطه من قلوب الأغيار كأكل بعضهم بشره بحضرة من خاف على نفسه منه فنفر عنه. ونقل عياض في مداركه أن رجلا قال لسهل التستري: بلغني أنك تمشي على الماء فادع لي، فقال: لا أدعو لك حتى تأتي إلى الملاح [فلان][141] فتسأله[142]عن خبري يوم كذا فمضى وسأله فقال له: إنه صعد هناك يتوضأ فزعق وغرق واضطرب بثيابه فترامیت عليه وأخرجته وقد كاد يهلك وعلقناه وسال منه ماء كثير، فرجع الرجل إلى سهل فأخبره فقال له سهل: أما بعد هذا فأنا أدعو لك فدعا له، قال عياض وهذا من سهل فعل كبير [وتواضع][143].

(139) في ت: "أكثر ما دخل".
(140) في ت: "وجاءه".
(141) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(142) في م و ط: "وتسأله".
(143) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

وعرف عياض بأبي العباس الأبياني[144] قال كان عالم إفريقية غير مدافع أشخص الوالي فيه ليوله القضاء فسبق أبو[145]العباس إلى السلطان من ينقصه عنده ثم دخل إليه أبو العباس في زي بدوي حاف ونعلاه في يده فلما رآه السلطان صدق ما قاله القائل فعرض عليه القضاء فعافاه، ويقول أهل الحقيقة في مثل هذا: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل. يقول العلماء بأحكام الله: الأكل في السوق دناءة. وقيل لبعض أهل الحقيقة: أتأكل في السوق؟ قال: ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت! فقيل[146]له: ادخل[147]في المسجد، فقال: استحي من ربي أن أدخل بيته آكل فيه. [وانظر حكاية الحائك مع ابن المبارك في المقام التاسع بعد هذا][148] قال: في الإحياء ولا يفهم من قولنا في أوصاف الباطن الذميمة كلب أو خنزير أو قرد إلا التنبيه على المعنى. وفرق بين تغيير[149]الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذا هو طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن تعبر مما ذكر إلى غيره ولا تقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له عبرة بان يعبر بها[150]إلى التنبيه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر[151]أنت من الكلب الذي ذم لصفته لا

(144) هو عبد الله بن أحمد التونسي المعروف بالأبياني الإمام الفقيه القائم على مذهب الإمام مالك تفقه بيحي بن عمر وأحمد بن سليمان وحمديس وغيرهم وعليه الأصيلي وسعيد بن ميمون وابن أبي زيد وغيرهم توفي سنة 352 هـ-شجرة النور الزكية عدد 173 ص 85، ترتيب المدارك 2/48.
(145) الظاهر أن تكون أبا العباس حتى يستساغ نصبه كمعمول لسبق ولكن لعل سبق هنا تمت تعدية بالتضعيف وأبو العباس فاعل. وقد تصرف المصنف في كلام عياض.
(146) في ت: "فقال".
(147) في ت: "فادخل".
(148) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(149) في ت: "تعبير".
(150) في م و ط: "منها".
(151) في ت: "فاعتبر".

لصورته وهو ما فيه من سبعية إلى روح الكلبية فتعلم أن القلب المشحون بالغضب والحرص على تمزيق[152]الأعراض كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعاني[153]دون الصّور[154]والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور للمعاني[156]وتغلب المعاني فلذلك ورد أن كل شخص يحشر على صورته المعنوية وقد رشح الشاطبي هذا المعنى واستدل باستشهاد عمر رضي الله عنه على الذي رآه يشتري لحما أين تذهب بحكم[156]هذه الآية﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾[157]والآية إنما نزلت في الكفار فلم يمنع عمرا إنزالها في الكفار من الاستشهاد بها في مواضع اعتبارا بما تقدم وهو أصل شرعي اهـ من الموافقات. وانظر من هذا المعنى في الباب الخامس والثلاثين من سراج الطرطوشي قوله تعالى ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾[158]قال: أثبت سبحانه المماثلة، ومعلوم أنهم لم يماثلونا في خلقنا وأشكالنا وعقولنا فلا تبقى المماثلة إلا في الأخلاق فلا أحد إلا وفيه خلق من خلق البهائم فإذا رأيت إنسانا فيه خلق خارج عن الاعتدال فانظر ما يماثل ذلك الخلق من خلق سائر البهائم فألحقه به وعامله كما تعامله فتستريح من المنازعة وتدوم الصحبة اهـ. وهذا بالنسبة إليك فانظر بالنسبة إليه لما[159]تقتضيه أخوة الإيمان. يقول النبي ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه»[160] فتحتال لنصح نفسه الأمارة كما تحتال لنصح نفسك الأمارة فلا تقل له في حال غضبه: اذكر الله

(152) في ت: "طريق".
(153) في ت: "المعنى".
(154) في ت: "الصورة".
(155) في ت: "المعاني".
(156) في ت: "بكم" وهو تصحيف.
(157) الآية 20 من سورة الأحقاف.
(158) الاية رقم 38 من سورة الأنعام.
(159) في م و ط: "مما".
(160) الحديث رواه البخاري في الصحيح باب علامة الإيمان ومسلم عن أنس بن مالك وأخرجه كذلك النسائي في كتاب 47 الباب 33 وابن ماجه في المقدمة – مفتاح كنوز السنة ص488.

أو صل على رسول الله ﷺ خوف أن يحمله الغضب على أن يزيد في عصيانه، قاله النووي ونحوه لعز الدين قائلا: لذلك ترك السلف الصالح الإنكار على الفسقة والظلمة لعلمهم أنه لا يجدي، ومنهم من إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فيزداد ظلما لظلمه وفسقا لفسقه والأصل في الأمر بالمعروف تقليل الشر بخلاف الجهاد وتأمل قول الله سبحانه ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[161] وقد تقدم قول أبي حامد: سلوك طريق الله كله قتال للشيطان ومعالجة للقلب فالبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل.

[وتقدم للمقري في **حقائقه**: النفس الأمارة لا تملك إلا بلطائف الحيل][162].

وانظر عوائد الشعراء كيف يقدمون التغزل والتشبيب على مرادهم حتى أنكر المتنبي[163] أن يكون ذلك هو المقصود فقال:

إذا كان مدح فالنسيب مقدم ... أكل فصيح قال شعرا متيم[164]

فأشار إلى أن ذلك إنما هو تهييج[165] للنفس وتنبيه للسامع أن يصغي إلى ما بعد ذلك كما قاله الآخر وهو مالك بن المرحل[166]في نقر العود:

(161) الآية 29 من سورة الفتح.
(162) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(163) المتنبي أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي الشاعر المعروف اشتغل في بداية عمره بالعربية وعلومها حتى برع فيها ثم أصبح شاعرا متجولا بين الأمراء وقتل بين فارس و بغداد سنة 354هـ قصة حياته ومقتله مبسوطة في وفيات الأعيان ج1/122 عدد 50.
(164) البيت مطلع قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة قالها سنة 338هـ وبعده:
لحب ابن عبد الله أولى فإنه ... به يبدأ الذكر الجميل ويختم
الديوان 4/69
(165) في ت: "إنها تهييج".
(166) القاضي أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن السبتي، يعرف بابن المرحل الإمام الجليل أخذ عن أبي علي الشلويين وأبي القاسم بن بقي وعنه أبو جعفر بن الزبير وله ديوان شعر رائق في الأمداح النبوية ونظم كتاب التسيير عارض به الشاطبية ونظم فصيح ثعلب وغير ذلك ولد سنة 604 هـ وتوفى سنة 699هـ الشجرة عدد 697.

ضل المحبون إلا شاعرا غزلا   يطارد المدح بالتشبيب أطوارا
لا يذكر الحب إلا في مدائحه   دعوى ليمتع أسماعا و أبصارا
كناقر العود وشيٍ فيه توشية   وبعد ذلك غنى فيه أشعارا

وقد قصد صاحب البردة[167]التبرك بمدح[168]رسول الله ﷺ وقد بدأها بالتشبيب وكذلك حسان بن ثابت[169] في قصيدته[170]التي قال فيها :

هجوت محمدا فأجبت عنه   وعند الله في ذاك الجزاء

فافتتحها بالتشبيب والتغزل فقال:

عفت ذات الأصابع فالجواء   إلى عذراء منزلها خواء

وقال الفخر[171]في تفسيره أقوى الأقوال في فواتح السور: ما حكيناه عن قطرب[172]من أن المشركين قال بعضهم لبعض﴿لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا

(167) هو كعب بن زهير والبردة اسم أطلق على قصيدته التي مطلعها:
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول
وسبب تسميتها البردة أنه لما أنشدها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبا معتذرا خلع عليه ارسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بردته، ثم أطلق البردة على ميمية البصيري التي يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومطلعها:
أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

(168) في م و ط: "البرء بمديح".

(169) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمر بن زيد مناة الأنصاري الخزرجي ثم النجاري شاعرالرسول صلى الله عليه وسلم وقد روى عنه أحاديث كان شاعر قومه قبل الإسلام ثم أصبح شاعر الإسلام المدافع عنه مات سنة 40هـ بعد أن عاش حوالي 120 سنة الإصابة ج 2/238 عدد 1700.

(170) هذه القصيدة قالها حسان بن ثابت قبل الفتح يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ويرد فيها على أبي سفيان بن الحارث الذي هجا النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه ومطلعها:
عفت ذات الأصابع فالجواء   إلى عذراء منزلها خلاء
وليس خواء كما ذكر المؤلف – خزانة الأدب ج4/44.

(171) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري الطبرستاني الرازي الملقب فخر الدين الفقيه الشافعي له تصانيف عديدة منها تفسير القرآن الكريم وهو كبير ولم يكمله وألف في علم الكلام المطالب العالية ونهاية العقول والبيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان وفي الأصول المحصول وغير ذلك من الفنون وتوفى سنة 606هـ بهراة من أعمال الري – وفيات الأعيان ج 4/252 عدد 600، طبقات الكبرى ج8/93.

(172) هو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري مولى سالم بن زياد=

فيه﴾[173] فكان يتكلم رسول الله ﷺ في أول السور بهذه الألفاظ فلا يفهمون منها شيئا والإنسان حريص على ما منع فكانوا يصغون للقرآن ويتفكرون فيه رجاء أنه ربما كان كلام يفسر ذلك المبهم ويوضح ذلك المشكل فصار ذلك وسيلة إلى أن يصيروا مستمعين للقرآن ومن هذا المعنى نزول الوحي أول أبواب البخاري قال فيه: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ. وجاء أيضا أنه أتاه في مثل صلصلة الجرس[174]أن[175]تجمع العوالم للإصغاء. وانظر أيضا ما في البخاري [إذ قال ﷺ «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟»[176].

وكذلك في البخاري][177]إذ كان معاذ رديف رسول الله ﷺ على الرحل فقال رسول الله ﷺ «يا معاذ بن جبل» قال لبيك يا رسول الله و سعديك قال «يا معاذ بن جبل»[ثلاثا][178]انظر آخر أبواب العلم[179]ومثله حديث أبي ذر[180]ومثله في

=يعرف بقطرب أخذ عن سيبويه وجماعة من البصريين حرص على التعلم والاشتغال به له تصانيف منها كتاب معاني القرآن والاشتقاق والقوافي والنوادر والأزمنة وهو أول من وضع مثلثا في اللغة العربية وعلى نهجه سار من جاء بعده من علماء اللغة توفى سنة 206 هـ – وفيات الأعيان ج 4/313 عدد 635.

(173) الآية 26 من سورة فصلت

(174) حديث بدء الوحي رواه البخاري في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها وهو أول باب من أبواب الكتاب رقم الحديث 2 و 3 وفي الباب أحاديث أخرى عن جابر وابن عباس رضي الله عنهم ورواه مالك في الموطأ وغيره.

(175) في م و ط: "أو"

(176) حديث "يامعاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله" قلت الله ورسوله أعلم قال "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لايشرك به شيئا"فقلت يا رسول الله أفلا أبشر به الناس ؟ قال"لا تبشرهم فيتكلوا" – أخرجه البخاري في كتاب الجهاد في باب اسم الفرس والحمار الحديث رقم 2856

(177) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط

(178) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت

(179) الحديث رواه البخاري في كتاب العلم الحديث رقم 128 وتمامه: "مامن أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار" قال معاذ يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال "إذن يتكلوا". وأخبر بها معاذ عند موته تأثما أي مجانبة للإثم.

(180) لعل الحديث المشار إليه هو حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال=

الصحيح على حسب ما ذكر الترمذي إذ قال ﷺ «قل»فلم أقل شيئا قال في الثالثة [«قل]«[181]قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»[182]وانظر حديث الموطإ إذ قال ﷺ لأبي بن كعب[183]«إني لأرجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور[مثلها][184]» قال أبي: فجعلت أبطئ في المشي رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله ﷺ السورة التي وعدتني قال كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة فقرأت الحمد لله إلى آخرها؟ فقال رسول الله ﷺ: «هي هذه والسبع المثاني»[185]اهـ فانظر قد[186] كانت السورة في حفظ أبي بن كعب ومع ذلك أبهمها له النبي ﷺثم مع الإبهام سكت عنه ﷺ حتى توفرت دواعي أبي للاشتياق لمعرفتها أن تقع من الموقع التي هي في الفضل. قال عياض: وقد عد جماعة من العلماء ومقلدي الأمة في إعجاز القرآن وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه، يستلذ به في الخلوات ويؤنس

=سمعته يقول: "أتاني آت من ربي عز وجل فأخبرني" أو قال "فبشرني" - شك من ابن مهدي - "أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة" قلت وإن زنى وإن سرق قال "وإن زنى وإن سرق" هذا لفظ أحمد في المسند الحديث رقم 21471 وهو في صحيح البخاري بلفظ: "قال لي جبريل من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة أو لم يدخل النار قال وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق" صحيح البخاري كتاب بدء الخلق الحديث رقم 3222.

(181)ما بين المعكوفتين غير موجود ة في ت.

(182) الحديث أخرجه الترمذي وأبو داوود والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح

(183) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري أبو المنذر سيد القراء من أصحاب العقبة الثانية شهد بدرا والمشاهد قال له النبي صلى الله عليه وسلم "ليهنئك العلم أبا المنذر" كان عمر يسميه سيد المسلمين وعده في الستة أصحاب الفتيا، أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مات في خلافة عمر سنة 22هـ-الإصابة1/26 عدد32، الاستيعاب1/126 عدد 6.

(184) ما بين المعكوفتين غير موجود ف ت.

(185) الحديث أخرجه مالك في الموطأ من حديث أبي سعيد مولى عبد الله بن عامر بن كريز وأخرجه الترمذي في سننه من حديث أبي بن كعب بهذا اللفظ أيضا-انظر الجامع الصحيح للترمذي كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل الفاتحة 5/155.

(186) في م: "فقد".

بتلاوته في الأزمات، وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك، حتى أحدث أصحابها فيها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها اهـ.

انظر قول عياض إن اللحون تنشط، وقد قال ابن العربي: لا خلاف أن شرع من قبلنا شرع لنا.

في المسائل المالكية قال: وقد كره مالك التطريب في الأذان، ولم ير لمن يأخذ على التلحين في [رمضان][187]أجرة ولا أجرا لأنه كرهه وذلك لأن نية الدنيا دخلته وكأنه إنما يبيع صوته والأجرة على الصلاة جائزة عندنا والقراءة بالتلحين سنة وسماعه يزيد إيمانا بالقرآن[188]وغبطة ويكسب القلب[189]خشية، قال: وقد ثبت من كل طريق أن أبا موسى قال للنبي ﷺ لو علمت أنك تسمعني لحبرته لك تحبيرا. قال ابن مغفل[190]رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح يقرأ سورة الفتح قال فرجع فيها ثم قرأ ءا ءا ءا[191]يحكي قراءة النبي ﷺ قيل: كيف ترجيعه؟ قال ءاءاءا ثلاث مرات[192] قال ابن بطال: أجاز القراءة بالتلحين عمر بن الخطاب وغيره.

وسمع ابن القاسم: كره مالك أن يقال للحسن الصوت اقرأ علينا قيل: أفرأيت الذي قال عمر لأبي موسى ذكرنا ربنا، قال: والله ما سمعت هذا قط قبل هذا المجلس قال ولا أحب أن يعمل بذلك ثم تأول ابن رشد كلام مالك ثم قال: لا يكره ذلك

(187) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

(188) في م و ط: "بالقراءة".

(189) في ت: "القلوب".

(190) هو عبد الله بن مغفل بن عبد غنم ينتهي نسبه إلى أد بن طابخة المزني أبو سعيد أو أبو زياد أو هما معا من مشاهير الصحابة سكن في البصرة وهو أحد البكائين في غزوة تبوك شهد بيعة الشجرة بعثه عمر من بين عشرة لتفقيه الناس بالبصرة حيث مات بها رضي الله عنه سنة 59 وقيل سنة 60 هـ وصلى عليه أبو برزة الأسلمي تنفيذا الوصية -الإصابة عدد 4963.

(191) مكان ءا ءا ءا في النسختين م و ط بياض وأثبتناه من النسخة ت.

(192) الحديث أخرجه البخاري في التوحيد من حديث عبد الله بن مغفل أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح على ناقة له يقرأ وهو يرجع ءا ءا ءا. وفيه عن معاوية بن قرة عن ابن مغفل كيفية ترجيعه صلى الله عليه وسلم-صحيح البخاري كتاب التوحيد الحديث 7540.

إذا قالوا [له][193] ذلك استدعاء لرقة قلوبهم بسماع قراءته الحسنة وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا ربنا، فيقرأ عليه وكان حسن الصوت، قال وهذا لا باس به إذا صح من فاعله على هذا الوجه اهـ [بعض][194] كلام ابن رشد.

وقال في موضع آخر: وحسن الصوت بالقرآن موهبة من الله وعطية لصاحبه لأن حسن الصوت [به][195] مما يوجب الخشوع ورقة القلب ويدعو إلى الخير قال وقد قيل في قوله تعالى ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾[196] إنه حسن الصوت وقال رسول الله ﷺ [لأبي موسى][197] تغبيطا [له][198] بما وهبه الله من حسن الصوت: «لقد أوتيت مزمارا من مزامير[199] آل داوود»[200] وقال ﷺ: «ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي يتغنى بالقرآن»[201] أي ما استمع[202] لنبي يحسن صوته بالقرآن طلبا لرقة قلبه بذلك، قال: وأحسن عندي أن يكون معنى «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[203] أي من لم يستلذ بسماع قراءة القرآن لرقة قلبه كما يلتذ أهل الغواني بسماع غوانيهم اهـ بعض كلام ابن رشد.

(193) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط و في م و ط: "لايكره ذلك إلا إذا قالوا" بزيادة "إلا" وهو تصحيف لعدم استقامة المعنى.
(194) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(195) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(196) الآية 1 من سورة من سورة فاطر
(197) ما بين المعكوفتين ساقط من ط. و م.
(198) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(199) في ت: "من مزامير داوود" والصحيح ما أثبتناه لأنه نص الحديث.
(200) الحديث رواه البخاري في الصحيح ومسلم وأحمد والنسائي والترمذي وقال فيه حديث غريب والدرامي والبيهقي وغيرهم البخاري 10/113 عدد 5048 مسلم 6/80 المسند 2/349 النسائي 2/181 عدد 1017 الترمذي عدد 3755 بن ماجه 1/425 الدرامي1 عدد 1497 البيهقي 10/230.
(201) الحديث رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه والدرامي والبيهقي وغيرهم البخاري عدد 7544مسلم 6/79 أحمد 2/450 النسائي 2/180 بن ماجه 1/425 الدرامي 1/288 عدد 1496.
(202)في م و ط: "اجتمع" وهو تصحيف.
(203) إشارة إلى الحديث "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" أخرجه البخاري في التوحيد عن أبي هريرة 13/418، وأحمد في المسند رقم 1476–1513، وأبو داوود في الصلاة 1469 والدارمي في فضائل القرآن 2/471 من حديث سعد بن أبي وقاص.

ونقل عياض عن سحنون أنه قال لرجل اقرأ علي ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة﴾[204] فقرأها فلما بلغ القارئ ﴿فتسذكرون ما أقول لكم﴾[205] الآية قال حسبك وهو يبكي.

قال عياض: كان سحنون رقيق القلب ظاهر الخشوع راهب هذه الأمة ولم يكن بين مالك وسحنون أفقه من سحنون، قال القابسي: إني لأجد [في نفسي][206] من خلاف سحنون لمالك ما لا أجد من خلاف ابن القاسم لمالك. وقال ابن حارث[207]: سحنون إمام الناس أظهر السنة وأخمد[208] البدعة وفرق أهل البدع من الجامع، وكان شديدا على أهل البدع، وكان الذين يحضرون مجلسه من العباد أكثر ممن يحضره من طلبة العلم. قال عياض: خرج سحنون وابن رشيد[209] وابن الصمادحي[210] إلى المنستير[211] ومعهم من يغبر، قال الراوي: فنظرت إلى سحنون تسيل دموعه على

(204) الآية 41 من سورة غافر.
(205) الآية 44 من سورة غافر.
(206) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(207) في ت: "الحارث" وهو تصحيف واسمه محمد بن حارث بن إسماعيل الخشني أبو عبد الله تفقه بالقيروان على أحمد بن نصر وأحمد بن زياد وأحمد بن يوسف وابن اللباد والممسي وغيرهم من شيوخ أفريقية قدم الأندلس وسمع من علمائها واستوطن بقرطبة حافظ للمذهب المالكي متقدم فيه نبيه فطن متقن للفتوى ولاه الحكم المواريث ببجاية ثم ولي الشورى بقرطبة ألف تواليف جيدة منها كتاب الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك وكتاب في الفتيا وتاريخ علماء الأندلس وتاريخ قضاتها وتاريخ الأفريقيين وكتاب فقهاء المالكية وكتاب التعريف توفي بقرطبة سنة 361هـ –ترتيب المدارك 2/167–168.
(208) في م و ط: "أخمل"
(209)هو محمد بن رشيد أبو زكرياء الفقيه الإفريقي معاصر لسحنون رحل إلى ابن القاسم وأخذ عنه وصفه أبو العرب الإفريقي بالثقة توفى سنة 221 هـ – الديباج ص 318.
(210) هو أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي الإمام الثقة الأمين العالم بالحديث والفقه أخذ عن أبيه ووكيع بن الجراح والفضيل بن عياض وعلي بن مهدي وغيرهم وعنه علماء أفريقية وابن وضاح وأحمد بن يزيد القرطبي كان عابدا وقد كان يرابط بالمنستير قال تلميذه فرات: حدثنا سحنون قال كنا نرابط بالمنستير في شهر رمضان ومعنا جماعة من أصحابنا فكان موسى بن معاوية أطولهم صلاة وأدومهم عليها توفي سنة 225هـ – شجرة النور ص69 عدد76.
(211) المنستير بضم ففتح فسكون المهملة فكسر المثناة الفوقية موضع بين المهدية وسوسة=

لحيته، ثم سكت الفتى فقال سحنون: يرتجي أن يرفع صوته لو كان من يقول له وأبى أن يقول له. قال عياض عن ابن الصمادحي المذكور أنه سمع من ابن القاسم قال وسمع منه سحنون قال: وكان من أهل العلم[212]والدين مباينا لأهل البدع قال سحنون: ما جلس منذ ثلاثين سنة أحق [بالفتوى][213] من ابن الصمادحي، وقال عياض عن ابن رشيد المذكور: إنه [ثقة][214]من أهل العلم والفقه وروى عن ابن وهب وابن القاسم وعن بعض أصحاب سحنون قال عرست فدعوت لليلة عرسي جماعة من أصحابنا وفيهم رجل من أهل المشرق من أصحاب ابن حنبل قدم علينا وكنا نسمع منه فكان أصحابنا في أول الليل في تغبير وخشوع ثم أخذوا بعد ذلك في مسائل العلم ثم ابتدروا بعد ذلك إلى زوايا الدار يصلون أحزابهم فقال الشيخ: أصحاب من هؤلاء؟ ومن معلمهم[215]؟ فوا الله ما رأيت قط أنبل من هؤلاء وما صحب هؤلاء رجل إلا نبلوه، فقالوا: أصحاب سحنون، فقال: والله لقد رأيت أصحاب العلماء عندنا في المشرق فوا الله ما رأيت مثل هؤلاء.

قال عياض: [وكان][216]حمديس[217]ينكر على هؤلاء الذين يجتمعون للتغبير ويدقون صدورهم قال وهو الذي صلى على ابن معتب[218]قال: وكان ابن معتب هذا

=بإفريقية، مدينة من مدن تونس المعاصرة وهناك موضع آخر بالأندلس يدعى المنستير والمقصود هنا الموضع الذي بتونس – معجم البلدان 209/5.

(212) في ت: "الورع".

(213) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(214) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(215) في ت: "معهم".

(216) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

(217) حمديس هو أحمد بن محمد الأشعري المعروف بحمديس القطان من أصحاب سحنون وأخذ عن ابن القاسم وأشهب وابن وهب كان مثلا في العلم والفضل والخير وكان ينكر فعل هؤلاء الذين مجتمعون للتغيير ويقول لو كان لي من الأمر شئ لنفيتهم من المستنير. كما ذكر في المصنف نقلا عن القاضي عياض، توفي حمديس سنة 289 وصلى عليه محمد بن سحنون – المدارك ج518/1 و الديباج ص31.

(218) ابن معتب أحمد بن معتب ابن أبي الأزهر أبو جعفر سمع من سحنون وأبى الحسن الكوفي والقاضي إسماعيل وصحب ابن المبارك كان عالما بالرجال والحديث والتفسير =

ثقة عالما بالحديث صحيح اليقين بالله وكان فيه رقة [مر][219]في طريقه إلى مسجد السبت بدار فسمع فيها غناء فقرع الباب فخرج إليه صاحب الدار فاستأذنه في الدخول فاستحيا صاحب الدار واعتذر فقال: لا بد.

فدخل صاحب الدار قبله وغيب ما كان بين أيديهم ثم أذن له ودخل فسلم وقال: من المتكلم؟ قالوا: هذا. فقال: سألتك بالله إلا أعدت ما سمعت منك فقال مغنيهم:

العفو أولى لمن كانت له القُدَرُ — لاسيما عن مقر ليس ينتصر

أقَرَّ بالذنب إجلالا لسيده — وقام بين يديه وهو يعتذر

فبكى ابن معتب وحن وأن ورده مرارا وانتحب وقام وقال: تاب الله عليكم وخرج فتاب صاحب الدار وسار أحمد إلى مسجد السبت.

قال ابن اللباد[220]حضرت مجلس الذكر يوم السبت وابن معتب حاضر وكان له بكاء ونوح وكان القراء إذا علموا به تحركوا [فقرؤوا][221]وغبروا وأخذوا في تغبير

دع الدنيا لمن جهل الصوابا — فقد خسر المحب لها وخابا

ثم قال:

يظل نهاره يبكي ببث — ويطوي الليل بالأحزان دابا

تحرك وبكى ثم قرأ ﴿يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون...﴾ الآيات الثلاث[222]فصاح صيحة شديدة ثم سقط على وجهه فأقام ساعة وأسنده إنسان إلى صدره وكُلِّمَ فلم يتكلم وقد أغلق عينيه ثم قاء شيئا أخضر فلما انقضى المجلس ختم بالدعاء، أردنا أن نحمله على دابة فلم نستطع، إذ لا يثبت. فجئنا

=توفى سنة 277 وقد أورد القاضي عياض القصة كاملة في ترتيب المدارك ج4/ص 353.

(219) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

(220) هو محمد بن محمد بن وشاح مولى موسى بن نصير اللخمي من أصحاب يحيى بن عمر وحمديس القطان وعبد الجبار بن خالد وسمع منه جماعة منهم أبو أحمد وابن أبى زيد وأبن حارث وصف بالعلم والفقه وكان مجاب الدعوة توفي سنة 333هـ–ترتيب المدارك ج 5 ص 286.

(221) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(222) الآيات 68–70 من سورة الزخرف.

بمحمل على جمل فحمل وأخذ[223] من في المسجد يبكي كأنه مأتم وحمل في شق المحمل وزامله ابن عم له ثم أتى به داره فقاء شيئا اخضر ولم يتلكم وتركناه لنسائه، فلما كان بعد العشاء الأخيرة توفى رحمه الله وغلقت الحوانيت كأنه يوم عيد.

قال ابن اللباد: وحضرت غسله وقد كسي نورا وضياء [بدن][224] وصلى عليه حمديس، ونودي على جنازته: أيها الناس لا تفتكم جنازة ابن معتبٍ، شهيد القرآن.

وعرف عياض بابن اللباد هذا قال: كان كثير الاتباع للسنن أحد شيوخ وقته فقيها مفتيا مجاب الدعوة، عول الشيخ أبو محمد[225] عليه وعلى الممیسي[226] قال وكان يحضر مجلس السبت ويقول هو يغيظ بني عبيد[227]، وقال عياض: عن هذا المسجد كان يجتمع إليه جماعة من أهل الفقه والصلاح والرقة ويقرأ القرآن وينشد أشعار الزهد.

---

(223). في ت: "وخرج".

(224) ما بين المعكوفتين غير موجود في م وفي ط: "ضياء برق".

(225) المقصود به ابنِ أبي زيد المتقدم.

(226) المميسي بميمين نسبة إلى مميس بأفريقية أبو الفضل العباس بن عيسى الفقيه الورع الزاهد الإمام الثقة العابد العامل أخذ عن جبلة ويحيى بن عمر وموسى القطان وغيرهم من أهل المشرق والمغرب وعنه جماعة منهم ابن أبي زيد وكان يشبه به في أحواله وأبو الأزهر بن معتب وغيرهم وله كتاب في تحريم الخمر مات في قتال بني عبيد الشيعة قرب المهدية سنة 333هـ - الشجرة عدد 160 ص83.

(227) هم الشيعة الفاطميون الذين يدعون أنهم علويون فجدهم أبو محمد عبيد الله الذي تلقب بالمهدي يدعي أنه علوي وقد اتخذ من المهدية في المغرب الأدنى عاصمة لدولته ودعا لنفسه سنة 297هـ ومات سنة 322هـ وخلفه ابنه أبو القاسم القائم بأمر الله الذي حاول احتلال مصر ولم يتفق له ذلك وإنما لابنه المعز باني مدينة القاهرة سنة 359هـ وظل حكم الفاطميين بهذه البلاد من المغرب إلى مصر حتى سنة 567هـ فبعدَ وفاة العاضد الفاطمي أمر صلاح الدين بإقامة الخطبة لبني العباس على منابر القاهرة وقد اختلف في نسب الفاطميين هؤلاء ففي حين نسب البعض عبيد الله المهدي إلى لحسن بن علي نسبه البعض الآخر إلى جعفر الصادق قال ابن كثير في البداية والنهاية نقلا عن ابن خلكان: "والمحققون ينكرون دعواهم النسب" ثم قال: "قد كتب غير واحد من الأئمة منهم أبو حامد الأسفرائني والقاضي الباقلاني وغيرهم أن هؤلاء أدعياء ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمونه وأن والد عبيد الله المهدي كان يهوديا صباغا بسلمية وقيل كان اسمه سعد ولقب بعبيد الله من طرف زوج أمه القداح" وقد استمرت هذهُ الدولة الشيعية تسيطر على إفريقية ومصر أزيد من قرنين من الزمن ولقيت معارضة وصراعا في بداية قيامها -البداية والنهاية 11/191- 192و2/283.

وكذا حكى عياض عن ابن التبان[228] قال هو الفقيه الإمام من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين قال ضربت إليه أكباد الإبل من الأمصار لعلمه بالذب عن مذهب مالك قال: وكان مستجاب الدعوة يميل إلى الرقة يسمع التغبير ويرق لهذه المعاني، سأله الخراط[229] يوما وقد وجد عنده مغبرا فقال: أليس التغبير بدعة؟ قال له والاجتماع أيضا على المسائل بدعة. فشق هذا الكلام على السائل[230].

انظر نص العلماء والسلف أبي ابن كعب وزيد[231] وغيرهما كانوا يكرهون السؤال في العلم عما لم ينزل. وقال مالك أيضا: أدركت أهل هذه البلدة وما عند أحدهم علم غير الكتاب والسنة فإذا نزلت نازلة جمع الأمير من حضر من العلماء فما اتفقوا عليه أنفذه وأنتم تكثرون المسائل و رسول الله ﷺ قد نهى عنها[232] اهـ نص مالك.

وقال عياض: لما مات ابن التبان المذكور، قال القابسي: رحمك الله لقد كنت تغار على المذهب وتذب عن الشريعة.

---

(228) أبو محمد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان أحد العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين كان عدوا لبني عبيد الفاطميين أخذ عنه جماعة توفى سنة 371هـ- الديباج ص 138.

(229) أبو عبد الله الخراط ذكره صاحب المدارك عرضا عدة مرات ولم نظفر بترجمة له شاملة ولكن يبدوا أنه كان معاصرا لابن التبان.

(230) في ت: "السبائي" وهو تصحيف.

(231) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان الأنصاري الخزرمي ثم النجاري لم يشهد بدرا وشهد أحدا والمشاهد بعدها كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسا في المدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض مات سنة 45 هـ على الأصح وحينها قال أبو هريرة مات خير هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا-الإصابة الجزء4/ 43 عدد 287.

(232) أحاديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المسائل كثيرة فقد وردت الآية الكريمة "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم"-الآية 101من سورة المائدة، وقد وردت أحاديث كثيرة في سبب نزول هذه الآية وتفسيرها منها ما رواه عامر بن سعد عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم عليه من أجل مسألته" ومنها ما خرج الدارقطني عن أبي ثعلبة الخشني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحدد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها"-الجامع -حكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي 6/334 عند تفسير الآية المتقدمة.

وعرف عياض بابن المسرة[233]من العلماء المالكية قال: وكان صالحا ناسكا يسمع التغبير وربما حرك منه فيبكي ويقيم أياما لا ينتفع به. وعرف عياض بأحمد بن أيوب[234] قال: قرأ على القابسي ولزم ابن أبي زمنين[235]قال[236]وكان حاضر العلم وغلب عليه الوعظ والذكرى كثير الشعر له بأيد الناس أزهاد وتكابير يتداولها المنشدون المغبرون توفي بقرطبة في مجلسه في الجامع فجأة انزعجت العامة انزعاجا لم يسمع بمثله وشهده الناس حتى خلت قرطبة واحتاج أولو الأمر لضبطها وحرس أبوابها حتى فرغ من شأنه ولم يصل نعشه إلى قبره إلا أصيلا.

وعرف عياض بابي بكر الشبلي فقال: هو شيخ الصوفية وإمام أهل العلم الباطن وذي[237]الأنباء البديعة أحد المتصرفين في علوم الشريعة [كان][238]عالما فقيها على مذهب مالك، قال: سئل عن السماع، قال: ظاهره فتنة، وباطنة عبرة، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة[239]. ومن أحكام ابن العربي؛ استحسن كثير من فقهاء الأمصار القراءة بالألحان والترجيع، وكره ذلك مالك، وهو جائز، وقد تقدم ما قال في سراجه. وقال[240]: القلب يخشع للصوت الحسن كما يخضع للوجه الحسن وما

(233) في م و ط ابن المسرة وفي ت ابن مسرة وكل ذلك تصحيف فالذي وصفه عياض بالعلم والصلاح والخشية والبكاء هو مسرة بن مسلم الذي ترجم له وعزا له ما ذكر المصنف هنا من أنه كان إذا سمع التغبير يقيم أياما لا ينتفع به وترجم له صاحب الشجرة فقال هو مسرة بن مسلم بن ربيع الحضرمي القيرواني سمع من محمد بن عمر ومن النسائي وابن الأعرابي وأبي القاسم البغوي وعنه اللبيدي وغيره توفي سنة 393هـ المدارك 2/170، الشجرة عدد 229، وهناك ابن المسرة ولكنه لم يرو عنه مثل هذه القصة في المدارك.

(234) هو أبو العباس أحمد بن أيوب بن الربيع الألبيري تفقه على ابن أبي زمنين والقابسي والقاضي بن بطال أصله من البيرة ثم نزل قرطبة في الفتنة وتوفي بها كما ذكر المصنف نقلا عن صاحب المدارك ولم يذكر سنة وفاته.ـ المدارك1/315.

(235) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري البيري من مفاخر غرناطة علما وعملا وفقها وحديثا وحفظا وزهدا وتنسكا وصلاحا تفقه بأبي إبراهيم ووهب بن مسرة وأحمد بن مطرف توفى سنة 359 هـ الديباج ص 270.

(236) في م: تكررت "قال".

(237) في ت: "وذوي".

(238) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(239) هكذا في الأصول ولعله العبارة كما يقتضي المعنى والمشاكلة.

(240) في م و ط: "وقيل".

تتأثر به القلوب في التقوى فهو أعظم في الأجر. وقال في عارضته: للصوت أثر عظيم في النفس فإن كان المنطق رخيما رقيق الحواشي أوسع الأذن[241][سماعا][242] والنفس ميلا وقبولا، فإن كان منغما انتهى ذلك[243]بتقدير الحركات والسكنات منه وترديد الأنفاس عليه وذلك التحبير في الكلام والتنغيم[244]في الغناء وقد مات قوم من الفقراء في السماع للحق ومات كثير من البطالين في السماع لشهوة العشق.

ولما أنشد في سراجه:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه	ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب	ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر	وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خاشعا لله مكتئبا	على ذنوبك طول الدهر محزونا[245]

قال: وقد رأيت في هذه الطائفة أعيانا يفخر بهم على سائر الملل أهل هذه الملة علما وخشية وكرامات كثيرة وإن كان فيهم [مثل][246]هذا الوصف المذموم فإنهم كسائر الطوائف من أصناف العالمين فيهم الغث والسمين والصالح والطالح انتهى ما ألفيته في السماع من نصوص الأئمة المالكية. شهد عياض أنهم أئمة صلحاء سنية فيجد الإنسان في نفسه أنهم صادقون للثقة بهم وبكلامهم على البراءة الأصلية كما يعتقد الإنسان في مبدِّعُهم أنه صاحب غرض وليس للمرء فيه تلك النية[247].

(241) في م: "الآذان".

(242) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

(243) في م و ط: "اشتهى وذلك".

(244) في م و ط: "والسقيم".

(245) الأبيات بعد البحث عنها في مظانها لم نجد عزوها بالرغم من أنها تداولتها كتب أهل التصوف في التعريف بالتصوف.

(246) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(247) في ت: "أمنية".

فلنرجع لما اخترته من نصوص أئمة الصوفية وأختم هذا المقام بكلام الإمام المتفق على علمه ودينه قال ابن عرفة: ولا ينعقد للمسلمين إجماع بدونه وهو: عز الدين بن عبد السلام[248]، رويت رسالة القشيري عن شيخي المنتوري من طريقين. وقال بن خلكان[249]فيه ما نصه: كان القشيري علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول عرف الإسفرائيني[250]محله من العلم وقال: القاضي ابن العربي في الاسم الثالث والعشرين والمائة من سراجه إنه الأستاذ الإمام قال: وكتابه التحبير[251] من الكتب المفيدة وقال محيي النووي في المنهاج قال السيد الجليل أبو القاسم القشيري، وعرف[252]ابن خلكان أيضا بالأستاذ أبي علي الدقاق[253]، قال إمام وقته فقال الأستاذ أبو القاسم القشيري المذكور: سألت [الأستاذ][254]أبا علي غير مرة شبه طلب رخصة في السماع وكان يجيبني إلى ما يوجب الإمساك عنه، ثم بعد طول المعاودة قال إن المشائخ قالوا: ما أجمع قلبك إلى الله فلا باس[به][255].

(248) الكلام الذي ختم به المقام وعزاه لابن عبد السلام في قواعده سيأتي قريبا وأوله: الطريق في صلاح القلوب.

(249) هو أحمد بن محمد بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الشافعي روى عن المزي والبرزالي وصف بالفضل والعلم والجود والأدب من مصنفاته كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان توفى سنة 681هـ –وفيات الأعيان، تحقيق الدكتور إحسان عباس 5/1.

(250) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفرائيني الملقب ركن الدين الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي أبو إسحاق الإسفرائيني أخذ عنه شيوخ نيسابور وبعض أهل العراق مثل أبي الطيب الطبري روى عنه الحافظ البيهقي له تصانيف عديدة منها جامع الحلى في أصول الدين والرد على الملحدين توفي بنيسابور سنة 413هـ–وفيات الأعيان 28/1 عدد 4، البداية والنهاية 26/12.

(251) هو التحبير في علم التذكير للإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري. وفي م التخيير وهو تصحيف.

(252) لم نعثر على ترجمة لأبي علي الدقاق في كتاب وفيات الأعيان فلينظر ذلك.

(253) هو الحسن بن علي أبو علي الدقاق النيسابوري أحد شيوخ القشيري ألف في مجالسه كتابا تحت عنوان مجالس أبي علي الحسن الدقاق كان زوج ابنته صحب الدقاق والنصراباذي ، وهو أبو القاسم إبراهيم بن محمد الذي صحب الشبلي الذي صحب الجنيد، –طبقات الأولياء ص497.

(254) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(255) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

وقيل لابن سالم[256]كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري[257]وذو النون[258]وغيرهم يسمعون؟ قال: كيف أنكره وقد أجازه من هو خير مني؟.

ورويت كتاب القوت[259]عن شيخي المنتوري من طريقين قال فيه إن أنكرنا السماع أنكرنا على سبعين صديقا من خيار هذه الأمة قال: وإن كنا نعلم أن الإنكار أقرب إلى قلوب القراء[260]، إلا أنا لا نفعل لأنا نعلم ما لا يعلمون وسمعنا من السلف والأصحاب ما لا يسمعون. قال في عوارف المعارف: قول الشيخ أبي طالب[261]هذا معتبر لوفور علمه وكمال حاله ومعرفته بأحوال السلف ومكان تقواه وورعه وتحريه للأصوب[262]والأولى اهـ.

(256) في ط و م: أبي سالم، والذي في ت: ابن سالم وهو الذي في عوارف المعارف حيث قال قيل لأبي الحسن بن سالم وتمام كلامه: فقد كان جعفر الطيار يسمع وإنما المنكر اللهو واللعب في السماع–انظر عوارف المعارف الباب الثاني والعشرين في السماع. وابن سالم هذا هو محمد بن أحمد المعروف بأبي الحسن بن سالم صحب سهل بن عبد الله التستري –الطبقات الكبرى ص116.

(257) هو أبو الحسن سري بن المغلس السقطي خال الجنيد وأستاذه وتلميذ معروف الكرخي كان وحيدا في العلم والورع والحال قال فيه الجنيد ما رأيت أعبد من سري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما ريء مضجعا إلا في علة الموت كان يقول: المتصوف اسم لثلاثة معان هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة ولا تحمله الكرامة على هتك أستار محارم الله تعالى، توفي سنة 253هـ – الرسالة عدد 47 ص417.

(258) اسمه ثوبان بن إبراهيم المصري النوبي أبو الفيض وصف بالعلم والورع والأدب والحال دخل على المتوكل فوعظه فبكى ورده إلى مصر مكرما من كلامه مدار الكلام على أربع حب الجليل وبغض القليل واتباع التنزيل وخوف التحويل وقال لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاما توفي سنة 245 هـ –الرسالة عدد69.

(259) قوت القلوب في معاملة المحبوب كتاب في التصوف لأبي طالب المكي الآتي.

(260) في ت: "القرا".

(261) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي أبو طالب المكي صوفي متكلم واعظ من أهل الجبل نشأ بمكة ودخل البصرة وقدم بغداد وبها توفي سنة 386هـ له قوت القلوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد في التصوف–تاريخ بغداد 89/3 عدد 1079.

(262) في ت: "الأصوب".

ورويت أيضا هذا الكتاب -يعني عوراف المعارف- عن شيخي المنتوري من طريقين قال شيخي المنتوري فيه: هو الإمام وقال عنه ابن خلكان إنه كان شيخ الشيوخ فقيها مشائخ عصره يكتبون إليه يسألونه.

ومن الرسالة عن بعض المشائخ: أن السماع ثلاثة أوجه وجه منه للمريدين المبتدئين[263] يستدعون بذلك الأحوال الشريفة وقد قال ابن البناء[264]:

وحيث كلت نجب الأبدان   قال احدها يا خادي الأظعان

ثم قال:

وهو صراط عندهم ممدود   يعبره الواجد[265] والفقيد[266]

رشح هذا في الإحياء قال: يتزلون ما يسمعونه[267] على أحوال أنفسهم في معاملتهم لله وتغلب أحوالهم فإن للمريد[268] لا محالة مقصدا وهو معرفة الله والوصول إليه فإذا سمع ذكر خطاب أو عتاب أو قبول أو رد أو وصال[269] أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش [إلى منتظر][270] أو شوق إلى وراد[271] أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس[272] أو وفاء بعهد أو نقض عهد أو خوف فراق أو فرح بوصال أو ذكر ملاحظة[273] الحبيب ومدافعة الرقيب[274] وهمول العبرات[275] أو ترادف

(263) في م: "والمبتديين".
(264) في ت: "البنا".
(265) في ت: "الفاقد".
(266) في ت: "الوجيد" وفي ط: "الفقير".
(267) في ت: "يسمعون".
(268) في ت: "للمريدين".
(269) في ت: "وصل".
(270) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(271) في ت: "أو رد" وهو تصحيف.
(272) في ت: "استيناس".
(273) في ت: "محالة".
(274) في ت: "القريب".
(275) في م و ط: "العبارات".

الحسرات أو طول الفراق أو[276] عسر الوصال أو غير ذلك مما تشتمل عليه الأشعار فلابد أن يوافق حالها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري[277] زناد قلبه فتشتعل نيرانه ويقوى له انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله فالسماع يهيج الشوق إن كان ثم شوق حاصل [وإن لم يكن ثم شوق حاصل][278] فإن السماع يجتلبه فللكسب مدخل في جلب الأحوال ولذلك[279] ورد الخبر بالأمر لمن لم يحضره البكاء أن يتباكى[280].

فإن هذه الأحوال قد يتكلف مباديها وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس إلى الحجج جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فإن الذوق إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب وإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات طيبة موزونة زاد وقعه، اهـ من الإحياء. وقد رويته أيضا عن شيخي المنتوري من طريقين، وقد تقدمت حكاية ابن معتب حين سمع غناء بدار ومغنيهم يقول:

العفو أولى لمن كانت له القدر...

فقرع عليهم الباب واستأذن يدخل فاستحيا صاحب الدار واعتذر، فقال له: لا بد فنزل ما سمع على نفسه وحن وأن وانتحب وكان سبب ان تاب صاحب الدار.

وانظر مثل هذا ما حكاه في الرسالة عن السراج[281] قال: كنت أنا وابن

(276) في ت: "و".
(277) في م: "يور" بدون ياء.
(278) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(279) في ت: "وكذلك".
(280) ذكر هذا الأثر المصنف في المقام التاسع من الترقي ونسبه إلى عبد الله بن عمرو بن العاص وليس من المرفوع، راجعه هنالك.
(281) هو عبد الله بن علي الطوسي أبو نصر السراج الصوفي من آثاره اللُّمَع في التصوف توفي سنة 387هـ-شذرات الذهب 3/91. لكن هذه القصة التي أورد المؤلف هنا عزوا للرسالة عن السراج، إنما هي معزوة لأبي الحسين الدراج المتوفي سنة 320هـ لا إلى أبي نصر السراج، ولعل السراج ممن نقل هذه الحكاية عن الدراج لأنه روى كثيرا من أخباره، أو لعل بعض نساخ الرسالة صحفوا الدراج إلى السراج، أو لعل المؤلف اعتبر بداية الفقرة=

الفوطي[282]مارّين على الدجلة بين البصرة والأبلة[283]وإذا بقصر حسن له منظر وعليه رجل وبين يديه جارية تغني وتقول:

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

وإذا بشاب تحت القنطرة[284] وبيده ركوة وعليه مرقعة يسمع فقال يا جارية بحرمة مولاك أعيدي فأعادت فقال الفقير هذا والله بلوى مع الحق وشهق شهقة خرجت روحه قال صاحب القصر: أنت حرة لوجه الله وخرج أهل البصرة وفرغوا من دفنه والصلاة عليه فقام صاحب القصر وقال: أليس تعرفوني [أشهدكم][285] أن كل شئ لي في سبيل الله اهـ.

فانظر توبة هذين الرجلين بصدق السامعين. وكذا قالوا: الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح فيخرج منها كل مليح، لا يردون على الناس أحجارهم ولكن يفيضون عليهم أنوارهم.

قال في التحبير[286]: لا يكون بينه وبين أحد شيء إلا ويصير سبب نجاته حقا كان أو باطلا. وقال عز الدين بن عبد السلام: الطريق في صلاح القلوب [طريقها بكل ما يقرب إلى الله من الأحوال من خوف ورجاء وتوكل وقد تكون هذه الأحوال باجتلاب فيتذكر هذه المعارف فتنشأ عنها أحوالها اللائقة بها ومن الناس من لا

=السابقة لهذه الحكاية في الرسالة إذ يقول: قال أبو نصر السراج....... روى لي بعض إخواني عن أبي الحسين الدراج...إلخ –انظر الرسالة ص345.

(282) هو أبو بكر المعروف بابن الفوطي بالموحدة الفوقية لا القاف ولا الغين معاصر لأبي الحسين الدراج المذكور أعلاه أحد مشايخ الصوفية كان يؤاخي عمرو بن الأدمي لم نعثر له على ترجمة كاملة–تاريخ بغداد 14/388.

(283) دجلة نهر بالعراق لا تدخله الألف واللام يبدأ مصبه من عين دجلة وديار بكر ثم يمر بالموصل ثم بغداد ثم البصرة ثم عبادان ثم ينصب في الخليج قال الحموي في بحر الهند – المعجم 2/442 أما البصرة فهي مدينة بالعراق مصرت في عهد عمر بن الخطاب والأبلة مدينة من مدنها على شاطئ دجلة العظمى في زاوية الخليج وهي أقدم من البصرة لأنها من عهد ما قبل الأكاسرة وهمزها همز قطع – تاج العروس 7/200.

(284) في ت: "المبطرة".

(285) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(286) في م: "التخبير" وهو تصحيف.

تحضره هذه المعارف إلا بسبب خارج ولهم رتب، منهم من يحضره بسماع القرآن وهؤلاء أفضل أهل السماع، ومنهم من يحضره عند الوعظ والتذكير، ومنهم من يحضره عند الحداء والنشيد، وفي هذا نقص من جهة حظ النفس، ومنهم من تحضره هذه المعارف عند سماع الطرب المختلف في تحليلها كسماع الدف والشبابات، فهذا إن اعتقد تحريم ذلك فهو مسيء بسماعه محسن بما حصل له من المعارف وأحوالها الناشئة عنها. راجعه آخر قواعده[287].

وقال في قواعده من أتى مفسدة يظنها مصلحة فلا إثم عليه ومن فعل واجبا فتبين أنه حرام أثيب على قصده][288] قال والسماع من الحق سبحانه أشد تأثيرا [من السماع][289]من الأنبياء ولهذا لم يشتغل الأنبياء بسماع الملاهي والغناء واقتصروا على سماع ربهم لشدة تأثيره في أحوالهم، وقال[290]: من تملكته[291]الوساوس وغلب عليه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع، ثم سماع الكلام الطيب بالألحان مناسب للنفوس ومطرب لها فيذهب ذلك حديثها فتصفى[292]الروح فتقع الحكمة موقعها لاشتغال النفس بمألوفها، الروح يقصد أرواح المعاني الكامنة في الألحان والنفس تقصد وجود الألحان. وقد تقدم للسيد مفتي تونس البرزلي قوله: رأيت كثيرا من أشياخي ليس ذلك[293]طريقهم لا ينكرون على هؤلاء القوم ولا يجوز أن يستدل على مثل هؤلاء بقوله تعالى ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾[294].

(287) يقصد قواعد الأحكام لعز الدين بن عبد السلام.

(288) مقابل ما ورد بين المعكوفين ورد في النسختين م و ط "يكون بأسباب من خارج، فيكون بالقرآن وهؤلاء أفضل أهل السماع ويكون بالوعظ والتذكير ويكون بالحداء والنشيد" فكأنه اختصر كلام عز الدين في هذه المراتب بدون ذكر ما يترتب عليها وهو ما رأينا إثباته من خلال ما ورد في النسخة ت.

(289) مما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(290) في م و ط بياض وهو غير موجود في ت ولم نثبته لاعتماد ما في ت لاستقامة المعنى

(291) في م: "تكملته" وهو تصحيف وربما يكون سببا في البياض الذي سبقها.

(292) في ت و ط: "يتصفى".

(293) في م: "ذاك".

(294) الآية رقم 104 من سورة الكهف.

وفي التمهيد :«من سرته حسنته وساءته سيئته» قال ﷺ «إنه مؤمن»[295] فمن كان كذا فمن أين تكون له الشهادة بغير الإيمان. قال وقد ضلت جماعة خالفوا أهل السنة والجماعة استدلوا بظواهر قوله تعالى ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ وانظر لو كانت حسبة تسوغ من هذا الوجه لكانت لعمر إذا قال ﷺ«لو كان في أمتي مُحَدَّثون» الحديث[296] ومع ذلك لما لقيه معاوية في موكبه العظيم قال: هذا كسرى العرب ثم سأله عن ذلك فقال له معاوية: نحن بأرض عدو[297] والجواسيس كثير بها[298] فأردنا أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به فقال عمر: ما أسألك[299] عن شئ إلا وتركتنا في مثل رواجب الضرس[300] فقال معاوية: إن نهيتني[301] انتهيت فقال

(295) إشارة إلى الحديث "من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن" رواه الطبراني عن أبي موسى قال الهيثمي: فيه موسى بن عتيك وهو هالك في الضعف، ورواه الطبراني عن أبي أمامة باللفظ المذكور قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه النسائي في الكبرى باللفظ المذكور إلى جابر بن سمرة عن عمر مرفوعا، وصفه العراقي في أماليه بأنه صحيح على شرط الصحيحين، وأخرجه أحمد في المسند بلفظ "من ساءته سيئته وسرته حسنة فهو مؤمن" قال العراقي حديث صحَيح-فيض القدير 152/6 وأورده في التمهيد بسنده إلى عمر مرفوعا في الكلام على حديث سابع لعبد الله بن دينار كما أورده في الاستذكار في كتاب الجهاد باب ما جاء في الغلول.-التمهيد 24/17، الاستذكار14رقم الحديث 20096.

(296) الحديث لفظه "إن يكن فيكم محدثون فعمر منهم" رواه البخاري15/5ومسلم 115/7وغيرهما والمحدَّث الملهم الموفق وعند الترمذي وحسنه مرفوعا 617/5 "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه" وفي صحيح مسلم أنه المعني بقوله تعالى "لعلمه الذين يستنبطونه منهم" مسلم الطلاق 188/4.

(297) في ت: "نحن بأرض العرب عدو".

(298) في ت: "بها كثير".

(299) في م: "نسألك".

(300) رواجب الضرس: الرواجب في اللغة مفاصل أصول الأصابع أو أصول في كل إصبع ثلاث برمجات إلا الإبهام وفي الحديث "ألا تنقون رواجبكم" والمعنى المقصود هنا أي تركتني في ورطة وألقمتني حجرا وأسكتني إشارة إلى الجواب المسكت الذي رد به معاوية على عمر فلم يكن حسبه عليه مع أن عمر بقي في قلبه شيء ولذلك قال له لا آمرك ولا أنهاك .الخ.وقصة عمر هذه مع معاوية رواها ابن ابي الدنيا بسند فيه مجهول وقال في آخرها قال رجل يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه فقال عمر: لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناه، ووردت القصة بروايات أخرئ غير هذا -انظر البداية والنهاية ج 8 ص 127.

(301) في ت: "نهيت".

عمر: لا آمرك ولا أنهاك، إن كان ما تقوله حقا إنه لرأي أريب وإن كان باطلا إنه لخدعة أديب.

ورويت عن شيخي المنتوري عن جدي ابن بقي عن شيخه الأستاذ المقري أنه قال: **حقيقة** الشطح كناية، والكرامة عناية، والاعتراض جناية، إياك إن عرفت فاتبع وإن جهلت فسلم. وفي التمهيد نظر ابن عمر إلى الكعبة وقال: والله إن لك لحرمة ولكن المؤمن أعظم منك حرمة حرم الله عرضه وماله ودمه وأن لا يظن به إلا خير. وانظر في الإسم الخامس عشر المجاهد من سراج ابن العربي قال: نكتة بديعة وهي: أن النفس تميل إلى اللهو وتسرع إلى الغزل فينشد المرء الأشعار الغزلية تأنيسا بها ويقصد بها الحقائق[302] الإلهية والشمائل النبوية تحقيقا معها. وانظر تمام كلامه في الاسم المذكور: وقد ورد «إذا حضر[303] الغداء والصلاة فابدؤوا بالغداء»[304]. قال في عوارف المعارف: وكان الراسبي[305] يشغل أصحابه بالسماع وينعزل عنهم يصلي فقد تطرق النغمات مثل هذا المصلي وتنزل إليها النفس متنعمة بذلك فيزداد مورد الروح من الإنسان صفاء إلى كلام ذكره ولهذا قيل السماع لقوم كالدواء اهـ.

وعلى هذا المأخذ بينت هذا المقام أن يقصد المرء بالسماع التخلي ولا شك أن ما يكسب الإنسان تخليا أولى وهذا هو المقام الخامس.

(302) في م: "الحقيقة"

(303) في ت: "حضرت"

(304) إشارة إلى الحديث "إذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء" رواه الشيخان وأبو داوود واحمد عن عمر وورد بروايات مختلفة فيها تحديد الصلاة أحيانا بالعشاء وأحيانا بدون تحديد والذي في الصحيح بدون ذكر صلاة العشاء والذي فيه تحديد صلاة العشاء عزاه ابن حجر لابن أبي شيبة - كشف الخفاء ومزيل الإلباس ج1/90 عدد 225.

(305) هو عبد الله بن محمد أبو محمد الراسبي بغدادي من جلة مشائخهم صحب ابن عطاء والجريري ورحل إلى الشام ثم عاد إلى بغداد ومات بها سنة 367هـ كان رضي الله عنه يقول: "المحبة إذا ظهرت افتضح فيها المحب وإذا كتمت قتلت المحب" -الطبقات الكبرى ص125.

المقام الخامس: حضور النية يصير المباح مكرمة

وقد تقدم نقل عياض عن مالك أنه قال: لو علمت أن قلبي يصلح بالجلوس على كناسة لجلست عليها. ولا شك أنه لا مقصد للشرع في الجلوس على كناسة بل هو مباح خسيس، ولكن الإمام أخبر عن نفسه أن ذلك لو كان يفضي به إلى صلاح قلبه لاضمحلت خِسته عنده في جنب صلاح قلبه. ولا شك أن من هذا المأخذ استحسان الشاطبي فعل الإمام الذي التزم شعرا ينشده بعد كل صلاة كما تقدم.

وهذا نحو ما تقدم عن المشائخ: ما جمع قلبك إلى الله فلا بأس به. وقال المحاسبي: الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل إصلاح قلبه.

وقال الجوزي[1]:من تلبيس إبليس على الفقهاء أن يحسن لهم [ازدراء][2] الوعظ ويقولون هو قاص. ومراد إبليس أن [لا][3]يحضروا في موضع يرق فيه القلب

(1) هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله الجوزي ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق ولد ببغداد سنة 508 أخذ عن محمد بن ناصر البغدادي وأبي منصور الجواليقي وأبي منصور محمد بن خيرون له إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث وصفه الصفوة وغيرها مات سنة 597 هـ — وفيات الأعيان 3/140–142.
(2) ما بين المعكوفين ساقط من م و ط.
(3) ما بين المعكوفين ساقط من م.

ويخشع[4]. قال سبحانه وتعالى:﴿وكلا نقص عليك.﴾الآية[5]وقيل لعبد الله بن المبارك نجد المواعظ في الكتب فقال: لا باس وإن وجدت موعظة على حائط فانظر فيها تتعظ .

وقال ابن العربي إذا سمعت حقا فخذه وإن كان من لسان مبطل واستنر أنت به وإن احترق هو به فقد أخبر سبحانه وتعالى أن الحكمة يوتيها من يشاء ولا يتذكر بها إلا من له لب[6]وفي العتبية[7][كان][8]عند آل عمر جرس قال ابن رشد :إنما حبسوه وإن كان لا يجوز استعماله لأن في حبسه منفعة يتذكر به العهد القديم ويتراحم من أجله على من فات[9]من [السلف][10]الكريم . وانظر قول العلماء على قول الله سبحانه:﴿ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾[11] قالوا: لأن أحوال الشدة ترق القلوب وقد ورد الحديث: «اطلبوا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة» وقد نقل ابن يونس والمازي وغيرهما استحسان علماء المدينة خروج موسى بن نصير[12]إلى الاستسقاء بالبهائم والأطفال قائلين أراد بذلك استجلاب رقة القلوب ولا شك أن

(4) انظر هذا الكلام في تلبيس إبليس ص 110 وقد اختصره المصنف.
(5) الآية رقم 120 من سورة هود.
(6) إشارة إلى الآية الكريمة (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يتذكر إلا أولى الألباب) الآية رقم 269 من سورة البقرة.
(7) كتاب العتبية لمحمد بن أحمد بن عتبة المتوفى سنة 254 هـ وكتابه العتبية أو المستخرجة إحدى أمهات الفقه المالكي شرحه ابن رشد الجد بكتاب البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعتبية.
(8) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(9) في ت: "مات".
(10) ما بين المعكوفين غير موجود في م.
(11) الآية رقم 130 من سورة الأعراف.
(12) موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي مولاهم فاتح الأندلس كان من التابعين روى عن تميم الداري كان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى لم يهزم له جيش قط كان والده على حرس معاوية ولاه عبد الملك بن مروان إفريقية سنة 89 هـ فتح الأندلس بواسطة قائده طارق بن زياد البربري سنة 92 هـ ثم بعد الفتح خرج موسى بن نصير بالغنائم إلى دمشق وقدم على سليمان بن عبد الملك بعد وفاة الوليد، ومكث مع سليمان حتى خرج معه إلى الحج ومات في طريقه سنة 97 هـ —وفيات الأعيان ج 5/318 عدد 748.

استحسان المازري وابن يونس لذلك ظاهر كما قال ابن عرفة إتيان سحنون بعد نص ابن القاسم بفعل عمر ميل منه لقول عمر وكذلك قال: يظهر من أبي عمر الميل إلى جواز النهبة[13] لما ذكر ما يعارض النهي[14].

وكذا كان سيدي ابن سراج رحمه الله يقول مال ابن أبي زيد لجواز المعانقة إذ قال في الرسالة: وكره مالك المعانقة وأجازها سفيان بن عيينة ومن باب أولى أن ينسب إلى مالك استحسان إدارة ابن عمر ناقته في المكان الذي رأى فيه رسول الله ﷺعلى ناقته وقال أن تطأ ناقتي على الموضع الذي وطئت عليها راحلة رسول الله ﷺ[15].

ولما تكلم ابن رشد على هذه الرواية عن مالك رشحها وقال هذا نهاية من ابن عمر في التبرك بأثر النبي ﷺ.

ولما نقل أبو[16]عمر في تمهيده هذا الخبر قال: وهذا من ابن عمر غاية في الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ. وقد قال مالك: أحب النافلة بمصلى النبي ﷺ.قال ابن رشد: استحبها مالك للتبرك بموضع صلاة رسول الله ﷺ وقد قال عتبان[17]يا رسول الله: صل في بيتي مكانا اتخذه مصلى[18]. قال ابن رشد:[استحبها مالك][19]

(13) النهبة هي ما ينهب في العرس عرفا وفيه الخلاف بين العلماء في إباحته بسبب العرف وجريانه بذلك وعدمها لأنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس.
(14) في ت "لما يعارض"بدل"ما يعارض النهي".
(15) أورده أبو عمر بسنده في التمهيد في الكلام على الحديث السادس بعد الثلاثين لزيد بن أسلم-التمهيد ج5/119.
(16) في م: "ابن عمر" وهو تصحيف.
(17) عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري الخزرجي السالمي الصحابي شهد بدرا كان إمام قومه بني سالم بن عوف وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عمر مات عتبان في خلافة معاوية .الإصابة ج 6/375 عدد5388.
(18) الحديث أخرجه أحمد في مسنده من عدة طرق عن عتبان أنه كان ضريرا فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيته فيصلي فيه فيتخذ مصلاه مصلى فوعده، وفعل ذلك بصحبة أبي بكر رضي الله عنهم إلى آخر الحديث. انظر المسند 5/ 541 الحديث رقم 16481 و 16482 و 16483 و 16484.
(19) ما بين المعكوفتين غير موجود في ط و م.

فإذا كان موضع يصلي فيه رسول الله ﷺ مرة واحدة خير من سائر البيت[20]من باب أولى موضع كان رسول الله ﷺ يواظب فيه. وقال أبو عمر في حديث عتبان التبرك بالمواضع التي وطئها رسول الله ﷺ وقام عليها وقال فيه دليل على ما كان عليه القوم من صحة صريح الإيمان.

وفي صحيح البخاري أن سالما[21]كان يتحرى أماكن الطريق فيصلي فيها لأنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأماكن[22]وفي البخاري أيضا عن ابن عبيد[23] قال كنت آتي مع سلمة بن الأكوع[24]فيصلي عند الاسطوانة التي عند المصحف فقلت: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة قال فإني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها[25]. قال عياض من إعظام رسول الله ﷺ وإكباره إعظام جميع

(20) في م و ط: "البيوت".
(21) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو عبد الله المدني الفقيه قيل هو سابع فقهاء المدينة روى عن أبيه وأبي هريرة وأبي رافع وأبي أيوب وعنه أبو بكر بن محمد بن عمر وبن حزم والزهري وحميد الطويل ونافع مولى ابن عمر وغيرهم كثير مدني تابعي ثقة مات سنة 106 هـ – تهذيب التهذيب ج 3/438.
(22) هكذا في الأصول والذي في البخاري عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رؤي وهو معرس بذي الحليفة ببطن الوادي قيل له: إنك ببطحاء مباركة،وقد أناخ بنا سالم يتوخى بالمناخ الذي كان عبد الله ينيخ يتحرى معرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وه أسفل في المسجد الذي ببطن الوادي بينهم وبين الطريق وسط من ذلك – كتاب الحج من صحيح البخاري باب قول النبي صلى الله عليه وسلم العقيق واد مبارك.وقد حذف المواق عبد الله بن عمر أبا سالم الذي روى عنه ذلك ومعلوم أن سالما لم يرى النبي صلى الله عليه وسلم.
(23) ابن عبيد هكذا في جميع النسخ وهو خطأ ربما يكون مرجعه إلى النسخ لأن الذي روى الحديث كما في البخاري والمسند هو يزيد بن أبي عبيد وليس ابن عبيد. ويزيد هذا هو بن أبي عبيد الحجازي أبو خالد الأسلمي مولى سلمة بن الأكوع روى عن مولاه وهشام بن عروة وغيره وعنه بكير بن الأشج ويحي بن سعيد القطان والمغيرة بن عبد الرحمان المخزومي أثنى عليه غير واحد ومات بالمدينة سنة 146 هـ –تهذيب التهذيب ج 11 / 349.
(24) هو سلمة بن عمرو بن الأكوع واسمه سنان الصحابي الجليل أول مشاهده الحديبية من شجعان المسلمين كان يسبق الفرس عدوا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعنه ابنه إياس وابن أبي عبيد وزيد ين أسلم وغيرهم مات بالمدينة سنة 64 هـ الإصابة في تمييز الصحابة ج 4 / 233 عدد 3382 الاستيعاب عدد1016.
(25) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة (باب الصلاة إلى الاسطوانة)وأحمد في=

أسبابه وإكرام مشاهده وأماكنه ومالمسه ﷺ أوعرف به قيل لمالك لم تنزل العقيق؟ فإنه يشق بعده من المسجد فقال[26] بلغني أن النبي ﷺ كان يحبه ويأتيه[27].

وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال« بواد أتاني الليلة[28]ءات من ربي فقال صل في هذا الواد المبارك»[29] وكان مالك لا يركب بالمدينة دابة ويقول: استحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة .ونقل عياض من هذا المعنى كثيرا. ومن ذلك أن أبا محذورة[30]كان له قصة في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض فقيل ألا تحلقها؟ فقال لم أكن بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله ﷺ مرة بيده.

وقال كان في قلنسوة خالد ابن الوليد[31]شعرات من شعر رسول الله ﷺ

=مسنده من حديث سلمة بن الأكوع. قالا حدثنا يزيد بن أبي عبيد قال: كنت آتي مع سلمة، المسجد فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف فقلت يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة. . .الخ الحديث. المسند ج5/ 550 عدد 16516صحيح البخاري ج 1/ 159 عدد 502.

(26) في ت: "قال".

(27) هذا الأثر ذكره عياض في المدارك قال: "قال ابن بكير مولد مالك بذي المروة وكان هو وأخوه بزازين ثم طلب العلم وكان ينزل بالعقيق أولا ثم نزل المدينة فقيل لمالك: لم تنزل العقيق فإنه يشق بعده من المسجد فقال بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبه ويأتيه، وأن بعض الأنصار أراد النقلة منه إلى قرب المسجد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "أما تحسبون خطاكم؟" المدارك 1/52.

(28) في م و ط: "الليل".

(29) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من حديث ابن عباس أن عمر رضي الله عنه حدثه قال حدثني النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أتاني ءات من ربي " وهو بالعقيق" أن صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة وحجة "وقال هارون بن إسماعيل حدثنا علي: "عمرة في حجة " الصحيح ج8/عدد 7343.

(30) هو أوس بن معير بن لوذان بن ربيعة بن عريج بن سعد بن جمح أبو محذورة الجمحي القرشي مؤذن رسول صلى الله عليه وسلم غلبت عليه كنيته وعنه ورث الأذان أبناء عمه من بني سلامان بن ربيعة بن جمح قال ابن محير يز رأيت أبا محذورة صاحب رسول الله صلى عليه و سلم وله شعر فقلت يا عم :ألا تأخذ من شعرك؟ فقال ما كنت لآخذ شعرا مسح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا فيه بالبركة مات سنة 59 هـ بمكة –الاستيعاب لابن عبد البر ج 1/225 وأسد الغابة ج5/292.

(31) خالد بن الوليد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي سيف الله أبو سليمان=

فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي ﷺ كثرة من قتل فيها قال: لم أفعل لسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعر رسول الله ﷺ ليلا أسلب بركتها وتقع بيد المشركين[32]. وفي البخاري عن ابن سيرين قلت لعبدة[33]: عندنا من شعر النبي ﷺ قال لأن تكون عندي شعرة [منه][34]أحب إلي من الدنيا وما فيها[35]. وفيه أيضا لما حلق رسول الله ﷺ رأسه كان[36]أبو طلحة[37] أول من أخذ شعره[38]. وفي البخاري أيضا اتخذ النبي ﷺ خاتما من ورق وكان في يده ثم كان بعد في يد عثمان فسقط له ببير أريس قال الراوي فاختلفنا ثلاثة أيام

=أحد أشراف قريش في الجاهلية ثم أسلم بعد خيبر وأبلى بلاء حسنا في الإسلام في الغزوات وفي الفتوحات أيام أبي بكر وعمر مات رضي الله عنه سنة 21هـ بحمص الإصابة ج3/73 عدد1477.

(32) قصة قلنسوة خالد بن الوليد وكونها كانت تتضمن بعض شعر النبي صلى الله عليه وسلم ذكروها كثير من أصحاب السير والتراجم وحتى كتب الفقه ، انظر كتاب الجامع من الذخيرة 13/281.

(33) في جميع النسخ عبدة وهو تصحيف عبيدة كما في البخاري واسمه عبيدة بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي التابعي أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم روى عن علي وابن مسعود والزبير وعنه ابنه والنخعي وغيرهم من الأئمة الراسخين توفي سنة 72 أو 74هـ– التهذيب7/84.

(34) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

(35) الأثر أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان 1/63الحديث رقم 170.

(36) في ت: "فكان".

(37) أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي النجاري شهد بدرا وما بعدها وكان من الرماة المذكورين ومن الصحابة الشجعان له موقف مشهود يوم أحد وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشارك في الفتوح في خلافة أبي بكر وعمر و في خلافة عثمان بن عفان توفي في الغزو سنة 31 هـ– أسد الغابة الجزء 5/235.

(38) أخرجه البخاري عن ابن سيرين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره – صحيح البخاري كتاب الوضوء باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان 1/63 وله طرق عند مسلم منها رواية أبي كريب عن ابن سيرين قال فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك ثم قال هاهنا أبو طلحة فدفعه إلى أبي طلحة ومن رواية أنس فأعطاه أبا طلحة فقال اقسمه بين الناس – مسلم 4/82.

مع عثمان ننزح البير فلم نجده(39). قال ابن بطال: في هذا استعمال آثار(40) الصالحين ولباس ملابسهم على جهة التبرك قال: ونحو ذلك ابتدار الصحابة رضوان الله عليهم وضوء رسول الله ﷺ ومن لم يصبه منه شيئا أخذ من بلل يد صاحبه(41). وبوب البخاري باب(42) الشرب من قدح رسول الله ﷺ.

قال ابن بطال: ومن هذا الدخول في الغار الذي اختفى فيه رسول الله ﷺ على صعوبة الارتقاء إليه والدخول فيه. يحمل على ذلك فرط المحبة في النبي ﷺ. وفي صحيح البخاري حديث المرأة التي جاءت بالبردة للنبي ﷺ فقبلها فسألها منه رجل ليتخذها كفنا(43). قال ابن بطال ينبغي التبرك بثياب الصالحين ويتوسل بها إلى الله في الحياة والممات.

---

(39) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن سعد في طبقاته وأحمد في المسند .مفتاح كنوز السنة ص172 ورواية البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب أو فضة وجعل فصه مما يلي كفه ونقش فيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتخذ الناس مثله فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال "لا ألبسه أبدا" ثم اتخذ خاتما من فضة فاتخذ الناس خواتيم الفضة قال ابن عمر فلبس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان في بير أريس .

(40) في ت: "أثر".

(41) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب 17 وفي اللباس الباب 42 ومسلم في الصلاة وأحمد عن أبي جحيفة. الحديث: .18785 ورواية البخاري عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة حمراء من أدم ورأيت بلالا أخذ وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء فمن أصاب منه شيئا تمسح به ومن لم يصب منه شيئا أخذ من بلل يد صاحبه. صحيح البخاري كتاب الصلاة باب 17/ 125.

(42) في ت: "في باب".

(43) الحديث أخرجه البخاري في الأدب (الباب 39) والجنائز (الباب 28) والبيوع (الباب 31) واللباس (الباب 18) ومسلم في اللباس والنسائي في الزينة وابن ماجه في اللباس وأحمد من حديث سهل بن سعد الساعدي الحديث رقم 22888 و رواية البخاري كما في كتاب الأدب من حديث سهل بن سعد قال جاءت إمرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة فقال سهل للقوم أتدرون ما البردة ؟ فقال القوم هي شملة فقال سهل هي شملة منسوجة فيها حاشيتها فقالت يا رسول الله أكسوك هذه. فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا لها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها ؟ فقال نعم.=

وقد قال مالك: أحب أن يكفن أمه في الثوب الذي أوصت أن تكفن فيه. قال ابن رشد: قول مالك أحب إلي، كلام ليس على ظاهره، بل هو الواجب عليه إذا أوصت بذلك تبركا لأنها حجت فيه أو كانت تشاهد به الصلوات، لأن من أوصى بقربة وجب أن تنفذ وصيته هـ نص ابن رشد.

وبمقتضى هذا الذي قررت في هذا المقام أن ما اختلف العلماء في مشروعيته كرفع اليدين ومسح الوجه بهما(44) بعد الدعاء قط ما يكون أحط رتبة من هذه الأشياء التي ذكرتها وهذا هو المقام السادس.

=فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه فقالوا ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا إليها ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلي أكفن فيها.صحيح البخاري كتاب الأدب، الحديث 6036.

(44) في ت: "بها"

المقام السادس: إن لم يكن في عمل أفضل فلا أقل من أن يكون في عمل فاضل

وقد تقدم أن ما اختلف في مشروعيته فعله أولى. قال عز الدين: كرفع اليدين قال: لأن الشرع يحتاط لفعل المندوبات كما يحتاط لفعل الواجبات، وبين هذا القرافي ورشحه وهو مقتضى قول أبي عمر أن قط ما يكون مثل هذه الأمور أحط رتبة من المباح كمسح الوجه، وكلامه على وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة وغير ذلك. وهذا المأخذ هو مأخذ الصوفية.

وبالجملة فمأخذ[1] الشيوخ لا أقول سيدي بن سراج [وسيدي المنتوري][2] وسيدي الصناع[3] ومن عاصرهم كـ [الإمام][4] ابن عرفة والسيد مفتي تونس البرزلي وسيدي قاسم العقباني بل مأخذ من قبلهم؛ ابن رشد وابن زرقون وعياض وابن العربي وابن بشير[5] وأبو عمر ابن عبد البر والباجي وشهاب الدين كلهم قدر مشترك [بينهم

(1) في م في أخذ.
(2) ما بين المعكوفين غير موجود في م.
(3) هو محمد بن يوسف الصناع الأندلسي الغرناطي أحد شيوخ المواق نقل عنه في غير موضع ونقل عنه الونشريسي في المعيار قال التنبكتي في النيل: لم أقف له على ترجمة–نيل الابتهاج ص308.
(4) ما بين المعكوفين غير موجود في م و ط.
(5) هو زيد بن بشير بن عبد الرحمن الأزدي سمع ابن القاسم وأشهب وغيرهم أصله من مصر ثم قدم تونس وتوفي بها سنة 242هـ ذكر عياض في المدارك جملة من أخباره وفضائله وسيأتي ذلك في المقام التاسع–انظر المدارك 1/368–369.

و][6] بين مأخذ الصوفية نفع الله بهم،لا أشك ولا أرتاب في صدق مأخذهم كما أني بالنسبة لمن خالفهم أسيء ظني فيه وأنه ينتحل حسبة لم يكلفه الشرع انتحالها ،ولا شك أن مأخذه مأخذ ابن حزم الظاهري. وقال السيد مفتي تونس البرزلي :مذهب الصوفية الإنحاء إلى مذهب المحدثين فلهذا أخذوا من هذه الأحاديث التي هي ضعيفة لأنها في باب الأعمال ولم يناقض منها شيء من أصول الشريعة بل ذلك في القرب المندوبة ويشهد الشرع باعتبار جنسها اهـ نص الشيد مفتي تونس البرزلي.

وانظر أيضا من باب أولى أن يوافق الشاطبي على هذا لأن أخذ الأحكام من المنامات هو مثل هذا .وقد قال ما نصه: خطأ أن يستدل بالرؤيا على عمل من الأعمال إلا أن يعرضها على ما بأيدينا من الأحكام الشرعية فإن سوغتها عمل بقتضاها كما يحكى عن الكتاني رحمه الله قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت ادع الله أن لا يميت قلبي قال قل كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت.

قال الشاطبي: هذا كلام حسن لا إشكال في صحته.

وقال أيضا في موافقاته :الصوفية حجة في علومهم وهم صفوة الله سبحانه من الخليقة باتفاق.

وقال في الرسالة :جعل الله هذه الأمة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه.

وسئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن قول القشيري هذا وقول أبي حامد :الصوفية أفضل من العلماء الراسخين فقال :قول أبي حامد والقشيري[7] متفق ولا يشك عاقل أن العارفين بالله هم أفضل من العارفين بأحكام الله، بل العارفون بالله أفضل من أهل الفروع والأصول.

(6) ما بين المعكوفين غير موجود في م.
(7) في ت: "قول القشيري وأبي حامد".

وقال الإمام حجة الإسلام ابن السبكي نعتقد أن طريق الشيخ الجنيد وصحبه[8] طريق مقوم اهـ.

وكان شيخي المنتوري رحمه الله يحكي عن شيخه القيجاطي أنه كان يقول: أما الأحكام؛ الحلال والحرام فنحن على صميم المذهب وأما الآداب والقراءة فنحن على مذهب أئمة هذا الشأن لا نشتري ترك الدعاء عند الختمة[9] إذ الدعاء كأنه جزء من التلاوة بحيث يقولون على قراءة ابن كثير إذا انقضت سورة الناس قرأت الفاتحة وأول البقرة إلى المفلحون ثم دعوت بدعاء الختمة، ومن الحلية[10] للسيد النووي رضي الله عنه: يستحب الدعاء عند الختم استحبابا متأكدا تأكيدا شديدا ويستحب حضور مجلس الختم لمن يقرأ ولمن لا يحسن القراءة.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجعل رجلا يراقب رجلا يقرأ القرآن فإذا أراد أن يختم أعلم ابن عباس فيشهد ذلك[11]. وكان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا.

وعن الحكم بن عتيبة[12] قال أرسل إلي مجاهد[13] وعبدة[14] فقالا إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن والدعاء يستجاب عند ختم القرآن وإن الرحمة تنزل

(8) في م: "و صحبته" وهو تصحيف.
(9) وردت هذه العبارة في كافة الأصول "لا نشتري ترك الدعاء عند الختمة" ولعل معناها لا نترك الدعاء عند ختم القرآن.
(10) حلية الأبرار في تلخيص الدعوات والأذكار للنووي.
(11) في م: "لذلك".
(12) في م: "عيينة" وهو تصحيف والحكم بن عتيبة الكندي مولاهم أبو عبد الله روى عن بعض الصحابة كأبي جحيفة وعبد الله بن أبي أوفى وروى عن شريح القاضي وقيس بن أبي حازم وغيرهم من التابعين وعنه الأعمش وأبو إسحاق السبيعي وقتادة وغيرهم فقيه ثقة أثنى عليه غير واحد مات سنة 115هـ -تهذيب التهذيب 2/432.
(13) مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقري مولى السائب ابن أبي السائب روى عن علي وسعد بن أبي وقاص والعبادلة وعائشة وأبي سعيد الخدري وغيرهم وعنه أيوب السختياني وعطاء وعكرمة وعمرو بن دينار وغيرهم مات سنة 100 هـ-تهذيب التهذيب 10/42 عدد 68.
(14) عبدة بن سليمان الكلابي أبو محمد الكوفي أخذ عن يحيى بن سعيد الأنصاري وعاصم=

عند خاتمة القرآن. وعن مجاهد قال كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقولون تنزل الرحمة اهـ من الحيلة.

وكذلك كان سيدي ابن سراج يحكي عن شيخه المفتي القدوة أبي عبد الله الحفار يقول نحن مالكيوا المذهب في الأحكام؛ الحلال والحرام وعلى مذهب المحدثين في الرقائق والآداب كما كان سادات المسلمين الصوفية، هذا سيد الطريقة "وإمام الحقيقة"[15] الإمام الجنيد حجة في التخلق والسلوك وبالنسبة للحلال والحرام [هو][16] مقلد لأبي ثور[17] وهذا الشبلي قال عياض هو شيخ الصوفية وإمام أهل علم[18] الباطن وكان في الأحكام مقلدا لمالك، وهذا رويم قال في الرسالة إنه من جلة[19] مشائخ الصوفية وكان في الأحكام مقلدا لداوود[20]، وهذا أبو القاسم القشيري شافعي المذهب. وانظر قول الشيخ [السيد][21] البرزلي: وشهد[22] الشرع باعتبار جنسها، هو مثل ما كان سيدي ابن سراج رحمه الله يروم بالتصريح به لكنه لم يصرح هذا التصريح ويستدل بقول عياض وعبد الحق مع أني لم أعثر على نص

=الأحول وغيرهم وعنه أحمد وإسحاق وغيرهم كان ثقة مات في رجب من سنة 188هـ- تهذيب التهذيب 6/459 عدد 946.
(15) يوجد بدل هذه العبارة في م و ط كلمة "الإمام".
(16) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(17) إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي الفقيه البغدادي روى عن ابن عيينة وأبي معاوية ووكيع والشافعي وصحبه وغيرهم وعنه أبو داوود وابن ماجه ثقة مأمون فقيه أحد الأئمة الفضلاء ورعا وعلما وديانة. كان يتفقه أولا بالرأي ثم عاد إلى آراء الشافعي توفي سنة 240 هـ -تهذيب التهذيب 1/118 عدد 211.
(18) في م: "العلم".
(19) في م و ط: "جملة".
(20) داوود بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور بالظاهري كان كثير الورع سمع سليمان بن حرب وعمرو بن مرزوق والقعنبي وإسحاق بن راهويه وغيرهم كثير وهو إمام أهل الظاهر أخذ عنه ابنه محمد وزكريا ابن يحيى الساجي ويوسف بن يعقوب بن مهران الداودي كان يعجب بالإمام الشافعي ويتعصب لآرائه نفى القياس وتمسك بظواهر النصوص توفي سنة 270هـ -تاريخ بغداد 8/369، وفيات الأعيان 2/255 عدد 223، شذرات الذهب 2/158.
(21) مابين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(22) في م و ط: "شهد" بدون واو.

هذين الإمامين وما أذكره إلا من الشيخ رحمه الله .وتعجبت كيف ينسبه لهذين الإمامين وهذا ابن رشد في صدر مقدماته يقول: المستحب ما في فعله ثواب ولم يكن في تركه عقاب. قال: وهو ثلاثة :سنن ونوافل ورغائب[23]. قال: والنوافل ما قرر الشرع أن في فعله ثوابا من غير أن أمر به أورغب فيه أو فعله. زاد الشاطبي: أو لرؤيا في المنام. وقال الباجي في المنتقى : في جمع عمر الناس في قيام رمضان دليل على صحة القول بالاجتهاد.

وقال ابن العربي: ليس البدعة والمحدث[24]للفظ بدعة ومحدث[25]ولا معناهما وإنما يذم من البدعة ما خالف السنة ويذم من المحدثات ما دعا إلى ضلالة. وقد تقدم قوله في الاستدراك المدرج أول الكتاب أن من الدلائل على الأخذ بالرأي أن رسول الله ﷺ قال :«لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة» فصلى قوم قبل أن يصلوا وقالوا ما أراد[26]رسول الله ﷺ إلا التعجيل فصوب رسول الله ﷺ رأيهم[27].

وقال أبو عمر ابن عبد البر: البدعة المذمومة هي التي تخالف السنة ونحو هذا هي عبارة أبي حامد [في الإحياء][28]وزاد :أو تكاد تفضي إلى تغييرها فلا يكره كل ما لم يكن في السلف فإنه وإن لم يكن فيهم فلم يرد فيه نهي. ونحو هذا عبارة[29]

(23) في ت: "رغائب ونوافل".
(24) في م: "المحدثة".
(25) في ت: "محدث وبدعة".
(26) في م: "أردنا" وهو تصحيف.
(27) أخرجه البخاري في المغازي والخوف من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ولفظه كما في المغازي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة" فأدرك بعضهم العصر في الطريق قال بعضهم لا نصليها حتى نأتي وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم - صحيح البخاري ج5، كتاب المغازي الباب 32 ص64.
(28) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(29) في ت: "هي عبارة".

شيخ الشيوخ الذي نحن نقلده في الأموال والفروج الشيخ ابن لب قال: غاية ما يستند منكر التزام الدعاء أدبار الصلوات أن التزامه على ذلك الوجه لم يكن من عمل السلف. قال :وعلى تقدير صحة هذا النقل إن صح فالترك ليس بموجب لحكم في ذلك المتروك إلا جواز الترك وانتفاء الحرج فيه خاصة وأما تحريم أو لصوق كراهية فلا. [و][30]لاسيما فيما له أصل جملي متقرر من الشرع كالدعاء .

ونقل السيد البرزلي عن ابن تيمية[31] قال: المراد بالبدعة ما لم يقم دليل شرعي على أنه واجب أو مستحب سواء فعل على عهد النبي ﷺ أولم يفعل. زاد الشاطبي عليهم: ودعها رؤيا في المنام. وقال الإمام ابن عرفة: تكلم الناس؛ متقدم ومتأخر على البدع وقسموها على أقسام والحاصل استنادها إلى ما شهد الشرع بإلغائه أواعتباره وإلى ما ليس بواحد منهما، فالأول واجب تركه وإنكاره والثاني معتبر اتفاقا وفي الثالث خلاف. قال وقول عز الدين: ذكر الصحابة في الخطبة بدعة صحيح لكنها بدعة خير شهد الشرع باعتبار جنسها.

وتقدم في صدر الكتاب أنا مع شيوخنا بالنسبة للإمام كالسلف بالنسبة للصدر الأول نتأول ما تأولوا ونقتدي بهم فيما استنبطوه .وكما ترك السلف الأول الحديث المروي غير معمول به ولا مكذب فكذلك نحن بالرواية نعمل بعمل الشيوخ ونترك الرواية كاللخمي بالنسبة لقراءة يس عند الميت والأكثر بالنسبة للبيسلمة على الوضوء والتسبيح في الركوع، سكتوا عن الرواية بالكلية ونذكرها على

(30) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(31) هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي ولد بحران سنة 661هـ وقدم مع أهله إلى دمشق سمع الحديث من كثيرين منهم ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وشمس الدين الحنبلي وغيرهم وقرأ بنفسه حتى أصبح إماما في التفسير والحديث والفقه والأصول وعلوم اللغة، وكان حافظا للحديث عارفا بعلومه له تصانيف كثيرة في الأصول والفروع وغيرها أثنى عليه علماء عصره ومن بعدهم ممن تأثروا بمعارفه توفي رحمه الله بالقلعة سنة 728هـ -البداية والنهاية 14/141.

أننا نسلمها ونحن في سعة من مخالفتها كقول ابن أبي زيد: يبدأ فيسمي الله. ولم يره بعضهم من الأمر المعروف[32]وكقوله لا بأس بالقراءة عند رأسه بسورة يس ولم يكن ذلك عند مالك أمرا معمولا به، أو نفصح بالتأويل عوضا من التصريح بالنص الصريح كابن يونس في ديوانه الفقهي قال ما نصه :لا باس أن يقرأ عند الميت بيس[33]. وقد سئل عنه مالك فلم يكرهه ثم تأول الكراهة ،وقد تقدم قول شيخ الشيوخ ابن لب :الأصل القيام بالمشروع ولا يعارض ذلك بما عسى أن يعتقده جاهل اهـ.

وقد نص ابن العربي وأبو عمر بن عبد البر أن بموت النبي ﷺأمن أن يلحق بالفرائض ما ليس منها. وقال أبو عمر في حديث سابع لابن شهاب «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما»[34] قال من معنى هذا الحديث الأخذ برخص الله ورخص رسول الله ﷺ والأخذ برخص العلماء ما لم يكن القول خطأ بينا.

قال وقد تقدم من هذا في حديث حميد[35]وفي باب زيد بن أسلم، وينبغي للعالم أن يحمل الناس على الرخصة والسعة ما لم يخف المأثم وقد قال معمر[36]

---

(32) في م: "بالمعروف به" وهو تصحيف

(33) في م و ط: "يس"

(34) الحديث أخرجه البخاري في المناقب والأدب ومسلم في الفضائل وأبو داوود في الأدب والطبراني في حسن الخلق وأحمد في المسند، ورواية البخاري كما في المناقب والأدب من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها. – صحيح البخاري كتاب المناقب 4/526 الباب 30.

(35) هو حميد بن أبي حميد المعروف بحميد الطويل الخزاعي مولاهم أبو عبيدة البصري روى عن أنس بن مالك وثابت البناني وموسى بن أنس والحسن وغيرهم وعنه ابن أخته حماد بن سلمة ويحيى بن سعيد الأنصاري وحماد بن زيد والسفيانان وشعبة ومالك وابن إسحاق أثنى عليه ابن معين وغيره مات سنة 142هـ –تهذيب التهذيب 3/83.

(36) معمر بن راشد الأزدي الحراني مولاهم أبو عروة بن أبي عمرو البصري سكن اليمن روى عن ثابت البناني وقتادة والزهري وعاصم الأحول وزيد بن أسلم وصالح بن كيسان وعبد=

إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحكمه كل أحد [اهـ نص أبي[37] عمر][38]. ورأيت له في باب زيد الذي أحال عليه ما نصه: من خاف على أمة محمد ﷺ ما لم يخفه عليها نبيها فقد باء من التعسف بما لا يخفى. قال ولما كان التأسي به محمودا استحال أن يأتي منه ﷺ شيئ فيه تخصيص ولم يبينه لأمته. وقال أيضا في موضع آخر: فعل رسول الله ﷺ كله يحسن التأسي به على كل حال إلا أن يخبر ﷺ أنه له خاصة أو ينطق القرآن بذلك وإلا فالاقتداء به أقل أحواله أن يكون مندوبا إليه.

ثم نقل بسنده إلى نافع[39]: رأيت ابن عمر إذا ذهب إلى قبور الشهداء على ناقته ردها هكذا وهكذا، فقيل له في ذلك فقال إني رأيت رسول الله ﷺ في هذه الطريق على ناقته فلعل خفي تقع على خفه. وهذا غاية في الإقتداء والتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أيضا في حديث [آخر][40]قيل يا رسول الله إنا لسنا كهيئتك فغضب ﷺ وقال« أنا أتقاكم لله »[41]، هذا دليل على أن الخصوص لا يجوز

=الله بن طاووس وغيرهم وعنه يحيى بن أبي كثير وأبو إسحاق السبيعي وهما من شيوخه وسعيد بن أبي عروبة وأبان العطار وابن جريج وغيرهم كثير، أثنى عليه ابن معين وأحمد وغيرهم من علماء الجرح والتعديل مات سنة 152 أو 153هـ تهذيب التهذيب10/243.

(37) في م: "ابن" وهو تصحيف.

(38) ما بين المكوفتين غير موجود في ت.

(39) هو نافع مولى ابن عمر الفقيه الثقة التابعي روى عن مولاه وأبي هريرة وأبي لبابة بن عبد المنذر وأبي سعيد وعائشة وعن أبناء ابن عمر وعنه أولاده أبو عمر وعمرو وعبد الله وعبد الله بن دينار ويحيى بن سعيد الأنصاري والزهري وميمون بن مهران والأوزاعي وعطاء الخراساني ومالك وغيرهم توفي سنة 117هـ –تهذيب التهذيب 10/414.

(40) ما بين المكوفتين غير موجود في ت.

(41) هذا طرف حديث أم سلمة الذي أخرجه مالك مرسلا وهو في التمهيد من حديث زيد بن أسلم وفي الاستذكار: باب ما جاء في الرخصة للصائم وقال الشافعي في الرسالة: سمعت من يصل هذا الحديث ولا يحضرني ذكره، ووصله عبد الرزاق في المصنف عن عطاء عن رجل من الأنصار بإسناد صحيح وذكره الإمام أحمد عن طريق عبد الرزاق في المسند. وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها "إن أتقاكم لله وأعلمكم بالله أنا" رواه البخاري وهو مما انفرد به عن مسلم، قال في الفتح: وهو من غرائب الصحيح لا أعرفه إلا من هذا الوجه – انظر التمهيد 5/107 و120والاستذكار 10/53، وفتح الباري 4/122، ومسند أحمد 9/172 الحديث رقم 23743، وشرح الزرقاني 2/ 163.

ادعاؤه عليه بوجه من الوجوه إلا بدليل مجتمع عليه وغير جائز عليه أن يخص بشيء فيسكت لأمته عنه ويترك بيانه لها وهي مأمورة باتباعه، هذا مالا يظنه ذو لب مسلم بالنبي ﷺ. وقال في تمهيده في قوله ﷺ «من قام رمضان إيمانا الحديث»[42]قال: فيه من الفقه فضل قيام رمضان وظاهره يبيح فيه الجماعة والانفراد لأن ذلك كله فعل خير وقد ندب الله [سبحانه][43]إلى فعل الخير وقال في موضع آخر: ما لم ينه الله [عنه][44]ولا نبيه فلا معنى لمن كرهه وقال أيضا بعد أن ذكر مختار مالك في ترك الركوع: الأولى أن يركع من ركع الفجر في بيته لأنه فعل خير لا يمنع من أراده إلا أن يصح أن السنة نهت عنه من وجه لا معارض له قال تعالى:﴿ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾[45].

وكذلك ابن بشير لما ذكر كراهة مالك أذان الفذ ثم قال إن أذن فهو ذكر والذكر لا ينهى عنه من أراده لا سيما إن كان من جنس المشروع وكذلك أيضا قال أبو عمر في نهي الإمام عن الصلاة على من صلى عليه أن حكم الإباحة في الصلاة عليه مستصحب وكذلك ابن رشد في النهي عن الصلاة على الميت في المسجد قال فإن ترك أجر، يعني على قول مالك وإن صلى فلا يأثم ولا يؤجر. وورد النهي عن حمد العاطس وهو يبول فقال[46]ابن رشد ذكر الله يصعد إلى الله فلا يتعلق به من دناءة الموضع شيء. قال: فلا ينبغي أن يمتنع من ذكر الله على حال من الأحوال إلا بنص ليس فيه احتمال. وقال أيضا: قول المضحي[47]: اللهم بك وإليك ليس فيه حرج وأجر في ذلك إن شاء الله بعد أن ذكر قول الإمام أن هذا بدعة فيقال هو لا حرج عليه إن قاله[48].

(42) الحديث: "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" صحيح رواه الشيخان وأصحاب السنن الأربعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه –فيض القدير ج 191/6.
(43) ما بين المعكوفتين غير موجود في م وط.
(44) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(45) الآية رقم 77 من سورة الحج.
(46) في م و ط: "قال".
(47) في م و ط: "اللخمي" وهو تصحيف.
(48) في م و ط: "إن قال".

وبعد أن ذكر الباجي إنكار الإمام [مالك][49] للقنوت في رمضان، قال الباجي إنه[50] لحسن وهو أمر محدث لم يكن في زمن عثمان ولا قبله وأشار أبو عمر أيضا أنه لا يكون أحط رتبة من المباح وأنكر مالك قول من حاذى الركن اللهم إيمانا بك. قال ابن رشد: هو كلام حسن لا يكره مالك لأحد أن يقوله. وقال مالك ليس من عمل الناس التصدق بزنة شعر المولود. قال ابن رشد هو مستحب من الفعل. وقال الباجي هو من عمل البر. وقال أبو عمر أهل العلم يستحبون ذلك. وأنكر مالك غسل اليد قبل الطعام وقال: ليس من الأمر ورأى تركه. قال ابن رشد يريد ليس من الأمر الواجب الذي يأثم من تركه.

وقد روي عن النبي ﷺ «الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر»[51] قال: وإجماعهم على أن النظافة مشروعة يدل على ذلك. وما جاء أيضا من غسل اليد[52]قبل دخولها[53]في الإناء [هو][54]من هذا المعنى. ونص ابن العربي على استحباب غسل اليد قبل الطعام وذكر الرواية بعد ذلك على المأخذ الذي أتى به ابن أبي زيد في البسملة على الوضوء وعلى قراءة يس. وقال مالك: لا أرى التسبيح في الركوع. قال ابن رشد: لا أنه يرى تركه أحسن من فعله لأنه من السنن التي يستحب بها العمل عند الجميع. وكره مالك أن يقول حمدا كثيرا مباركا فيه.

قال الباجي: يريد ليس من الأقوال المشروعة كالتكبير وسمع الله لمن حمده. وانظر أيضا شيوخ المذهب متى وجدوا الإمام يرشح هذا المأخذ الصوفي ينقلوه[55].

(49) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(50) في ت: "وإنه".
(51) حديث "الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر" رواه الطبراني في الأوسط ورمز السيوطي في الجامع الصغير لصحته وتمام الأثر: "وهو من سنن المرسلين" وهو من رواية نهشل عن الضحاك عن ابن عباس ونهشل بن سعيد متروك كما قال الهيثمي، قال العراقي: ضعيف جدا والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وله شواهد في مسند الشهاب والترمذي وأبي داوود – فيض القدير 176/6عدد 9683.
(52) في م: "اليدين".
(53) في م: "دخولهما".
(54) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(55) في م و ط: "ينفئوه" وهو تصحيف.

كابن رشد لم يذكر في المدونة أنه يدعى بعد الصلاة وترفع[56] فيه اليدان ولكن لما تكلم على رواية العتبية ونصها: قال مالك: رأيت عامر بن عبد الله[57] يرفع يديه وهو جالس بعد الصلاة يدعو فقيل لمالك: أترى[58] بهذا بأسا؟ قال: لا أرى به بأسا ولا يرفعهما جدا. فقال[59] ابن رشد: إجازة مالك في هذه الرواية لرفع اليدين في الدعاء عند خاتمة الصلاة هو نحو قوله في المدونة لأنه أجاز فيها رفع اليدين [في الدعاء في مواضع الدعاء لأن خاتمة الصلاة موضع الدعاء[60]. وقال في موضع آخر: رفع اليدين][61] إلى الله عند الرغبة على وجه الاستكانة والطلب محمود من فاعله. وقال الباجي في المنتقى: إنما يجب أن يكون الدعاء إما باليدين يبسطهما على معنى التضرع والرغبة وإما أن يشير بأصبع واحدة[62] على معنى التوحيد.

وقال محي الدين النووي: ثبت رفع اليدين في نيف وثلاثين موطنا. وقال عن القشيري هو السيد الجليل، وقال عنه ابن العربي: هو الأستاذ [الإمام][63] خاتمة الصوفية، قال في رسالته ما نصه: وقد ذم الله قوما فقال﴿ ويقبضون أيديهم ﴾[64] قيل: لا يمدونها إلينا في السؤال.

ولم ينقل ابن عرفة في ديوانه الفقهي إلا ما نصه: ليس من السنة رفع الأيدي بالدعاء عقب الخطبة إلا لخوف [أو قحط][65] أو نحوه أو أمر ينوب فلا بأس بأمر الإمام لهم بذلك.

---

(56) هكذا في ت: "يدعى" وترفع بالبناء للمجهول وفي م وط: "يدعو" وترفع بالبناء للمعلوم واخترنا ما في ت لأنه أقوم للمعنى.
(57) هو عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام الأسدي أبو الحارث المدني روى عن أبيه وأبي بكر بن عبد الرحمن ابن هشام وأنس وغيرهم وعنه عمرو وعمر بن عبد الله بن عروة ويحيى بن سعيد الأنصاري وعمرو بن دينار ومالك بن أنس وغيرهم ثقة قليل التحديث وأحاديثه كلها يحتج بها عابد مات سنة 124هـ-تهذيب التهذيب 5/74.
(58) في م: "ألا ترى" وهو تصحيف.
(59) في م و ط: "قال".
(60) في ط: "للدعاء".
(61) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(62) في م و ط: "واحد".
(63) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(64) الآية 67 من سورة التوبة.
(65) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

ولما وجه أبو بكر رضي الله عنه سعيد بن عامر[66] وولى يذهب، قال أبو بكر: ادعوا[67] الله كيما يصحب صاحبكم ويسلمه، ارفعوا أيديكم رحمكم الله، فرفع القوم أيديهم إلى ربهم وهم أكثر من خمسين رجلا. فقال علي رضي الله عنه: ما رفع عدتكم أيديهم إلى الله [سبحانه][68][يسألونه][69] إلا استجاب لهم ما لم يكن معصية أو قطيعة رحم. قال ابن عرفة: عندي نظر في تلقي ابن رشد والشيخ قول ابن حبيب بالقبول لما ذكره الشيخ الراوية العدل أبو الربيع[70] بن سالم في اكتفائه[71].

وفي الترمذي: «الصلاة مثنى مثنى تخشع وتضرع وتمسكن تقنع يديك يقول ترفعهما إلى ربك»[72] قال في عارضة الأحوذي [في][73] قوله تقنع ترفع يديك: أي بعد الصلاة. وقال في مسالكه: السنة أن يدعو مبسوط الكفين.

---

(66) هو سعيد بن عامر بن خذيم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح القرشي الجمحي أحد كبار الصحابة وفضلائهم أسلم قبل خيبر وشهدها وما بعدها ولاه عمر حمص وقصته مع امرأته في الزهد مشهورة مات رضي الله عنه سنة 21هـ-الإصابة 4/195 عدد 3263، والذي في الإصابة والبداية والنهاية 7/105 أنه إنما ولاه عمر على حمص بعد أبي عبيدة ويمكن أن يكون قد ولاه أبو بكر قبل ذلك كما ذكر المؤلف.
(67) في م: "ادع".
(68) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(69) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(70) هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان (كما ذكر في هامش ت) يكنى أبا الربيع ويعرف بابن سالم الكلاعي الحميري الحافظ المحدث الأديب المجاهد الخطيب أخذ عن أبي القاسم ابن حبيش وأبي عبد الله بن زرقون وعبدالمنعم بن فرس وغيرهم وعنه أبو عبد الله بن حزب الله وابن الأبار وابن المواق وابن الغماز وغيرهم، له: مصارع الظلام في الحديث، وحلية الأمالي في الموافقات العوالي وكتاب الاكتفاء، توفي سنة 634هـ- الديباج ص 122.
(71) كتاب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع بن سالم ألفه في الفتوحات ولم يذكر فيه علي لأن الفتوحات توقفت في عهده – كشف الظنون1/141.
(72) الحديث في الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنه بلفظ "صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة واجعل آخر صلاتك بالليل وترا" قال أبو عيسى الترمذي حسن صحيح وفي الباب عن عمر بن عنبسة أخرجه الطبراني ومحمد بن نصر المروزي بزيادة "وجوف الليل أحق به" وحديث ابن عمر في صحيح البخاري باب ساعات الوتر وهو في صحيح مسلم كذلك عن ابن عمر في باب صلاة الليل مثنى مثنى – تحفة الأحوذي 2/514 وصحيح مسلم 2/171 وفتح الباري 2/390.
(73) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت و ط.

وفي الحديث الصحيح حسبما[74] ذكر الترمذي أن رسول الله ﷺ كان إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما على وجهه[75]. وخرج أبو داوود أن رسول الله ﷺ قال «اسألوا الله ببطون أكفكم فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم»[76]. قال السيد مفتي تونس البرزلي: بهذا يرد إنكار عز الدين المسح.

ولما ذكر السيد مربي المريدين البلالي شروط الدعاء وآدابه قال ما نصه: نعم يمسح وجهه بكفيه لما رواه أبو داوود والبزار وابن حبان وابن ماجه والحاكم في المستدرك بأسانيد جيدة جدا.

ومن أحكام ابن الفرس[77]: جاء عن النبي ﷺ الأمر على المسح على الوجه عقب الدعاء وهذا منه ﷺ إشارة إلى التضرع الذي أمر[78] الله تعالى به فقال ﴿ادعوا ربكم تضرعا﴾[79]. وقال أبو الحسن بن زرقون ما نصه: ورد الخبر بمسح الوجه باليدين عند انقضاء الدعاء واتصل به عمل الناس والعلماء. قال شيخ الشيوخ ابن لب: أشار بهذا لحديث الترمذي وأبي داوود، وقد تقدم للبلالي نسبة ذلك للحاكم في المستدرك على الصحيحين[80] ولابن ماجه والبزار وغيرهم بأسانيد جيدة. وقول

(74) في ت: "على حسب"

(75) الحديث رواه الترمذي في السنن في كتاب الدعوات والحاكم في المستدرك كلاهما من حديث ابن عمر وقال الترمذي صحيح غريب وجزم النووي بضعفه وله شواهد كثيرة –انظر فيض القدير ج 5 ص 138.

(76) الحديث رواه أبو داوود والبيهقي بلفظ "سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم" وهو من حديث ابن عباس – مشكاة المصابيح عدد 2242 و2243 وموسوعة الأطراف 5/233.

(77) القاضي أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم يعرف بابن الفرس الفقيه العالم بمذهب مالك المحدث المتفنن في علوم كثيرة من بيت العلم والنباهة سمع أباه وجده وأبا الوليد الدباغ وابن هذيل وأخذ عنه القراءات وأجاز له المازري وعنه أخذ جماعة منهم أبو الربيع بن سالم. ألف أحكام القرآن وهو كتاب وصف بالنفاسة ولد سنة 525هـ وتوفي سنة 599هـ – شجرة النور ص 150 عدد 453.

(78) في م: "أمرنا".

(79) الآية 55 من سورة الأعراف.

(80) في م و ط: "على الصحيح".

ابن زرقون: اتصل به عمل الناس دليل أن ذلك كان من ابن رشد. وكأن ابن رشد لم يذكر الحديث لأنه رشح ذلك بالاستنباط فقال: وقد جاء عن عثمان بن العاص[81]، قال: أتيت رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني فقال لي رسول الله ﷺ: «امسحه بيمينك سبع مرات وقل أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد»[82]، قال ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم. ولحديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه المعوذات وينفث[83]، قالت فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيمينه رجاء بركتها. ولما رشح سيدي قاسم العقباني مسح الوجه عقب الدعاء عقَّب ذلك بكلام ابن رشد معزوا لبعض الشيوخ ثم قال: ما كان هذا الشيخ يحتاج لهذا التخريج. وذكر أن هذا لا يحتاج لتقليد انظره قبل هذا.

وكذلك ابن أبي يحيى[84] أيضا رشح المسح بعد ذكر الرواية بالإنكار ولأبي عمر في تمهيده في معنى المسح باليد عند الرقية: المسح باليد على كل ما يرجى بركته وخيره مثل المسح على رأس اليتيم وشبهه، اهـ من حديث خامس لابن شهاب.

(81) كذا في النسخ "بن العاص" ولعله تصحيف من النسخ فهو عثمان بن أبي العاص وقد تقدم.

(82) الحديث: أخرجه أحمد في المسند من حديث عثمان بن أبي العاص، ومسلم كذلك ولفظ مسلم: أنه شكا إلى رسول اله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده فقال له رسول الله عليه وسلم: "ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" –الجامع الصحيح والمسند–6 الحديث 17928.

(83) الحديث: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده رواه الشيخان وأبو داوود وابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها ورواية مسلم "بيمينه" وللحديث روايات متعددة –انظر فيض القدير 5/101 عدد الحديث 6573.

(84) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر المتولي من أهل تيرن يكنى أبا سالم ويعرف بابن أبي يحيى كان قيما على إقراء التهذيب والرسالة سمحا فاضلا ذا وجاهة عند السلاطين تفقه بأبي الحسن الصغير وأبي زكريا بن ياسين وروى عن أبي عبد الله بن رشيد الموطأ وشفاء عياض له تقييد على المدونة وشرح للرسالة مات سنة 748هـ –الديباج ص89.

وقد تقدم قول شهاب الدين: إن الخلاف إذا لم يكن في أمر شرعي إنما هو يعني شيئا جائزا هل ينفع أولا، فينبغي أن يعمل ويعتمد[85] في ذلك على فضل الله، ويلتمس فضل الله بكل سبب يمكن. هذا هو اللائق بالعبد ,اهـ نصه][86]. ولا شك أن من هذا ما تقدم عن الإمام من سكناه العقيق وترك ركوبه[87] دابة في المدينة كما تقدم في المقام [قبل][88] هذا.

وقال أبو عمر في تمهيده: ولا وجه لكراهة وضع اليمنى على اليسرى [في الصلاة][89] لأن الأشياء أصلها الإباحة ولم ينه الله ورسوله عن ذلك فلا معنى لمن كره ذلك. هذا لو لم ترو إباحته عن رسول الله ﷺ[90]. وقال في استذكاره: اختلفوا في تحريك السبابة في التشهد وكل ذلك مروي، وجميعها مباح ولله الحمد. وقال بعد ذلك: والذي أقول به وبالله التوفيق عن الاختلاف في التشهد وفي الأذان وفي الإقامة وعدد التكبير [على الجنائز وما يقرأ ويدعى به فيها وعدد التكبير][91] في العيدين ورفع الأيدي في ركوع الصلاة[92] وفي التكبير على الجنائز وفي السلام من الصلاة واحدة أواثنين وفي وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة وسدل اليدين وفي القنوت وتركه وما كان مثل هذا كله اختلاف مباح كالوضوء واحدة واثنتين أو ثلاثا. قال بعد ذلك: وذلك مباح كله وسعة ورحمة وتخيير والحمد لله.

(85) في م و ط: "يستمر".
(86) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(87) في م: "ركوب".
(88) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(89) ما بين المعكوفين غير موجود في م و ط.
(90) يقصد حديث وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة أي القبض وأحاديث القبض متواترة في كتب السنة ولفظ البخاري كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة قال أبو حازم لا أعلمه إلا ينمي ذلك إلي النبي صلى الله عليه وسلم قال إسماعيل ينمي ذلك ولم يقل ينمى أي يسنده ويرفعه–انظر البخاري كتاب الصلاة الباب 87 ص223 وفي الباب أحاديث كثيرة بهذا المعنى.
(91) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(92) في ت: "الصلوات".

وقال عياض: في تعليم رسول الله ﷺ الدعاء لهم أدبار الصلوات وحضهم عليه وفعلهم له يدل على عظيم موقع الدعاء وفعله وأن من مواطنه فيها المرغب فيها إثر الصلوات. ومن الترمذي أن رسول الله ﷺ قيل له أي الدعاء أسمع؟ قال « جوف الليل ودبر الصلوات المكتوبات »[93] وقال سبحانه: ﴿ فإذا فرغت فأنصب ﴾[94] أي إذا فرغت من الصلاة فانصب من الدعاء أي أكثر منه قاله ابن عباس وقتادة[95] والفراء[96] والضحاك[97] وغيرهم. وإنما قلت إن ذلك كان زمن ابن رشد لقول الشيخ أبي الحسن بن زرقون: ورد الخبر بمسح الوجه باليدين عند انقضاء الدعاء، قال: واتصل به عمل الناس والعلماء.

وانظر هذا الكلام من هذا الإمام مع ما تقدم من النصوص، أن هذه المتكلم فيها قصاراها الكراهة تركت أو فعلت كما قاله السيد مفتي تونس البرزلي، لموجب قائل الكراهة والاستحباب أو الإباحة فلا يسع إنكارها.

وكان سيدي ابن سراج رحمه الله يقول في مثل هذا: إن المخالف يدخل على الناس شغبا في دينهم وحيرة في قلوبهم، وهذا المنكر كما قاله شيخ الشيوخ ابن

(93) الحديث: أخرجه الترمذي في كتابي الإيمان والدعوات، والنسائي في المواقيت والصيام وابن ماجه في الإقامة والفتن ورواية الترمذي في الباب 79 من كتاب الدعوات من حديث أبي أمامة قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الدعاء أسمع؟ قال: "جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات"–سنن الترمذي ج5 الحديث 3499.
(94) الآية 7 من سورة الإنشراح وكلمة ﴿ فانصب ﴾ ساقطة من م و ط وكذلك "أي إذا فرغت".
(95) هو قتادة بن دعامة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي المصري روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن سرخس وأرسل عن أبي سعيد وروى عن سعيد بن المسيب وعكرمة وأبي الشعثاء وغيرهم وعنه أيوب السختياني وحماد بن سلمة والأوزاعي والليث وغيرهم أثنى عليه غير واحد في الحفظ والعلم مات سنة 117هـ–تهذيب التهذيب 8/351.
(96) هو أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي النحوي أخذ عن أبي الحسن الكسائي النحو وكان أعلم الكوفيين بالنحو واللغة قال الأنباري أنه كتب 3000ورقة توفي سنة 207هـ في طريق مكة وعمره 63 سنة – وفيات الأعيان 6/176 عدد 798.
(97) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني صاحب التفسير روى عن ابن عمر وابن عباس وغيرهم وقيل لم يسمع من ابن عباس وإنما لقي ابن جبير فأخذ عنه التفسير وثقه ابن معين وغيره وروى له البخاري تعليقا مات سنة 106هـ أو 105هـ – تهذيب التهذيب 4/453

لب: من الذي فزع في أعظم منه وقع[98]، خاف أن تعتقد العامة كون المستحب فرضا فأورث الناس وحشة وصاروا يحسبون المباح فاحشة ونكرا، فأوقع هذا المنكر الناس في منكر أعظم، يوشك أن تكون جريمة الخمر والكذب من ذلك أهون، قال الله سبحانه:﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ﴾[99] فدل أن البغضاء أعظم من الخمر وقال رسول الله ﷺ: «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين وقال خيرا أو نمى خيرا»[100]فاضمحلت جريمة الكذب في جنب الإصلاح فإن هذا كله من شأن الأئمة يتركون الورع وما هو الشأن خوف الوحشة مالم يكن مأثما، كما تقدم عن أبي عمر أن من شأن العالم أن يذهب مع الناس في الرخصة والسعة مالم يخف المأثم. والوحشة حرام والورع فضل.

ذكر عياض ورع أبي مجاهد الألبيري[101]وأنه نهض مع بعض أصحابه إلى أبي عبيد الجبيري[102]ليزوروه بالزهراء وكان صديقه فلما حضر عنده أحضر طعاما ودعاهما لأكله فأكلا معه فلما خرجا سئل ابن مجاهد عن أكل طعامه وقد علم أن ليس عنده [مال][103]إلا ما أعطاه السلطان فقال لو أمسكت عن طعامه لكان جفاء

(98) هذا كلام يشبه أن يكون مثلا سائرا بمعنى أن هذا المرء وقع في أعظم من الأمر الذي منه فزع فقد خاف من اعتقاد الناس فرضية المستحب فوقع في مصيبة وهي أن جعل الناس في شغب في دينهم يحسبون المباح فاحشة فأورثهم الحيرة من أمرهم.

(99) الآية 91 من سورة المائدة.

(100) الحديث: اتفق عليه البخاري ومسلم وأخرجه أحمد في مسنده وأبو داوود والترمذي عن أم كلثوم بنت عقبة والطبراني في الكبير عن شداد ابن أوس ولفظه في الجامع الصغير "ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فينمي خيرا ويقول خيرا" انظر فيض القدير 359/5.

(101) في م و ط: "ابن مجاهد السري" وهو تصحيف فهو أبو بكر ابن مجاهد الألبيري ذكره عياض في ترجمة أبي عبيد الجبيري الآتي وأنه معاصر له وأنه من أهل الورع والعلم ولم يذكر تاريخ وفاته–المدارك 188/2.

(102) هو أبو عبيد الله الجبيري بضم الجيم كما ضبطه القاضي عياض وهو قاسم بن خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير الطرطوشي القرطبي سمع من القاسم بن أصبغ ومن الأبهري بالعراق وتفقه به على مذهب مالك وقد ذكر هذه القصة القاضي عياض في ترتيب المدارك وقداختصرها توفى أبو عبيد بمطبق الزهراء سنة 368هـ أو 371هـ –ترتيب المدارك 188/2، الديباج ص 225.

(103) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

عليه وقد قومت ما أكلت وأجمعت على الصدقة به وثواب ذلك لصاحبه ورأيت هذا أفضل من الشهرة والإمساك عن طعامه والجفاء عليه.

وعرف أيضا بعبد الجبار[104]المشهور بالورع قال: ركب يوما فرس جندي فنظر إليه فقال ما لكم إما ورع نقص أو علم زاد؟ قيل ولعله تصدق بقدر انتفاعه. وانظر أيضا قول الإمام: الفصل بين الشفع والوتر بسلام هو الشأن قيل له: فإن صليت مع من لا يفصل بسلام قال: فاتبعه ولا تخالفه. قال في العتبية: لو كنت صانعه لم أسلم بين الاثنتين والواحدة. قال ابن رشد: يريد أنه لو أوتر بالناس لعارض يعرض بإمامهم الذي من شأنه أن يوتر بثلاث لا يفصل بينهن لم يخالف فعله في ترك[105]الفصل.

[وفي المدونة: من صلى خلف من يرى السجود في النقص بعد السلام لا يسجد معه حتى يسلم فإن الخلاف شر، فانظر يسارة هذه المخالفة إذ لو لم يسلم ما شعر به أحد وكان قد فعل في صلاته المطلوب فمن باب أولى المساعدة فيما هو من غير صلب الصلاة كما ليس من باب الحلال والحرام][106].

وأصل هذا ما ثبت في الحديث الصحيح عن ابن مسعود لما بلغه أن عثمان صلى في سفره أربعا استرجع، وقال: صليت مع النبي ﷺ ركعتين وكذا مع أبي بكر وعمر ثم تفرقت بكم الطرق، ثم قام ابن مسعود فصلى أربعا فقيل عتبت على عثمان وفي رواية استرجعت ثم صليت أربعا وقال الخلاف شر[107]. قال ابن العربي: وقاية العرض بترك سنة واجب في الدين.

(104) عبد الجبار بن خالد بن عمران السرتي أبو حفص من كبار أصحاب سحنون وكان صاحبا لحمديس القطان سمع منه ابن اللباد وأبو العرب وغيرهم وذكر القاضي قصته مع بغل الجندي في ترتيب المدارك ج 521/1 توفى رحمه الله سنة 281 هـ وصلى عليه حمديس صاحبه الذي كانت بينه وبينه جفوة – المدارك 521/1 وشجرة النور ص 71 عدد 85.

(105) في ت: "في تركه".

(106) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

(107) أصل الحديث رواه البخاري في الصلاة ومسلم في صلاة المسافرين باب قصر الصلاة بمنى عن ابن مسعود وفي الباب عن ابن عمر أنه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وأبي بكر وعمر ومع عثمان صدرا من خلافته. رواه الشيخان والزيادة=

ومن الاستذكار: روى أشهب و[أبو][108]مصعب أن مالكا كان يرفع يديه إذا ركع وإذا رفع على حديث ابن عمر[109]. قال في الاستذكار: ولم يرو عنه أحد مثل قول ابن القاسم قال شيخنا ابن هاشم[110]: كان أبو إبراهيم[111] يرفع وكان أفضل من رأيت وأفقههم، فقلت لابن هاشم: ألا ترفع فنقتدي بك؟ فقال: مخالفة الأئمة فيما قد أبيح لنا ليس من شيم الأئمة.

وقال ابن العربي: رفع اليدين عند الركوع وعند الرفع منه قدْ ثبت ثبوتا لا مرد له فلا وجه للعدول عنه إلا في بلادنا فيستحب تركه لأن وقاية العرض بترك سنة واجب في الدين. ومن حكم الشيخ الإمام شيخ العارفين القرشي[112]: المروءة موافقة الإخوان فيما لم يحجره عليك العلم.

وانظر أيضا هذا المعنى؛ إن ترك القيام للداخل هو الأولى بلا إشكال، ورشح القرافي فتيا ابن عبد السلام ؛ أنه إذا كان ترك القيام يؤدي إلى التباغض و التقاطع فينبغي أن يفعل دفعا لهذا المحذور ولكون تركه صار وسيلة إلى ذلك وقد قال ﷺ: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله». فهذا لا يؤمر به لعينه بل لكونه صار تركه وسيلة إلى هذه المفاسد في هذا الوقت ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا [اهـ][113].

=التيذكر المؤلف من عتب ابن مسعود على عثمان وقوله رأيت الخلاف شرا رواها أبو داوود والبيهقي من حديث أبي ذر – فتح الباري 2/452.

(108) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.

(109) روى مالك في الموطأ عن نافع عن ابن عمر أنه كان يرفع يديه في الإحرام حذو منكبيه وفي غير الإحرام دون ذلك قليلا ورواه الشافعي في الأم وأبو داوود في الصلاة باب افتتاح الصلاة وفتح الباري في باب رفع اليدين إذا قام للركعتين.

(110) المقصود أحمد بن عبد الملك بن هاشم المتقدم.

(111) هو إسحاق بن ميسرة التجيبي القرطبي الإمام تفقه بابن لبابة وقاسم بن أصبغ وعنه ابن أبي زمنين وابن بقي وابن هاشم المذكور ألف كتاب النصائح مات سنة 352هـ –شجرة النور عدد 199.

(112) هو ابن عطاء الله المتقدم.

(113) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

وقلت يوما لسيدي ابن سراج رحمه الله: ظاهر الأحاديث أن رسول الله ﷺ كان يرشح للصحابة ما يأتون في مستنبطاتهم[114]من عمل الخير، فقال لي رحمه الله: كذلك كان بعض شيوخي يقول، واستحسن هذا مني وصوبه وكانت إشارتي إلى ما ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لبلال: "أخبرني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة فإني سمعت خشف نعليك بين يديَّ في الجنة" فقال ما أذنت قط إلا صليت ركعتين ولا أصابني حدث إلا توضأت عنده ورأيت أن لله عليَّ أن أصلي ركعتين فقال رسول الله ﷺ: «فهما»[115].

وفي الموطإ لما رفع رسول الله ﷺ رأسه من الركعة وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: من المتكلم آنفا؟ قال الرجل: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: «لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا»[116]. قال أبو عمر: في هذا أن رفع الصوت بالذكر في الصلاة لا يضر، ونحوه رفع الصوت بربنا ولك الحمد، ودليلنا؛ أيضا ما أخرجه أحمد بن حنبل عن ابن أبي أوفى[117]قال جاء رجل ونحن في الصف خلف رسول الله ﷺ، فقال: الله أكبر كبيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا، قال فرفع المسلمون رؤوسهم واستنكروا الرجل وقالوا يعني في أنفسهم: من هذا الذي يرفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ؟ فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: «من هذا العالي

(114) في ت: "ما يأتون به مستنبطا منهم"

(115) الحديث أخرجه البخاري ومسلم ورواية البخاري "فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة" قال دف نعليك يعني تحزيك، ورواية "خشف نعليك" وهي أيضا في رواية البخاري عن جابر، وأخرجه أحمد والترمذي من حديث بريدة وفيه "خشخشة نعليك"– فتح الباري 3/26.

(116) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث رفاعة بن رافع ولفظ البخاري: "أيهم يكتبها أول" –صحيح البخاري كتاب الصلاة الحديث رقم 799.

(117) هو عبد الله بن علقمة أبي أوفى بن خالد بن الحارث الأسلمي أبو إبراهيم شهد بيعة الرضوان و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه كثير، مات رضي الله عنه سنة 86 هـ–تهذيب التهذيب 5/152عدد 261.

الصوت؟» فقيل: هذا يا رسول الله! فقال: «والله لقد رأيت كلاما يصعد إلى السماء حتى فتحت له فدخل فيها»[118].

وفي صحيح البخاري أن رجلا سمع رجلا آخر يقرأ قل هو الله أحد، يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالُّها، فقال له النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[119]. وفيه أيضا أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: سلوه لأي شئ يصنع ذلك، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»[120].

وفي السير كان عبد الله ابن أبي بن سلول[121] له مقام يقومه، مقاما لا ينكر شرفا له إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب الناس يقول: أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس إلى أن ظهر نفاقه أسكته الناس اهـ.

فانظروا إن رسول الله ﷺ [ترك[122] [له مقامه][123] و إنما الناس هم الذين أسكتوه، ولم يكن مثل هذا بدعة مذمومة فقد تضمن هذا كله أن البدعة المذمومة هي التي تميت السنة[124] أو تكاد تفضي إلى موتها. وهذا كما يقوله الصوفية: لا تحكم على

(118) الحديث: أخرجه أحمد في المسند ج7/54 رقم الحديث 19169 وآخره: "والله لقد رأيت كلامك يصعد في السماء حتى فتح باب منها فدخل فيه".

(119) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري في كتاب فضائل القرآن الباب 13.

(120) أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب التوحيد من حديث عائشة رضي الله عنها ومسلم في صلاة المسافر والنسائي في الافتتاح.

(121) هو عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدنية وهو القائل "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"، فلما رجعوا من غزوة تبوك منعه ابنه عبد الله من الدخول حتى يدخلها صلى الله عليه وسلم مات سنة 9هـ-البداية والنهاية 5/31، شذرات الذهب 1/13.

(122) ما بين المعكوفتين غير موجود في ط و ت.

(123) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(124) في ت: "سنة".

أفضل من فاضل حتى تقيس الفائت مع الحاصل. وكذا قول الأصوليين: النهي عن الشيء أمر بضده أو بأحد أضداده، فانظره. فانظر بهذه النسبة الصوفية والأصولية الدعاء دبر الصلوات وأصبح ولله الحمد والصلاة رحمكم الله[125].

وركب هذا على مسألة في العتيبة أظنه ربيعة كلم الإمام قبل أن يسلم أنه راعي مذهب أهل العراق أنه بالجلوس الأخير يخرج من الصلاة ولا شك أن صلاته باطلة على المذهب فلو كان كلامه بعد تسليمة التحليل وقبل تسليمة الرد لا شك أن الصلاة صحيحة وترك سنة وكلامه حينئذ بدعة مذمومة، فلو كان كلامه بعد سلام الرد لقال منكر الدعاء: لا شيء عليه وكذا لو مس ذكره أو خرج بالفور ونحن نقول: وكذلك إذا دعا ونقول: مذهب أهل السنة أن النهي عن الشيء أمر بضده أو بأحد أضداده إن كان ذا أضداد، فالناهي إذاً عن الدعاء أمر بما يفعله تاركه ومعلوم ما أمره الشارع بفعل ذلك خصوصا فنسبة المفعول من المتروك نسبة واحدة فاعرضها على الشرع على البراءة الأصلية أي لا تنسبها من الصلاة بوجه لأنه قد خرج منها بتسليمة الرد. وانظر من هذا المعنى أن العبادة إذا فرغ منها كل ما يفعله بعد ذلك هو من نسبة ما يترك لا تعلق له بالعبادة المفروغ منها.

قال أبو حنيفة وأصحابه لا يقال الصلاة خير من النوم أثناء الأذان بل بعد الفراغ من الأذان وفي الموطإ أن عبد الله بن عمر أذن في ليلة ذات برد وريح فقال: ألا صلوا في الرحال[126]. قال الباجي في المنتقى: يحتمل أن يكون قوله هذا بعد كمال الأذان وهو الأولى، فانظر قول الباجي وهو الأولى، فكأنه إذا أتى المؤذن بأذانه على السنة لم يبق عليه حسبة بما يفعله، يكون كما قاله ابن العربي في خصاء البهائم، ثم قال:

(125) في م: "والصلاة والله رحمكم الله"

(126) أخرجه البخاري في الأذان من حديث ابن عمر أنه أذن في ليلة باردة بضجنان ثم قال ألا صلوا في رحالكم فأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر المؤذن يؤذن ثم يقول على إثره "ألا صلوا في الرحال في الليلة الباردة أو المطيرة في السفر"، وأخرجه مالك في الموطأ في باب النداء في السفر وعلى غير وضوء، مسلم في المسافرين، وأبو داوود في الصلاة والنسائي في الأذان والإقامة وابن ماجه في الإقامة والدارمي في الصلاة وأحمد في المسند.

هو جائز لأنه لم يقصد به تعليق الحال بالدين لصنم يعبد ولا لرب يوحد إنما يقصدون به طيب اللحم، ومن هذا المعنى قوله حديث سورة المائدة نعمت الفائدة حديث مكذوب[127]ولكن نقوله نحن من قبل أنفسنا ولا نأثره على أحد فنقول: سورة المائدة نعمت الفائدة.

ومن هذا المعنى ما حدثني به [من أثق به أنه هو أو غيره دخل على السيد المفتي السرقسطي رحمه الله في عيد النحر وأضحيته مزينة فقال له في ذلك فقال له الشيخ: السميراء أرادته.

ومن نحو هذا ما حدثني به][128]سيدي أبو عمرو ابن منظور[129]حفظه الله عن الخطيب بمسجد القرويين شارح الحكم ابن عباد أنه كان له بعمامته طرز، فقيل له في ذلك فقال: إنه مليح وهذا صرف بحسنى، أي لا تعلق للدين لا بترك هذا ولا بفعله.

والشيء يذكر بالشيء قال مالك في النظر إلى المجذوم: أما في الفقه فلم أسمع بكراهته وأما خوف أن يفزع أو يقع في نفسه من ذلك شيء. قال ابن رشد: مثل هذا أمره صلى الله عليه وسلم للمرأة بترك الدار[130]، لما وقع في نفسها أن ذهاب مالها بسبب سكنى الدار. ومن هذا لا يحل الممرض على المصح[131]مخافة أن تمرض إبله بقدر الله فيظن أن ذلك أعداها. وانظر الباب الثالث والستين من سراج الطرطوشي: قد يكون من هذا المعنى أنه قيل لحكيم: ما الحزم؟ قال سوء الظن يعني

(127) حديث سورة المائدة نعمت الفائدة موضوع كما ذكر ابن العربي ولم نعثر على تخريج له غير هذا.
(128) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(129) هو محمد بن محمد بن منظور الأندلسي الغرناطي قاضي الجماعة يكنى أبا عمرو أخذ عن أبيه أبي بكر وابن سراج وعنه أبو القاسم الطاهر والحافظ التنسي ونقل عنه عصريه المواق في هذا الكتاب وفي شرحه لخليل في باب الميراث وله فتاوى مذكورة بعضها في المعيار مات عن سن عالية بعد 887هـ – النيل ص323.
(130) في م و ط: "الولد".
(131) في ت: "ممرض على مصح".

سوء الظن بنفسه، لا بغيره كما في العتبية عن ابن عمر قال: في وجودي للشمس خير من سوء ظني[132].

وكنت أبحث لأهل الفحص[133]لبس الرنديين كما قال مالك في المظال: ليست من لباس السلف وأباحها لأنها تقي من البرد، فشنع هذا عليّ فكان جوابي أن قلت: الرنديين ثوب رومي يضمحل التشبه به بالعجم في جنب منفعته إذ هو ثوب مقتصد ينتفع به ويقي من البرد.

ونص من أثق به من الأئمة أنه ليس كلما فعلته العجم منهيا عن ملابسته إلا إذا نهت الشريعة عنه ودلت القواعد على تركه والمراد بالأعاجم الذين نهينا عن التشبه بهم أتباع الأكاسرة في ذلك الزمان في سرفهم ونحوه ويختص النهي بما يفعلونه على خلاف مقتضى شرعنا وأما ما فعلوه على وفق الندب أو الإيجاب أو الإباحة في شرعنا فلا نترك ذلك لأجل تعاطيهم إياه، لأن الشرع لا ينهى عن التشبه بمن يفعل ما أذن الله فيه فقد حفر ﷺ الخندق على المدينة تشبها بالأعاجم[134]حتى تعجب الأحزاب منه ثم[135]علموا أنه بدلالة سلمان[136]الفارسي عليه.

(132) معنى هذا الكلام أن القعود في الشمس أحب إلى ابن عمر من ظن السوء وهو من باب التحفظ من سوء الظن قال في العتبية: قال مالك: بلغني أن ابن عمر رضي الله عنهما باع من رجلين تبنا قال فكان يكيل لهما وقعد إلى جانب حائط في ظله فذهب الظل عنهما وأصابت ابن عمر الشمس فقال له الرجل: لو انصرفت عن الشمس فإنا لا نزيد على حقنا فقال: أما إني لا أرى إلا صدقكما ولكن القعود في الشمس أحب إلي من ظن السوء.– انظر كتاب الجامع الثاني من البيان والتحصيل17/343.
(133) الفحص منطقة من غرناطة احتلها النصارى واختلط سكانها بالنصارى في العادات والزي
(134) إشارة سلمان على النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق يوم الأحزاب ذكرها أصحاب المغازي مثل أبي معشر قال قال سلمان للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا – فتح الباري 314/7.
(135) في ت: "حتى".
(136) اسمه مابه بن بود كما ذكر بن منده، أبو عبد الله الفارسي يقال له سلمان بن الإسلام وسلمان الخير أصله من رأم هرمز وقصة خروجه في طلب النبي صلى الله عليه وسلم لما علم به أنه سيبعث مشهورة وفي نهايتها أنه أسر وبيع بالمدينة ثم أسلم وكان أول مشاهده الخندق حيث أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك وشهد بقية المشاهد وفتوح العراق وولي المدائن كان عالما زاهدا روى عنه أنس وكعب بن عجرة وابن عباس ومن=

والرندين المذكور هذا لباس مقتصد لا سرف فيه [ينتفع به][137]ويقي البرد ويضاهي أيضا لباس[138]المطال قال مالك: فيها ليست من لباس السلف وأباحها لأنها تقي البرد فلا فرق بين هذا وبين الرندين[139]وصح أن رسول الله ﷺ لبس جبة رومية ضيقة الكمين[140]. قال ابن العربي في مسالكه: كانت شامية والشام في ذلك الوقت للروم ففي هذا جواز لبس الضيق من الثياب وهو مستحب في الغزو ومن التشمير والتأسي برسول الله ﷺ ولا بأس به في الحضر اهـ. ونحو هذا لأبي عمر في الاستذكار.

وقال ناصر الدين المشذالي[141]: كرهت الصلاة في السراويل لأنه يحد العورة ويصفها وقيل لأنه من زي العجم، ورُدَّ هذا التعليل بأن رسول الله ﷺ صلى في جبة ضيقة شامية وهي: القبا وهي من لبس الأعاجم، ووجه آخر منصوص لمن أثق به من العلماء المعتمدين أن رسول الله ﷺ نهى العرب أن يتشبهوا بالعجم ولم يأت أنه نهى وفدا قدم عليه من وفود الأعاجم أن ينتقلوا عن زيهم لزي العرب، وهذا هو مقتضى مأخذ ابن رشد، معلوم من المذهب كراهة التلثم واستحبه ابن رشد للمرابطين[142]قال: لأنه زيهم به عرفوا وهم حماة الدين، قال: وقد خلق الله الخلق

=التابعين أبو عثمان النهدي وآخرون، كانت وفاته رضي الله عنه سنة 36هـ على أصح الأقوال.ـالإصابة 4/223 عدد 3350.

(137) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

(138) في ت: "لبس".

(139) في ت: "الردندين" وهو تصحيف.

(140) أخرجه الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة في كتاب اللباس في باب ما جاء في الجبة والخفين أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين، وهو في البخاري من حديث المغيرة في باب من لبس جبة ضيقة في السفر وفيه أنه يخرج يديه من كميه فكان ضيقين فأخرج يديه من تحت الجبة وذكره في الصلاة والجهاد ـ الجامع الصحيح للترمذي 4/240، البخاري 7/48 ، فتح الباري 10/220.

(141) هو منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي أبو علي الزواوي وصف بالإمام الفذ رحل إلى المشرق صغيرا ولازم العز بن عبد السلام وانتفع به ومشذالة قبيلة من زواوة ولد سنة 631هـ وتوفي سنة 731هـ وصف بأنه بلغ مرتبة الاجتهاد له شرح على رسالة القيرواني لم يكمل ذ نيل الابتهاج ص 443.

(142) يعني جماعة مجاهدي صنهاجة من قبائل لمتونة واكدالة ومسوفة الذين جمعهم يحيى بن إبراهيم الكدالي على الإمام عبد الله بن ياسين مؤسسا بذلك دولة خضعت لها أصقاع=

وباعد بينهم في البلاد وخالف بينهم في الأزياء، فلا يجب على أحد[143]الرجوع عن زيه إلى زي سواه، والتلثم للمرابطين هو زيهم فيستحب لهم التزامه ويكره لهم مفارقته. قال: ولا حرج على من صلى منهم متلثما بخلاف غيرهم اهـ. وقد تبين مما قررته أن خطب الرندين مضمحل في جنب الشرائس[144]واللانص وقطائف الحرير.

وينبغي للمتورع أن يتورع في خاصة نفسه ولا يحل له ولا يجوز أن يحمل الناس على ورعه فإن الورع فضل وليس بفرض يوشك أنه إن أشار عليهم بحال نفسه أن يدخل عليهم شغبا في دينهم وحيرة في قلوبهم وقد لا يتركون فيفعلون وفي قلوبهم حزازة. فقد نصوا أن من أقدم على حلال صرف يظنه متشابها أن قلبه يقسى بذلك ويظلم، كما أنه لو أقدم على حرام يعتقد أنه حلال لا يقسى قلبه ولا يعاقب على فعله. وإذا أقدم على حلال صرف يعتقد حرمته فعليه درك المخالفة.

وكان بنو عبيد لا يقرون بالزكاة المفروضة فكان بعض شيوخ ابن أبي زيد يقول لا تبرأ الذمة بدفعها إليهم، وكان غيره يقول تبرأ قال الشيخ ابن أبي زيد وكنت أستحب هذا لأنهم أن يؤدوها متأولين[145]خير من أن يتركوها عامدين[146]. قال إلى أن شنع فيها الحال كما قال، انظره في المدارك.

وانظر من هذا المعنى عوائد الناس في صلة أرحامهم وتطييب أطعمتهم يتبين بلاشك[147] أن من الجفاء على الأقارب والجناية على العيال ترك ذلك، كما تقدم قريبا[148]في ترك القيام للداخل ونحو هذا. قال أبو حامد في الإحياء: إذا جرت [عادة

=المغرب والأندلس والصحراء ودامت أكثر من مائة سنة من أشهر ملومكها يحيى بن عمر و أبوبكر بن عمر ويوسف بن تاشفين وغيرهم.

(143) في ت: "لأحد"

(144) في ت: "الشاريس"

(145) في ت: "بأويل"

(146) في ت: "متعدين"

(147) في ت و ط: "تطييب أطعمتهم بينير فلا شك"

(148) في م: "ذلك قريبا"

بتنحية]العمامة[149] على الموافقة للصاحب فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة والمخالفة توحش ولابد من مخالقة الناس بأخلاقهم كما ورد الخبر[150] لا سيما إذا كانت أخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة. قال: وليس كل ما تحكم بإباحته منقولا عن الصحابة وإنما المحذور ما يراغم سنة مأثورة اهـ. وعلى هذا يتخرج ما في كتب [أهل][151] الأحكام والنص للمتيطي[152] قال: في المزارعة إذا شرط رب الأرض هدايا في العيدين والنيروز والمهرجان وساوى ذلك مع العمل كراء الأرض فهو جائز وتعقد فيه وعلى العامل كذا وكذا دجاجة سمينة فتية في فصل النيروز وخروف سمين حي ابن شهرين، وفي المهرجان كذلك بعد أن قوما ذلك كله مع عمل العامل.

وانظر من نحو قول الشيخ القدوة السرقسطي السميراء أرادته[153] ومن نحو قول الشيخ شارح الحكم: لكنه مليح[154]. ومن نحو قول ابن العربي: لم يقصد به تعليق الحال بالدين لصنم يعبد ولا لرب يوحد هو قول ابن عرفة في البوقات [في المنار][155] قال: إنما هي قوارع لا يترکب عليها مفسدة إلا إيقاظ الناس للسحور.

قال السيد مفتي تونس البرزلي: وحاصل هذا أنهم استسهلوها لكون الناس تمالؤوا عليها ولا ينبني عليها مفسدة شرعية. قال هذا بعد أن ذكر أن قاضي القيروان

---

(149) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.
(150) إشارة إلى الخبر "خالقوا الناس باخلاقهم" ورد في إتحاف المهرة 6/354 و572 وأورده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء – موسوعة أطراف الحديث 4/591.
(151) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(152) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري يعرف بالمتيطي السبتي الفاسي القاضي الإمام الفقيه العالم العمدة الكامل المحقق المطلع العارف بالشروط تحرير النوازل لازم بفاس أبا الحجاج المتيطي وبه تفقه وبين يديه تعلم الشروط ولزم بسبتة القاضي محمد بن القاضي عبد الله التميمي وكتب للقاضي أبي موسى بن عمران ألف كتابا كبيرا في الوثائق سماه النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام اعتمده المفتون والحكام واختصره أعلام منهم ابن هارون توفي سنة 570هـ – شجرة النور ص163 عدد 502.
(153) في م: "أردته".
(154) في م و ط: "لأنه مليح" وقد تقدم أنه قال إنه مليح.
(155) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

بعث إلى ابن عبد السلام أن بعضهم أنكر النقير على المنار[في رمضان][156] وقال: هي معصية في أفضل الشهور في أول قبلة، اختطت بالمغرب وهو جامع القيروان[157] فأجابه ابن عبد السلام: إن عاد لمثل هذا فأدبه ثم رشح هذا البرزلي قائلا: إن هذه المسائل الخلاف فيها موجود بالجواز والكراهة لا ينبغي لأحد أن يخالف فيها ثم نقل كلام ابن لب بلفظه معزوا لبعض الشيوخ وأتى بنصه من قوله.

قال بعض الشيوخ إذا كان الخلاف هكذا وأتى بكلام ابن لب إلى آخره. وانظر أيضا بنسبة[المؤذن][158]: لا أنهى المؤذنين للنهي عن «الصلاة رحمكم الله» ونحوها[159] بعد الفراغ من الأذان. ولا ما في صحيح البخاري عن الحسن قال: لا باس أن يضحك وهو يؤذن[160]. قال أبو عمر: وأجاز الكلام في الأذان أحمد وقتادة وعروة وصرد[161].

وفي صحيح البخاري أيضا أن أسامة[162] قال الصلاة يا رسول الله[163] وفيه أيضا

---

(156) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(157) مدينة بإفريقية اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ وكانت حاضرة المغرب الإسلامي ومركز إشعاع علمي كبير وهي اليوم مدينة تونسية–معجم البلدان 4/420.
(158) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(159) في م و ط: "ونحو هذا".
(160) انظر البخاري كتاب الصلاة باب الكلام في الأذان: وتكلم سليمان بن صرد في أذانه وقال الحسن لا بأس أن يضحك وهو يؤذن–1/616.
(161) صرد بضم أوله وفتح ثانيه ابن أبي المنازل البصري روى عن حبيب بن فضلان وعنه محمد بن عبد الله الأنصاري وثقه ابن حبان ولم يذكر بن حجر في التهذيب تاريخ وفاته – تهذيب التهذيب4/421، وهو هكذا في الأصول "وصرد" ولكن الذي في التمهيد " وروي ذلك عن سليمان بن صرد رضي الله عنه وذكر إجازة الكلام في الأذان عن الحسن وأجاز الأوزاعي رد السلام في الأذان لا الإقامة – التمهيد 13/276 والاستذكار 4/84.
(162) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن قيس الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مولاه الحب بن الحب الصحابي الجليل أخذ عنه كبار التابعين كأبي عثمان النهدي وأبي وائل، اعتزل الفتنة توفي في خلافة معاوية سنة 54هـ – الإصابة 1/45 عدد 89.
(163) الحديث: أخرجه البخاري في كتاب الحج باب الجمع بين الصلاتين بالمزدلفة والإمام أحمد من حديث أسامة كلاهما عن كريب، ورواية البخاري عن كريب عن أسامة أنه سمعه يقول: دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة فنزل الشعب فبال ثم توضأ ولم=

أن رسول الله ﷺ أعتم بالعشاء فقال عمر:[الصلاة][164]نام النساء[165].

قال ابن بطال: فيه أن الأدون يذكر الأعلى قال مالك:لم يبلغني أن تسليم المؤذن على الإمام كان في الزمن الأول، قال أبو عمر: أول من فعل ذلك معاوية، أمر المؤذن يشعره يقول السلام على أمير المؤمنين، الصلاة يرحمك الله. واختار ابن الماشجون[166]أن يقول: السلام عليك أيها الأمير حي على الصلاة، قال أبو عمر: فمن خشي الشغل عن الصلاة بما يجوز فعله فلا بأس أن يقيم من يؤذنه. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بلالا ينادي الصلاة جامعة[167]، واستحسن الشافعي أن يقال ذلك عند كل صلاة لا يؤذن لها، قال عياض: والذي استحسنه الشافعي حسن.

ولما ذكر أبو عمر الخلاف في الإعلام بالجنازة رشح الجواز، بأن قال: أجمعوا أن شهود الجنائز خير وعمل بر وأجمعوا على أن الدعاء إلى الخير من الخير. وفي

=يسبغ الوضوء فقلت له الصلاة فقال الصلاة أمامك فجاء المزدلفة فتوضأ فأسبغ ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يصل بينهما–صحيح البخاري كتاب الحج الباب 96 الحديث 1672.

(164) مابين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(165) أخرجه البخاري في المواقيت والأذان بألفاظ قريبة من هذا اللفظ وكذلك في صحيح مسلم في المساجد والنسائي في الصلاة والمواقيت وأخرجه أحمد أيضا كلهم من حديث عائشة والرواية التي ذكر المؤلف هنا رواية أحمد في المسند وهي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أعتم بصلاة العشاء ذات ليلة فقال عمر يا رسول الله نام النساء والصبيان فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ما من الناس من أحد ينتظر هذه الصلاة غيركم " قال أحد الرواة وذلك قبل أن يفشو الإسلام في الناس– المسند ج 10 الحديث 25865.

(166) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون أبو مروان الفقيه القرشي البحر الذي لا تكدره الدلاء مفتي المدينة بيته بيت علم وحديث بها تفقه بأبيه ومالك وغيرهما وبه تفقه أئمة كابن حبيب وسحنون وابن المعذل توفي سنة 212هـ شجرة النور ص 56 عدد11.

(167) أمر بلال بالنداء للصلاة ورد في كثير من الأحاديث في الصحاح والسنن وأما النداء ب" الصلاة جامعة" فقد أخرجه الشيخان من حديث ابن عمرو بن العاص في كتاب الكسوف باب النداء بالصلاة جامعة – صحيح البخاري رقم الحديث 1045 وصحيح مسلم 34/3.

الموطإ ورقائق ابن المبارك: أن عمر رضي الله عنه قال لرجل: كيف أنت قال: أحمد الله إليك، قال عمر: هذا أردت منك، قال ابن[168]عمر: كنا لعلنا نلتقي في اليوم مرارا يسأل بعضنا بعضا وإن يريد بذلك إلا الحمد لله.

ونقل ابن بطال أن أبا هريرة وابن عمر كانا يخرجان إلى السوق لأيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.قال ابن بطال: وكان المكبر لا ينكر عليه. وفي الحديث الصحيح على حسب ما ذكره الترمذي أن رسول الله ﷺ [كان][169] إذا ذهب ثلثا الليل يقول:«يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت[170] بما فيه» قال أبي فقلت: يا رسول الله ﷺ إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت، قال: الثلث، قال: ما شئت وإن زدت فهو خير، قلت: الثلثين، قال: ما شئت وإن زدت فهو خير، قلت: أجعل صلاتي كلها لك، أي أجعل دعائي كله صلاة عليك، قال:إذا تكفى همك ويغفر ذنبك[171].

وكان زمعة[172]نازلا بالمحصب يقوم ويصلي ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته: أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون؟ألا تقومون فترحلون؟ فيتواثبون يسمع من هنا باك ومن هنا صارخ ومن هنا داع ومن هنا قارئ ومن هنا متوضئ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: عند الصباح يحمد القوم السرى[173].

---

(168) في م: "أبو".

(169) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

(170) في م تكررت لفظة "الموت".

(171) الحديث أخرجه الترمذي في صفة القيامة عن أبي بن كعب قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح جامع الترمذي كتاب صفة القيامة الحديث 2457 وأخرجه أحمد عنه والحاكم وصححه تحفة الأحوذي 153/7.

(172) زمعة بن صالح الجندي اليماني المكي روى عن سلمة بن وهرام وابن طاووس وعمرو بن دينار والزهري وعنه ابنه وهب والسفيانان وابن مهدي ووكيع كان رجلا صالحا وهذه القصة أوردها ابن الجوزي في صفة الصفوة ج230/2. قال في تهذيب التهذيب كان رجلا صالحا يهم في حديثه كما ذكر ابن حبان ولم يذكر تاريخ وفاته ذالتهذيب ج338/3.

(173) عند الصباح يحمد القوم السرى مثل يضرب للرجل يتحمل المشقة رجاء الراحة يقال إن أول من قاله خالد بن الوليد في قصة فتحه للعراق ضمن أبيات منها البيت: =

وكان عروة رضي الله عنه بالبصرة يقوم بالليل فيصيح بالطرق ويخوف ويتلوا قول الله تعالى ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بيتا وهم نائمون﴾الآيات[174]. وقد استدل المسيلي[175]على قيام المؤذنين بالإسحار بهذا الخبر، وبجواز ذلك أيضا أفتى ابن عتاب[176]، قال عياض: ابن عتاب هو شيخ المفتين حافظ نظار أحد العلماء الأثبات ممن عني[177] بسماع الحديث دهره وقيده فأتقنه، قال وكان على سنن أهل الفضل، جزل الرأي، حصيف[178] العقل على منهاج السلف المتقدم، سأله ابن ذكوان[179] عن المحتسب الذي قام يحتسب على المؤذن القائم في جوف الليل يبتهل بالدعاء، فقال[180]ابن عتاب: ليس في هذا شيء ينكر وعلمك محيط بما ذكر[181] الله من الترغيب قال الله سبحانه ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ...﴾ إلى ﴿...والآصال﴾[182] قال: والاحتساب في ذلك غير سائغ إذ ذاك، ذكر الله وهو مما

=عند الصباح يحمد القوم السرى   وتنجلي عنهم غيابات الكرى
الأمثال للميداني ج 1/2 عدد2382.

(174) الآية رقم 97ـ99 من سورة الأعراف.
(175) هو حسن بن علي المسيلي الشيخ الفقيه العالم العابد المتقنن القاضي الإمام أبو علي من مؤلفاته التذكرة في علم أصول الدين والنبراس في الرد على منكري القياس وكتاب في علم التذكير له فتاوى عجيبة وأحكام غريبة في إرضائها للخصوم توفي ببجاية سنة 580هـ نيل الإبتهاج ص 107ـ104.
(176) محمد بن عتاب أبو عبد الله القرطبي وصف بشيخ المفتين تفقه بابن الفخار والقاضي ابن بشير وصحبه أكثر من 12سنة وخلف بن بحر الطلمنكي وغيرهم وعنه أخذ الأندلسيون ولم تعرف له رحلة من الأندلس وعرض عليه قضاء أمصار فأبى وامتنع وصف بالفضل وجزالة الرأي والتقدم في الحديث واللغة والعقل توفي سنة 462هـ والوصف المذكور هو الذي وصفه به القاضي عياض في المدارك وابن فرحون في الديباج ترتيب المدارك 353/2 ونيل الإبتهاج ص274.
(177) في م و ط: "من عني"
(178) في م: "خصيف"
(179) أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان الأموي أصله من جيان كان أبوه قاضي القضاة سلك مسلك أبيه في تحصيل العلم ولي خطة المظالم للمعتمد ثم قضاء قرطبة وكان حميد السيرة ولد سنة405هـ وتوفي سنة435هـ ترتيب المدارك 335/2ـ336.
(180) في م: "قال".
(181) في ت: "ذكره".
(182) الآية 36 من سورةالنور.

تنشرح له صدور أهل الإيمان وتطمئن قلوبهم[به][183]﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[184]. ومتى عهد من ابتهل بالدعاء والاستغفار أن يوقف موقف[185]الإنكار والإقرار، أما سمع المحتسب قول الله سبحانه ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾[186]. وقد قال مالك: كان الناس في الزمان الأول عند خروجهم للأسفار يتواعدون لقيام القراء لقيامهم في الأسحار فتسمع أصواتهم من كل منزل، وكان جواب المسيلي أن قال:كل ما صنعه هذا المؤذن فحسن مأمور به مرغب فيه من قراءة القرآن والدعاء وتذكير الناس وتخويفهم قديم من فعل الصالحين في أمصار المسلمين.

و[قد][187]تقدم من قول أبي عمر: مالم ينه الله عنه ولا نبيه ولا اتفق الناس على النهي عنه فلا معنى لمن كرهه. وتقدم قول شهاب الدين وعز الدين: أن الشرع يحتاط لفعل المندوبات كما يحتاط لفعل الواجبات فما استحب قوم فعله أولى. وتقدم قول أبي عمر: قط ما يكون أحط رتبة من المباح، وقال ابن العربي في أحكامه عن بعض شيوخه أنه إذا دخلنا مسجدا لإقامة ساعة يقول: انووا الاعتكاف تربحوه.

وانظر من هذا المعنى لا يجد الإنسان باعثا على الغسل عند الفجر أو بعده يوم الجمعة إن هولم يفعل لا يتهيأ له غسل عند الرواح، فالأولى أن يغتسل إذ لو كان حكما لأمضى ولو كان فطرا في رمضان لم يكفر. وقال ابن رشد: ظاهر المدونة كراهة الصلاة مع التسمية عند الذبح ثم قال ولا وجه لهذه الكراهة. وقد تقدم قول مالك قول: المضحي اللهم بك[188]وإليك بدع، قال ابن رشد: لاحرج في ذلك وهو مأجور.

(183) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(184) الآية28 من سورة الرعد.
(185) في ت: "مع" بدل "موقف".
(186) الآية 52 من سورة الأنعام.
(187) مابين المعكوفتين غير موجود في ت.
(188) في م و ط: "منك".

وفي الترمذي على جواز سجدة الشكر العمل عند أكثر العلماء ولم ير ذلك مالك قال في العارضة: ولولم ير ذلك مالك، والسجود لله دائما هو الواجب فإذا وجد أدنى سبب للسجود فليغتنم اهـ نص ابن العربي.

فانظر ثاني فرع صدر الكتاب في أن الخلاف في المشروعية الورع فعله ولا يكون أبدا أحط رتبة من المباح، وهذا الموضع هو لي محل وجد ولكن آليت أن لا أظهر وجدا إلا ما أظهرته قبل. وبالجملة فتعلق هذه الأشياء كلها إنما هي فيما في ملك الإنسان كما يأتي لأبي عمر في تمهيده فذلك قاله السيد مفتي تونس البرزلي، جدد الله عليه رحمته إذ قال للممزق[189]العرض عليها ومورث الوحشة بين العوام و مفتيها وخطيبها[190] : أنت يا هذا قد عمدت إلى مستحب جائز الترك أومكروه جائز الفعل أو مباح وغيره خير منه وكل ذلك مختلف فيه والخلاف إذا كان في التحريم والتحليل لا حسبة فيه فكيف يحتسب فيما ليس من الحلال والحرام، قال أبو عمر بن عبد البر: ألا ترى أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا وهم الإسوة فلم يعب أحد منهم على مخالفه ولا وجد عليه في نفسه فإلى الله الشكوى وهو المستعان على أمة نحن بين أظهرها تستحل الأعراض إذا خولفت اهـ كلام أبي عمر.

ثم نقل في تمهيده إلى أسامة بن شريك[191]قال: شهدت الأعاريب يسألون رسول الله ﷺ هل علينا جناح في كذا وكذا؟ فقال ﷺ: «عباد الله إن الله قد وضع الحرج إلا امرأ اقترض من عرض أخيه شيئا فذلك الذي حرج وهلك»[192]وإنما هذا

(189) في م: "للمزق".
(190) في ط و ت: "وخطبائها".
(191) أسامة بن شريك الثعلبي الذبياني الغطفاني صحابي جليل أخرج حديثه أصحاب السنن وأحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم ولم يذكر ابن حجر في الإصابة تاريخ وفاته – الإصابة 1/46 عدد 90.
(192) الحديث: أخرجه أبو داوود الطيالسي وابن منيع والطبراني والديلمي من حديث أسامة بن شريك قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما علي رؤوسهم الطير فجاءته الأعراب تسأله عن أشياء فقالوا هل علينا حرج في كذا؟ فقال: "عباد الله وضع الله الحرج إلا امرأ افترض أمرا ظلما فذاك يحرج ويهلك..." إلخ – انظر فيض القدير 4/300.

لأن العرض من الظلم الذي لا يتركه الله ولو كان المغتاب ظالما أوفاسقا إذ كل المؤمن على المؤمن حرام دمه وماله وعرضه، فإن كان القائم مدعوا للشهادة أو ممن بسطت يده في الأرض، فقد قالوا: لا يباح له أن يذكر من عرض الفاسق إلا القدر المحتاج إليه لأجل التغيير عليه مع من له قدرة على التغيير عليه. وأما التفكه بعرض المؤمن [الجاني][193]فلا يحل ولا يجوز كما قاله[194]عوف[195]، قال: دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج، فقال ابن سيرين: إن الله حكم عدل فكما يأخذ من الحجاج، يأخذ للحجاج، وإنك إذا لقيت الله غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج، فالتفكه بعرض الفاسق حرام بإجماع. وقد تقدم قول الفضيل ما يأخذ سفيان أقل مما يستحق ثم خلا به وعذله[196].

ومن الإحياء: أخبث أنواع الغيبة إفهام المقصود على صيغة أهل الصلاح، كأن يقول الحمد لله الذي لم يبتلينا بالدخول على السلاطين والتبذل في طلب الحطام إذا كان قصده بهذا إفهام غيره، وقد يقدم مدح من يريد غيبته، فيقول ما أحسن أحوال فلان إلا أنه ابتلي [بما أبتلي][197]به كلنا، فهذا قد جمع بين ثلاث فواحش الغيبة والرياء وتزكية النفس[198]. ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله يستعمل[199] اسم[200]الله آلة له في تحقيق خبثه وهو يمن على الله بذكره. ومن ذلك قوله: لقد ساءني ما جرى على صديقنا تاب الله علينا وعليه فهو

(193) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(194) في م: "وقاله".
(195) هو عوف بن أبي جميلة العبدي الهجري أبو سهل البصري المعروف بالأعرابي واسم أبيه بثدويه. روى عن أبي رجاء العطاري وأبي عثمان النهدي والحسن وأنس ومحمد بن سيرين وغيرهم وعنه شعبة والثوري وغيرهم كثير، أثنى عليه السلف مات سنة 147هـ–تهذيب التهذيب 8/167.
(196) في م و ط: "عزله" وهو تصحيف.
(197) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(198) في ت و ط: "نفسه".
(199) في ت: "فيستعمل".
(200) في م: "بسم الله".

كاذب "في دعواه الغم وفي إظهاره الدعاء له لو كان صادقا لدعى له"[201] بخلواته وعقب[202] صلاته [في دعواه][203].

وانظر قول الفضيل كلما يأخذه سفيان أقل مما يستحق ونصحه حين خلا به. وانظر ما تقدم لنا مما اختلف الشيوخ في استحبابه أو كراهته قط ما يكون فعله بمنزلة النظر لما يحل. وتقدم قول ابن العربي أنه صغيرة مضمحلة في جنب مشاهدته نفسه وأن [لا][204] يعمل بموجبه ومضمحلة بالحسنات ولا أيضا ما ترك من ذلك بمنزلة الوتر الذي لا سنة آكد منه ومع ذلك قال ابن العربي قول سحنون من ترك الوتر أُدِّبَ، التقف هذا من أسد بن الفرات[205] وهي لعمر الله ملح غير فرات، فإن ظهر المؤمن حمى لا يستباح إلا إذا عصى.

وقال ابن العربي: الكلام في المحرمات باب عظيم، ليس ما حرمته السنة كما حرمه القرآن، ولهذا قال ابن القاسم من جمع بين المرأة وعمتها عالما بالنهي درئ عنه الحد لأن تحريمه بالسنة، بخلاف من جمع بين المرأة وأختها فإنه يحد لأن تحريمه بالقرآن. وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ: «كل ذي ناب من السباع حرام»[206] قال ابن العربي: كذا ثبت لفظ حرام في الموطإ والبخاري[207] ومسلم ويتأول

(201) ورد مقابل هذه العبارة في م وط: "في إظهاره الغم وفي إظهار له لو كان صديقا لدعا له".
(202) في ت: "عوقب".
(203) ما بين المعكوفتين غير موجود في م وت.
(204) ما بين المعكوفتين ساقط من م وط.
(205) هو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم أصله من خراسان قدم أبوه تونس مع محمد بن الأشعث سمع علي بن زياد ثم لقي مالكا وأصحاب أبي حنيفة ثم لازم ابن القاسم وأخذ عنه الأسدية ونشرها في القيروان وولاه زيادة الله بن الأغلب القضاء مع أبي محرز ثم خرج للجهاد إلى صقلية حيث جاهد وافتتح منها مواضع مهمة ومات محاصرا سرقوسة من أعمالها وهو أمير الجيش وقاضيه سنة 213هـ –شجرة النور ص 62 عدد 37 ورياض النفوس 1/254 عدد 104.
(206) الحديث أخرجه مسلم في الصيد والنسائي كلاهما من حديث أبي هريرة "كل ذي ناب من السباع فأكله حرام" ولم يخرجه البخاري قال ابن عبد البر مجمع على صحته–فيض القدير 5/20.
(207) قوله: البخاري فيه نظر لما تقدم ولعله غلط.

[لفظة][208] حرام أي ممنوع إذ ليس ما حرمته السنة كما حرمه القرآن ومن المدارك قال مالك: لم يكن أمر الناس ولا من مضى من سلفنا الذين نقتدي بهم ومعول الإسلام عليهم أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام ولكن يقول أنا أكره كذا [وأرى كذا][209].

وأما حلال وحرام فهذا الافتراء على الله أما سمعت قول الله سبحانه ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحللا قل ءا الله أذن لكم أم على الله تفترون﴾[210]، لأن الحلال ما أحله الله ورسوله والحرام ما حرماه اهـ بنصه. وتكلم عز الدين على أموال من غلب على أموالهم الحرام فقال لهم أحوال:

- أحدها أن يعلم أن الذي[211] بذله من الحرام[212] [أو من الحلال فهذا لا إشكال فيه.
- الثانية: أن يعلم أن الذي بذله][213] من جنس ما يكتسبه[214] من المحرم فهذا مكروه أخذه والورع عنه متأكد.
- الثالثة[215]: أن يكون ما يبذله ليس من جنس ما يكتسبه بالسبب المحرم فهذا لا بأس بالإقدام عليه فإن شك هل اشترى ذلك بالمال الحرام[216] أولا؟ فالورع في هذا خفيف ولا يقضي بتحريمه، لأن [الأسباب][217] المحللة إذا غلبت حل لك الإقدام وإن غلبت ندرتها حرم الإقدام وهذا المال دائر بين أن يكون اشتراه بعين المحرم وذلك نادر، وبين أن يكون قد اشتراه في الذمة ثم نقد الثمن الحرام فيه وهذا

(208) ما بين المعكوفتين ساقط من م وفي ط: "لفظ" بدل "لفظة".
(209) ما بين المعكوفين غير موجود في.
(210) الآية 59 من سورة يونس.
(211) في م: "للذي".
(212) في م: "من المحرم".
(213) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(214) في م: "مما يكسبه".
(215) في م: "الثانية".
(216) في ت: "المحرم".
(217) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

أغلب المعاملتين[218]. وهذا جار في أموال الملوك والظلمة والولاة الغشمة وقطاع الطريق والمغنيات والزواني وجميع من يغلب عليه الكسب الحرام. والعجب ممن يحرم هذا ومع كونه كاذبا[219]على الله في تحريمه ولا ينظر إلى أن الامتناع من الكذب على الله في التحريم والتحليل واجب فإنه لا فرق بين محلل الحرام ومحرم الحلال والفلاح كله منوط بالوقوف على[220]حدود الله ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلـلا مبينا﴾[221] [اهـ بنصه][222].

وانظر قوله: وهذا المال دائر بين أن يكون اشتراه بعين المحرم، ومذهبنا نحن أنه إذا اشتري شقص شريكك بعين المحرم لك أخذه بالشفعة إن كان عين المحرم دنانير ودراهم؛ بخلاف غيرهما. وقد بسطت مقتضى مذهبنا في كتاب التاج[223]ونقلت هذه المسألة هنا لحسنها ومقصودي نص هذا الإمام، فمن يجترئ على الله ويقول حلال وحرام.

وقال ابن رشد في جامع العتبية: إذا أدى اجتهاد المجتهد إلى أن الشيء حرام، فلا يجوز أن يقول هو حرام على الإطلاق لا على القول بتصويب المجتهدين ولا على قول غيرهم، وهل يجوز أن يقول هو حرام في رأيي؟ أما على أن الحق واحد فلا يجوز ذلك، وأما على أن كل مجتهد مصيب، فجائز أن يقول: هو حرام في رأيي.

---

(218) في م: "المتعاملين".
(219) في ت: "كذبا".
(220) في ت: "عند".
(221) الآية: 36 من سورة الأحزاب.
(222) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(223) كتاب التاج والإكليل في شرح مختصر خليل كتاب ألفه المواق في شرح خليل واختصره في مختصر وهما متقاربان في الحجم ويزيد كل على الآخر في بعض المواضع نمى فيه طريق الاختصار على العزو ونقل فقهه من أصول المذهب مما يوفقه أو يخالفه من غير تعرض لألفاظه بحيث أنه إذا لم يقف على نص مسألة خليل ينص لها. أثنى على هذا الشرح غير واحد ومنهم الشيخ أحمد باب التمبكتي في النيل وعليه عول ابن غازي في حاشيته كما قال وقد طبع هذا الكتاب بهامش مواهب الجليل للحطاب ولعل المطبوع هو المختصر.

وانظر أيضا النهي عن الشيء على الجملة إذا ورد مطلقا في القرآن والسنة. قال ابن العربي: هو نهي أدب وإرشاد إلا أن تدل قرينه على أنه مصلحة في البدن أو في المال على الاختصاص بالمرء فإنه يكون مكروها ولا يرتقي إلى التحريم. ونحوه لأبي عمر في تمهيده واستذكاره في غير موضع؛ أن النهي إذا كان ورادا على ما في ملكك فهو نهي أدب وإرشاد، لأنه ملكك تتصرف فيه كيف شئت ما لم يكن ملكك حيوانا، قال: وعلى هذا ورد نهي القرآن والسنة كالنهي عن اختناث[224]الأسقية والاستنجاء باليمين والأكل بالشمال. ابن العربي: واشتمال الصماء، كل هذا مكروه ولا يترقى إلى التحريم. ونحو هذا لابن رشد في المشي بنعل واحدة قال ما نصه: النهي عن المشي بنعل[225]واحد نهي إرشاد وليس فعل ذلك بحرام. وقال ابن العربي: النهي عن المشي في نعل واحد صحيح وإن مشى في نعل واحد فلا يكون عاصيا عند الجمهور، وإن كان بالنهي عالما اهـ نصه.

وقال عياض في أول الإكمال: لا ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يحمل الناس على اجتهاده ومذهبه، وإنما يغير منه ما اجتمع على إحداثه وإنكاره. ورشح هذا محيي الدين النووي قائلا: أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، وليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه، إذا لم يخالف نص القرآن والسنة والإجماع. ونقلت من خط صاحبنا ابن طركاط[226]رحمه الله فتيا للشاطبي قال: الأولى عندي في كل نازلة يكون لعلماء المذهب فيها قولان فيعمل الناس فيها على موافقة أحدهما وإن كان مرجوحا في النظر أن لا يعرض لهم وأن يجروا على أنهم قلدوه في

---

(224) من خنث السقاء يخنثه بالكسر: أي كسره إلى خارج فشرب منه كاختنثه-انظر القاموس مادة خنث.
(225) في ت: "في نعل".
(226) هو الشيخ أبو القاسم أو أبو الفضل بن محمد بن طركاط الأندلسي العكي الكاتب تولى قضاء مدينة المرية سنة ٨٥٤هـ وفيها ألف اختصاره لوفيات الأعيان، له نوازل جمعها لفقهاء أندلسيين لا تزال مخطوطة، توفي قبل 897هـ أي قبل وفاة المواق، كما يدل على ذلك السياق.- نفح الطيب 8/61 و 296.

الزمن الأول وجرى به العمل فإنهم إن حملوا على غير ذلك كان في ذلك[227] تشويش للعامة وفتح لأبواب الخصام. وربما يخالفني في [ذلك][228] غيري لكن ذلك لا يصدني عن القول به ولي فيه أسوة اهـ.

انظر هذا الكلام من قوله في موافقاته: ترك الاعتراض على الكبراء محمود. وقوله: إن الصوفية صفوة الله ألزموا أنفسهم من التعبد ما لا يلزمهم. وأن السلف سرمدوا الصلاة والصوم وسووا بين الواجب والمندوب في طلب الفعل واستحسن[229] التزام الذكر الذي رآه الكتاني في النوم واستحسن[230] التزام:

لا كنت ولا كان الهوى...

دبر كل صلاة. وقال في إنشاداته وإفاداته[231]: أنه أوصى في النوم أن لا يعترض على أحد. كان لسيدي ابن سراج رحمه الله هنا كلام كان رحمه الله يقول: فأين هذا من هذا كله؟ بعبارة أغلظ من هذا. وقال تقي الدين ابن الصلاح: إذا كان للمفتي مختار يأخذ به في خاصته بينه للمستفتي؛ يقول: مذهبك كذا وأنا[232] يظهر لي كذا.

وقال الإمام الماوردي: [إن المفتي][233] إذا نابذ[234] في فتياه شخصا معينا، صار خصما معاندا ترد فتياه كما ترد شهادته وليكتب فتيا نفسه من غير أن يعترض[235] لفتيا غيره بتخطئة واعتراض اهـ.

---

(227) في م و ط: "كان فيه".
(228) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(229) في م: "واستحسان".
(230) في ت: "استحسان".
(231) في م: "وإنجاداته" وهو تصحيف وكتاب الإنشادات والإفادات مجموعة من الفوائد جمعها الشاطبي وقد طبع أخيرا.
(232) في م و ط: "وإنما".
(233) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(234) في م: "نافذ".
(235) في ت: "يتعرض".

وقد تبين مما قررته في هذا المقام أن ما اختلف في مشروعيته خير من المباح، ولا شك أن ما اتفق على مشروعيته فهو أولى ودعه ليس بأهم، وهذا هو المقام السابع.

المقام السابع :أن يكون في مهم إن لم يكن على أهم

إن[1]لم يكن على أهم علم وعمل فلا يحتقر أن يكون على عمل مهم فالمتجردون المراقبون وإن كانوا صفوة الخلق قائمين بفرض العين فكذلك المتسببون أيضا قائمون بفرض الكفاية.

وقد تقدم قول ابن العربي: لا يتفق أن يكون الخلق كلهم على المنزلة العليا لأن في ذلك فساد الدنيا، فانشغال الإنسان مع الخلق بتجارة أو صناعة أو علم؛ اشتغال[2] بفرض من فروض الكفاية.

ومن كتاب آداب الدين للماوردي: المكاسب أربعة: زراعة، نتاج حيوان، تجارة، صناعة. قال المأمون: من خرج من هذه الأربعة فهو كلٌّ علينا. قال في الإحياء: لو تركت الصناعات والتجارات هلك الخلق. قال: وانتظام أمر الدين إنما هو بالتعاون وتكفل كل فريق بعمل، ولكن قال عز الدين: القائم بفرض الكفاية لا يؤجر على ذلك إذا قصد إليه، إلا أن ينوي به القربة، قال: كما لا يثاب[3]على ترك العصيان إلا إذا قصد بذلك طاعة الملك الديان[4].

(1) في ت: "وإن".
(2) في ت: "مشتغل".
(3) في م: "كما قال لا يثاب".
(4) يرى بعض أهل الأصول أن القيام بفرض الكفاية أفضل من القيام بفرض العين، من هؤلاء عبد الملك الجويني والأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني وغيرهم قال السيوطي في الكوكب الساطع:
وزعم الأستاذ والجويني ونجله يفضل فرض العين
أي أن فرض الكفاية يفضل أي يحوز السبق على فرض العين

ومما ينبغي أن أنقل هنا قول تاج الدين في حكمه: طلبك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية وطلبك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد[5] انحطاط عن الهمة العلية. وافهم رحمك الله من شأن هذا العدو اللعين أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيتشوش قلبك ويتكدر وقتك، وذلك لأنه يأتي المتسببين فيقول لهم لو تركتم الأسباب وتجردتم لأشرقت لكم الأنوار ولصفت منكم القلوب والأسرار وكذلك فعل فلان وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به، إنما صلاحه في الأسباب فيتركها فيتزلزل إيمانه ويذهب إيقانه ويتوجه إلى الطلب من الخلق والاهتمام[6]بالرزق فيرمى في بحر القطيعة، وذلك قصد العدو منه لأنه إنما يأتيك في صورة ناصح [إذ لو أتاك في غيرها لم تقبل منه كما أتى آدم وحواء عليهما السلام في صورة ناصح][7]. وكذلك يأتي المتجردين يقول لهم إلى متى تتركون؟ الأسباب ألم تعلموا أن ترك الأسباب تتطلع منه[8]القلوب إلى ما في أيدي الناس؟ ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره فلا يزال به حتى يعود إلى الأسباب فتصيبه كدرتها وتغشاه ظلمتها ويعود الدائم في سببه أحسن حالا منه لأن ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه، فافهم واعتصم بالله ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾[9].

وإنما يقصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد الرضى عن الله فيما فيه ويخرجهم عن مختار الله لهم إلى مختارهم لأنفسهم، وما أدخلك فيه تولى إعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك إليه.﴿وقل ربي أدخلني مدخل صدق﴾الآية[10] فالمدخل الصدق؛ أن تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك.

(5) في م: "في الأسباب" وهو غلط.
(6) في ت: "وإلى الاهتمام".
(7) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(8) في ت: "معه".
(9) الآية 101 من سورة آل عمران.
(10) الآية 80 من سورة الإسراء.

والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجك كما تولى إدخالك وليس الشأن أن تترك السبب[11] إنما الشأن أن يتركك السبب.

ودخلت على الشيخ أبي العباس[12] وفي نفسي العزم على التجريد قائلا: الوصول إلى الله مع الاشتغال بالعلم الظاهر ومخالطة الناس بعيد، فقال لي من غير أن أسأله: صحبني إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذه الطريقة شيئا فجاء إلي وقال يا سيدي نخرج عما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذلك ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم إليك على أيدينا فهو إليك واصل. ثم نظر إلي الشيخ وقال: وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون عن شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم. فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله. ولكنهم كما قال رسول الله ﷺ: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» اهـ من التنوير.

وزاد في لطائف المنن[13]: أن الشيخ أبا العباس المذكور قال له: نحن إذا صحبنا تاجر، ما نقول له اترك تجارتك وتعال، أوصاحب صنعة، ما نقول له اترك صنعتك وتعال، أو طالب علم،، ما نقول اترك طلبك وتعال، ولكن نقيم كل أحد فيما أقامه الله فيه وما قسم له على أيدينا فهو واصل إليه.

وقد[14] صحب[15] الصحابة رسول الله ﷺ فما قال لتاجر: اترك تجارتك، ولا لذي صنعة: اترك صنعتك، بل أقرهم على أسبابهم وأمرهم بتقوى الله فيها. وقد قال ﷺ للذي قال له أوصني قال: «اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها

---

(11) في م: "الشأن" وهو غلط.
(12) هو شهاب الدين أحمد بن علي الأنصاري أبو العباس المرسي الأندلسي خليفة الشيخ أبي الحسن الشاذلي الإمام العارف القطب له مجلس عظيم في المعارف والحقائق والرقائق يدرس فيه في الفقه: التهذيب وفي العقائد: الإرشاد وفي التصوف: الإحياء والقوت، وله كرامات أخذ عنه تاج الدين بن عطاء الله ونقل عنه فوائد كثيرة، توفي سنة 685هـ نيل الابتهاج ص64.
(13) لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن: لتاج الدين بن عطاء الله.
(14) في ت: "قد".
(15) في م: "صحبت".

وخالق الناس بخلق حسن»[16]. قيل لبشر الحافي: فلان الغني كثير الصوم والصلاة، فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره إنما حاله إطعام الطعام فهو أفضل له من تجويعه نفسه، ومن صلواته لنفسه مع جمعه الدنيا. قال في الإحياء: يجب أن يهتم بالأهم ويقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد ونفقة أبويه على الحج والإتيان إلى الجمعة على الوفاء بالميعاد وكذلك تصيب النجاسة ثوبه فيغلظ القول على أهله بسبب ذلك والإيذاء أحذر من النجاسة [17] والذي يتبين من الفقه أن الصناعات والتجارات والاشتغال بالعلم الزائد على فرض العين بل وعلم الطب كل ذلك أسباب شرعية.

قال في الإحياء:[18] فعلى هذا من اشتغل بشيء من هذا سببا بلا نية فهو ظالم لنفسه، وإن كان لا درك عليه ولكن فاته الأجر، وإن قصد بذلك فرض الكفاية فهو سابق بالخيرات، وإن قصد بذلك الاستعفاف عن المسألة كان مقتصدا. قال الإمام ابن عرفة: من عجز عن قوته وقوت عياله إلا برزق القضاء[19] فإنه يستحب له أن يسعى في طلبه.

و من ابن يونس: لا ينبغي أن يحج أحد عن[20] أحد فإن وقع ذلك نفذت الإجارة. قال عبد الوهاب[21]: قياسا على أخذ الأجرة على القضاء وبناء القناطير والمساجد.

---

(16) الحديث: أخرجه أحمد والترمذي في الزهد والحاكم في مستدركه في الإيمان وقال على شرطهما وأيده وأقره الذهبي والبيهقي في شعب الإيمان والضياء في المختارة والدارمي كلهم عن أبي ذر وقال الترمذي حسن صحيح وأيضا أخرجه أحمد في مسنده والترمذي وحسنه والبيهقي في شعب الإيمان وكذا الطبراني كلهم عن معاذ بن جبل قال الذهبي في المهذب إسناد حسن وأخرجه ابن عساكر في تاريخه عن أنس بن مالك بسند ضعيف – فيض القدير 120/1.
(17) بياض في كافة النسخ.
(18) بياض في م وفي ط ولا يوجد هذا البياض في ت.
(19) في ت: "القضا".
(20) في م و ط: "على".
(21) هو عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون أبو محمد الفقيه المالكي البغدادي سمع أبا عبد الله بن العسكري وأبا حفص بن شاهين وبه تفقه القاضي أبو محمد بن زرقون وأبو عمرو الهاشمي وغيرهم ولي قضاء الدينور له التلقين وكتاب شرح الرسالة والنصرة لمذهب إمام دار الهجرة مات بمصر سنة 422هـ –ترتيب المدارك 272/2.

ويظهر من أبي[22] عمر ميل إلى أن أولى ما يستأجر فيه المرء نفسه أعمال البر إذا لم يلزمه القيام بها لنفسه كمراقبة شهود الجماعة، وتعليم القرآن، وعزا هذا لأصحاب الشافعي قال وقال الكوفيون[23]: لا بأس لمن أحس من نفسه جبنا أن يجهز غازيا ويجعل له جعلا، قال: و[قد][24] قال رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص: «هل لك في أن أبعثك في جيش فيسلمك الله ويغنمك وأرغب لك من المال رغبة صالحة»[25]. ومن ابن بطال وقد أخذ عطية فرسا على نصف ما يغنم وأجاز هذا الاوزاعي[26] وأحمد بن حنبل. وقال اللخمي: إذا قال الإمام من قتل فلانا فله سلبه أو له دنانير أوكسوة أو [من][27] صعد موضع كذا أو بلغه أو وقف فيه فله كذا، فهو ممنوع ابتداؤه لأنه قتال للدنيا، فإن فات القتال على ذلك كان له شرطه، لأنه عمل على حظه من الدنيا فهو كالمبايعة. والذي في الإحياء: من الصناعات ما هي مهمة يعني فيحمد من يشتغل بها ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها لطلب التنعم والتزين

(22) في م: "ابن عمر" وهو تصحيف.
(23) يعني الأحناف فهم ينسبون إلى الكوفة.
(24) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(25) الحديث أخرجه أحمد في المسند 6/240 والحاكم في المستدرك 2/236 والهيثمي في مورد الظمآن رقم 2277 ومجمع الزوائد 4/64 وهو كذلك في مصنف ابن أبي شيبة 7/18 وكنز العمال رقم 33577 وله طرق أخرى في المستدرك وشرح السنة للبغوي والمشكاة – انظر موسوعة الأطراف 11/211 ولفظ المسند من رواية موسى بن علي بن رباح اللخمي عن أبيه قال سمعت عمرو بن العاص يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عمرو اشدد عليك سسلاحك وثيابك وأتني" ففعلت فجئته وهو يتوضأ فصعّد فيّ البصر وصوبه وقال: "يا عمرو إني أريد أن أبعثك وجها فيسلمك الله ويغنمك وأرغب لك من المال رغبة صالحة" قال: قلت يا رسول الله إني لم أسلم رغبة في المال إنما أسلمت رغبة في الجهاد والكينونة معك قال: "يا عمرو نَعَمّا بالمال الصالح للرجل الصالح" المسند 6/240 الحديث 17818.
(26) هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو يحمد الشامي أبو عمرو الأوزاعي الفقيه روى عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وشداد وعمار وعطاء بن أبي رباح وقتادة ونافع مولى ابن عمر والزهري وعنه مالك والثوري وابن المبارك وغيرهم ثقة إمام أهل الشام كان يكره القياس مات مرابطا في بيروت سنة 157هـ –تهذيب التهذيب 6/238.
(27) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

كالنقش والصباغة، قال: فيكره ذلك أهل الدين فأما الملاهي والالآت التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم، قال: وكان عمل الأخيار عشر صنائع منها الخرز والتجارة والخياطة وعمل الحديد [والحياكة][28] [29]، قال: وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات كغسل الموتى ودفنهم وكذلك الأذان وصلوات التراويح وتعليم القرآن وتعليم الفقه. قال: وإن حكمنا بصحة الاستيجار على ذلك لكن حق هذه الأعمال أن يتجر بها للآخرة وأخذ شيء عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة اهـ. وهذا موافق لتقرير اللخمي مخالف لما حكاه أبو عمر عن أصحاب الشافعي. وقال مالك: يؤاجر نفسه في سَوْق الإبل أحب إلي من أن يعمل عملا لله سبحانه بالإجارة. وقال سحنون: لأن أطلب الدنيا بالدف والمزمار أحب إلي من أن أطلبها بالدين اهـ.

ومضمّن هذا كله أن الإجارة على أعمال البر من جملة الإجارات الجائزة هل هي خير من الإجارة على غير ذلك أو العكس؟ قولان. ثمرة هذا عندي أن من حاجيات أهل القرى إمام وفران فعلى مذهب مالك إجارة الفران أحل من مرتب الإمام، وعلى ما تقرر من أن التسبب بخدمة المسجد خير من التسبب بخدمة الفرن[30] تكون جراية الإمام أحل، فإذا كان للورع أن يؤم باطلا فإن أم بمرتب فيراعى مقصد المحبس والجماعة.

وقد تقدم قول عبد الوهاب: تسوية الإجارة على الحج بالإجارة على القضاء وبناء القناطير فكما لا يتورع إذا حج عن غيره بل يجب عليه أن يحرم من ميقات الآجر ويزور [عنه][31] ويركع ركعتي الطواف وإن لم يفعل فإما أن يحرم عليه أخذ الأجرة أو يحط

(28) ما بين المعكوفتين غير موجود في ث
(29) بياض في الأصول وتمام العشر على ما ذكر في الإحياء الحمل والحذو والقصارة وعمل الخفاف ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة ذالإحياء 2/95.
(30) في م: "القران"
(31) ما بين المعكوفتين غير موجود في م

منها بقدر ما تورع كما لو ترك الزيارة فكذلك إذا تورع عن أخذ الدعاء دبر الصلاة أو على قراءة بحزب، كان بعضهم ينتحل صنعة لا تجوز. قيل[32] [33].

وبالجملة فلا يحل له أن يأخذ فائد وقف ولا إجارة منهم حتى يستوفي ما هو مقصدهم، فإن فاضلا ففاضل وإن مفضولا فمفضول، وإلا كان آكلا بدينه. وفرق بين من يأكل فائد الوقف بخدمته ومن يأكله بناموسه، قال الله عز وجل:﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾[34]، وقال سبحانه:﴿فلولا نفر مِّن كل فرقة منهم طائفة﴾[35]. قال سحنون: فمن فيه أهلية تعين عيه الخروج في طلب العلم. قال شهاب الدين: ولا يستأذن في هذا أبويه بخلاف الجهاد، قال لأن الحاضر يقوم مقام غيره في الجهاد بخلاف العلم إذ ليس كل أحد أهلا له يعني العلم الذي هو فرض كفاية وهو العلم الذي لا يتعلق بحال الإنسان في خاصته. قال فيجب على الأمة أن يكون منهم طائفة يتفقهون في الدين، والذي يتعين لهذا من الناس من جاد حفظه وحسن إدراكه وطابت سجيته وسريرته ومن لا فلا.

قال الشاطبي فيمن[36] لم تكمل فيه الأدوات: أن انتحاله للعلم من باب العبث للمصلحة المجتلبة ومن تكليف ما لا يطاق في حقه، وكلاهما باطل شرعا. و قال الجوزي: من تلبيس إبليس على الفقهاء أنهم يأكلون وقف المدرسة على المتشاغلين بالعلم فيمكث سنين وينتهي في العلم، فلا يبقى له حظ لأنه إنما جعل لمن يتعلم إلا أن يكون مدرسا فإن شغله دائم[37] [38]قال في الإحياء: ويجب

(32) في ت: "فقيل".
(33) بياض في الأصول كلها.
(34) الآية 104 من سورة آل عمران.
(35) الآية 122 من سورة التوبة.
(36) في م و ط: "فمن".
(37) في ت: "دائما".
(38) بياض في الأصول كلها ولعله نهاية الاستشهاد بكلام أبن الجوزي الذي ذكره المواق بتصرف بالنظر إلى النسخة المطبوعة التي هي بين أيدينا –انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص110.

أن يكون في كل محلة وفي كل قرية فقيه يعلم الناس دينهم، ومن تعلم مسألة من العلم فهو من أهل العلم بها يتعين عليه أن يعلم غيره وإلا فهو شريكه في الإثم قال الشاطبي: فإذا فرض مثلا واحد من الطلبة ظهر عليه حسن إدراك تعين على الناظر أن يميل به نحو ذلك القصد لما يرجى من القيام بمصلحة التعليم فيصرف مثلا لمعلمي العربية فإن وقف فيقوم بذلك الذي وصل إليه وإن انتهض للتفقه في الدين فعل به كذلك.

قال مالك، وقد سئل عن طلب العلم قال: أما على كل الناس فلا، قال: وأما من كان فيه موضع للإمامة، فالاجتهاد في طلب العلم عليه واجب، قال: ويجب على عامة الناس إقامة مثل هذا وإجباره على القيام بذلك، من باب ما لا يتم الواجب إلا به اهـ من الموافقات.

فانظر إذا كان الواجب على المسلمين إقامة من يحفظ لهم دينهم ويعلمهم فمعلوم أن بيت المال [ليس][39] فيه شيء لهؤلاء ومعلوم أن الناس لا يعطون خراجا لمن يعلمهم فما هو العلم اليوم ينحفظ إلا بالأحباس التي على الروابط ومساجد القرى فضلا عن المساجد العظام. فالواجب أن لا تنطلق يد أحد على حبس للفقهاء حتى يقوم بحظ من التعليم وحفظ الشرع ولو بأن يحكم كتب السؤال ويفهم ما يجيبه به المفتي ليفسره لقومه. فعامي أو مظهر ورع يستحوذ على أكل الحبس لا يزيد على الصلاة بالناس إلا الصلاة، مثلُ الدكالي رحمه الله، لا يُصلِّي خلفه، ونوافقه نحن في مثل هذا خصوصا إذ أحدنا لا يمكنه أن يستوفي فضائل الشريعة لكلف الخلق ويجيء مثل هذا فيستميل القلوب بما لا يفتح فيه لمن يعلم الناس فيستحوذ على الوظائف ويحرمها خدام الشرع فهذا في الحقيقة يأكل الأوقاف بدينه لا بخدمته يتنزل عليه قول عياض: من توصل للدنيا بطريقة الصلاح فهو من أشد الظلمة.

(39) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

وقيل لابن المبارك من الناس؟ قال العلماء، قيل من الملوك؟ قال الزهاد قيل فمن[40] السفلة؟ قال الذي يأكل بدينه. وقد تقدم قول الزهري إن العالم إذا لم يخل بواجب ولم يقصر في فرض فهو أفضل من العابدين ويجوز له قبول صلة السلطان وتحرم على غيره. كما تقدم عن مالك وأشهب وابن القاسم وابن وهب والفضيل وغيرهم. فكذلك يكون أولى بالتقدم للإمامة بالمرتب. وقد نص في جامع الذخيرة أن المال الذي لا يعلم ربه. فسبيله سبيل الفيء لا سبيل الصدقة. رأى بعضهم أصبغ يخرج يده من غير كمه، فقال: أخرج يدك على طوقك، يعني كل ذلك يضمحل في جنب ما أعطاه الله من مزية العلم.

وقال أحمد بن حنبل لإسحاق ابن راهويه[41]: تعال أريك رجلالم تر عينك مثله، فأراه الشافعي، فقال: نترك علم سفيان والمقري[42]على سنهما، فقال: ويحك علم سفيان إن فاتنا بعلو أدركناه بنزول ولا يضر ذلك ديننا، وعقل هذا الفتى أخاف أن لا أجده [أبدا][43]. وقيل لابن وهب في المسائل الجدد فقال: أدع أنا المسائل القدم التي قرأناها عليه وهو نشيط لها حتى أنه ربما محى لي الشيء بكمه من كتابي.

وقال مالك: لقد أدركت بهذه البلدة أقواما لو استسقى الناس بهم المطر لسقوا، قد سمعوا العلم والحديث كثيرا ما حدثت عن أحد منهم شيئا لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، والفتوى تحتاج لمن له تقى وإتقان وعلم وفهم

(40) في ت: "من".
(41) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر أبو يعقوب الحنظلي المعروف بابن راهويه المروزي نزيل نيسابور أحد الأئمة أخذ عن ابن عيينة وحفص بن غياث وابن المبارك وغيرهم وعنه خلق كثير أثنى عليه غير واحد في العلم والحفظ والفقه له مناظرات مع الإمام الشافعي، مات سنة 238هـ – تهذيب التهذيب 1/216–218.
(42) الذي في الأصول المقري ولعله تصحيف المنقري وهو عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج ميسرة التميمي المنقري مولاهم أبو معمر المقعد البصري روى عن عبد الوارث بن سعيد وعبد الوهاب الثقفي وعنه البخاري وأبو داوود والباقون بواسطة ثقة أثنى غير واحد مات سنة 224هـ –تهذيب التهذيب 5/336 عدد 574.
(43) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

فيعلم ما خرج من رأسه وما يصل إليه غدا، فأما زهد بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة ولا يؤخذ عنه اهـ.

وعلى هذا يقال لا ينبغي لمثل هذا أن يستحوذ على وظيف يستعين به خادم الشريعة فيأكله هو على مجرد الإمامة خاصة فإن هذا مضاد للزهد[44] فيصير لا زهد ولا هو ينتفع به وهذا كما قال في الإحياء في الصوفي إذا اتسع اتساع العالم أن التصوف يذهب بخلاف العلم فيقال العالم الفلاني يصاحب الملوك ولا يقال الصوفي الفلاني يصاحب الملوك لأن من صحب الملوك لا تصوف له. وانظر إذا كانت المزية للإتقان والفهم فيلتحق الأحداث بمراتب الكهول؛ ألا ترى أن عمر رضي الله عنه كان يقدم ابن عباس في الشورى على صغر سنه. وقد رشح هذا الإمام الماوردي ونقل: عليكم بمشاورة الأحداث فإنهم قد ينتجون رأيا لم يبله طول القدم ولا استولت[45] عليه رطوبة الهرم[46]. قال ابن عباس: ما أتى الله عبدا علما إلا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قول الله تعالى:﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾[47]، وقوله: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾[48]، وقال سبحانه وتعالى:﴿وءاتيناه الحكم صبيا﴾[49].

وولي يحي بن أكثم[50] القضاء ابن إحدى وعشرين سنة، فأراد أن يخجله رجل بصغر سنه فقال له: كم سن القاضي أيده الله، قال: مثل سن عتاب بن أسيد[51]حين

(44) في ت: "يضاد الزهد".
(45) في م: "استوت" وهو تصحيف.
(46) أورده الماوردي وقال إنه من كلام العرب – أدب الدنيا والدين ص 20.
(47) الآية 60 سورة الأنبياء.
(48) الآية 13 سورة الكهف.
(49) الآية 12 سورة مريم.
(50) يحي بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج بن عبد عمرو بن عبد العزى بن أكثم بن صيفي التميمي الأسيدي المروزي أبو محمد القاضي الفقيه روى عن الفضيل بن موسى وابن المبارك ووكيع وغيرهم وعنه البخاري في غير الجامع والترمذي وآخرون ولي قضاء البصرة وله إحدى وعشرون سنة نظرا لعلمه وفقهه كان مقدما عند المامون توفي سنة 242 هـ –تهذيب التهذيب11/183.
(51) عتاب بن أسيد بفتح أوله ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أبو عبد=

ولاه رسول الله ﷺ إمارة مكة وقضاءها، كما تقدم هذا في المقام نفسه في التدلي أنه إن كان ورع ودين فيكون بينه وبين ربه. وقد تقدم أن المشتغلين بالعلم كما قال الله سبحانه: ﴿ ثم أورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ فالظالم لنفسه لا شك خير من الجاهل قال الله سبحانه: ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[52].

وقد تقدم قول الحسن: كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة، وأما المقتصد فإذا كان للمرء أن يجمم نفسه باللهو ليكون عونا له على الحق كما تقدم فمن باب أولى بالعلم كما تقدم للمازري فيمن نسى صلاة وثانيتها.

وإن كان في الإحياء قد بدع هذا وذمه كثيرا، فقد قال في العلوم غير الشرعية كالطب والحساب: إن كليهما فرض كفاية، قال: وقد يكون من العلوم غير الشرعية ما نعده فضيلة لا فريضة وذلك كالتعمق في دقائق الحساب وخفايا الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه اهـ فانظر من باب أولى أن نقول هذا في العَلم الشرعي.

قال المازري: قال أبو حامد وقد يكون من العلوم غير الشرعية ما هو مباح كالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراها وقد قال الشيخ الصالح[53] مؤلف كتاب ألف باء[54]: فإن قلت فكم ضيعت في هذا الكتاب

=الرحمن أسلم يوم الفتح واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مكة خروجه نحو حنين وكانت سنه نيفا وعشرين. مات في آخر خلافة عمر -الإصابة 6/372 عدد 5383.

(52) الآية 9 سورة الزمر.

(53) في م: "صالح" بدون تعريف.

(54) هو أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوي المالقي يكنى أبا الحجاج ويعرف بابن الشيخ وكتابه "ألف باء للألباء" بناه على قصيدة رتبها ترتيبا هجائيا وكان يأخذ في كل بيت منها كلمة أو كلمات يقلب حروفها فإن خرجت صيغة مهملة تركها وإن خرجت صيغة ذات معنى تعرض لها وأفاض فيها شرحا واستطرادا يذكر ما يتعلق بها من شواهد وأخبار، فإذا كانت الكلمة دالة على اسم بلد تحدث عنه وعن أعلامه. وأول كتابه: "إن أفصح كلام سمع وأعجز حمد الله تعالى نفسه. وذكر أنه جمع فيه فوائد من بدائع العلوم لابنه عبد الرحيم ليقرأه بعد موته توفي سنة 604هـ - صلة الصلة عدد 580.

من زمان وغطلت فيه من أوان وقد كان لك الاشتغال بذكر المولى[55] أحق [منه][56] وأولى، ثم ذكر سيرة الفضيل في[57] انقباضه وإقفال بابه من خارج ألا يشعر به أحد أنه بداره، ثم قال: فأقول لكل مقام مقال ولكل زمان رجال وعلى كل كلام جواب وفي كل مسألة باب. أول ما أقول لك في ذلك أنا لسنا كأولئك ثم لم نبلغ بعد إلى منزلتهم ولم نرتق إلى درجتهم، ثم قال كلاما إلى أن قال: هذه يا أخي منزلة والله ما بلغتها ولا تحدثني نفسي بها إلا أن يتداركني الله بها كما تدارك أولئك فهو مولانا كما هو مولاهم ونحن عبيده كما هم ونحن ولله الحمد الله أحسن حالا من غيرنا.

قيل لابن الأحنف بن قيس[58] لم لا تكون كأبيك؟ قال: دعو أبي وقيسوني بأبنائكم، وقال ابن العربي: رأي أبو مسلم الخولاني[59] [أن][60] قوما قد اجتمعوا جلوسا فرجى أن يكونوا على خير فجلس إليهم فإذا بعضهم يقول: قدم لي غلام فأصاب كذا وكذا، وقال آخر: وأنا جهزت غلاما فنظر إليهم وقال سبحان الله، هل تدرون ما مثلي ومثلكم كرجل أصابه مطر غزير وابل فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني هذا المطر، فدخل فإذا البيت لا سقف، له جلست إليكم أن تكونوا على خير وعلى ذكر فإذا أنتم أصحاب دنيا فقام [غنهم][61]. قال القاضي أبو بكر: أصح من هذا ما في الترمذي قيل لزيد بن ثابت:

(55) في م: "بالمولى".

(56) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(57) في م و ط: "من".

(58) ابن الأحنف بن قيس هو بحر وبه كني قيل له: لم تتأدب بأخلاق أبيك؟ قال: الكسل هذا ما ذكره ابن خلكان عندما ذكره في ترجمة أبيه وزاد أنه مات وانقطع عقبه وأنه كان مضعوفا -وفيات الأعيان 2/506.

(59) هو عبد بن ثوب الخولاني أبو مسلم ينسب إلى خولان من بلاد اليمن دعاه الأسود العنسي إلى الإيمان بنبوته فرفض وقال أشهد أن محمدا رسول الله فأجج له نارا وألقاه فيها فأنجاه الله منها فكان يشبه بإبراهيم الخليل ثم هاجر فوجد النبي صلى الله عليه وسلم قد مات فقدم على الصديق فأكرمه وقبل بين عينيه له أحوال ومكاشفات توفي سنة 60 هـ -البداية والنهاية 8/149.

(60) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

(61) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

حدثنا أحاديث رسول الله ﷺ، قال: كنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا بكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ[62].

وقد تقدم في المقام الثالث قول مالك وقوم إذا أراد الناس يتحدثون، يقولون: اذكروا[63] الله، ولم يكن ذلك شأن الأخيار.

وقال عياض: في حديث أم زرع[64] من الفقه التحدث بملح الأخيار وطرف الحكايات تسلية للنفوس وجلاء للقلب، وترجم عليه الترمذي فقال: باب ما جاء في كلامه ﷺ في السمر وأدخل حديث أم زرع وحديث خرافة[65].

---

(62) الحديث أخرجه الترمذي في الشمائل في باب ما جاء في خلقه صلى الله عليه وسلم الحديث رقم 337 بسنده عن خارجة بن زيد بن ثابت قال: دخل نفر على زيد بن ثابت فقالوا له: حدثنا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ماذا أحدثكم؟ كنت جاره فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إلي فكتبته له، فكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، فكل هذا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم –الشمائل ص 166

(63) في م : "اذكر"

(64) حديث أم زرع أخرجه البخاري في النكاح،باب حسن المعاشرة مع الأهل ومسلم في المناقب والترمذي في باب السمر من الشمائل وأبو نعيم الإصفهاني في الحلية في ترجمة بشر الحافي والخطيب البغدادي في ترجمة حاتم بن الليث كلهم من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت :قال رسول الله صلى الله عيه وسلم: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع" ثم أنشأ يحدث حديث أم زرع قال: "اجتمع إحدى عشرة نسوة...الحديث" ولم يخرج هذا الحديث الإمام أحمد ولا أحد من أصحاب السنن الأربعة عدى النسائي في السنن الكبرى وفي رواية لابن حبيب قالت عائشة .فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول إذا داعبني : "كنت لك كأبي زرع لأم زرع" وفي مسند أحمد بن خالد زيادة "إلا أنه طلقها وإني لا أطلقك" وفي رواية أخرى زيادة :بل أنت خير لي من أبي زرع والذي اتفق على رفعه هو "كنت لك كأبي زرع لأم زرع" أما حديث النسوة ففي بعض الروايات أنه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعضها أنه من كلام عائشة كما هو واضح في رواية أبي أويس وأبي معاوية الضرير ذكر ذلك الخطيب البغدادي وأبو الحسن الدارقطني وهو حديث طويل عن وصف إحدى عشرة امرأة أزواجهن وهو مليئ بالمفردات اللغوية والفوائد الجمة والتعابير الإبداعية لذلك شرحه كثير من العلماء واعتنوا به مثل القاضي عياض وغيره ، وفيه من الفقه التحدث بملح الأخبار وطرف الحكايات تسلية للنفس وجلاء للقلب.

(65) حديث خرافة رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نساءه حديثا فقالت امرأة منهن كان الحديث حديث خرافة فقال: "أتدرون ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلا من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهم دهرا ثم =

وقال مالك: كان عطاء بن يسار[66] كثير الحديث، وكان رجلا قاصا ربما ترك أصحابه و مجلسه وجلس إلى غيرهم فإذا قالوا له: تركتنا، فيقول: ما تركتكم ملالة ولكن لتستريحوا وتتحدثوا فيما بينكم ولا تملوا، قال ابن رشد: هذا لما جاء أن رسول الله صلى اله عليه وسلم كان يتخول الناس بالموعظة مخافة السئامة عليهم.

وقال ابن العربي: العبادة أن يقوم المرء بالقسط في جميع أقواله وأفعاله فأصله أن لا يعصي الله وفرعه أن لا يخالف السنة. ثم قال: ولقد شاهدت بتلك الديار العلماء والمتبتلين لا يهدأ لهم لسان بالقرب والعلوم والملح والأمثال والنوادر كلها مكتوبة في صحائف الحسنات وأصحابهم يرون الزمانة هي العبادة والصمت هو الطاعة وذلك لكثرة جهلهم وقلة عملهم ولو استرسلوا في الكلام لكبوا ولو أعلنوا بالمقال لغووا اهـ.

انظر قوله ولو أعلنوا بالمقال لغووا ما معناه راجع هذا المعنى في هذا المقام في التدلي وقول الماوردي وقد جهلوا من المذاهب ما يعلمه المبتدئ، وقد تذكرت قول الإمام الماوردي: أن قوما تحققوا بالعلم تحقق المتكلفين[67] واشتهروا به اشتهار المنحرفين إذا أخذوا في المناظرة ظهركلامهم وإذا سئلوا عن واضح المذهب[68] ضلت أفهامهم حتى أنهم يتخبطون في الجواب خبط عشواء فلا يظهر لهم صواب

=ردوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس حديث خرافة" وفي إسناده مجالد بن سعيد الهمذاني الكوفي قال ابن مهدي حديث مجالد عند الأحداث ليس بشيء يعني أنه تغير حفظه في آخر عمره وضعفه يحيى القطان وابن حنبل وابن معين وأبو حاتم الرازي فهو حديث ضعيف.

(66) عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاضي مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخو سليمان وعبد الملك وعبد الله أبناء يسار روى عن معاذ وأبي ذر وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وزيد بن ثابت وأبي هريرة وابن عباس وأبي رافع مولى النبي صلى الله عليهوسلم وعائشة وغيرهم وعنه أبو سلمة بن عبد الرحمن وزيد بن أسلم ومحمد بن إبراهيم التيمي تابعي ثقة مات بالأسكندرية سنة 103هـ –تهذيب التهذيب ج7/218.

(67) في م و ط: "المستكلفين" وهو تصحيف.

(68) في م: "في المذهب".

ولا يتقرر لهم جواب ولا يرون ذلك نقصا إذا لفقوا على المخالف حججا[69] مألوفة وقد جهلوا من المذهب ما يعلمه المبتدئ. وقال أبو الدرداء: لا تتعلموا العلم لتتجملوا به فإنه يوشك إن طال بكم عمر أن يتجمل أحدكم بعلمه كما يتجمل ذو البزة ببزته.

ونقل ابن أبي زيد في صدر مختصره قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «من تعلم العلم ليباهي به أو ليرائي به أوقفه الله موقف الذل وجعله عليه حسرة يوم القيامة» وقال في الإحياء وقد يظن إنه إذا تكلم بالعلم أنه موصوف به، ولو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يده لمات غما يمتلئ بالحلاوة إذا أحدق به المتعلمون ويستوحش إذا خلا بالله. ومثل هذا كمثل طبيب مريض يصف المرض ودواءه[70] بفصاحته ويصف الصحة والشفاء ففارق المرضى في العلم بالطب ولم يفارقهم في المرض. ثم قال ولا يتفطن لهذه إلا الأكياس لكن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب[71] نفسه و يسوءه ويكرهه ويحرص على إصلاحه. فإذا أراد الله بعبده خيرا بصّره بعيوب نفسه، وأمره أقرب من مغرور متمن على الله بعلمه أو عمله اهـ.

قال تاج الدين في حكمه: العبارات[72] قوت لعائلة المستمعين وليس لك إلا ما أنت له آكل. وقال مالك: ينبغي لمن خول علما وصار رئيسا يشار إليه بالأصابع أن يضع التراب على رأسه ويمقت نفسه إذا خلا ولا يفرح بالرئاسة فإنه إذا اضطجع في قبره وتوسد التراب ساءه ذلك.

(69) في ت: "حجاجا".
(70) في ت: "ودواؤه".
(71) هكذا في النسخ "عيوب" ولعلها عيب حتى يستقيم المعنى ويكون الضمير عائدا على ما يطابقه.
(72) في ت: "العبارة".

وقال الإمام الشافعي: وددت أن الناس انتفعوا بعلمي ولم ينسب إلي منه شيء. وقال رجل لسحنون: جئت اليوم ولم أسمع منك شيئا، فقال له: إن كنت في وقت خروجك ممن شيعته الملائكة فقد سمعت وإلا فلم تسمع وإن كنت قد سمعت. وأرسل أسد بن الفرات إلى سحنون وعون[73] والصمادحي وابن رشيد يسألهم[74] عن مسالة فأجاب فيها ابن رشيد وعون ولم يجب سحنون، فلما خرجوا عذلاه في ترك الجواب، فقال: منعني أنكما بادرتما بالجواب، وكرهت أن أخالفكما، فندخل عليه إخوانا ونخرج أعداء، وبين لهما وجه خطئهما فجزياه خيرا واعترفا ورجعا إلى أسد فاخبراه برجوعهما. قال عياض: لعل سحنونا عول على ما عرف من فضلهما أن يفعلا من رجوعهما ما فعلا فرجى أن يستبين الحق بلا تعلة[75] ولا مخالفة.

وقال يحي: لما قرأت كتاب أسد على ابن القاسم وضع أشهب يده في مثلها فخالفه[76] في جلها، فقلت لابن القاسم: لو أعدت نظرك، فقال: أفعل إن شاء الله. فلما تقاضيته بعد أيام قال: يا أبا محمد نظرت في مقالتك فوجدت إجابتي يوم أجبتك لله وحده فرجوت أن أوفق وإجابتي اليوم إنما تكون نقضا على صاحبي فأخاف أن لا أوفق في الإجابة[77] فتركته. وقال الشافعي ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه.

قال: والعلم بين أهله رحم متصل، قال أبو حامد: فتكون المناظرة في طلب الحق كمنشد ضالة يرى المناظر رفيقه معينا لا خصما أن يطلعا على نص قاطع.

قال في المستصفى: وأما في الفروع فلا يتناظر فيها لانتقال خصمه إلا[78]

(73) عون بن يوسف الخزاعي الفقيه المحدث الرجل الصالح الأمين مع الورع والدين المتين أخذ عن ابن وهب وغيره وعنه ابنه يحيى وغيره وتوفي 239هـ-شجرة النور ص69 عدد78.
(74) في ت: "فسألهم".
(75) في م: "فلا تعلة".
(76) في ت: "فخالف".
(77) في ت: "الأجوبة".
(78) في ت: "إلى".

الضعيف من الفقهاء يظن أن كل مجتهد ليس بمصيب وأن الحق في واحد وصاحبه معين وهذا لم يقل به أحد وقال أيضا ما معناه: ربما يقول المناظر: أما خصمي فقد علمت أنه لا يرجع إلي ولكن أناظر لأظهر الحق لغيره. قال: وهذا أيضا ليس كذلك إذ لا يتصور اتفاق المستمعين على ترجيح كلام أحد المتناظرين، وإذا كان قصد المناظر[79] هذا فقد ذهبت[80] الرحم التي قال الشافعي فتثمر هذه المناظرة فواحش، منها أنهم لا يجدون بدا من التودد باللسان ويعلم كل من سمع ذلك منهم أنه كذب وزور ونفاق وفجور وربما يخرج المناظر لتزكية نفسه فيقول لخصمه لست ممن يخفى عليه مثل هذا.

قيل لحكيم: ما الصدق القبيح؟ قال: ثناء المرء على نفسه. وقد يتعدى المناظر من الظهورعلى خصمه بالمقال[81] إلى الظهور عليه بالفعال فيتنافس معه في القرب من وسادة الصدر ويعبر عن التواضع الذي أثنى الله عليه بالذل وعن التكبر بعز الدين تحريفا للاسم وإضلالا ويحتال إذا صُدَّ[82] عن صدر المجلس أن يجعل بينه وبين الأقران بعض الأرذال وهذا عين الكبر فإن ذلك يخف على نفوس المستكبرين يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق وأن ذلك منهم فضل والحوار لا ينحط عن أقرانه إلى ما يقع أثناء المناظرة من الوقوع في الأستاذين وخروج الخشية من القلب حتى لا يدري المصلي منهم ما الذي يقرأ ثم به أثناء المناظرة يخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدع يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ويقول هذا لا يلزمني ذكره، وهذا يناقض كلامك، فقوله لا يلزمني ذكره، أي في شرع الجدل [المبدع][83] وأما في الشرع فهو كاذب فاسق.

(79) في ت: "المتناظرين".
(80) في م و ط: "ذهب".
(81) في م: "المقام" وهو تصحيف.
(82) في م و ط: "صدر".
(83) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

قال الحسن: الفقيه هو القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا يداري ولا يماري[84] ينشر الحكمة لله فإن قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله. وقيل لمالك: الرجل له علم بالسنة يجادل عليها قال: لا، ولكن ليخبر بالسنة فإن قبل منه وإلا سكت وقال أيضا: ليس هذا الجدل من الدين في شيء.

وفي الصحيح على ما ذكره الترمذي أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال:« ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»[85].

قال في الإحياء: الحق هو الدعوة إلى السنة.[ومن السنة ترك الجدل في الدعوة إلى السنة][86]. ومنه أيضا: ينبغي أن يحرس المرء سمعه عن علم الجدل والكلام غاية الحراسة فإنما يشوشه الجدل ويفسد أكثر مما يصلح والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشارك فيها العوام وإنما يتميز عنهم بصنعة المجادلة.

وأما معرفة الله سبحانه فلا تحصل من علم الكلام بل يكاد الكلام يكون حجابا عنها ومانعا منها. نجد عقيدة المتكلمين والمجادلين كخيط مرسل في الهواء تهزه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا،وعقيدة أهل التقوى من عوام الناس كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي.

ومنه أيضا: واقبل[87] هذه النصيحة ممن ضيع العمر في ذلك زمانا وزاد على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره، ولا يغرنك قول من يقول: الفتوى عماد الشرع، ولا تعرف علله إلا بعلم الخلاف، فإن علل المذهب مذكورة في المذهب، والزيادة عليها مجادلة لم يعرفها الصحابة والأولون، ومع أنها غير مفيدة في المذهب فهي أيضا ضارة مفسدة لذوق الفقيه،

(84) في م و ط: "يملك" وهو تصحيف.
(85) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في كتاب التفسير باب "ومن سورة الزخرف" وابن ماجه في المقدمة وأحمد في المسند من حديث أبي أمامة الباهلي الحديث 22226.
(86) ما بين المعكوفين غير موجود في م و ط.
(87) في ت: "ومنه ثم قال وليقبل".

فإن الذي يشهد له حدس المفتي إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في أكثر الأمر، فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه. ثم قال: فكن من شيطانين الجن في أمان واحترس من شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الإغواء والإضلال اهـ.

ونحو هذا قال في الموافقات في القضايا الشرعية: إن علمَ المنطق فيها مناف، لأن الشريعة لم توضع إلا على الشريعة الأمية، ثم ذكر كلام المازري في المعلم[88] في قوله ﷺ «كل مسكر خمر»[89].

إلا أنه في الإحياء بعد ذمه الكلام وأن من السنة ترك الجدل في الدعوة إلى السنة، قال: والمنطق وهو البحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه داخل في علم الكلام وكل ذلك من البدع. لكن حدثت بدع فمن الحق أنه لا بد من قائم يقوم به يدفع به شبه المعتزلة.

وقال ابن العربي: لم يحتج إلى ذلك ناصر السنة أبو الحسن الأشعري وقد غلب المبتدعة الذي قيل إنه يحتاج إلى علم الكلام[90] لنضالهم. ونحو هذا أيضا هو كلام القاضي أبو[91] الوليد الباجي: نهى أيضا عن قراءة المنطق. وقال القرافي في المنطق: مستغنى عنه بصفاء العقل.

(88) المعلم في شرح صحيح مسلم للمازري.
(89) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري وأخرجه أيضا أحمد في مسنده والنسائي عن أنس بن مالك وأيضا أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما وأيضا أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة وكذلك أخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود قال المناوي الحديث متواتر – فيض القدير ج5/30.
(90) في ت: "لعلم الكلام".
(91) هكذا في الأصول ولعل الصواب أبي.

وقال عياض: قيل لابن وهب صنف فلان في الرد على الجهمية[92] قال رد عليهم بالكتاب والسنة؟ فقالوا: لا، بل بالمعقول، فقال: أخطأ، رد بدعة ببدعة.

قال في الإحياء: وممن ذهب إلى أن علم الكلام والجدل بدعة وحرام، وأن العبد أن يلق الله بكل ذنب سوى الشرك، خير من أن يلقاه بالكلام، الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وجميع أهل الحديث من السلف، قال الشافعي: سمعت من حفص[93] كلاما لا أقدر أن أحكيه، وسئل مرة عن شيء من الكلام فغضب، وقال: سل عن هذا حفص القرد وأصحابه أخزاهم الله، وقال: إذا سمعتم الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهدوا أنه من أهل الكلام ولا دين له، وقال أحمد بن حنبل: علماء الكلام زنادقة، وهجر المحاسبي مع زهده وورعه لكونه صنف في الرد عليهم، قال له ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا؟، وقال: لا ينظر في الكلام إلا من في قلبه دغل، ولا يفلح صاحب الكلام أبدا.

وعرف ابن خلكان بمحمد بن يونس[94] من الشافعية، قال: وكان يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه، أنشد العماد[95]:

(92) الجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان قالوا لا قدرة للبعد أصلا لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها حتى لا يبقى موجود سوى الله – التعريفات للجرجاني ص 80.
(93) حفص القرد ذكره في لسان الميزان وقال حفص القرد بالقاف المبتدع المشهور قال النسائي صاحب كلام لا يكتب حديثه وكفره الشافعي في مناظراته – لسان الميزان 1/564 عدد 2143، أما ابن الفرضي في كتاب الألقاب فقد لقبه حفص القرد بالفاء حيث ذكره في حرفها – كتاب الألقاب ص 301.
(94) محمد بن يونس الشافعي هكذا في جميع النسخ وهو تصحيف لأن الذي ترجم له ابن خلكان وذكر عنه هذه القولة وأطال في ترجمته اسمه موسى بن يونس الشافعي أبو الفتح الملقب كمال الدين الفقيه النظار الكبير أثنى عليه ابن الصلاح وابن خلكان كثيرا توفي سنة 639هـ وكان مولده ستة 551هـ – وفيات الأعيان 5/311 عدد 747 وهنالك محمد بن يونس من الشافعية أحد النظار الكبار ترجم له ابن خلكان 4/253 ولكن لم ينسب إليه رقة في الدين.
(95) العماد أبو علي عمر بن عبد النور بن ماجوج بن يوسف الصنهاجي اللَّزني نسبة إلى قبيلة بربرية تسمى لَزنة النحوي البجائي ذكره ابن خلكان في ترجمة موسى بن يونس 5/317.

وعاطيته صهبـاء من فيــه مزجهـــا كرقة شعري أو كـدين ابــن يونـس[96]

قيل: أحكام العقل ثلاثة واجب ومستحيل وجائز، ومن القسم الجائز عقلا أن يبعث الله الرسل إلى الخلق، وأن الله تعالى قادر على ذلك وعلى تعريف صدقهم بالمعجزات، ثم يصل المرء إلى أن هذا الجائز المذكور قد وقع، فعند هذا ينقطع الكلام وينتهي تصرف العقل.

ومن الإحياء: يكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي ﷺ، فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف، ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به، والسلام. قال في الإحياء: الإسلام يصح بمجرد التقليد من غير بحث ولا برهان إذ لو مات عقب تصديقه مات مطيعا الله، وعبارة عز الدين: النظر في الأوصاف الإلهية لا يجب على المكلفين إلا أن يكونوا شاكين، وقال في التمهيد في حديث «لئن قدر الله على...»[97]: قول المتقدمين من العلماء ومن سلك طريقهم أن هذا رجل جهل بعض الصفات، وهي القدرة، وليس هذا بكافر، إنما الكافر من عاند الحق لا من جهله، ألا ترى أن عمر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة سألوا رسول الله صلى اله عليه وسلم عن القدر[98] وما سألوا حتى جهلوا.

(96)البيت للعماد المذكور وقبله:

أجدك أن قد جاء بعد التعبس غزال بوصل لي وأصبح مؤنسي
وعاطيته صهباء من فيه مزجها كرقة شعري أو كدين ابن يونس

أورد هذه الأبيات ابن خلكان في ترجمة موسى بن يونس 317/5.

(97)إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري في كتاب التوحيد من حديث أبي هريرة وأبي سعيد ولفظ أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "قال رجل لم يعمل خيرا قط فإذا مات فحرقوه واذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت؟ قال من خشيتك وأنت أعلم فغفر له" خرجه البخاري في التوحيد ومسلم في التوبة ومالك في الجنائز وهو حديث مجمع على صحته وخرجه غير هؤلاء كالنسائي في الجنائز اهـ .

(98)حديث سؤال عمر وجماعة الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم عن القدر أخرجه الترمذي في سننه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله أ رأيت ما نعمل فيه أمر مبتدع فيه أو مبتدأ أو فيما قد فرغ منه؟ فقال: "فيما قد فرغ منه يابن الخطاب، وكل ميسر أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فإنه يعمل للشقاء، قال أبو عيسى وفي الباب عن علي وحذيفة بن أسيد وأنس وعمران بن=

ولما ذكر في المقدمات فصلا في وحدانية الله تعالى سبحانه، قال: فهذه عشر صفات من صفات ذاته تعالى تدرك من جهة العقل ومن جهة السمع. وسئل عز الدين عن العامي هل يجوز له التقليد في مسائل الاعتقاد؟ فأجاب يكفي من العامة التصميم على الاعتقاد المستقيم، لأن رسول الله ﷺ حكم بإسلام الأعراب والعامة، مع القطع أنهم لم يقفوا على الدلائل المنصوبة لذلك قال ابن الأبي[99]: نسب عياض عدم[100]الكفاية بالتقليد في الاعتقاد للجهالة، ومذهب الأشعري أن الإيمان لا يكفي فيه التقليد، وهو مذهب أكثر المتكلمين والمتأخرين واختاره الآمدي[101]والقشيري وعز الدين.

وانظر تفسير القرطبي[102]آخر سورة الأعراف؛ شنع على من قال لا ينفع التقليد، واستدل بكلام ابن رشد في المقدمات. وانظر الصغير يرى الحية يريد مد يده إليها فيلتفت إلى أبيه فيراه قد ارتعدت فرائصه منها، وهو يحتال في الهرب منها فإن الصبي يصير مثله، خوف الأب عن بصيرة والابن عن تقليد. ونقل الجوزي

=حصين. وأخرجه البزار والفريابي من حديث أبي هريرة وحديث سؤال جماعة الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إشارة إلى قولهم: أفلا نتكل يارسول الله؟ قال:"لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له" –أخرجه الشيخان وهو في سنن الترمذي كتاب القدر ج 445/4 و تحفة الأحوذي 341/6.

(99) في النسخ ابن الأبي وهو تصحيف الأبي مؤلف كتاب إكمال الإكمال لعياض وقد تم تصحيحه في هامش النسخة ط.

(100) في ت: "تقديم" وهو تصحيف.

(101) هو أبو الحسن علي بن محمد الحنبلي الشافعي السيف الآمدي العلامة المتكلم صاحب التصانيف العقلية أخذ عن ابن المنى وسمع من ابن شاتيل وتفقه على علي بن فضلان الشافعي وبرع في الخلاف وصنف في الأصول والحكمة والمنطق والخلاف ومات بقاسيون سنة631 هـ – شذرات الذهب ج 144/5.

(102) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المالكي أبو عبد الله المفسر من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشغولين بأمر الآخرة له الجامع لأحكام القرآن والتفسير في اثنتي عشر مجلدا وله شرح أسماء الله الحسنى وكتاب التذكار في أفضل الأذكار وغيرها توفي سنة 671هـ – الديباج ص 317.

بسنده إلى ابن عقيل[103] قال لبعض أصحابه: أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر ولا العرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت طريق المتكلمين أولى فبيس ما رأيت[104]. قال مالك: أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه، أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟ وهذا المعنى عن مالك كثير، كقوله للمرجي[105] الذي قال له: والله ما أريد إلا الحق، قال له مالك: فإن غلبتني قال تتبعني، قال: فإن غلبتك اتبعتك قال: فإن جاء ثالث فغلبنا، قال له: اتبعناه، قال له مالك: يا هذا بعث الله محمدا ﷺ بدين واحد وأراك تنتقل. وقال لآخر: أنا على بينة من ربي، اذهب إلى من هو يشك مثلك. وقال سحنون: من العلم بالله الجهل بما لم يخبر به عن نفسه. ومن التمهيد بسنده:« لو كشف الغطاء لعلمت القدرية أن الله ليس بظلام للعبيد »[106]. وكره مالك أن نتحدث بالأحاديث التي فيها حدا وصفة من وجه أو يد[107] وقبض يد أوبسطها واستواء وكلام، وليقل بما قال الله ولينته إليه ولا يعدوه ولا يفسره، ولا يقل[108]: كيف، فإن ذلك الهلاك لأن الله كلف عباده الإيمان بالتنزيل، ولم يكلفهم الخوض في التأويل. ومن الإحياء في حديث « البذاء و البيان شعبتان من شعب النفاق... »[109] قال: لأنه المبالغة في الإيضاح فإذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب. وانظر الشيء يذكر بالشيء حكى ابن الفخار عن ابن

---

(103) علي بن عقيل بن محمد أبو الوفاء شيخ الحنابلة ببغداد تفقه بالقاضي أبي يعلى ابن الفراء وقرأ الأدب على ابن برهان والفرائض على عبد الملك الهمذاني وغيرهم من علماء عصره وناظر العلماء من مختلف المذاهب له تصانيف عديدة مفيدة .برز على أقرانه في كثير من الفنون كان مولده سنة 431 هـ وتوفي سنة 513 هـ –البداية والنهاية ج12/97.

(104) نقل الجوزي هذا الكلام عن ابن عقيل في كتابه تلبيس إبليس ص77.

(105) سماه عياض في المدارك أبو الجويرة – المدارك 1/87.

(106) أخرجه أبو عمر بسنده إلى المعتمر بن سليمان عن أبيه قال:أما والله لو كشف الغطاء.. .إلخ انظر التمهيد ج 6/13.

(107) في ت: "من يد أو وجه".

(108) في ت: "ولا يقول".

(109) الحديث أخرجه الترمذي في البر وأحمد في المسند من حديث أبي أمامة ورواية أحمد في المسند عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"الحياء والعي شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق" المسند ج8 الحديث 22375.

الشاط[110] أنه كان إذا مر نحو:

وهمز أن افتح لسد مصدر   مسدها[111]

يقول: في أي وقت انكسرت القدر في زمن الصحة أم في زمن الكسر أم في زمن بين الزمانين؟. وقال يحي بن معين[112]: صدّق بحديث التنزل[113] ولا تصفه. قال الترمذي في حديث:« يمين الله ملئى »[114]: هذا حديث صحيح يؤمن به كما جاء ولا يفسر، قاله مالك والثوري وابن المبارك. ومن التمهيد: قد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحا في أبداننا ولا نعلم[كيف][115] ذلك، فليس جهلنا بكيفية ربنا على عرشه يوجب [له][116] أنه ليس على عرشه.

---

(110) قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصاري نزيل سبتة أبو القاسم، والشاط اسم لجده كان رحمه الله تعالى نسيج وحده في أصالة النظر وجودة الفكر أخذ عن أبي علي الحسن بن الربيع والحافظ أبي يعقوب المحاسبي وأبي القاسم بن البراء وأبي محمد ابن أبي الدنيا وابن الغماز وغيرهم وعنه زكريا بن الهذيل وأبو الحسن ابن الحباب وغيرهم له أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق وغنية الرائض في علم الفرائض كان مولده سنة 643 هـ بمدينة سبتة وتوفي بها سنة723 هـ – الديباج ص 225– 226.

(111) شطر بيت من ألفية ابن مالك من باب النواسخ والبيت:

وهمز أن افتح لسد مصدر   مسدها وفي سوى ذاك اكسر

(112) يحي بن معين بن عون بن زياد بن بسطام المري الغطفاني مولاهم أبو زكريا البغدادي إمام الجرح والتعديل روى عن عبد السلام بن حرب وعبد الله بن المبارك وحفص بن غياث و وكيع وغيرهم وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم أثنى عليه الأئمة الأعلام في التحري والحفظ ومعرفة الرجال كان مولده سنة 158 هـ وتوفي بالمدينة سنة233 هـ ودفن بالبقيع– تهذيب التهذيب ج11/280.

(113) أخرجه البخاري في التهجد والتوحيد ومسلم في المسافرين وأبو داود في التطوع والسنة والترمذي في الصلاة والدعوات وابن ماجه في الإقامة والدارمي في الصلاة والاستئذان وهو في الموطأ في القرآن وأحمد في المسند ورواية البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه" صحيح البخاري الحديث 1145.

(114) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن في باب سورة المائدة من حديث أبي هريرة وأخرجه كذلك ابن ماجه وأحمد.

(115) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

وقد قال مالك لذي سأله عن ذلك: السؤال عن هذا بدعة وإنك امرؤ سوء، أخرجوه فأخذوا بضبعيه فأخرجوه. ورأيت كلاما معزوا لعز الدين على الأثر الوارد: «من عرف نفسه عرف ربه»[117] قال ظهر لي من سر هذا الحديث ما يجب كشفه ويستحسن وصفه، وهو أن الله سبحانه وتعالى وضع هذه الروح الروحانية في هذه الجثة الجسمانية، لطيفة لاهوتية مودعة في كثيفة ناسوتية دالة على وحدانيته وربانيته، ووجه الاستدلال من عشرة أوجه:

الأول: أن هذا الهيكل الإنساني لما كان يفتقر إلى مدبر وإلى محرك وهذه الروح تدبره وتحركه علمنا أن هذا العالم لا بد له من مدبر ومحرك.

الثاني: لما كان مدبر الجسد واحدا وهو الروح علمنا أن مدبر هذا العالم واحد لا شريك له في تدبيره ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[118]، ﴿قل لو كان معه آلهة﴾ الآية[119]، ﴿وما كان معه من إله﴾[120].

الثالث: لما كان هذا الجسد لا يتحرك إلا بإرادة الروح وبتحريكها له علمنا أن الله مريد لما هو كائن في كونه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه.

---

(116) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(117) قال ابن تيمية موضوع وقال النووي ليس بثابت وقال السمعاني في القواطع لا يعرف مرفوعا وإنما يحكى من كلام يحيى بن معاذ الرازي وقال ابن الفرس بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت قال لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث كابن عربي وغيره وورد عنه قوله إن هذا الحديث إن لم يصح من طريق الرواية فقد صح من طريق الكشف وللحافظ السيوطي فيه تأليف سماه القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه وورد في معناه في أدب الدين والدنيا عن عائشة سئل النبي صلى الله عليه وسلم من أعرف الناس بربه؟ قال أعرفهم بنفسه. انظر كشف الخفاء ج2/343 الحديث 2532 والدرر المنتثرة 391.
(118) الآية 22 من سورة الأنبياء.
(119) الآية 42 من سورة الإسراء.
(120) الآية 91 من سورة المومنون.

الرابع: لما كان لا يتحرك في الجسد شيء إلا بعلم الروح وشعوره به لا يخفى عن الروح من حركات الجسد وسكناته شيء، علمنا أن[121] الله سبحانه لا يعزب عن علمه سبحانه[122] مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

الخامس: لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء أقرب إلى الروح من شيء، علمنا أنه قريب إلى كل شيء.

السادس: لما كان الروح موجودا قبل وجود الجسد ويكون موجودا بعده، علمنا أنه سبحانه موجود قبل كون خلقه ويكون موجودا بعد فناء خلقه مازال ولا يزال وتقدس عن الزوال.

السابع: لما كان الروح في الجسد لا يعرف له كيفية، علمنا أنه مقدس عن الكيفية.

الثامن: لما كان الروح في الجسد لا يعلم له أينية، علمنا أنه مقدس عن الأينية والكيفية، فلا يوصف بأين ولا كيف بل الروح موجودة في سائر الجسد ما خلا منها موضع من الجسد، وكذلك الحق سبحانه موجود في كل مكان ما خلا منه مكان، وتنزه عن المكان والزمان.

التاسع: لما كان الروح في الجسد لا يخفى ولا يحس ولا يجس ولا يمس، علمنا أن الله سبحانه منزه عن الحس والجس واللمس.

العاشر: لما كان الروح في الجسد لا يدرك بالبصر ولا يمثل بالصور، علمنا أن الله سبحانه لا يمثل بالصور وليس كمثله شيء. وفي هذا الحديث تفسير آخر وهو أن تعرف أن صفات نفسك على ضد صفات ربك. من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء، وكما أنه لا سبيل لك إلى معرفتك إياك[123] كذاك بالنسبة إلى مولاك،

---

(121) في ت: "علمنا أنه"
(122) في ت: "عن علم الله سبحانه"
(123) في ت: "لما إياك" وهو تصحيف

قل لمن يفهم عني ما أقول   قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه   ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا[124]   تدري من أنت ولا كيف الوصول
أنت لا تدري صفات ركبت   فيك حارت في خفاياها العقول
أين منك الروح في جوهرها   هل تراها كيف تسري وتجول
[أين منك القلب في قالبه   وهو بيت الرب حقا إذ يقول][125]
[هذه الأنفاس هل تحصرها   لا ولا تدري متى عنك تزول][126]
[فمتى كنت ومن أنت فلا   تحقق الحق تدبرا يا عجول][127]
أين منك العقل والفهم إذا   غلب النوم فقل لي يا جهول
أنت آكل الخبز لا تدري ولا   كيف يجري منك أو كيف تبول[128]
فإذا كانت طواياك التي   بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدري من على العرش استوى   لا[129] تقل كيف استوى كيف النزول
كيف تحكى أو ترى كيف ترى   فلعمري ليس ذا إلا الفضول
هو لا كيف ولا أين له   هو[130] رب الكيف والكيف يحول

(124) الصواب أن تكون: "لم تدر من أنت..."حتى يجزم تدري فيستقيم البيت عروضيا.
(125) هذا البيت غير موجود في م و ط ويليه في ت.
أين منك العقل والفهم إذا   غلب النوم فقل لي يا جهول
(126) البيت غير موجود في ت.
(127) البيت غير موجود في ت.
(128) الصواب عروضيا:
تأكل الخبز فلا تدري ولا   كيف يجري منك أو كيف تبول
(129) في ت: "ولا".
(130) في ت: "وهو".

هو فوق الفوق لا فوق له   وهو في كل النواحي لا يزول
جل ذاتا وصفات وسما   وتعالى قدره عما أقول[131]

ومن الرسالة؛ جل الواحد المعبود قبل الحدود وقبل الحروف، إن قلت أين فقد تقدم وجوده وإن قلت متى فقد سبق الوقت كونه، وإن قلت هو فالهاء والواو خلقه وما تصور في الأفهام، فهو بخلافه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[132]. ومما يناسب نقله هنا قول أبي حامد أول كتاب التوكل من الإحياء قال: سأل من نظر عن نور مشكاة الله للوح[133]وقد انكتب لم سودت وجهك؟ وقد كان أبيض، فأجاله على الحبر وأحاله الحبر على القلم وأحاله القلم على يمين الكاتب، هذا في عالم الملك والشهادة فأحالته اليد على القدرة[134]، وهذا أول عالم الجبروت فأحالته القدرة على الإرادة والإرادة على لوح القلب فأحاله القلب على القلم، وهذا أول عالم الملكوت فيقول أيها القلم العلي ما بالك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تنبعث به الإرادة[135]لإشخاص القدرة وصرفها إلى المقدورات؟ فيحيله القلم على اليمين ويحيله اليمين على القدرة، وهاهنا يزيغ فيثبت بالقول الثابت وينادي ﴿لا يسأل عما يفعل﴾[136] فغشيته هيبة الحضرة، فلما أفاق قال سبحانك فاشرح لي صدري لأعرفك واحلل عقدة من لساني لأثني عليك، فينادى من وراء الحجاب لا تطمع في الثناء وتزيد على سيد الأنبياء ما زاد في هذه الحضرة على أن قال: «سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[137]، فيقول فهل

(131) هذه القطعة من بحر الرمل ولم نتمكن من معرفة قائلها
(132) الآية11 من سورة الشورى
(133) هكذا في النسخ التي بين أيدينا"للوح" والأحسن أن تكون اللوح
(134) في ت: "القوة"
(135) في ت: "الإرادات"
(136) الآية 23 من سورة الأنبياء
(137) جزء من حديث عائشة الذي رواه مسلم قالت تفقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فتجسست فإذا هو راكع أو ساجد يقول "سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت..." إلى أن يقول "لا أحصي ثناء عليك ..." إلى آخر الحديث ـ الأذكار ص 54.

للقلب مطمع في معرفتك، فينادى [إياك][138] أن تتخطي رقاب الصديقين وارجع إلى الصديق الأكبر أما سمعته يقول العجز عن درك الإدراك إدراك اهـ. وقد أشرت إلى معنى الحكاية فراجعها أنت فإنها حسنة جدا[139].

ومن التمهيد[140] بسنده إلى القاسم بن سلام[141] قال: نحن إذا سئلنا عن أحاديث الرؤية والكرسي والضحك وأن جهنم لتمتلئ وأشباهها[142] لم نفسرها ولم ندرك[143] أحدا يفسرها، قال: وأهل السنة مجمعون أن تمرّ كما جاءت بلا كيف قال مالك: أمروها كما جاءت بلا كيف. وفي الحديث «إن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره...» الحديث[144]، قال أبو عمر: أهل السنة مجمعون على الإيمان بهذه الآثار وترك المجادلة فيها، ثم نقل بسنده إلى الأوزاعي قال: ومن الله التنزيل وعلى رسوله التبليغ وعلينا التسليم.

وكتب سحنون إلى عبد الملك يذكر له ما حدث عندهم في القرآن والسنة، ويسأله الجواب عليه فكتب إليه؛ من عبد الملك بن الماجشون إلى سحنون بن سعيد، سلام الله عليك، فإني أحمد الله إليك أما بعد، سألت عن مسائل ليست من

(138) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(139) انظر هذا الكلام في الإحياء كتاب التوكل ج4/265– 268 وقد اختصر المصنف كلام الغزالي ورتبه ترتيبا يختلف عن الطريقة التي ورد بها في الإحياء.
(140) في م: "التعبد" وهو تصحيف.
(141) القاسم بن سلام البغدادي أبو عبيد الفقيه القاضي صاحب التصانيف روى عن هشيم وإسماعيل بن عياش وإسماعيل بن جعفر وجعفر بن عبد الحميد وحفص بن غياث وغيرهم وعنه سعيد بن أبي مريم المصري وعباس العنبري وعباس الدوري وعبد الله الدارمي وآخرون كان أبوه مولى للأزد أثنى عليه السلف في الحفظ والعلم بلغات العرب وفهم الحديث ولي قضاء طرسوس توفي سنة 224 هـ –تهذيب التهذيب ج8/315.
(142) انظر الأحاديث والكلام عليها في التمهيد ج7 ص134 و 149 و 150.
(143) كذا في الأصول "لم ندرك" والذي في التمهيد "لم نذكر" ج7/150 مع أن الكلام فيه تبديل.
(144) حديث "إن الله خلق الخلق ثم مسح ظهرهة "أخرجه الترمذي الحديث 3075 وأبو داوود الحديث 4693 وأحمد وهو في المشكاة رقم 95 من حديث عمر بن الخطاب والرواية التي ذكر المصنف أوردها الهيثمي في مورد الظمآن في ترتيب زوائد ابن حبان رقم 1804 والطبري في تاريخه – موسوعة الأطراف 155/3.

شأن أهل العلم، والعلم بها جهل فيكفيك ما مضى من صدر هذه الأمة؛ أنهم اتبعوا بإحسان ولم يخوضوا في شيء منها، وقد خلص الدين للعذراء في خدرها فما قيل لها كيف ولا أين، فاتبع كما اتبعوا واعلم أن العلم الأعظم؛ لا يشاء الرجل أن يتكلم في شيء من ذلك فيكفر فيهوى في نار جهنم.

وقال أبو عمر: ثبتت الأخبار المتواترة بأن؛ قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، ونحن نقول به ولا نعدوه ونكل معناه إلى الرسول ﷺ، ولا نناظر عليه لأن المناظرة لا تسوغ إلا فيما تحته عمل كالزكاة والبيوع.

ونقل ابن رشد في البيان كلام أبي عمر هذا، مرشحا له ومستدلا به. ولابن العربي في الاسم الموفي مائة، بعد أن ذكر أن للجنة ثمانية أبواب، قال: وقد تسلط على هذه الأبواب الخلق واتسع لهم فيها الخرق، وما تكلم أحد منهم عليها بحق، وأعظمهم خطأً المفسرون وأغواهم بعد ذلك الصوفية. ثم قال: وذلك كله تعد على القرآن. ثم قال وطريق الحق أنا لم يصل العلم إلينا بوجه التعديد[145].

ثم قال وقد بينا أن الحرز والظن لا يجوز لنا إلا في باب الأحكام، التي المطلوب منها العمل، فأما ما خرج من الأحكام فليس للقياس فيه مدخل. وحكى ابن حبيب أن الأمير أرسل إلى زياد[146] يسأله عن كفتي الميزان يوم القيامة، فكتب إليه زياد: حدثني مالك عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[147]، وسترد فتعلم.

(145) هكذا في الأصول والأحسن أن تكون التحديد لاستقامة المعنى
(146) زياد بن عبد الرحمن أبو عبد الله القرطبي يلقب بشبطون جد بني زياد بقرطبة قيل أنه من ولد حاطب بن أبي بلتعة سمع من مالك الموطأ والفتاوى ومن معاوية بن صالح وكان أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس توفي سنة 103هـ أو 104هـ أو 109هـ – الديباج ص 118–119.
(147) أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة واحمد في المسند والطبراني في الكبير من حديث الحسين بن علي والحاكم في الكنى والألقاب عن أبي بكر الشيرازي عن أبي ذر وفي تاريخ نيسابور من حديث علي بن أبي طالب والطبراني في الأوسط عن زيد بن ثابت وابن عساكر عن الحارث بن هشام وصححه ابن عبد البر وحسنه النووي – فيض القدير 312/6.

ومن التمهيد بسنده أن بعض الأمراء قال لمحمد بن واسع: ما تقول في القضاء والقدر؟ فقال: أيها الأمير إن الله لا يسال عباده يوم القيامة عن قضائه وقدره، وإنما يسألهم عن أعمالهم.

قال أبو عمر جملة القول إنه سر الله لا يدرك بجدل ولا نظر ولا تنتفي منه خصومة ولا احتجاج وقد تظاهرت الآثار في التسليم للقدر والنهي عن الجدل فيه والاستسلام والإقرار بخيره وشره والعلم بعدل مقدره وحكمته وفي نقض عزائم الإنسان دليل فيما قلنا وبينا.

وكتب عمر بن عبد العزيز [148]إن الله لا يطالب خلقه بما قضى عليهم وقدَّر، ولكن يطالبهم بما نهاهم عنه وأمر، فطالب نفسك من حيث يطالبك ربك والسلام. ولما خاض الناس في القدر بالبصرة، اجتمع سليمان بن يسار و رويفع أبو العالية[149] فاتفق رأيهما أنه يكفي المؤمن من هذا الأمر أن يعلم أنه لا يصيبه[150]إلا ما كتب الله له وأنه مجزي بعمله. ونقل أيضا بسنده إلى ابن عباس قال: إن هذه الأمة لا يزال أمرها مُتقاربا أو مواتيا أو كلمة تشبهها ما لم يتكلموا في القدر والأطفال. قال أبو عمر: ما بيَّن رسول الله ﷺ لأحد من أمته حكم الأطفال الذين يموتون صغارا بيانا يقطعه مجيئه العذر[151].

وعن ابن عون[152]: كنت عند القاسم بن محمد إذ جاءه رجل فقال له: ما كان بين قتادة وحفص في الأطفال؟ فقال:تكلم ربيعة في ذلك، فقال القاسم:إذا

(148) بياض في الأصول.
(149) في النسخ م و ط: رويفع أبو العالية وفي ت: ويفع وهو تصحيف فاسمه الرفيع أبو العالية الرياحي أعتقته امرأة من رياح أسند عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وابن عباس وأرسل عن بعضهم كان إذا جلس إليه أكثر من أربعة أنصرف عنهم خوفا من الشغل عن الله سبحانه وتعالى توفي سنة 90هـ – صفة الصفوة ج 3 211/–212 عدد485 الطبقات الكبرى ج1/35.
(150) في ت: "لن يضيبه".
(151) هكذا في النسخ ولعله تصحيف "يقطع مجيئه العذر".
(152) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني مولاهم أبو عون الخزاز البصري رأى أنسا وروى عن ثمامة بن عبد الله بن أنس وأنس ومحمد ابني سيرين وإبراهيم النخعي والحسن=

[الله][153] انتهى عند[154]شيء فانتهوا وقفوا عنده. قال فكأنما كانت نار فأطفأت، وسئل سفيان عن أطفال المشركين فصاح، وقال:يا صاحبي أنت تسال عن مثل هذا.

وقيل لأحمد بن حنبل أمع الكفار ملائكة يكتبون؟ قال: أي مسألة هذه؟ لا ينبغي أن أتكلم في مثل هذا، وكره الجواب. وسئل عن ياجوج و ماجوج أمسلمون؟ فقال للسائل: أحكمت العلم حتى تسأل عن مثل هذا[155] ، وقد ثبت في الصحيح على حسب ما ذكره الحاكم وخرجه أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «لا أدري أ عزير نبي أم لا؟»[156] و«ما أدري أ ذو القرنين نبي أم لا؟»[157] . وقال ابن العربي: يبقى النظر في كيفية قبض الروح والنفس وهل هما عرض أو جسم، ومن الحق عليكم أن لا تجعلوا هذا من فرائض معارفكم، ولا من وظائف عقائدكم، وإنما عليكم أن تعلموا أن الأنفس والأرواح موجودة عن عدم مخلوقة، وأنها باقية لا فناء لها بعد وجودها وأنها[158] تتألم دون الجسم، كما تتألم وتتنعم معه.

ولما[159] سرد أبو عمر في تمهيده الأقوال في الروح والنفس قال: الله أعلم بالصحيح من هذه الأقوال إذلم يدرك قول منها بقياس ولا ورد فيه خبر صحيح يقطع العذر ويوجب الحجة، قال تعالى﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾[160] فكيف يتعاطى علم شيء استأثر الله به، ولم يطلع عليه نبيه ﷺ وقال رسول الله ﷺ: «تحاج آدم

=والشعبي والقاسم بن محمد بن أبي بكر وغيرهم وعنه الأعمش وداود بن أبي هند والثوري وشعبة والقطان وابن المبارك ووكيع أحد الثقات الأعلام توفي سنة 151هـ –تهذيب التهذيب ج5/347.
(153) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.
(154) في م:"عندك" وهو تصحيف.
(155) في ت:"عن هذا" و في م: "عن ذا".
(156) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق 256/5 – انظر موسوعة الأطراف 11/10.
(157) الحديث أخرجه في الدر المنثور للسيوطي 230/3 والمطالب العالية لابن حجر رقم 3472 – موسوعة الأطراف 12/7.
(158) في ت : "وإنما".
(159) في م: "وأما" وهو تصحيف.
(160) الآية 85 من سورة الإسراء.

وموسى»، قال ابن العربي: الصحيح إنما التقى أرواحهما وعلم ذلك رسول الله ﷺ، وهذا ومثله مما لا يطاق فيه على التكليف، وإنما فيه التصديق. وكذا قال أبو عمر في تكلمه على هذا وزاد: لأنا لم نوت من جنس هذا العلم إلا قليلا وقال ﷺ: «رأيت عيسى ثم رأيت الدجال» قال ابن العربي في مسالكه: ربك أعلم هل في المنام أو في الوجود الحسي أو[الوجود][161] الخيالي وكذلك قال في «نقص من أجره قيراط» [قال: القيراط][162] :قدر لا يعلمه إلا الله، وقال في المسالك[163]: اعتراض من مستريب، قال: نرى المعاصي في رمضان كما هي، قلنا له: كذبت، والجواب من أوجه: منها ليس يلزمنا معرفة معنى الحديث ولا أن نعلل جميع الأشياء، وقال في الخليطين: ما علمت وجها للنهي عن ذلك إلى الآن، وقال رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طائر»، قال أبو عمر: ليس هذا موضع نظر ولا قياس [لأن القياس][164] إنما يكون فيما يسوغ فيه الاجتهاد ولا يدخل الاجتهاد في هذا الباب وإنما يسلم فيه، لما صح من الخبر عن من يجب التسليم له وقال في قوله ﷺ: «لا يسمع مدى صوت المؤذن...»، لا أدري كيف هذا؟ ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[165] وقال أيضا في حديث «يعقد الشطان على قافية رأس أحدكم...:» الله أعلم كيف ذلك ولا يقف أحد على حقيقة هذا، وكذلك قال في أكل الشياطين وشرابهم، قال: ولا يدرك هذا بعقل ولا بقياس وقال ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» قال ابن العربي: طال النزاع في معنى هذا بين العلماء وليس فيه شيء قاطع والحاصل على عظم الخلاف سقوط جميع القراءات إلا ما ثبت في المصحف وأن ما كان أذن فيه قبل ذلك ارتفع وذهب.

وقال الزهري في حديث «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»: أمروا هذه الأحاديث كما أمرها من كان قبلكم، فإن أصحاب رسول الله ﷺ أمروها. وقال ابن

(161) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(162) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(163) المسالك شرح موطأ الإمام مالك لابن العربي.
(164) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(165) الآية 85 من سورة الإسراء.

العربي: ليس مقصودا طلب الفرق بين الفقير والمسكين، فلا تضيع زمانك في هذه المعاني، مثل الكلام في الفرق بين الفقير والغني[166] أيهما أفضل، فإن التحقيق فيه قليل والكلام فيه عناء إذا[167] كان من غير تحصيل اهـ.

ونقل القشيري في رسالته أنه[168]لا يوزن غدا الفقر والغنى وإنما يوزن الشكر مع الصبر[169]، فتعالوا نصبر ونشكر[170]. وكذا قال أبو عمر في حديث «لا ضرر ولا ضرار»[171]: لفظان بمعنى واحد وكذلك قال في «لا تحسسو ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا» قال: معنى هذه الألفاظ متداخل متقارب كالمعنى الواحد في الندب إلى التواد والتحاب. وقال ابن العربي: في معنى الكلالة ستة أقوال، ثم قال[ما نصه: دعنا من تمرتان[172]ما لنا ولاختلاف[173]أهل اللغة ولسان العرب واسع ومعنى القرآن ظاهر أن الكلالة][174] من فقد أباه وابنه ثم مات[175]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للذي سأله عن﴿الذاريات ذروا﴾[176]: سل تفقها ولا

(166)في ت: "الفقر والغنى".
(167)في ت: "إذ".
(168)في م: "أن".
(169)في ت: "الصبر والشكر".
(170)في ت: "نشكر ونصبر".
(171)أخرجه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس قال الهيثمي رجاله ثقات وقال النووي في الأذكار هو حسن وأخرجه ابن ماجه عن عبادة بن الصامت ورمز لحسنه قال الذهبي حديث لم يصح وقال ابن حجر فيه انقطاع وأخرجه ابن أبي شيبة وغيره من وجه آخر أقوى منه ورواه الحاكم والدارقطني عن أبي سعيد والحديث حسنه الترمذي قال ورواه مالك مرسلا وله طرق يقوي بعضها بعضا وقال العلائي للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به –فيض القدير ج 6/431.
(172)هكذا في الأصول "تمرتان"والذي في أحكام القرآن لابن العربي قال في تفسير آية المواريث من سورة النساء: المسألة الرابعة– في المختار: دعنا من ترتان، ومالنا ولاختلاف اللغة وتتبع الاشتقاق ولسان العرب واسع ومعنى القرآن ظاهر أن الكلالة من فقد أباه وابنه وترك الأخوة.– انظر أحكام القرآن المجلد 1/347.
(173)في ت :بدون واو.
(174)ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(175)تمت الإشارة قريبا إلى محل هذا الكلام في أحكام القرآن لابن العربي وأن هناك اختلافا يسيرا بين ما أورد المؤلف هنا وما ذكره ابن العربي هناك.
(176)الآية 1 من سورة الذاريات.

تسأل تعنتا وقرأ عمر ﴿وفاكهة وأبًا﴾[177]وقال: هذه الفاكهة فما الأب؟ ثم قال: نهينا عن التكلف. وقال ابن العربي: ما كنا لنشتغل بتفسير الميسر بعد أن حرمه الله، فما حرم الله فعله وجهلناه حمدنا الله عليه قال واختلف في الذبيح قيل إسحاق وقيل إسماعيل وليست هذه المسألة من الأحكام، [إنما هي][178] من العلوم التي لا تلزم معرفتها. وقال سبحانه:﴿يسألونك عن الساعة﴾...ثم قال:﴿فيم أنت من ذكراها﴾[179]أي السؤال عن الساعة سؤال عما لا يعني يكفي من علمها أنها لا بد منها ولذلك قال ﷺ للسائل عن الساعة: «ما أعددت لها؟»[180] إعراضا عن صريح سؤاله إلى ما يتعلق بها مما فيه فائدة ولم يجبه عما سأل ونحوه قوله سبحانه: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾[181] فوقع الجواب بما يتعلق به العمل، إعراضا عما قصده السائل، ثم قال تعالى:﴿وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها...﴾[182]والبر هو[183]التقوى لا العلم بهذه الأمور التي لا تفيد نفعا في التكليف ولا تجر إليه. ونقل عياض عن بعضهم أنه قال يتكلم أحدهم في الفقه ولعله إن سئل عن اسم أبي هريرة ما عرفه، قال: فكان ابن عبدوس[184]يقول لبعض أصحابه: افهم هذه المسألة، فإنها أنفع من اسم أبي هريرة.

(177) الآية 31 من سورة عبس.
(178) ما بين المعكوفين ساقط من م.
(179) الآيات 42 و43 من سورة النازعات.
(180) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس أن أعرابيا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى تقوم الساعة؟ فقال وما أعددت لها؟ قال لاشيء والله إني لقليل الصلاة قليل الصيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال النبي عليه الصلاة والسلام: فإنك مع من أحببت.
(181) الآية 189 من سورة البقرة.
(182) الآية السابقة.
(183) في ت: "إنما هو".
(184) هو محمد بن إبراهيم بن عبدوس أبو عبد الله الإمام الحافظ الفقيه الكبير رابع المحمدين الذين اجتمعوا في عصر واحد من المالكيين، قيل إنه صلى الصبح بوضوء العشاء30سنة أخذ عن سحنون واخذ عنه جماعة، ألف كتابا سماه المجموعة وشرح المدونة ولد على رأس المائتين وتوفي سنة 260هـ – الشجرة ص70 عدد 82.

وحكى ابن خلكان عن بعض المشار إليهم في النحو أنه كان يقول: أنا لا أفهم مقدمة الجزولي[185]ولا يلزمني من هذا أني لا أعرف النحو.

وقال بعضهم: المعلومات متكاثرة يتقاصر العمر عن نيل مقاصدها ونهايتها ويضيق عن تحصيل مطالبها وغاياتها مع استيلاء الفترة واستحكام الغفلة وركون الأنفس إلى الكسل واستنادها إلى الفشل فواجب حتم على كل ذي عقل وحزم أن يشتغل بالأهم فالأهم.

عرف عياض بابن شعبان[186] قال: كان رأس فقهاء المالكيين بمصر في وقته وأحفظهم لمذهب مالك مع التفنن في سائر العلوم وكان يلحن إذلم يكن [له][187] بصر بالعربية مع غزارة علمه. وقد تقدم قول الباجي وابن العربي وشهاب الدين: علم المنطق غير محتاج إليه. وقول الشافعي: إذا سمعتم الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فلا دين له. و[قد][188] تقدم نقل الجوزي:نقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر ولا العرض.

وعرف عياض بابن طالب[189]فقال: كان من كبار أصحاب سحنون أمر المقرئ بجامع القيروان أن لا يقرئ إلا بحرف نافع اهـ.

(185) مقدمة الجزولي في النحو المسماة بالقانون مصنفها هو الجزولي وهو عيسى بن عبد العزيز الجزولي البربري المتوفى سنة 677هـ وقد أغرب فيها وأتى بالعجب وهي موجزة جدا – كشف الظنون 2/800.
(186) هو محمد بن القاسم بن شعبان أبو إسحاق من ذرية عمار بن ياسر رضي الله عنه من عنس من مذحج كان رأس المالكية بمصر وافق موته دخول العبيديين الروافض إلى مصر وكان شديدا عليهم ألف في أحكام القرآن ومختصر ما ليس في المختصر وكتاب الزاهر في الفقه توفي سنة 355 هـ شجرة النور ص80 عدد143.
(187) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(188) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(189) هو عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي عم بني الأغلب أمراء إفريقية الفقيه.الثقة العالم الفاضل الإمام القاضي العادل تفقه بسحنون وكان من كبار أصحابه وحج ولقي ابن عبد الحكم ويونس بن عبد الأعلى سمع منه أبو العرب وابن اللباد ومحمد بن عيشون وجماعة ألف كتابا في الرد على من خالف مالكا وثلاثة أجزاء من أماليه ولد سنة 210هـ ومات قتيلا سنة 275 هـ شجرة النور ص71 عدد 84.

ولست أقول هذا إلا لمن لم يحصل الأهم وإلا فالعلوم كلها مهمة بعد تحصيل الأهم بفضل ربي، أقول ككتابي السنن وكشف النقول[190].

قال في الإحياء: لا تستغرق عمرك في واحد من العلوم طالبا للاستقصاء، فإن العلم كثير والعمر قصير وليست هذه العلوم مطلوبة لعينها، بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره لا ينبغي أن يجهد فيه المطلوب فاقتصر من علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن والحديث ودع التعمق فيه ومن النحو[على][191]ما يتعلق بالكتاب والسنة[انتهى][192].

وكان سيدي ابن سراج رحمه الله يرشح هذا ويشنع على من يتعمق في النحو حتى يستضعف بعض القراءات ويقول رحمه الله: إنما استحدث النحو لكتاب الله ولسنة نبيه ﷺ ولا يلفظ أحد بأفضل منهما فهذا الذي يلهج بضعف قراءة أي علم يفيده هذا لعله عسى أن يمدح سلطانا ينزه قريضه أن يلفظ بما يستحل أن يتلوا به كتاب الله هذا سوء أدب.

قال عَياض: كان ابن التبان من الفقهاء الراسخين في النحو وقال مع ذلك: ما أكثر أحد من النحو إلا وحمقه. وقال ابن الصائغ[193]: ذهب الكوفيون[194]إلى أن نصب تحدثنا في قوله أما تأتينا فتحدثنا؟ بالخلاف لأنهم إذا أرادوا تشريكه مع ما قبله وموافقته له تبعه في إعرابه وإذا أرادوا المخالفة نصبوا. فالخلاف عندهم

(190) لعل المقصود بكتاب السنن هذا الكتاب الذي بين أيدينا أما كشف النقول فلعله الأصل الذي خرج منه هذا الكتاب كما ذكر في المقام السادس من التدلي، وإلا فإننا لم نطلع للمؤلف على كتاب بهذا العنوان لا في كشف الظنون ولا في غيره.

(191) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(192) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

(193) هو أبو عبد الله محمد بن حسين بن سباع الجذامي المصري ثم الدمشقي المعروف بابن الصائغ ولد سنة 645 هـ كان أديبا بارعا في النظم والنثر وعلم العروض والبديع والنحو واللغة، اختصر صحاح الجوهري توفي بدمشق سنة 720هـ – البداية والنهاية 101/14.

(194) نسبة للكوفة وفيها نشأت المدرسة النحوية المعرفة بهذا الاسم وهي تعتمد السماع أصلا ومن أهم زعمائها الكسائي وكانت تعارض المدرسة البصرية التي من أهم زعمائها سيبويه.

الناصب، وهو عندهم ناصب في الأسماء، ومنه لو تركت والأسد لأكلك ولم يريدوا تشريك الأسد في الترك فلذلك نصبوا. ومنه نصب الخبر إذا كان ظرفا فإنه إذا كان خبرا لمبتدأ هو المبتدأ في المعنى ارتفع وإن خالفه انتصب وتعقبه السيرافي[195]بما لا يلزمهم ثم الكلام فيه لا معنى له، إذ المقصود بالعوامل ضبط القوانين، فكيف انضبطت حصل المقصود ثم رد على الجرمي[196]أن الفاء هنا ناصبة إذ تقليل العوامل ما أمكن أولى كي لا تكثر على المتعلم، فإذا أمكن أن يجعل للفاء قانونا واحدا لا يختلف فهو أولى.

وقال في الاستثناء إن قولك قام القوم إلا زيدا وقام القوم ليس زيدا كلاهما ليس بمستقل وأما قولهم إن في ليس ضميرا[197]هو اسمها وما بعده خبر وأنه مستقل، تأويل صناعي وكذلك قولك قام الزيدان والزيدان قاما، كلا الفعلين مسند إلى الزيدين لا إلى الألف لكن لما اختلف حكم اللفظين خالفوا في التعبير عنهما، قال: وقد تقدم هذا المعنى غير مرة ومن لم يفهم غرض أهل الصناعة في هذه الإصطلاحات وفي مقصودهم بالتعاليل نسبهم في ذاك إلى جهل أو حماقة وهو الجاهل بغرضهم.

وممن جهل غرضهم في ذلك كل من أكثر في تلك التعاليل الهذيانية واعتقد أنها أمور حقيقة مقصودة لأهل اللغة اهـ.

(195) هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد القاضي السيرافي النحوي سكن بغداد وحدث بها عن محمد بن أبي الأزهر البوشنجي وأبي عبيد الفقيه وعنه شيوخ ولي قضاء بغداد وكان على مذهب أهل العراق في الفقه أما في النحو فقد كان بصريا كان ببغداد يدرس القرآن والقراءات والنحو واللغة والفقه والفرائض والكلام والشعر والحساب وغيرها كما كان زاهدا فقد كان لا يخرج لقضاء قبل أن ينسخ ورقات يحصل منها على قدر مؤونته مات في رجب سنة 368هـ – تاريخ بغداد 341/7.

(196) صالح بن إسحاق أبو عمرو الجرمي النحوي قيل مولى لقبيلة جرم من اليمن وقيل لبجيلة بن أنمار أخذ عن شيوخ منهم يزيد بن زريع ويحيى بن كثير الكاهلي والنحو عن الأخفش ولقي يونس بن حبيب واللغة عن أبي عبيدة والأصمعي وغيرهم وقد جمع مع العلم صحة المذهب و الاعتقاد له كتاب المختصر في النحو ناظر الفراء وله كتب أخرى في اللغة وغيرها مات سنة 225هـ تاريخ بغداد 313/9.

(197) في ت: "ضمير" وهو تصحيف.

انظر هل يكون من هذا قول بعض الشيوخ أن الضمير يبرز في خبر المبتدإ إذا كان ظرفا وجرى على غير ما هو له على القول بأنه متعلق باسم فاعل محذوف، وأما من يقول أنه متعلق بفعل محذوف فلا يبرز، وقال الشاطبي: لم يذكر ابن مالك[198] الخلاف في رافع المبتدأ والخبر لأنه لا تنبني عليه فائدة كلامية، قال ابن الحاج[199]: كل خلاف وبحث في هذه الصناعة لا يؤدي إلى الوقوف على كيفية التكلم فهو فضول، لا يحتاج إليه والاشتغال به بطالة. وقد أولع به المدرسون وإن لم يكن نافعا في تعليم الصغار والاشتغال به اشتغال بما لا يعني، وأشد من هذا من يعتقد أنه مهم يكسب[200] علما بكلام العرب، ثم مضى في كلامه إلى أن قال: فقولك زيد في الدار الغرض فيه أنه بمعنى زيد مستقر أو استقر في الدار وقال الشاطبي في قولهم كسر الزجاج الحجر: إن الزجاج فاعل وإن كان المعنى بخلاف ذلك، اعتبارا باللفظ إذ لا يستتب[201] قانون التعليم إلا بذلك، قال: وقال شيخنا الأستاذ[202] الإعراب أبدا إنما يكون على حسب العلامة التي تكون في الاسم المعرب، فتعرب القرية في قوله تعالى﴿ واسأل القرية ﴾[203] مفعول اهـ.

ولابن الصائغ في قولهم إياك والأسد أنه استغنى عن احذر وأنه محذوف قال: وإنما هذا تقريب وتجوز بل وضعت العرب إياك تدل به على احذر فإن قيل سويت

(198) هو محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائي الجياني النحوي صاحب التصانيف المشهورة المفيدة منها الكافية الشافية وشرحها والتسهيل وشرحه والألفية وكلها في النحو ولد بجيان سنة 600هـ وأقام بحلب مدة ثم دمشق وكان كثير الاجتماع بابن خلكان أثنى عليه غير واحد روى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة توفي بدمشق سنة 672هـ –البداية والنهاية ج13/282.

(199) هو محمد بن محمد أبو عبد الله العبدري المعروف بابن الحاج المغربي الفاسي أحد المشاييخ المشهورين بالزهد والصلاح والفقه مع رواية الحديث صحب جماعة من أرباب القلوب منهم ابن أبي جمرة وأخذ عنهم وانتفع بهم وألف كتابه المدخل إلى تتمة الأعمال بتحسين النيات توفي سنة 737هـ – الديباج ص 328.

(200) في ت: "مكسب".

(201) في م: "يثبت" وهو تصحيف.

(202) لعل المقصود بالأستاذ أبو سعيد فرج بن لب أستاذ الشاطبي في النحو وقد نعته بالأستاذ الكبير الشهير في كتابه الإفادات والإنشادات ص93.

(203) الآية 82 من سورة يوسف.

بين إيا[204] واسم الفعل فيقال لا يذكر في أسماء الأفعال إلا ما ليس له معنى ولا مدلول إلا الفعل، ثم قال: وهذه تعليلات القصد بها حفظ القوانين ورسوخها في نفس المتعلم وقال قبل ذلك: إنما قيل في أسماء الأفعال أسماء لمخالفة أحكامها لأحكام الأفعال كما قلنا في ليس إنها فعل [ومدلولها مدلول الحرف لكن لما خالفت[205] أحكام الحروف قيل إنها فعل][206]، وقال الشاطبي رأينا الشارع يعرض عما لا يفيد علما مكلفا به. سئل مالك عن حديث: النهي عن قيل وقال وكثرة السؤال[207]، فقال: أما كثرة السؤال فلا أدري أهو ما أنتم فيه مما أنهاكم عنه من كثرة المسائل؟.

قال الشاطبي والحاصل أن متابعة المسائل بالأبحاث العقلية والاحتمالات النظرية مذموم. سألت امرأة عائشة رضي الله عنها عن قضاء الحائض الصوم دون الصلاة فقالت: لها أحرورية أنت؟ إنكارا عليها السؤال عن مثل هذا. وقضى عليه السلام في الجنين بغرة فقال الذي قضى عليه كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل؟ ومثل ذلك يطل[208] فقال رسول الله ﷺ «إنما هذا من إخوان الكهان»[209].

وقال ربيعة لسعيد في مسألة عقل الأصابع حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها؟ فقال سعيد: أ عراقي أنت؟ فقال[210]: بل عالم متثبت أو

(204) في ت: "إياك".

(205) في ت: "خالف".

(206) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

(207) حديث النهي عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من حديث المغيرة، وقول مالك في هذا الحديث أورده ابن عبد البر – انظر فتح الباري 13/229.

(208) في ت: "بطل".

(209) الحديث أصله في أبي داوود والترمذي والتمهيد من حديث أبي هريرة ولكن في الترمذي فقال الذي قضى عليه أيعطى من لا شربة إلى آخر كلام المستنكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن هذا ليقول بقول شاعر" وفي سنن الدارمي ومسند أحمد "إنما هو من إخوان الكهان" من أجل سجعه الذي سجع ، وقد سمى الدارمي الرجل قال فقال حمل بن النابغة الهذلي: كيف أغرم ة إلى آخر كلامه – سنن الترمذي الحديث 1420 وسنن الدارمي 2/197 وانظر موسوعة الأطراف 3/551 و5/699.

(210) في ت: "فقلت".

جاهل متعلم فقال هي السنة يا ابن أخي[211].

[212]وقال في الإحياء: في التصديق بعذاب القبر ثلاث مقالات[213]:

الأولى :أن ذلك أمر ملكوتي لا تصلح هذه العين لمشاهدته فقد كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ ولا يشاهده إلا رسول الله ﷺ وأن الحيات والعقارب التي تلدغ في القبور ليست من جنس حيات عالمنا فهي تدرك بحاسة أخرى.

الثاني :أن تذكر[214] أمر النائم يرى في نومه يرى حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية ولا عقربا والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولا كنه في حقك غير مشاهد.

---

(211) هذه القصة أخرجها مالك في الموطأ عن ربيعة قال سألت سعيد بن المسيب كم في إصبع المرأة؟ قال عشرة من الإبل قلت ففي إصبعين ؟ قال عشرون قلت ففي ثلاث؟ قال ثلاثون قلت ففي أربع؟ قال عشرون قلت حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها ! فقال له سعيد أعراقي أنت؟ فقال ربيعة بل عالم متثبت أو جاهل متعلم فقال سعيد هي السنة لأن مذهب أهل الحجاز أن المرأة تكون ديتها كدية الرجل إلى ثلث الدية لما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى تبلغ الثلث في ديتها" رواه النسائي في القسامة ج39/8 فإن زادت على ذلك كانت ديتها على النصف من دية الرجل فأجري ذلك على الظاهر ولو أدى ذلك إلى نتيجة لا يفهمها العقل والمنطق إذ لا شأن للعقل في التشريع الذي فيه نص. فعلى هذا تكون الأربعة الأصابع ديتها أقل من الثلاثة فهي أكثر من الثلث فترد إلى النصف فتكون فيها عشرون وهذا ماستشكله ربيعة وقول سعيد أعراقي أنت؟ إشارة إلى أن مذهب أهل العراق انتصاف الدية مطلقا وهو مذهب أبي حنيفة والليث والثوري والشافعي في القديم وحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عندهم غير صحيح.
وهناك قول آخر ذكره الشوكاني في نيل الأوطار ولا يروى عن أحد من الأئمة الأربعة مفاده فهم هذا الحديث أن الانتصاف فيما زاد على الثلث فقط لا في الثلث لأن الثلث تقرر تساوي المرأة والرجل فيه وعليه فيكون في الأربعة الأصابع خمس وثلاثون من الإبل لأن ثلاثين عن الأصابع الثلاثة والخمس عن الإصبع الرابع الذي تبدأ الدية تنتصف فيه أي تكون على النصف من دية الرجل وهذا القول مشبه من ناحية العقل والمنطق.

(212) في ط و م : بياض وهو غير موجود في ت.

(213) في ت: "مقامات".

(214) في ت: "تتذكر".

الثالث: انظره فيه إن أردت.

ثم قال: والحق أن الكل في حيز الإمكان ومن أنكر بعض ذلك فلضيق حوصلته، والتصديق بعذاب القبر واجب والذي أوصيك به أن لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل في التدبير[215] في دفع العذاب، كيف ما كان، فإن اشتغلت بالبحث عن ذلك فيكون مثلك كمثل من حبسه السلطان ليقطع يده فأهمل طلب الحيلة في الهرب وأخذ طول الليل يتفكر هل يكون القطع بالموسى أو بالسكين، فالبحث عن كيفية الثواب والعقاب فضول وتضييع زمان، ولو فرض أكمه بلغ عاقلا وأحاط بمعلومات عدا ما يدركه ببصره ثم انقشعت الغشاوة عن عينيه وامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة، لخيف على عقله أن ينبهر لعظيم تعجبه من شهادة هذه المخلوقات على خالقها وكأنه لطول الإنس[بها][216]، كأنه [كان][217] يصل إلى حقائقها بعقله، لو لم يرها.

وقال ابن العربي: قوله ﷺ «ينزل ربنا...» هذا الحديث أمٌّ في الأحاديث المتشابهة، ذهب كثير من العلماء وخاصة من السلف إلى أن يؤمن بها ولا يخاض في تأويلها. وقد رأى شيخ القراء[218] الوقف[219] على قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله

---

(215) في ت: "بالتدبير".

(216) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(217) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(218) يعني بشيخ القراء: أبا عمرو الداني وهو عثمان بن سعيد الأموي القرطبي المعروف بابن الصيرفي يكنى أبا عمرو الداني ولد سنة 371 هـ درس على شيوخ الأندلس ثم ارتحل إلى المشرق وأخذ عن إسماعيل بن يوسف الموري وأبي علي الأنطاكي وأبي علي المقرئ المالكي وخلف بن إبراهيم وطاهر بن عبد المنعم بن غلبون وغيرهم وصف بالحفظ والحذق والإتقان والأداء وعنه أخذ خلق لا يحصون وصنف الكثير مثل كتاب الإدغام الكبير والاكتفاء والتيسير وغيرها توفي سنة 444 هـ-الجذوة عدد 702والصلة 405/2.

(219) قال الداني في كتاب الاكتفا في الوقف والابتداء "وما يعلم تأويله إلا الله "تام أي الوقف على قول من زعم أن الراسخين لم يعلموا تأويله وهو قول أكثر أهل العلم من المفسرين والقراء والنحويين وفي قراءة عبد الله يعني ابن مسعود تصديق ذلك " ويقول الراسخون في العلم..."والمسألة فيها خلاف-الاكتفاء ص 140.

إلا الله ....ويبتدئ بقوله....﴿والراسخون في العلم﴾[220]وهو اختيار إمام الأئمة مالك ابن أنس وهو بشهادة الله الحق "ولو ترك القطا لما تكلف سير الليل ولا تعاطى"[221]. فرأينا أن نخلص من ذلك التأويل ما يقوم عليه الدليل، أما مالك فقد بدع السائل عن أمثاله وصدف عن إشكاله ووقف عند الإيمان به وهو لنا أفضل قدوة. وأما الأوزاعي فهو إمام عظيم فنزع بالتأويل حين قال، وسئل عن قول النبي ﷺ:« ينزل ربنا...» فقال: يفعل الله ما يشاء ففتح بابا من المعرفة عظيما ونهج إلى التأويل صراطا مستقيما، فجعل هذا من صفات الفعل لا من صفات الذات.

وقال لي شيخ العلماء[222]: لا يمكن لأحد أن يعبر عن جلال الله وكلامه إلا بهذه الألفاظ الناقصة التي يعبر بها عنا، فإذا سمعت العبارة عن الله فيجب عليك الإيمان بمعناها، ثم تعلم[223]أنه ليس له مثل في ذلك ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[224]. وهذا كلام بليغ ولسعة اللغة في العبارة بالحقيقة والمجاز يتمكن العالم بالله من العبارة عنه، فنقول في حديث « ينزل ربنا...»:صدق ربنا وصدق نبينا والنزول في اللغة في الحقيقة حركة والحركة آفة لا تجوز على الله، فلم يبق إلا العدول عن الحقيقة إلى المجاز وهو النزول بالمعنى فإن النزول من علو الامتناع إلى علو القبول نزول معنوي، كما أن النزول من علو الفوقية إلى أسفل المكانية نزول حسي، وفي الحديث:« أنزل لك عن إحدى زوجتي »[225]فإنها كانت

(220) الآية 7 من سورة آل عمران.

(221) لو ترك القطا ليلا لنام مثل يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته قيل أول من قاله امرأة عمرو بن مامة عند ما نزل على قوم من مراد فطرقوه ليلا فأثاروا القطا من أماكنها فرأته امرأته طائرا فنبهت زوجها فقال إنما هي القطا فقالت:لو ترك القطا ليلا لنام وهو شطر بيت لحذام بنت الريان:

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا   فلو ترك القطا ليلا لناما

مجمع الأمثال ج2/174.

(222) لعله يقصد به شيخه المنتوري الذي روى عنه كثيرا وعزا له في هذا الكتاب.

(223) في ت: "نعلم".

(224) الآية 11 من سورة الشورى.

(225) يقصد حديث عيينة بن حصن الفزاري الذي سأل ابن القاسم مالكا عنه وهو أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن – وقد كان من الأعراب الجفاة – فقال رسول الله=

تحت سلطان نكاحه وتحت حجره ومنعه فإذا قال لها أنت طالق فقد ارتفع ذلك كله. ويكون من أقسام المجاز التعبير عن الشيء بفائدته وثمرته ويكون ذلك عبارة عن كثرة ما يفيض الله سبحانه من الرحمة وينشر على الخلق منها ويوسعهم من عطائه على جميع المعاني من إجابة دعوة وقضاء حاجة ونيل مغفرة مما كان قبل ذلك ممتنعا عليهم، كامتناع ما يكون في العلو من فوقهم. وإلى هذا أشار الأوزاعي بقوله: يفعل الله ما يشاء، فجعله من صفات الفعل لا من صفات الذات، وهذا فصل بالغ فاتخذوه دستورا واشرعوه في سائر المشكلات سبيلا.

قال الشاطبي كل علم شرعي فطلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبد به. وقال الثوري: إنما يراد العلم ليتقى الله به.

وقال مالك: عن القاسم أدركت الناس ما يعجبهم[226]القول إنما يعجبهم العمل. قال[227]الجنيد: كنت بين يدي السري وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال يا غلام: ما الشكر؟ فقلت أن لا يعصى الله بنعمه، فقال: يوشك أن يكون حظك من الله لسانك. قال الجنيد: فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري. وعن يحي بن معاذ الرازي[228] قال: لبس الصوف حانوت والكلام في الزهد حرفة وصحبة القوافل تعرض كل هذه علاقات[229].

=صلى الله عليه وسلم: "وأين الإذن؟" فقال ما استأذنت على أحد من مضر وكانت عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم جالسة فقال: من هذه الحميراء؟ فقال أم المؤمنين ، فقال: أفلا أنزل لك عن أجمل منها ؟ فقالت عائشة: من هذا يارسول الله ؟ فقال: "هذا أحمق وهو على ما ترين سيد قومه" وفي حديث آخر أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك قبل أن ينزل الحجاب وعنده عائشة فقال من هذه ؟ فقال: عائشة . قال أفلا أنزل لك عن أم المؤمنين فتنكحها فغضبت عائشة وقالت: من هذا ؟ فقال: "هذا أحمق مطاع" البيان والتحصيل 17/198 وانظر الدارقطني 3/218 والدر المنثور للسيوطي5/212 – موسوعة الأطراف 1/162.

(226) في ت: "و ما يعجبهم".

(227) في ت: "و قال".

(228) يحيى بن معاذ الرازي أبو زكرياء الواعظ وصفه القشيري بأنه فريد عصره إمام ببلخ ونيسابور له لسان في الرجاء وكلام في المعرفة ومن كلامه: "كيف يكون زاهدا من لا ورع له ؟ تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك توفي سنة 258هـ –الرسالة ص 414 عدد40.

(229) في ت: "وهذه كلها علاقات".

وقال ذو النون المصري: يا أخي كن بالخير موصوفا ولا تكن للخير وصافا، وقال رويم: إذا وهب الله لك مقالا وفعالا فأخذ منك المقال وترك عليك الفعال فلا تبال فإنها نعمة وإن أخذ منك الفعال وترك عليك المقال فنح فإنها مصيبة وإن أخذ منك المقال والفعال فاعلم أنها نقمة.

قال أبو يزيد البسطامي: إذا رأيت إنسانا يتكلم بهذه العلوم وآخر ينكره وآخر يؤمن به فهذا الذي يؤمن به خيرهم، قل له يدعولك. وسئل الرازي: ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب؟ فقال لأنهم اشتغلوا بالمباهات بالعلم ولم يشتغلوا باستعماله فاشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا بآداب البواطن فأعمى الله قلوبهم وقيد جوارحهم عن العبادة. وقال أبو حامد: من الذنوب ذنوب عقوبتها والعياذ بالله سوء الخاتمة، قيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء. قال[230] ومما عظم ضرره في العوام دعوى الوصال مع الله حتى ينتهي قوم إلى دعوى المشافهة بالخطاب تشبيها بأبي يـزيد والحلاج[231]. قال وهذا فن عظم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحـة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوي، فإن هذا كلام يستلذه الطبع إذ فيه البطـالة في الأعمال مع تزكية النفس بإدراك المقامات والأحوال فلا يعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلفيق كلمات متخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم لم يعجزوا أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمى النفس وهذا حديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة فهذا وشبهه مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله في دين الله أفضل من إحياء عشرة ثم قال وحق العوام أن يشتغلوا بعبادتهم وبمعاشهم ويتركوا العلم للعلماء فإن العامي لو زنى أو سرق كان خيرا له من أن يتلكم في العلم، ولا سيما[232] فيما يتعلق بالله وأسمائه وكلامه.

(230) في م: "وقال".
(231) هو الحسين بن منصور الفارسي الحلاج تصوف وصحب سهل بن عبد الله التستري ثم ببغداد صحب الجنيد والنوري اختلف المشايخ في أمره فرده أكثرهم ونفوه وأبوا ان يكون له قدم في التصوف قتل ببغداد سنة 309هـ طبقات الشعراني 1/107–108.
(232) في م و ط: "من أن يتكلم في العلم ولا يعلم ولاسيما" ولعل زيادة "ولايعلم" في النسختين تصحيف "وهو لايعلم".

وقد قال الحسن: أولى الناس بالقرآن من عمل بما فيه وإن لم يقرأه، فالحق الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح أن يخوض في العلم إذا الشيطان يخيل إليه أنه[233] من العلماء وأهل الفضل فلا يزال يحبب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر ولا يدري اهـ من الإحياء.

وقال أيضا: ومن المغترين من يدعى العلم بالله وصفاته ويهمل العمل فغرور هؤلاء أشد غرور [و][234] يضاهي من أراد خدمة ملك يعرف أخلاقه وعادته فقصد خدمته متوسلا بهذه المعرفة تاركا لما يريد ذلك الملك منه فهو مغرور [و][235] لو ترك جميع ما عرف واشتغل بما يحب ذلك الملك لكان أقرب. قال: ومن المغتربين أيضا من اشتغلوا بتهذيب الأخلاق واتخذوا[236] البحث عن عيوب النفس فقها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب ويشغفون بكلمات مسلسلة تضيع الأوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عوائق الحاج وآفاته ولم يسلك طريق الحج كان مغرورا.

وفي الرسالة: قال رجل لرويم أوصني؟ قال: ما هو إلا بذل الروح، فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية. ومنها أيضا تذوكرت المحبة عند ذي النون المصري فقال: كفوا عن هذه المسالة لا تسمعها النفوس فتدعيها.

ومنها عن الزجاجي[237]: من أقوال الجنيد من تكلم على حال لم يصل إليها

(233) في ط و ت: "إنك"
(234) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(235) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت
(236) في ت: "واتخذ"
(237) هو محمد بن إبراهيم أبو عمر الزجاجي النيسابوري المجاور بمكة والمتوفى سنة 348هـ صحب الجنيد وأبا عثمان والنوري والخواص ورويما وهذا الكلام الذي عزاه المصنف للجنيد هو من كلام الزجاجي نفسه كما ورد في الرسالة وهو: من تكلم على حال لم يصل إليه كان كلامه فتنة لمن يسمعه ودعوى تتولد في قلبه وحرمه الله تعالى من الوصول إلى تلك الحال–الرسالة ص 416–417.

كان كلامه فتنة لمن يسمعه ودعوى تتولد في قلبه وحرمه الوصول إلى تلك الحال. وسئل مالك عن علم الباطن فقال: علم الباطن لا يعرفه إلا من عرف علم الظاهر وعمل به، ثم قال للسائل عليك بالدين المحض وإياك وبنيات الطريق. وقد تقدم قوله ينبغي لمن خول علما أن يمقت نفسه إذا خلا. ومن الإحياء: رؤي بعض الشيوخ في النوم فقيل له: ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل عنها؟ قال فبسط يده ونفخ فيها، وقال: طاحت[238] كلها هباء منثورا، ما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل.

رأى سحنون ابن القاسم في المنام فقال: له ما فعل الله بك؟ فقال وجدت عنده ما أحببت. قلت: أي أعمالك وجدت أفضل؟ قال تلاوة القرآن قلت فالمسائل فكان يشير بإصبعه فيلشيها[239] ورآه ابن معبد[240] أيضا في النوم فقال: له كيف وجدت المسائل؟ فقال: أف ما وجدت أحسن من الرباط.

ورؤي أيضا أبو القاسم الجنيد في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وفنيت تلك العبارات وأبيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في السحر وقال الله سبحانه: ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون... إلى أن قال... بما كنتم تعملون﴾[241].

(238) في م: "ضاعت".
(239) في ت: يلشيها بدون فاء وهي من لشا إذا خس بعد رفعة أي يشير إلى خستها بعد رفعتها وقد أهملها الجوهري والليث انظر تاج العروس ج 10/326.
(240) صرح باسمه في المدارك عند ذكر القصة فقال علي بن معبد وهو علي بن معبد بن شداد العبدي أبو الحسن ويقال ابو محمد الرقي نزيل مصر روى عن عبيد الله بن عمرو والرقي ومالك والليث وابن عيينة والشافعي ومحمد بن الحسن وعنه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم وابن معين وهو من أقرانه .ذكره ابن حبان في الثقات وقال الحاكم شيخ من جلة المحدثين توفي سنة 218 هـ وهناك علي بن معبد بن نوح الصغير توفي سنة 259 هـ ولعل المقصود الأول –تهذيب التهذيب ج7/384.
(241) الآيات 70 و 71 و 72 من سورة الزخرف.

وقال تاج الدين في حكمه: لا يستحقر الورد إلا جهول، الوارد[242] يؤخذ في الدار الآخرة والورد[243] ينطوي بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده، الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه[244] ويعني بالورد ما يصدر من العبد [لله][245] من العبادة، ويعني بالوارد ما يرد على العبد من الله من أنوار وكرامة[246] والورد أحق ما يعتنى به لوجهين:

أحدهما: أنه مختص بهذه الدار ينقطع بانقطاعها.

والثاني: أنه حق الحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق بالعبودية من طلب حظوظك و وقوفك معها.

وقال أيضا في حكمه: مطلب العارفين [من الله][247] الصدق في العبودية والقيام بحقوق[248] الربوبية قال شارحها: من غير طلب لحظ ولا بقاء مع نفس، قال الله عز وجل: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[249].

والتعبد بذل المجهود في مرضاة المعبود بحيث لو فجأك الموت لم تجد مستزادا على ما أنت عليه من التعبد.

ولما لم يمكن[250] أن يكون هذا في طوق البشر فليكن في وقت دون وقت آخر كما قاله ﷺ لحنظلة "ساعة و ساعة".

(242) في م و ط: "الورد" وهو تصحيف.
(243) في م و ط: "الوارد" وهو تصحيف.
(244) في م و ط: "مطلبه منك" وهو تصحيف وما اعتمدناه هو الصحيح –انظر غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية لابن عباد النفزي.
(245) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(246) في ت: "من كرامة وأنوار".
(247) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(248) في م: "يحق".
(249) الآية 56 من سورة الذاريات.
(250) في م: "يكن".

المقام الثامن: مقام خواص العلماء: من لم يتمكن من تعمير كافة الأوقات فليجتهد في تعمير الأوقات الفاضلة.

إن كنت أيها المريد لا تقدر أن تعمر جميع الأوقات بالأوراد فخص الأوقات الفاضلة[1].

قال في الإحياء: لأنها مظان الخيرات وموسم التجارات ومهما غفل التاجر عن الموسم لم يربح كذلك مريد الآخرة إن لم يغتنم الأوقات الفاضلة لم ينجح وكذا يقول السادة[2] الصوفية: من لم يهذب نفسا ولم يلتزم وردا فهو مغرور فالتزام الأوراد هو طريق القوم ويشهد له القرآن والسنة وكلام الأئمة شافعية ومالكية وإياك و دسائس الظاهرية فمرجع أصلها للذي قيل[3] فيه: إمام الضلالة بالأندلس[4]، لسانه وسيف الحجاج توأمان. وإنما أظهرت هنا وجدا لأني كنت على مأخذ لشيوخي في التزام بعض الخيرات ثم دخلني الشغب الذي يدخل المتعلقين بهذا المذهب الظاهري فاستربت فيما كنت رويت.

ومن باب أولى فيما استنبطت من نفسي، كما نصوا أن كل مريد ينبغي أن يرتب لنفسه حزبا [يلتزمه][5] يجمع فيه ما يجذب قلبه ويرجو ثوابه، ففاتني بهذه

(1) في م و ط: "الفاضلات".
(2) في ت: "السادات".
(3) في ت: "قال" وهو تصحيف.
(4) يقصد ابن حزم الظاهري المتقدم لكن كلمة إمام الضلالة في حق ابن حزم غير لائقة فالله يغفر لهما ويوسعهما رحمة، ولعل المواق طاف به حال أو أظهر وجدا كما ذكر هو نفسه.
(5) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

الدخيلة الظاهرية الإقتداء بشيوخي في هذه الالتزامات وكنت أخذت عن شيخي المنتوري مسلسلاته على شروطها فكأني رأيت هذا من البدع فسقطت لي روايتها ولا والله[ما][6] اعتضت خيرا من ذلك ونفق هذا المذهب الظاهري وصرت استحي بمأخذ شيوخي إلى أن عثرت على ما نقلة السيد مفتي تونس البرزلي في نوازله فوجدته قد صرح بمأخذ[7] شيوخي تصريحا لم يكن لهم رحمهم الله تصريح بمثل ذلك ثم عثرت على أحكام ابن حزم بعد موت شيوخي فوجدت أن ذلك المذهب هو الذي نفق بعينه وعباراته هي المنقولة والمتداولة فحينئذ تجرأت ونطقت بلسان هذا السيد البرزلي المعظم لشيخ الشيوخ ابن لب ونقله من كتابه الذي سماه لسان الأذكار[8]. لكن لم يسمه ولكنه ينقل عباراته معزوة لبعض الشيوخ، بل سماه في آخر النوازل وقال: عن كتابه الذي سماه [لسان][9] الأذكار.

وبالجملة فمأخذ هذا السيد هو الذي تبين لي وأنا حسن الظن به، كما أني مسيء الظن بمخالفه ولا أرضى مأخذه. فقال هذا السيد البرزلي في نوازله الفضائل والترغيبات تنقل[10] على غير الوجه الذي تنقل[11] عليه الأحكام لما في ذلك من الاستيناس في الترغيب على الطاعة والإعانة في النفس لكي يحصل لها شيء من أخراها وهذا إذا شهد الشرع باعتبار جنسه وليس في الأصول ما يخالفه.

وهذا كله جائز وقد فعله جماعة في فضائل أعمال اليوم والليلة وما يقال عند الأحوال العارضة وعلى أعضاء الوضوء وغير ذلك من أحزاب الفضلاء كحزب أبي طالب وحزب الغزالي. وهذا كله ما لم يصادم قاعدة من قواعد الشرع فهو حسن لأنه

(6) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(7) في ت: "بمذهب".
(8) كتاب لسان الأذكار لابن لب، لم يذكره في كشف الظنون.
(9) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(10) في م: "تنتقل".
(11) في م: "تنتقل".

يدل على الخير وعلى المثابرة عليه حتى يصير [له][12] ذلك عادة ولا يعتقد كون ذلك فرضا بل هو حسن لأنه يؤدي إلى محبة العبادة والانقطاع إلى الله وما أدى من الوسائل إلى الطاعة فهو طاعة اهـ من كلامه ما أنا أنسج على منواله.

انظر قوله حتى يصير ذلك عادة أيش يضر هذا أوبخ بهذا نفسي وإني رأيت هذا الكلام قبل اليوم ووقع مني الموقع الذي وقع مني الآن.

كان الشيخ سيدي المنتوري رحمه الله رواني تقليم الأظفار يوم الخميس، وقال: كذلك رأيت جدك ابن بقي يقلم أظفاره يوم الخميس بسند إلى رسول الله ﷺ، ثم رأيت أن التزام هذا بدعة فسقطت لي الرواية على شرطها وعملت يدا على الله بالمخالفة فلا أقلم ظفرا إلا عند الضرورة لخلعه والضرر به، ورواني أيضا قراءة آية الكرسي عن علي رضي عنه قال: ما أرى رجلا أدرك عقله الإسلام أو ولد في الإسلام يبيت ليلة سوادها حتى يقرأ آية الكرسي، قال علي رضي الله عنه ما بت ليلة قط منذ سمعت هذا حتى أقرأها. قال سيدي المنتوري منذ سمعت هذا من القيجاطي ما تركت قراءتها إلا إن كنت ساهيا أو ناسيا، ثم قال الشيخ: رواني هذا الخبر أن أكون فيه على هذا الشرط فكأني رأيت هذا من البدع، فلا أبال أقرأتها أم لا، فسقطت لي الرواية على شرطها و والله ما اعضت خيرا من ذلك، فانظر هذه "المحرمة"[13].

وكذلك أيضا رواني قراءة الشفع والوتر بالإخلاص وقال لي ما تركت قراءة ذلك في شفعي، منذ رواني هذا الخبر الراوية ابن السراج[14] قال رحمه الله وصرت إذا صليت الإشفاع مأموما، فإن قرأ الإمام في شفعه بالإخلاص أوترت معه وإلا أترك الوتر

(12) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(13) مطموس من ت.
(14) في م و ط: ابن سراج والصحيح أنه ابن السراج وهو أبو زكريا يحيى بن أحمد بن محمد الرندي النفزي السراج أخذ عن ابن الحاج البلفيقي واللوشي له فهرست وسماع صحيح انتهت إليه رئاسة الحديث في وقته وعنه أخذ المنتوري توفي بفاس سنة 803هـ – الديباج ص356 وذكره ابن غازي في الآخذين عن ابن جابر الوادي آشي – الفهرس ص103 و110.

معه وأصليه بداري، ليلا تفوتني سورة الإخلاص في شفعي وكذلك في السلسلة، القاضي عياض في هذه السلسلة التزم ذلك، وكذلك كان سيدي ابن سراج رحمه الله يقرأ فرأيت أنا بذلك المأخذ الظاهري أن هذا إفراط فيا ليت شعري أيش كان مختاري أوالاقتداء بالشيوخ، أين هذا من طريق القوم؟ يقولون كل قول وفعل بغير اقتداء فهو حظ نفس على طريقهم هذا لولم أرو هذا لا ينبغي أن أقول للعامي ليس معي في الصلاة، أصلي في شفعي بالإخلاص[15] أم بسورة الكوثر مثلا، فإذا اختار لي سورة قلت أسمع من الله وإذا أظهرت في هذا الوجد[16] فلنبذل نصحي لمن يحسن ظنه في قولي عسى الله أن يهب غشي لنفسي لنصحي لإخواني في ربي.

وقد تقدم أن مأخذ الشيوخ أنه متى أمكنهم أن يتأولوا ما ظاهره خلاف هذا المأخذ الظاهري إلا تأولوه ويصرحون بخلاف تلك الظواهر، كقول الباجي وأبي عمر وابن العربي: بموت المصطفى صلى الله عليه وسلم أمن أن يلحق بالفرائض ما ليس منها، وكذلك قول أبي عمر من خاف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما لم يخفه عليها نبيها فقد باء من التعسف بما لا يخفى.

وقال عياض في إتيان النبي ﷺ مسجد قباء يوم كل سبت حجة لجواز تخصيص الأئمة والصالحين بعض الأيام من الجمعة بنوع من القربات[17] سبتا أو غيره. وعرف عياض في مداركه بالغنمي[18] وذكر[19] من فقهه ودينه وحكى عنه أنه

(15) في ت: "أو".
(16) في م: "وإذا أظهرت هذا الوجه".
(17) في ط و م: "القراءات".
(18) هو أبو محمد عبد الله المعروف بالغيمي الفخار واختلف من ترجموا له في نسبته هذه فقد ورد في الطبقات أبو محمد الغنمي وفي المدارك أبو محمد عبد الله بن محمد العتمي وفي المعالم العتمي وفي الوافي بالوفيات الغيمي ولم يضبطه من ترجموا له ما عدى الصفدي حيث قال بالغين المعجمة والياء آخر الحروف ساكنة .وصف بالعلم والعبادة والورع وكان مجاب الدعوة في كل شيء وكانت وفاته فجأة بعد المغرب سنة 316 هـ ودفن بباب أبي الربيع والسلف الذي يقتدي به في عبادته هو سليمان بن عتر التجيبي الذي كان يختم القرآن كل ليلة ثلاث مرات ويطأ أهله ثلاث مرات فلما مات قالت امرأته رحمك الله لقد كنت مرضيا لربك مرضيا لأهلك –رياض النفوس ج2/189 فما بعدها.
(19) في م و ط: "وقال".

قال: كلما بلغني من التعبد عملته حتى لقد عملت ما بلغني عن بعض السلف أنه ختم ثلاث ختم في ليلة ووطئ أهله عند كل ختمة وتطهر اهـ. فانظر هذا المأخذ فلا شك أن عمله بالإقتداء منافسة في الخير ولو عمل خيرا من ذلك بلا اقتداء لما برئ من حظ نفسه ورؤيتها.

ومن الرسالة عن سهل بن عبد الله التستري قال كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء فهو غش[20] النفس، وانظر أيضا في الرسالة في الرجل الذي أرسله أبو القاسم الجنيد مع الرجل الذي رغب منه أن يرسل معه أحد أصحابه يأكل معه يدخل بذلك السرور فلم يأكل الرجل إلا لقمة [وخرج وجاء الآخر إلى الجنيد، وقال: يا أبا القاسم ما أكل إلا لقمة واحدة][21] وخرج فقال الجنيد لم لم تتم السرور عليه؟ فقال يا سيدي كنت لم آكل شيئا وكرهت أن يبدو مني سوء أدب من جهة الفاقة في حضرتك فلما دعوتني سررت إذ جرى ذلك ابتداء منك فمضيت وأنا لا أرضى له الجنان ثوابا فلما جلست على مائدته سوى لقمة وقال: كل فهذا أحب إلي من كذا، فرأيت أنه دني الهمة انظر الحكاية في الرسالة. وانظر بهذا المأخذ يعلم الإنسان.

و يروى في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ صلى الركعة الثانية من صبح يوم الجمعة ب﴿هل أتى على الإنسان﴾[22] ورأيت بعضهم [يتورع][23] عن قراءتها كذلك ويصلي بها الركعة الأولى، أيمكن أن يكون حظ نفس مثل هذا؟. وكان سيدي المنتوري يلتزم قراءتها في ثانية صبح كل يوم جمعة.

(20) في ت: "عيش" وهو تصحيف.
(21) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت وكلمة "واحدة" غير موجودة في ط.
(22) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة من حديث أبي هريرة قال كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة (الم تنزيل ـ السجدة وهل أتى على الإنسان).
(23) ما بين المعكوفين ساقط من ت.

ولما تقدمت خطيبا بالبيازين[24] وعادتهم التزام صلاة الصبح بالسورتين، ورد بهما صحيح البخاري أمرني سيدي ابن سراج رحمه الله أن أوافقهم ولكن ما فعلت ذلك قط إذ كنت في عنفوان ذلك المأخذ المخالف لمأخذ شيوخي. وانظر حديث الترمذي: أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ﷺ إني رأيت الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت، فسجدت الشجرة معي فسمعتها وهي تقول اللهم أكتب لي بها أجرا وضع عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داوود وقال ابن عباس فسمعت رسول الله ﷺ في سجدة سجدها يقول ما أخبره الرجل عن قول الشجرة[25] وانظر إن كان من هذا المعنى الحديث في صحيح البخاري إذ قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة «ما فعل أسيرك البارحة؟» فقلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال قل إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾... [26] وقال لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي ﷺ «أما إنه صدقك وهو كذوب» ثم قال«وذلك الشيطان»[27].

ومن حلية الإمام المتفق على دينه وعلمه مفتي المسلمين محي الدين النووي قال: ينبغي لمن بلغه فضل في عمل أن يعمل به ولو مرة. ثم قال وينبغي لمن كان له

(24) هو حي من أحياء غرناطة الشعبية والبيازين أي الصقارين وقد تحول اسم البيازين في الإسبانية إلى البايثين albaicin وتفيد المصادر بأن البيازين كان لها ثلاثة مساجد في مستوى الجامع والجامع الذي كان المواق خطيبا به هو جامع البيازين وكان أصغر من الجامع الكبير ويوجد إلى جنبه مسجد المرابطين وقد تحول جامع البيازين هذا إلى كنيسة تدعى سالفادور – الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس 1/170–172.
(25) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، وفي جامعه من كتاب الصلاة في باب ما يقول الرجل في سجود القرآن من حديث ابن عباس ورواه ابن ماجه وفي رواته الحسن بن محمد بن عبد الله ضعفه العقيلي وذكره ابن حبان في الثقات وصحح هو وابن خزيمة حديثه وليس له في الكتب الستة غير هذا الحديث ذانظر الجامع الصحيح للترمذي وانظر أيضا تهذيب التهذيب ج 2/319 عدد 553.
(26) الآية 255 من سورة البقرة.
(27) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة من حديث طويل – صحيح البخاري 3/133 مشكاة المصابيح عدد 21123.

وظيفة من ذكر في وقت من ليل أو نهار أو عقب صلاة أو حالة من الأحوال ففاته[28] أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها و لا يهملها إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرضها للتفويت وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييعها في وقتها هـ.

وانظر هذا عندي أولى من قول مالك من غلبته عيناه عن حزبه فله أن يصليه ما بينه وبين طلوع الفجر الأول وأول الإسفار وإنما قلت من باب أولى لأن هذا الوقت من كان عليه الوتر قال ابن القاسم لا يصلي له شفعا إن كان ركع بعد العشاء ومختار مالك لا يحيي المسجد إن كان ركع الفجر في بيته.

وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب قال من فاته حزبه من الليل فقرأه حين تزول الشمس فإنه لم يفته أو كأنه أدركه[29].

وهذا الإمام ابن عرفة على تعظيمه للمشهور في المذهب بالسنة لهذا الباب حكى عنه تلميذه [الإمام][30] الأبي أنه كان يتنفل بعد العصر فقيل له في ذلك فقال: إنما أفعله يوم يفوتني معتادي. وحكى عنه قال لآخر: لا يأتي من الصلاة إلا خير. وحكى عنه أيضا أنه كان يختم قيامه بالليل بقراءة الإخلاص بعد الفاتحة يقرأها عشرا يعدها في أصابعه ولم ير العد شغلا في الصلاة، ويفعل ذلك للخبر الصحيح فيختم بقل هو الله أحد[31].

(28) في ت: "ففاتته".
(29) الأثر أخرجه مالك في الموطأ عن عمر رضي الله عنه عن طريق داود بن الحصين عن الأعرج عن عبد الرحمن بن عبد الباري عن عمر. وتكلم أبو عمر على الحديث موفقا بينه وبين حديث ابن شهاب عن عمر "من نام عن حزبه أو عن شيء من حزبه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه" باختلاف إسناده وبان هذا الوقت متسع يسمح بتأدية الصلاة تفضلا من الله سبحانه وتعالى وليس من زوال الشمس إلى صلاة الظهر ما يستدرك فيه كل أحد حزبه والله أعلم – التمهيد ج12/270.
(30) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(31) يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث معاذ بن جبل وأنس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من قرأ (قل هو الله أحد) عشر مرات بنى الله له بيتا في الجنة" وفي رواية الطبراني والدارمي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد "إحدى عشرة مرة وفي رواية "عشرين مرة" – انظر مشكاة المصابيح.

ونقل عنه أنه كان يتنفل في سفره للحج ماشيا لإجازته غير مالك. وانظر من هذا المعنى ما حكاه عياض عن ابن وهب قال: جعلت على نفسي كلما اغتبت إنسانا صيام يوم، فهان ذلك علي فجعلت كلما اغتبت إنسانا صدقة درهم، فثقل ذلك علي وتركت الغيبة. وانظر أيضا قد نقل ابن بشكوال بسنده أن من بلغه فضل عمل فعمل ذلك العمل رجاء ذلك الثواب أعطاه الله ذلك الثواب، وإن لم يكن ما بلغه حقا. و بالجملة فمريد الآخرة إن وجد باعثا على خير بتأس أو باقتداء أو بأسمع[32] من الله فليغتنمه.

قال الشاطبي في حوادثه[33]: أو برؤيا كرؤيا الكتاني، تقدمت قبل هذا مع نصوص جميع الأئمة أن الرؤيا لا يستدل بها على حكم.

وروى الحافظ أبو عمر بسنده أن الغازي بن قيس[34] لما رحل إلى المدينة ليسمع عن مالك دخل ابن أبي ذؤيب[35] مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يركع فقال له الغازي بن قيس: قم فاركع فإن جلوسك دون ركوع جهل بالسنة ونحو هذا من جفاء القول فقام ابن أبو[36] ذؤيب فركع، ثم أسند ظهره وتحلق الناس إليه فلما رأى ذلك الغازي بن قيس خجل وندم فسأل عنه، فقيل: هو ابن أبي ذؤيب أحد فقهاء المدينة وأشرفهم، فقام يعتذر إليه فقال: له يا أخي لا عليك أمرتنا فأطعناك.

(32) كذا في النسخ ولعله : "بسمع".
(33) يقصد كتاب الاعتصام للشاطبي لأنه تناول فيه الحوادث والبدع ولم يكمله المؤلف رحمه الله وهو مطبوع في مجلد واحد.
(34) الغازي بن قيس أبو محمد الأموي القرطبي المحدث الثقة الأمين سمع من مالك الموطأ ومن ابن جريج والأوزاعي وغيرهم وهو أول من أدخل الموطأ وقراءة نافع للأندلس روى عنه ابنه وابن حبيب وأصبغ بن خليل وغيرهم توفي سنة 195هـ شجرة النور ص63 العدد 43.
(35) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذؤيب هشام بن شعبة القرشي العامري ابوالحارث المدني روي عن أخيه المغيرة والحارث بن عبد الرحمن القرشي وعكرمة ونافع مولي ابن عمر والزهري وخلق كثير وعنه الثوري ومعمر وابن المبارك وغيرهم كثير وثقه العلماء وكان من فقهاء المدينة وعبادها توفي سنة 158هـ – تهذيب التهذيب ج9/ص305.
(36) هكذا في النسخ "أبو ذؤيب" ولعله تصحيف "أبي ذؤيب"

ونقل ابن المبارك أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر بمقبرة فنزل فصلى ركعتين فسئل عن ذلك فقال: ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما. ونقل أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «من فتح له باب من الخير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه»[37].

وانظر أيضا نادرة من نوادر ابن العربي حيث قال: حديث سورة المائدة نعمت الفائدة حديث موضوع، لا يحل لمسلم اعتقاده، أما أنا فأقول سورة المائدة نعمت الفائدة ولا نأثره[38]عن أحد ولكنه كلام حسن اهـ.

فكذلك أنت أيها المريد إذا عثرت على خبر بفعل خير أو كلام طيب ووقع موقعا من قلبك فقل أسمع من الله وطيب به وقتك ولا تأثره عن أحد إذا كان على السرد الذي قاله السيد مفتي تونس البرزلي، إذا شهد الشرع باعتبار جنسه وليس في الأصول ما يخالفه فاغتنمه. وتقدم قول ابن العربي في سجدة الشكر ولم تكره والسجود لله دائما هو الواجب فإن وجدت أدنى سبب للسجود فاغتنم.

وقد تقدم لابن رشد وأبي عمر أن هذه الأمور قصارى أمرها إن أثبت على تركها على قول لا يضرك فعلها كما قاله في الصلاة على الميت بالمسجد وترجو أجرها على قول وتقدم قول الشاطبي أن السنف عدوا من لم يعمر أنفاسه بطالا وسرمدوا الصوم والعبادة قال وإنما نهى الشارع عن ذلك خوف الحرج، فإذا أمن الحرج فلا حرج فعلى قول الشاطبي البعض الذي تلتزمه أنت مطلوب على مذهبه أن يكون سرمدا فإن لم تخص ولا تسرمد فلا أدري مأخذك والذي ختم به ابن يونس ديوانه الفقهي قال: أخذ القليل خير من ترك الجميع.

---

(37) أورده في كنز العمال للمتقي الهندي رقم 43134 وأحمد في كتاب الزهد رقم 394 وموارد الظمآن للهيثمي رقم 38 والعراقي في تخريج أحاديث الإحياء 3/329 – موسوعة الأطراف 8/416.

(38) في م: "تاثرة" وهو تصحيف.

ولما تكلم أبوعمر على قوله رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»[39]قال أبو عمر ولقد أحسن القائل:

افعل الخير ما استطعت وإن كـــــان قليلا فلن تحيط بكلـــه
ومتـــى تفعـــل الكثيـــر من الخيــــــر إذا كنت تاركا لأقلــــه[40]

والشيء يذكر بالشيء قال الله سبحانه: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾[41]. قال السادة الصوفية: كل مؤمن راغب في عبادة الله إلا أن الشهوة تغلبه، ويزيل ذلك مشاهدة تعبد غيره، فيشق عليه أن يسبق إلى العبادة، فيجد من نفسه زيادة باعث على العبادة، وقد يكون هذا في الملأ فيظن المريد أن هذا منه رياء وليس كذلك.

قال في الإحياء: قد تبكي[42]جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء، فيظن المرء أن ذلك رياء، لأنه لو كان وحده لما بكى، وليس كذلك، فإنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه لبكى، فحصل أن التأسي والاقتداء يقويان باعث الخير. قال ابن أبي زيد في رسالته: وإن تنفل بست ركعات فحسن. وكان سيدي ابن سراج رحمه الله قط ما[43]ابتدأ بنا الحزب بعد المغرب حتى يتنفل بست ركعات بعد المغرب،

---

(39) أخرجه أحمد في المسند وابن ماجه والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن عن ثوبان وأخرجه ابن ماجه والطبراني في الكبير من حديث ابن عمر والطبراني أيضا في الكبير عن سلمة بن الأكوع– فيض القدير ج1/497 وهو في الموطأ بلاغ من رواية يحيى بن يحيى – التمهيد ج 24/318 والاستذكار ج 2/213.

(40) الأبيات قائلها هو ابن أبي النجم ذانظر المعجم لابن الأبار ص 24 وقد ذكر أبو عمر هذه الأبيات عند الكلام على حديث "يا نساء المؤمنات لا تحقرن إحداكن لجارتها ولو كراع شاة محرقا"ولم يذكرها قط لا في التمهيد ولا في الاستذكار عند كلامه على حديث "استقيموا ولن تحصوا"كما يستفاد من النص ولعل ذلك وهم منه رحمه الله أو خطأ من النساخ – انظر الاستذكار ج 26/317 أما في التمهيد فلم يذكر منهما إلا البيت الأخير في شرح الحديث "لو يعلم الناس ما في النداء..."التمهيد ج 22/12.

(41) الآية 28 من سورة الكهف.

(42) في ت: "يبكي".

(43) في م و ط: "قطعا" وهو تصحيف.

ويدعو ويؤمن الموقت على دعائه وحينئذ يبدأ الحزب. ومن محرمتي أني كنت أستنقص هذا وأنوي أن أركع بلا تحديد فيلومني. هذا ما وجدت تنعما بمختاري مرة أزيد كأني أعمل يدا على ربي وأكثر الأوقات أترك التنفل بالكلية وأركع ركعتين بلا تأس ولا باقتداء، ولا كما كان يقول سيدي المنتوري رحمه الله اسمع من الله.

وظهر في ما قاله محي الدين من لم يعتد[44] الملازمة للوظيف، عرضه للتفويت قال وينبغي أن يتداركه في وقت آخر، فإنه إذا تساهل في قضائه سهل عليه تضييعه في وقته، وكذا قال[45] في الإحياء: من عاقه عائق عن ورد كان له فلا يرخص لنفسه في ترك قضائه، بل يتداركه في وقت آخر، كي لا تميل نفسه للدعة والرفاهية، وتداركه حسن على سبيل المجاهدة لنفسه، لا على أن ذلك فرض لازم ثم اطلعت على نص الحاوي لما به الفتيا[46] في مذهب الشافعي قال: المؤقتة من النوافل تقضى أبدا إلا المتعلقة بسبب كالكسوف.

فيا ليتني أيها الإنسان في هذه الست الركعات[47]، اقتديت بابن أبي زيد في رسالته وتأسيت فيها بشيخي ابن سراج أو كنت التزمت قضاءها على ما قال[48] محي الدين إن لم أكن[49] صدقت أنها تعدل عبادة اثنتي عشرة سنة، وأيضا كنت كأني صليتها إذا كان قد صدني عنها صاد ففي الصحيح: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما»[50] وكذلك أيضا الخبر الآخر «من كانت له صلاة بليل

(44) في م و ط: "يعتبر".
(45) في م و ط: "قاله".
(46) لعله الحاوي الكبير للقاضي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري الشافعي المتوفى سنة 450هـ وهو كتاب عظيم لم يؤلف مثله في المذهب الشافعي أو هو الحاوي الصغير في الفروع لعبد الغفار بن عبد الكريم القزويني المتوفى سنة 665 هـ وهو من الكتب المعتمدة في المذهب الشافعي – كشف الظنون ج1/225–228.
(47) في م و ط: "ركعات".
(48) في ت: "قاله".
(49) في ت: "أو لم أكن".
(50) أخرجه البخاري في الجهاد وأحمد في المسند كلهم عن أبي موسى الأشعري –فيض القدير ج1/444.

فغلبته عيناه كتبت له صلاته وكان نومه صدقة عليه»[51].

وقد كنت بصدد أن يتفق لي في ذلك في صيام النصف من شعبان فكنت كالشاطبيين فيه، يقول الشاطبي: إن السلف سرمدوا الصوم وألحقوا المندوب بالواجب. وأتباعه يتقربون إلى الله بأكل يوم النصف من شعبان، مع أن المذهب كله؛ ابن يونس وابن أبي زيد وابن عرفة في ديوانه الفقهي نص على تخصيص الأيام الفاضلة بالصيام، قال: وشعبان، وخصوصا يوم النصف منه، هذا نصه وما حرم الشارع صوم يوم من أيام السنة إلا يومين[52] خاصة يوم النحر ويوم الفطر، وأما اليومان اللذان بعد يوم النحر فمذهبنا[53] أن صومهما ليس بحرام، وإنما هو مكروه واليوم الرابع يصومه من نذره أو من كان في صيام متتابع ومقتضى[54] هذا أن أكله مستحب وليس نقيضه بمكروه وإنما هو مباح فلذلك يصومه من نذره.

وباقي أيام السنة مقتضى التعبد أن تسرمد الصوم كما قاله الشاطبي عن السلف الصالح.

وقد تقدم أن آخر كلمة ختم بها ابن يونس ديوانه الفقهي: أخذ القليل خير من ترك الجميع.

وقد تقدم أن كل مؤمن راغب في العبادة إلا أن الغفلة تستهويه والشهوة تغلبه وبالتأسي والاقتداء يقوى نشاطه.

(51) أخرجه أبو داود في التطوع والنسائي ج1/207 ومالك في الموطأ في صلاة الليل 12 بلفظ "ما من امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه" قال العراقي أخرجه أبو داود والنسائي من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سماه النسائي في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال النسائي ليس بالقوي وروى النسائي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء نحوه بسند صحيح – المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء ج1/418.
(52) في ت: "يومان".
(53) في م: "فمذهبهما".
(54) في ت: "وينبغي" وهو تصحيف.

وقد تقدم نقل ابن بشكوال من بلغه فضل في عمل فعمل به أعطاه الله ذلك الثواب وإن لم يكن ما بلغه حقا.

وقد تقدم قول محي الدين النووي: اعمل به ولو مرة.

وتقدم قول عياض: [كل][55]ما بلغني من التعبد عملته حتى بلغني عن رجل أنه ختم القرآن وجامع عياله فاقتديت به[56]. وهذا ليس مقصد شرعي[57]، ولا نية إنما ذلك مجرد غبطة. وقد تقدم قول الشاطبي في التزام الذكر الذي رآه الكتاني في النوم.

فخصص أنت أيها المريد إن لم تقدر أن تسرمد وصم الأيام التي لها بركة على الخصوص كستة أيام من شوال، قال ابن رشد: لا يكره لأحد صيامها هذا نصه وتأول اللفظة الواردة عن الإمام عكس الشاطبيين الذين جعلوها أصلا وقاسوا عليها صيام النصف من شعبان.

وعبارة ابن يونس في ديوانه الفقهي الذي هو مصحف المذهب [قال ما نصه][58]: فصل صيام يوم عاشوراء مرغب فيه، ثم قال وفيه تكسى الكعبة كل عام وقد خصص بشيء أن من لم يبيت صومه حتى أصبح أن له أن يصومه أو باقيه إن أكل وروي ذلك عن رسول الله ﷺ[59]وعن غير واحد من السلف.

(55) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(56) في ت: "فأقتدي به" وقد تقدم أن هذا الكلام نقله عياض عن الغنمي ولعل المصنف حذف ما علم فقد تقدم هذا في هذا المقام.
(57) هكذا في النسخ والذي يوافق القواعد النحوية أن يكون "ليس مقصدا شرعيا".
(58) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(59) من ذلك الآثار التي ذكر أبو عمر بن عبد البر منها أنه صلى الله عليه وسم قال لرجل من أصحابه "أذن في قومك يوم عاشوراء أن يصوموا ومن أكل منهم فليصم بقية يومه" وربما يكون القوم المقصودون هنا أسلم كما في الحديث الآخر الذي ساق ابن عبد البر أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أسلم جاءته يوم عاشوراء فقال "صمتم يومكم هذا ؟"قالوا : لا قال "فأتموا بقية يومكم واقضوه" وقد أخرجه أبو داود في الصوم والبيهقي في السنن وفي بعض رواياته عن ابن عبد البر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأسلم يوم عاشوراء : "صوموا اليوم"قالوا قد أكلنا قال: "صوموا بقية يومكم" ــ الاستذكار ج10/137.

وكان ابن عباس يوالي صوم اليومين، خوفا أن يفوته وكان يصومه في السفر، وفعله ابن شهاب. ثم قال: فصل وروي أن النبي ﷺ صام الأشهر الحرم وهي المحرم ورجب وذوالقعدة وذو الحجة[60]. ورغب أيضا في صيام سبعة وعشرين من رجب فيه بعث النبي ﷺ[61]ويوم خمسة وعشرين من ذي القعدة وفيه أنزلت الكعبة ومعها الرحمة وقد رغب في صيام شعبان إذ كان رسول الله ﷺ يصوم فيه أكثر من غيره[62].

وقيل فيه ترفع الأعمال ورغب أيضا في صيام نصفه وقيام تلك الليلة. اهـ نص ابن يونس وهو الذي يجب أن تكون به الفتوى، لا بقول الذي لم نجده[63]في كتاب، خافوا على أمة محمد ﷺ ما لم يخفه[64]عليها نبيها ﷺ.

ولابن يونس ونقل أيضا في النفقة يوم عاشوراء قال ما نصه وجاء الترغيب في النفقة فيه على العيال وأن أهل المدينة ليتحرون ذلك حتى كأنه يوم عيد اهـ نص ابن يونس.

وقال ابن العربي في مسالكه: النفقة يوم عاشوراء والتوسعة مخلوفة باتفاق ثم أنشد لابن حبيب[65]:

(60) أخرجه أبو داود وابن ماجه في الصوم.
(61) يشير إلى حديث أبي هريرة "من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهواليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم" قال العراقي رواه أبو موسى المديني في كتاب فضائل الليالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة – المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء ج1/426.
(62) وردت أحاديث في كثرة صومه صلى الله عليه وسلم في شعبان عن غيره من الشهور منها عند الترمذي في كتاب الصوم باب ما جاء في وصال شعبان برمضان عن أم سلمة أنها قالت: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرين متتابعين إلا في شعبان ورمضان وفي الباب أيضا عن عائشة أنها قالت: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في شهر أكثر صياما منه في شعبان كان يصومه إلا قليلا بل كان يصومه كله. – سنن الترمذي ج3 كتاب الصوم الحديث 736.
(63) في م و ط : نجدوه وهو تصحيف.
(64) في ت: يخف.
(65) يعني عبد الملك بن حبيب المتقدم وله تنسب أشعار منها هذه الأبيات التي ذكر ابن العربي انظر ميارة على المرشد المعين ص 324.

لا تنس لا ينسك الرحمان عاشورا ... واذكره لازلت في الخيرات مذكورا
قال الرسول صلاة الله تشملـــــه ... قـــولا وجدنا عليه الحق والنـــورا
أوسع بمالك في العاشــور إن له ... فضلا وجدناه في الآثار مأثـــورا
من بات في ليلة العاشـور ذا سعة ... يكن بعيشته في الحول مســرورا

وكان شيخي الأستاذ المنتوري أبو عبد الله رحمه الله ينشدنا يوم عاشوراء ويقول أنشدني الخطيب [أبو بكر بن جزي[66]في يوم عاشوراء يقول أنشدني][67] الخطيب أبو علي القرشي[68]يوم عاشوراء قال أنشدني الخطيب أبو عبد الله بن رشيد الفهري[69]لنفسه يوم عاشوراء وذكرلي أنه [نظمه][70]يوم عاشوراء :

صيام عاشورا أتى ندبه ... في سنة محكمة قاضيه
قـــال النبي المصطفـــى إنــــه ... تكفير [ذنب][71]السنة الماضيه
ومن يوسعَ يومه لـــــم يـــــزل في ... عامـــه في عشية راضيه[72]

(66) هو أحمد بن محمد أبي القاسم ابن أحمد بن جزي الكلبي كان كاتب السلطان أبي الحجاج بن نصر ثم ولي القضاء وصف بالنبل والأدب وله تقييد على كتاب والده المسمى القوانين الفقهية وله شعر ولي قضاء غرناطة ثم خطبة الجمعة بالجامع الأعظم بعد أبي سعيد ابن لب أرخ المقري لوفاته بسنة 785هـ ذكره في الإحاطة – انظر النفح ج8/41.

(67) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(68) هو عمر بن علي أبو علي القرشي الهاشمي من أدباء الأندلس وفضلائها وقد أورد هذه الإفادة الشاطبي في كتابه الإفادات والإنشادات من طريق ابنه أبي بكر القاضي الأديب عنه. ولم نعثر على تاريخ وفاة أبي علي ولكنه عاش أواخر القرن السابع وأوائل الثامن الهجريين – كتاب الإفادات والإنشادات ص 124.

(69) أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي من الأئمة الحفاظ والمحدثين المسندين مع تضلع في النحو له مؤلفات منها السنن الأبين ولد بسبتة وبها نشأ وتوفي بفاس سنة 721هـ – الديباج ص 310 أزهار الرياض ج2/347.

(70) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(71) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(72) أورد هذه الإفادة الشاطبي في كتابه الإفادات والإنشادات ص24، وكذلك شرح ميارة للمرشد المعين ص324 حيث ذكر هذه الأبيات وفيها إشارة إلى الحديث "من وسع فيه أي عاشوراء على عياله وسع عليه طول سنته" رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب =

وانظر أيها الأخ في الله لو نويت في نفسك أن تصلي ركعتي الفجر[وركعتي الضحى][73][وركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب][74]وركعتين قبل العتمة والشفع والوتر.

وتنوي في نفسك إن عاقك عائق أن تقضي غير الوتر في وقت آخر فلك في هذه أسوة [و][75]يكون لك أجر ذلك إن مرضت لقول رسول الله ﷺ«إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما».

قال في الإحياء: واختار بعض العلماء أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة ركعة كعدد المكتوبة إلا الوتر، فالنص قد ورد بأنه لا يقضى وقد تقدم نص النووي والحاوي أن المؤقتة من النوافل تقضى أبدا. قال السيد الساحلي[76]في بغيته: يلتزم

=وابن عبد البر في الاستذكار وقد أورد المقري هذه الأبيات في أزهار الرياض ج2/353 واختصر هذه الفائدة أبو محمد عبد الله بن جزي في بيتين حيث قال:

ليوم عاشوراء فضل قضى ... به النبي المصطفى المرتضى
توسعة توسيع عام أتـــى ... وصومه تكفير عــام مضـــى

وقد روى حديث التوسعة على العيال البيهقي في شعب الإيمان والدارقطني في الأفراد من حديث جابر وابن مسعود وأبي سعيد الخدري وابن عمر وأصحها حديث جابر رواه ابن عبد البر في الاستذكار من رواية أبي الزبير عن جابر وقد احتج مسلم برواية أبي الزبير عن جابر وحديث ابن مسعود في المعجم الكبير وقد ورد هذا الخبر موقوفا على عمر رضي الله عنه من رواية سعيد بن المسيب عن عمر ورجاله ثقات رواه ابن عبد البر في الاستذكار إلا أن ابن المسيب اختلف في سماعه من عمر وأنكر ابن تيمية أن يكون أحد من أئمة الحديث روى حديث التوسعة على العيال وهو محجوج بما سلف وقال ابن القيم في الصواعق المحرقة: الاكتحال يوم عاشوراء والتزيين والتوسعة وغيرها من فضائله لا يصح فيها شيء غير صيامه وما عداها فباطل وأمثل ما فيها حديث "من وسع على عياله ..."كما تقدم وقال الإمام أحمد لا يصح هذا الحديث وأما أحاديث الاكتحال والادهان والتطيب فمن وضع الكذابين قال السمهودي في جواهر العقدين لا يلزم من قول أحمد رحمه الله في حديث التوسعة أنه لا يصح أن يكون باطلا فقد يكون غير صحيح وهو صالح للاحتجاج إذ الحسن رتبة بين الصحيح والضعيف. – جواهر العقدين ج2/471.

(73) ما بين المعكوفتين ساقط من ط و م.

(74) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

(75) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(76) هو محمدبن محمد بن أحمد أبو عبد الله الأندلسي الساحلي مؤلف بغية السالك إلى أشرف المســالك توفي سنة803 هـ ذكره في النيل في ترجمة والده – النيل ص 235–234 وكشف الظنون ج3/187.

كل أحد على حسب حاله بحيث لا يعجز عن القيام في كل الأحوال لأن المطلوب إثبات أعمال اللزوم كما كان ﷺ إذا عمل عملا أثبته وقد أشار رسول ﷺ إلى هذا بقوله «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»(77). ثم إن وجد السالك من نفسه نشاطا زاد بحسب نشاطه وحاله، قال: ولقد قال والدي(78): إن عدد لزومي من الذكر خمسمائة مرة وما اقتصرت عليها قط، ولقد انتهيت إلى ثلاثين ألفا، وإن لزومي من التلاوة في الصلاة حزبان وما اقتصرت عليها قط ثم ذكر لي سائر لزوماته اهـ [وبركة هذا الالتزام أنه إن صده عنه صاد فكأنه فعله للنية الجازمة](79).

وانظر إذا نوى مائة ركعة، [و](80)لكن لا ينويها على سبيل الجزم أن لا يتأكد عليه قضاؤها فلا شك أنه ليس قط كمن ليس ينوي ذلك. وفي هذا كله حكمة فقد قال الشاطبي في موافقاته: إنما رفع الحرج عن المكلف في ابتداء الأعمال حتى يدخله حب الخير فحينئذ يتوخى مطلق الأمر بالعبادة، لقوله سبحانه: ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾(81) ﴿أ من هو قانت ذاناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربهّ﴾(82) ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(83)اهـ نص الموافقات. والعبادة بذل المجهود في مرضاة المعبود وكان فرض الله خمسين صلاة ثم خففها الله فمن نوى مائة ركعة فذلك خمسون تسليمة وذلك خمسون صلاة وهي الفرض الأول ولك أيها الأخ في الله في هذا أسوة، بل قال في الإحياء: إن أقل ما نقل من أوراد الصحابة رضوان الله عليهم مائة ركعة في اليوم والليلة. وقال في الإحياء: المواظبة على الأوراد

(77) الحديث متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها ولفظه "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" ورواه أحمد بلفظ "أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل" – فيض القدير ج1/165–166.
(78) هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن يوسف الأنصاري الساحلي المالقي وصف بالشيخ الجليل والولي الصالح صاحب الكرامات والأحوال توفي سنة 735هـ وهو الذي ترجم له الديباج وذكر ابنه أبا عبد الله – الديباج ص 234–235 وكشف الظنون ج3/187.
(79) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(80) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(81) الآية 8 من سورة المزمل.
(82) الآية 9 من سورة الزمر.
(83) الآية 56 من سورة الذاريات.

هو الطريق إلى الله. وقال في كتاب الغرور(84): ومن المغرورين(85) يعني من الصوفية من ادعى علم المعرفة ولا يعرف ذلك إلا بالأسامي والألفاظ، حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازم مثل هذا المغرور ويتلقف [تلك](86)الكلمات المرققة فهو يرددها، كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وهو عند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين، لم يحكم قط علما ولا هذب ولا رتب عملا اهـ. فجعل ترتيب الأوراد هو منهج السالكين وطريق العارفين. ومن الإحياء أيضا: وتختلف الأوراد باختلاف الأوقات وجعل أوراد الليل خمسة وأوراد النهار سبعة وأنا اقتدي به في هذا العدد وأجعل الأوراد الاثنا عشر(87) وردا إن لم يكن دأب المريد(88)هذا في كل الأوقات فليكن في بعض الأوقات ولو في رمضان وليلة النصف من شعبان أو يوفق(89)المرء ويعتكف ولو ليلة ويوما وهو مطلوب في الاعتكاف أن يسرمد العبادة طول ما بقي(90)معتكفا فليراع هذا الترتيب الذي أذكر. فبهذه النسبة كان ينبغي أن يبتدئ بورد أول الليل ولكن لي مقصد أن اجعل الورد عند أول يقظة من الليل(91). فأقول:

(84) كتاب الغرور من الإحياء.
(85) في ت: "المغترين".
(86) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(87) هكذا في النسخ والذي يوافق القواعد النحوية أن يكون "الاثني عشر".
(88) في م و ط: "المرء".
(89) في م: "أن يوافق".
(90) في م و ط: "يبقي".
(91) رتب الإمام الغزالي في كتاب الأذكار والدعوات من كتاب إحياء علوم الدين في باب فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها وقال إن أوراد النهار سبعة ما بين طلوع الفجر إلى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان وما بين العصر إلى المغرب وردان والليل ينقسم إلى أربعة أوراد وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ووردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر أي ما مجموعه أحد عشر وردا. وقد ذكر المواق أنه يقتدي بالغزالي في الإحياء في ترتيب وعدد الأوراد إلا أنه قال إن أوراد النهار سبعة وأوراد الليل خمسة والذي في الإحياء أن أوراد الليل أربعة وقد زاد المواق ورد النومة الأخيرة بالليل وعليه تكون أوراد الليل لديه خمسة وبالتالي فمجموعها اثنا عشر وردا – الإحياء 1/392.

الورد الأول: من الأوراد الاثنى عشر عند أول يقظة من الليل وعندي أن هذا الوقت هو للمريد أولى الأوقات بالمراعات فلأجل هذا بدأت به لأن المرء إذا هب من نومه فكأنه مقبل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة والنفس ميالة إلى مقتضى عالم الشهادة فلا جرم أن أعرض هذا المستيقظ عن عالم الشهادة بالكلية. وصرف وجهه وهمته لربه بنفس ما يستيقظ من نومه فإن هذا أس لبقية ليلته ومراعاة يومه فبنفس ما يرد الله إليه روحه فكما في صحيح البخاري «من تعار من الليل...»(92) الحديث فيقول لا اله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا اله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي في ذكره، الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة، الحمد لله الذي بعثني سالما سويا، أشهد أن الله يحي الموتى وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك لذنبي وأسألك رحمتك، رب زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، إلهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بمحبوبه وها أنا ذا أفزع إليك بأثقال الذنوب أحملها على ظهري لا أجد شافعا إليك أفضل من معرفتي بأنك أعظم من لجأ إليه المضطرون وأرحم من عول عليه المغترون وأكرم من رغب فيما لديه المذنبون المقرون(93).

وتستحضر في ذهنك أن هذا الوقت هو الذي أقسم الله به سبحانه فقال: ﴿والليل إذا سجى﴾(94) وفي الحديث الصحيح على حسب ما ذكر الترمذي وأبو داوود أن رسول الله ﷺ سئل أي الليل أسمع فقال «جوف الليل...» زاد الترمذي «ودبر الصلوات المكتوبات».

(92) أخرجه البخاري في التهجد بهذا اللفظ من حديث عبادة بن الصامت والترمذي في الدعوات وابن ماجه في الدعاء والدارمي في الاستيذان وأحمد في المسند.
(93) في ت: "أكرم من عول عليه المغترون وأرحم من رغب فيما لديه المذنبون المقرون".
(94) الآية 2 من سورة الضحى.

وورد أيضا «ركعتان يركعها الرجل في جنح الليل خير من الدنيا وما فيها» قال ﷺ «لولا أن أشق على أمتي لافترضتهما عليهم»(95). وخرج النسائي وأبو داود وغيرهما بسند صحيح أن عائشة رضي الله عنها سئلت أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يسر؟ فقالت ربما جهر وربما أسر(96). وفي الصحيح: «ينزل ربنا سبحانه حين يبقى ثلث الليل الأخير» وفي مسلم «حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى يضيء الفجر». وفي صحيح مسلم أيضا «إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم فيسأل(97) الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة»(98).

وبالجملة فليس الذكر في هذا الوقت إلا للحضور مع الله، فيتخذ المرء في هذا الوقت ما يكون أرق لقلبه وأرفق لحاله وأجرى على لسانه وإن لذت له الصلاة صلى وإن لذت له القراءة قرأ، وإن كان به عارض فهذا وقت اللجا في دفع العوارض وفي طلب المرغوبات فيقوم بين يدي ذكره مقصده؛ قال السيد الساحلي في بغيته: المقاصد من الأذكار كالأرواح من الأجساد وكالمعاني من الألفاظ. فإن كان العارض للمرء من أجل ذنوبه فيقول بعد أن يسلم من صلاته: إلهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها إلى آخر الدعاء المتقدم ثم يقول وأنت القائل في محكم وحيك الكريم ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله

(95) أخرجه آدم بن أبي إياس في الثواب ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح – المغني عن حمل الأسفار للعراقي بهامش الإحياء ج1/418 ورواية العراقي: "في جوف الليل".
(96) رواه أيضا الترمذي عدد514 وأبو نصر المروزي في كتابه قيام الليل ص132.
(97) في ت: يسأل.
(98) أخرجه مسلم وأحمد في مسنده من حديث جابر – فيض القدير شرح الجامع الصغير ج2/472.

غفورا رحيما﴾[99]، اللهم يا مولاي هاأنا [ذا][100]قد عملت سوء أو ظلمت نفسي وأنا أستغفرك فحقق لي هذا الوعدالكريم في هذه الآية الشريفة يا أرحم الراحمين اللهم اغفر لي اللهم اغفر لي اللهم اغفر لي.

وتتخير من الاستغفارات ما يكون أرق لقلبك. وإن كان العارض من الخلق فيكون ملجاك إلى الحسبلة فتقول إلهي غارت النجوم... إلى المقرون اللهم يا كهيعص يا نور يا خبير يا الله يا رحمن ثلاثا كما روى عن علي رضي الله عنه. ثم تقول[اللهم][101]اغفر لي الذنوب التي تحل النقم واغفر لي الذنوب التي تغير النعم واغفر لي الذنوب التي تزيد[102]الأعداء اللهم أغفر لي الذنوب التي تزيد الأعداء وتكرر هذا ثم تقول حسبي الله ونعم الوكيل. وتردد الحسبلة فقد قال جعفر الصادق: عجبت لمن خاف كيف يذهب عنه أن يقول حسبي الله ونعم الوكيل وقد قال الله سبحانه:﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾الآية[103].

والحسبلة الوَاردة عن معروف الكرخي أن من قالها وجد الله عندها وهي حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما أهمني حسبي الله الحليم القوي لمن يبغي علي حسبي الله الشديد لمن يكيدني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤوف عند المسألة[104]في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. وإن كان العارض من مصائب الدنيا فيكون ملجاك إلى الاسترجاع فقد قال جعفر الصادق: عجبت لمن أصابته

(99) الآية 110 من سورة النساء.
(100) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(101) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(102) في ت: "تديل" وهو تصحيف.
(103) الآية 173 من سورة آل عمران.
(104) في ت: "المسايلة".

مصيبة كيف يذهب عنه أن يقول ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وقد قال الله سبحانه: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[105]، فتقول إلهي غارت النجوم... إلى المذنبون اللهم يا كهيعص يا نور يا قدوس يا خبير يا ألله يا رحمان ثلاثا اغفر لي الذنوب التي تحل النقم واغفر لي الذنوب التي تغير النعم إنا لله وإنا إليه راجعون وتردد ذلك طول ما تجد قلبك أو تذكر ما يكون أرق لقلبك إذ المقصود جمع الهمة وحضور القلب. وإن كان العارض من جهة مرض الجسم فيكون ملجاك إلى دعاء أيوب فقد قال جعفر الصادق: عجبت لمن أصابته بلية كيف يذهب عنه أن يقول: رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، وقد قال سبحانه﴿وأيوب إذ نادى ربه...﴾ الآية[106]إلهي غارت النجوم...[إلى][107] المقرون المذنبون اللهم يا كهيعص يا نور يا قدوس يا خبير يا ألله يا رحمان ثلاثا اغفر لي الذنوب التي تحل النقم وأغفر لي الذنوب التي تغير النعم واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء وتكرره ثم تقول ﴿رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ تكرره ما دمت مستحضر الذهن مجتمع[108]البال ثم تقول اللهم عجل إغاثتي وفرجي وأرني أثر رحمتك وارزقني برد عفوك ومغفرتك يا أرحم الراحمين.

وإن كان العارض غما في القلب فمفزعك لذكر ذي النون قال جعفر الصادق عجبت لما أصابه غم كيف يذهب عنه أن يقول﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[109]فتمضي على ما تقدم إلي واغفر لي الذنوب التي تغير النعم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

وإن كان العارض طلب الاستخارة فيكون فزعك إلى دعائها الثابت في الحديث

(105) الآية 157 من سورة البقرة.
(106) الآية 83 من سورة الأنبياء.
(107) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(108) في ت: "مستجمع".
(109) الآية 87 من سورة الأنبياء.

الصحيح[110]. ومن الترمذي وصححه «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الاخير»[111].

وتقدم أيضا من رواية مسلم «وحين يمضي ثلث الليل الأول» وساعة الإجابة بالليل مغيبة فلعلها ساعتك تلك فتصلي ركعتين الأولى ب ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ والثانية ب ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وتفتتح دعاء الاستخارة المعلوم بالحمدلة والتصلية وتدعو به سبع مرات وتختم بالحمدلة والتصلية وتنتظر بعد ذلك ما تيسر لك وينشرح له صدرك فذلك هو الخيرة [لك][112].

وانظر إن صليت ركعتين أخريين بالفاتحة ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾ إلى ﴿ مبين ﴾[113] وفي الثانية ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ إلى ﴿ ترجعون ﴾[114]، وتقول التصلية التامة عشر مرات قبل الدعاء وعشر مرات بعده وتنصرف معتدل الباطن منتظرا من الله أسباب الفعل وأسباب الترك نص على هذا السيد الساحلي نفع الله به.

ومما يشبه الاستخارة قضية ابن غانم[115] وابن مسكين[116] عرف عياض بابن

(110) دعاء الاستخارة أخرجه البخاري في كتاب الدعوات الحديث رقم 6382 عن جابر رضي الله عنه وأخرجه الطبراني وصححه الحاكم من حديث ابن مسعود وأبي أيوب وصححه ابن حبان والحاكم وأخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وهو عند الطبراني من حديث ابن عمر وابن عباس ولم يخرجه مسلم وأصله عند الترمذي من حديث أبي بكر الصديق – فتح الباري ج11/153.

(111) أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم في المستدرك عن عمر بن عبسة قال الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي وصححه الترمذي والبغوي – فيض القدير شرح الجامع الصغير ج 2/69.

(112) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(113) الآية 59 من سورة الأنعام.

(114) الآيات 68 و 69 و 70 من سورة القصص.

(115) هو أبو محمد عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني القيرواني قاضي إفريقية وفقيهها المشهور بالعلم والصلاح الثقة الأمين روى عن مالك وورد ذكره في المدونة وسمع من عبد الرحمن بن أنعم والثوري ولي القضاء وتوفي سنة 190هـ – شجرة النور ص63 عدد35

(116) هو أبو مهدي عيسى بن مسكين بن منظور الإفريقي أصله من العجم ، العالم العامل الصالح الأمين القاضي العادل تولاه جبراً سمع من سحنون وابنه والحارث بن مسكين وابن المواز وابن عبد الحكم وعنه أئمة منهم أحمد بن تميم توفي سنة295 هـ – شجرة النور ص72 عدد94.

غانم، وذكر من دينه وفضله وأن إمامنا مالكا عرض عليه أن يزوجه ابنته ويقيم عنده، قال وله سماع عن مالك وولي قضاء إفريقية، قال عياض: و كان له حظ من صلاة الليل، فإذا قضاها وجلس في التشهد آخرها، عرض كل خصم يريد أن يحكم له على ربه يقول في مناجاته يا رب، فلان نازع فلانا وادعى عليه كذا وأنكر دعواه فسألته البينة فأتى ببينة شهدت بما ادعى، ثم سألته تزكيتها فأتى بمن زكاهم وسألت عنهم في السر فذكر عنهم يعني خيرا وقد أشرفت أن آخذ له من صاحبه بحقه الذي تبين لي أنه حق له فإن كنت على صواب فثبتني وإن كنت على غير صواب فاصرفني، اللهم لا تسلمني اللهم سلمني فلا يزال يعرض الخصوم على ربه حتى يفرغ منهم اهـ نص عياض.

وعرف أيضا بابن مسكين من أصحاب سحنون ومن أهل الفقه والورع حكى أنه قال: لما مات سحنون اغتممت لموته فرأيت[117] في منامي كأنه خلع من عنقه سيفا وقلدني إياه، فقلت والله لأقفون أثره وتأولته العلم فبعد سنين خرجت رؤياي فابتليت بالقضاء، قال عياض: فكان يقوم بالليل فيذكر قصص المتخاصمين عنده واحدا واحدا ويسأل الله أن يحمله فيها على السداد.

ومما يقال أيضا عند الغم: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث. وكذلك لا إله الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم. وقال ﷺ: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت»[118] وقال ﷺ: «من قرأ آية الكرسي وخواتم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله عز وجل»[119] وقال ﷺ: «ليسترجع

(117) في ت: "فرأيته".

(118) أخرجه النووي في الأذكار وذكر أنه في سنن أبي داود – الأذكار للنووي ص112.

(119) أخرجه النووي في الأذكار وذكر انه في كتاب ابن السني عن أبي قتادة – الأذكار للنووي ص112.

أحدكم في كل شيء حتى في شسع نعله»[120]، الشسع أحد سيور النعل الذي يشد به زمامها[121].

وانظر أيضا دعاء الفرج، لما استوت الخلافة لأبي جعفر[122] قال لي: يا ربيع[123] ابعث إلي جعفر بن محمد، فقمت من بين يديه فقلت: أي بلية يريد أن يفعل و أوهمته أني أفعل، ثم أتيته بعد ساعة فقال: ألم أقل لك؟ فوالله لتأتيني به أو لأقتلنه شر قتلة. [قال: فذهبت إليه فقلت أبا عبد الله أجب أمير المؤمنين فقام معي فلما دنونا من الباب حرك شفتيه][124]ثم دخل فسلم، فلم يرد عليه ووقف فلم يجلس ثم رفع رأسه فقال يا جعفر أنت الذي ألبت[125] وكبرت، وقال: حدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «ينصب للغادر يوم القيامة لواء يعرف به»[126]، قال جعفر وحدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد يوم القيامة

(120) حديث "ليسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فإنها من المصائب" أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة عن أبي هريرة وقد بوب له النووي في الأذكار باب ما يقول إذا أصابته نكبة قليلة أو كثيرة وفيه يحيى بن عبد الله وهو التيمي جعله الذهبي في الضعفاء وقال أحمد ليس بثقة –فيض القدير شرح الجامع الصغير ج5/355.

(121) في ت: "التي تشد إلى زمامها".

(122) أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه عبد الله السفاح في ذي القعدة من سنة 136هـ واستمرت خلافته حتى وفاته سنة 158هـ كان من أعظم خلفاء العباسيين فهو أبو الخلفاء وهو الذي قضى على خصومها من الشيعة والأمويين وهو الذي بنى بغداد واتخذها دار الخلافة ذ تاريخ بغداد 10/53–60.

(123) الربيع مولى المنصور وحاجبه وهو الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة واسمه كيسان مولى الحارث الحفار مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه حدث عن مولاه أبي جعفر وقد استوزره ثم حجب لابنه المهدي، وابنه الفضل حاجب الرشيد وابن الفضل عباس حاجب الأمين مات الربيع سنة 170هـ تاريخ بغداد ج8/414.

(124) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

(125) في م و ط: "اليت" وهو تصحيف.

(126) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر في كتاب السير باب ما جاء أن لكل غادر لواء يوم القيامة وقال حديث حسن وفي الباب عن علي وابن مسعود وأبي سعيد وأنس –جامع الترمذي ج4/144 حديث1581.

ألا فليقم من كان أجره على الله فلا يقوم من عباده إلا المتفضلون»[127]فما زال يقول حتى سكن ما به ولان له، وقال له: اجلس [يا][128]أبا عبد الله، ارتفع [يا][129] أبا عبد الله ثم دعا بمدهن غالية فغلاه[130]بيده والغالية تقطر من بين يدي أمير المؤمنين، ثم قال [له][131]: انصرف [يا][132] أبا عبد الله في حفظ الله، وقال: يا ربيع أتبع أبا عبد الله جائزته وأضعفها له، قال فخرجت فقلت [يا][133]أبا عبد الله تعلم محبتي لك، قال أنت منا حدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «مولى القوم منهم»[134]، قلت: يا أبا عبد الله شهدت ما لم تشهد وسمعت ما لم تسمع وقد دخلت ورأيتك تحرك شفتيك عند دخولك إليه، قال: دعاء كنت أدعو به، قلت دعاء حفظته[135]عند دخولك أم شئ تأثره عن آبائك الطاهرين.

قال: بل حدثني أبي عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كان إذا أحزنه أمر دعا بهذا الدعاء وكان يقول دعاء الفرج:«اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك[136]الذي لا يرام وارحمني بقدرتك عليَّ، أنت ثقتي ورجائي فكم من نعمة أنعمت بها عليَّ قلَّ لك بها شكري وكم بلية ابتليتني بها قلَّ لك بها صبري، فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند بلائه صبري فلم يخذلني ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم أعني على ديني

(127) أورده في كنز العمال الحديث رقم 668 –موسوعة الأطراف 11/424.

(128) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(129) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(130) في ت: "فغلفه" وهو تصحيف.

(131) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(132) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(133) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(134) حديث "مولى القوم منهم" أورده أبو عمر في الاستذكار ج25 الحديث 37835.

(135) في ت: "حفظت".

(136) في ت: "بركنك".

بدنياي وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرته، يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك إلهي أسألك فرجا قريبا وصبرا جميلا وأسألك العافية من كل بلية وأسألك الشكر على العافية وأسألك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله»[137]. قال الربيع فكتبته من جعفر فها هو في جيبي، قال ابن سهل[138]فكتبته من الربيع فها هو في جيبي، قال ابن يحيى[139]فكتبته من ابن سهل فهاهو في جيبي، قال ابن هارون[140] فكتبته من ابن يحيى فها هو في جيبي، قال المحتسب[141]فكتبته من ابن هارون فها هو في جيبي، قال ابن القطان[142]فكتبته من المحتسب فها هو في جيبي، قال ابن منصور[143]فكتبته من ابن القطان فها هو في جيبي، قال أبو عياض[144]فكتبته من ابن منصورفها هو في جيبي، قال ابن صخر[145]فكتبته من أبي عياض -فها هو في جيبي-[146]، قال العاقولي[147] فكتبته من ابن صخر فها هو في جيبي، قال ابن مسرة[148]

(137) دعاء الجيب مشهور في كتب الرقائق ولا نعرف له رواية صحيحة في كتب الحديث.
(138) موسى بن سهل الجوني راوية مشهور.
(139) محمد بن يحيى المازني.
(140) في ت: "المحتسب" وهو تصحيف لأنه سيأتي أنه كتبه من ابن هارون وهو محمد بن هارون الهاشمي.
(141) هو أبو الحسن المحتسب البلخي.
(142) في ت: القطان وهو علي بن الحسين بن أحمد القطان.
(143) هو أحمد بن منصور الرمادي راوية عبد الرزاق صحب الإمام أحمد وكان يعد من الأبدال توفي سنة 265هـ – البداية والنهاية ج11/41.
(144) أبو عياض أحمد بن محمد بن يعقوب الهروي الشافعي.
(145) هو محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي أبو الحسن. حصلنا على هذا التعريف المختصر عن هؤلاء من كتاب سعادة الدارين ليوسف النبهاني عند ذكر دعاء الجيب وقد افترقت سلسلة المواق عن سلسلة النبهاني عند ابن صخر هذا.
(146) مقابل هذه العبارة في ت: "فجعلت نسخة منه في جيبي".
(147) العاقولي لم نتمكن من تعريفه.
(148) ابن مسرة هو عبد الملك بن مسرة بن طفيل اليحصبي القرطبي يكنى أبا مروان سمع أبا علي الصدفي وأبا الوليد بن رشد وأبا بحر الأسدي، ولد عام 476هـ وتوفي عام 552هـ أخذ عنه القاضي ابن بقي وابن بشكوال – صلة الصلة 3/240.

فكتبته من خط طاهر[149]وكان كتبه من أبي الفتح[150]وأبي الليث[151]ثم قرأته على أبي بحر[152]وجعله لنا في جيبه وأرناه[153]، وحدثنا[154]به عن أبي الفتح وأبي الليث فها هو في جيبي، قال ابن عبد الحق[155][فكتبته]من ابن مسرة فها هو في جيبي،[156] قال ابن الطيلسان[157]: فكتبته من ابن عبد الحق فها هو في جيبي، لا يفارقني وفي حفظي لا أنساه قال النفزي[158]: فكتبته من ابن الطيلسان فهاهو في جيبي، قال الأستاذ الغافقي[159]:[فكتبته من النفزي][160]وجعلته في جيبي،[قال الأستاذ

(149) لعله طاهر بن عبد الله بن عمر بن يحيى بن عيسى بن ماهلة أبو بكر الزاهد توفي فيصفر سنة 402هـ وقبر في مقابر نشيط بهمذان وقبره يزار – معجم البلدان 4/55.
(150) لعله أحمد بن محمد بن إبراهيم الطيفوراباذي المكنى أبا الفتح أخذ عن محمد بن إبراهيم المقرئ وكتب عنه وعنه أخذ طاهر بن عبد الله المتقدم ذكره الحموي عند ذكر طيفوراباذ – معجم البلدان 4/55.
(151) أبو الليث لم نتمكن من تعريفه
(152) أبو بحر هو علي بن جامع الأسدي ذكره ابن الزبير في صلة الصلة ضمن شيوخ ابن مسرة المذكور آنفا ولم نظفر له على ترجمة كاملة – انظر صلة الصلة 3/240.
(153) في م و ط: "وأرقاه" وهو تصحيف.
(154) في ت : "وحدثني".
(155) هو أبو محمد عبد الحق بن محمد بن عبد الحق الخزرجي القرطبي المتوفى سنة 604هـ – صلة الصلة 4/10.
(156) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(157) هو القاسم بن محمد بن أحمد بن سليمان الأوسي الأنصاري القرطبي يعرف بابن الطيلسان روى عن جده لأمه أبي القاسم الشراط وخاله أبي بكر بن غالب وأبو محمد بن عبد الحق الخزرجي وغيرهم وتصدر للإقراء والإسماع وعنه أخذ كثير له كتاب المنن على قارئ السنن ومناقب المهتدين واختصاره وكتاب في أخبار صالحي الأندلس خرج من قرطبة ومات بمالقة سنة 642 هـ نيل الابتهاج ص 222.
(158) عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفزي أبو الحسن فقيه أصولي أديب لغوي نحوي مؤرخ من آثاره مختصر حلية الأولياء لأبي نعيم عاش في القرن 7 هـ معجم المؤلفين ج 2 /354.
(159) لعله عبد الله بن أحمد بن محمد بن منخل بن زيد الغافقي من أهل غرناطة وأعيانها يكنى أبا محمد كان رجلا صحيح المذهب سليم الصدر ولي القضاء طوال عمره أخذ عن ابن دقيق العيد والعز بن عبد السلام له المنهاج في ترتيب مسائل أبي عبد الله الحاج توفي بغرناطة سنة 731 هـ الديباج ص 141–142.
(160) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

البيري(161): فكتبته من الأستاذ الغافقي وجعلته في جيبي](162)، قال الأستاذ أبو عبد الله البلنسي(163)فكتبته من الأستاذ البيري وجعلته في جيبي، قال لي شيخي [المنتوري وكتبته من الأستاذ أبي عبد الله البلنسي وجعلته في جيبي، قلت وأنا كتبته أيضا عن شيخي](164)المنتوري رحمه الله وجعلته في جيبي، وهاهو في حفظي لا أنساه ملتزما ذكره كل ليلة [إلا من غفلة](165).

ومن العوارض أيضا طلب حاجة وفي صحيح البخاري «من تعارَّ من الليل فقال لا إله إلا الله...»(166)الذكر المتقدم ثم قال اللهم اغفر لي أودعا استجيب له فإن هو قام وتوضأ قبلت صلاته فتقصد أيها الأخ في الله بهاتين الركعتين ركعتي دعاء الحاجة، في الترمذي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله عز وجل وليصل على النبي ﷺ ثم ليقل لا إله إلا الله العظيم الحليم سبحان رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا مريضا(167)إلا شفتيه ولا حاجة لك فيها رضى ولنا في صلاح إلا قضيتها يا أرحم الراحمين»(168). وقد تقدم أن هذا الوقت أعني عند أول يقظة من الليل الإنسان فيه

(161) الأستاذ البيري هو ابن الفخار المتقدم.
(162) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(163) هو محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأوسي أبو عبد الله البلنسي من علماء غرناطة يعرف بالبلنسي أخذ عن الشيخ ابن الفخار وعنه أبو إسحاق الشاطبي وأبو بكر بن عاصم والمنتوري توفي سنة 782 هـ نيل الابتهاج ص270.
(164) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(165) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(166) في صحيح البخاري من حديث عبادة بن الصامت باب قيام الليل ولم يذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين وهو عند الترمذي وأبي داوود، وتعارَّ بتشديد الراء بمعنى استيقظ.
(167) في ت: "مرضا" وهو تصحيف.
(168) أخرجه الترمذي بهذا اللفظ من حديث عبد الله بن أبي أوفى في باب ما جاء في صلاة الحاجة وأخرجه ابن ماجه كذلك في الإقامة.

في سعة نفسه قد أخذت حظها من النوم ولا أنس بالناس لأنهم نيام ويوشك أن تكون تلك الساعة ساعة الإجابة[قال في الحلية(169) باب الدعاء في جميع ساعات الليل كل ليلة رجاء أن يصادف ساعة الإجابة](170)في صحيح مسلم قال ﷺ «إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم فيسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة» ولا عبادة عليه معينة فليتحر ما يكون أرق لقلبه فإن أراد الاستغفار فقد تقدم المقصد الذي يقدم بين يديه وإن أراد الاستخارة أو طلب حاجة فقد تقدم الأدب(171)في ذلك وإن أراد الذكر فبها ونعمت، وقد يكون الذاكر يجمع بين التلاوة والذكر كأن يكون ذكره سورة الإخلاص ويكون له وجد في قراءتها ألف مرة أو أقل أو أكثر فقد نقل الداني أنه يتلوها بدون "قل" ونحو هذا للنووي في سبح اسم ربك الأعلى فإذا صليت وتوجهت لذكرك(172)فلتتعوذ وتبسمل قاصدا التلاوة فتقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد﴾ لبيك ربي وسعديك والخير في يديك أنا بك وإليك أنزهك صدقا وأوحدك حقا فأقول ممتثلا لأمرك الله أحد.

وقد تقدم للسيد الساحلي(173)عن أبيه أن لزومه من الذكر خمسمائة مرة وقد تنتهي إلى ثلاثين ألفا. ونقل ابن العربي في سراجه أن أبا هريرة رضي الله عنه كان له خيط فيه ألف عقدة وكان لا ينام حتى يسبح عدد عقده(174). وقد يكون التوجه

(169) يعني حلية الأبرار وتقدم أنه هو كتاب الأذكار.
(170) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(171) في ت: "الآداب".
(172) في م و ط: "لذلك".
(173) في ت: "عن السيد الساحلي".
(174) هذا الأثر عزاه المواق لابن العربي في سراجه وذكره زروق في القواعد ص79 كما ذكره في كتاب عدة المريد الصادق في فصل التشبه وما يلحقه من الحركات إلا أن زروق قال خمسمائة عقدة بدل ألف وزاد وأقر صلى الله عليه وسلم بعض الصحابيات إلى التسبيح في النوى لكنه أمرهن عليه السلام قائلا "اعقدن بالأصابع فإنهن مسؤولات مستنطقات" أخرج الحديث الأخير الترمذي في الدعوات الحديث 3553 وأبو داود في الصلاة الحديث 1500.

بالمعوذتين أيضا على نحو التوجه بسورة الإخلاص فقد يزيد المرء التحصن من حاسد وساحر فليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ إلى آخرها ثم يقول لبيك ربي وسعديك ها أنا بين يديك أمتثل أمرك وأتعوذ من حاسدي فأقول كما أمرتني أعوذ برب الفلق. وقد يكون العارض من الوسواس فتتعوذ بسورة الناس على هذا المأخذ وإنما يبتلى بالوسواس الكامل الإيمان فإن اللص لا يقصد بيتا خربا، فلذلك ينبغي للمرء أن يتغافل عنه قاله محي الدين. وقال عز الدين ربما يتوهم المرء أن ذلك الوسواس من نفسه فيريد محو ذلك وليس ذلك في وسعه، وهذا معنى قول مالك فيمن يشك في طلاق زوجته قال مالك تقول للخبيث صدقت.

وقال محي الدين: الأولى لدفع الوسواس التهليل والمقصد الذي يدخل به إلى ذكر التهليل هو أن يتعوذ قاصدا التلاوة ثم ليقل ﴿فاعلم أنه لا اله إلا الله﴾[175] فليورد هذا الخطاب على نفسه ثم ليجب عنه بلبيك ربي وسعديك هاأنا بين يديك أوحدك بالتهليل وأنخلعَ من التغيير والتبديل فأقول لا إله إلا الله فإن وجد قلبه في هذا، فقد يكون إبراء لدائه، قال السيد الساحلي في بغيته: ذكر الحضور التزام أذكار معلومة بحسب أحوال مخصوصة على سبيل الاستشفاء من علل النفس والخلاص[176] من أمراض متعلقاتها، قال: وعندهم إذا طال معنى الذكر وكثرت ألفاظه تشعبت معانيه على الفكر فلا ينجمع مع الذكر ومقصد التنزيه أن تتعوذ قاصدا التلاوة وتبسمل وتتلو ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾[177] وتورد هذا الخطاب على نفسك ثم لتجب عنه بلبيك وسعديك والخير في يديك [و][178] أنا بك وإليك أنزهك صدقا وأوحدك حقا فأقول ممتثلا لأمرك سبحان الله وانظر أيضا التصلية فقد قال أبي بن كعب لرسول الله

(175) الآية 19 من سورة محمد.
(176) في م: "وخلاص".
(177) الآية 1 من سورة الأعلى.
(178) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

ﷺ أجعل لك صلاتي كلها قال: «إذا تكفى همك ويغفر ذنبك»، قال ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا» وهذا بالنسبة إلى السالك أن يعتدل على نهج السنة ويسلك على سبيل الشرع من غير تغيير.

قيل في قوله تعالى ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾[179]: لم يراوغوا روغان الثعالب قالوا والذكر يؤكد محبة اتباع المحبوب فذكر رسول الله ﷺ وسيلة إلى حبه وحبه وسيلة إلى اتباعه، واتباعه واجب، فتأكد أمر الصلاة عليه ﷺ، لأنها تستلزم محبته ومحبته تستلزم اتباعه ﴿فلو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾[180]، من غير رسل ولكن جعل سبحانه نبيه ﷺ دالنا على الله ووسيلتنا إلى الله وشفيعنا إلى الله فلا بد لنا من التمسك بركابه والتعلق بأذياله فالصلاة عليه ﷺ ذكر لله وقيام بأمر الله فتتعوذ قاصد التلاوة ثم تقول ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبيء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[181] فتورد هذا الخطاب على نفسك وتقول لبيك ربي وسعديك والخير كله في يديك[182] وهاأنا بين يديك أتوسل إليك بمحمد نبيك وعبدك وأصلي عليه امتثالا لأمرك اللهم صل على محمد إلى آخر دور سبحتك أو إلى آخر وظيفتك. ولا ينبغي [لك][183] أن تخرج عن ذكرك إلا للأذكار التي للعوارض كمثل أن يؤذن المؤذن فتحكيه وتعود لذكرك أو ترى كوكبا ينقض فتقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله أو تسمع الرعد فتقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك أو تقول ثلاثا «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته»[184] أو تسمع نهيق حمار أو نباح[185] كلب فتقول

(179) الآية 30 من سورة فصلت.
(180) الآية 99 من سورة يونس.
(181) الآية 56 من سورة الأحزاب.
(182) في ت: "بيديك".
(183) ما بين المعكوفتين غير موجود في ط و م.
(184) إشارة إلى الآية 13 من سورة الرعد.
(185) في ت: "نياح" وهو تصحيف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أو تطن(186)أذنك فتقول اللهم صل على سيدنا محمد ذكر الله بخير من ذكرني أو خدرت رجلك فتقول يا حبيبي يا محمد ﷺ، أو تسمع صراخ ديك فتقول اللهم إني أسالك من فضلك وإن هبت ريح فتقول اللهم إني أسالك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسست به أو يرعبك(187) شيء فتقول الله ربي لا أشرك به شيئا اللهم إني أعوذ بك من شره وأدرأ بك في نحره اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم. والحسبلة أيضا نعم التحصن مما يخشى فقد قال معروف في حسبلته المتقدمة من دعا بها وجد الله عندها ولو لم يكن له ذلك الصدق في ذكره. وكذلك أيضا ذكروا في الاسترجاع قالوا: أساس ما يرومه(188) مستنزل اللطف في المصائب الاسترجاع إما بشرطه من الإخلاص وإما بحاله فقد خصه الله بذلك، [قالوا](189):وحال الخاصية لا ينكر، فإذا راعك شيء بل أو انطفأ لك المصباح، فقل إنا لله و إنا إليه راجعون.

وإن وجدتِ في نفسك غيظا، فقل: اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم «وإن وجدت وجعا فضع يدك اليمنى علي موضعه وقل «بسم الله بسم الله بسم الله وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»(190). تتعوذ بها سبع مرات وإن تطيرت من شيء فقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت [و](191)لا حول ولا قوة إلا بالله وتعود لوردك وذكرك وينبغي لهذا المجتهد أن لا يواصل إلى السحر، فقد قال ﷺ «أفضل الصلاة صلاة

(186) في ت : "أ ونظن".
(187) في ت: "يرعك".
(188) في م و ط: "يروقه".
(189) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(190) أخرجه الستة إلا البخاري كلهم في الطب من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي إلا النسائي ففي عمل اليوم والليلة والطبراني والحاكم وما ورد في المتن قريب من لفظ مسلم -فيض القدير 256/4 والأذكار للنووي ص123.
(191) ما بين المعكوفتين غير موجود في م وط.

داوود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه»(192). قال أبو حامد: والنوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء البدن واستحب نوم داوود، قال وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة ويقلل صفرة الوجه والشهرة(193)فمن قام أكثر الليل ونام سحرا قل نعاسه وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار قال ونوم هذا الوقت سبب للمكاشفة قال ونعد(194)النوم من جملة الأوراد إذا روعيت آدابه فعلى هذا أعد هذا النوم بعد تهجد وردا وهو:

الورد الثاني: وينبغي أن ينوي القيام سحرا قبل طلوع الفجر (195)أن يكون له في الليل نومتان وقومتان ليكون هذا من مكابدة الليل قال في الإحياء وهذا من أشد الأعمال وأفضلها قال وهذه طريقة ابن عمر وأولي العزم من الصحابة والتابعين وينوي أيضا صلاة أو ذكرا يذكره إذا قام قبل الفجر أن لا يفوته الأجر إن غلبته عيناه وقد ثبت في الصحيح على حسب ما ذكره ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال «من نوى أن يقوم يصلي فغلبته عيناه حتى يصبح كتب الله له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى». قال في الإحياء: وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات، وهذا هو:

الورد الثالث: قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وبالأسحار هم يستغفرو ن ﴾(196)وهو وقت السحر فإن يسر الله(197) في رد روحه عليه بالسحر قبل الفجر فذلك أيضا إقبال من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فلا يلتفت أول وهلة إلا إلى خالقه فيقول لا إله إلا

(192) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وفي التهجد في باب من نام عند السحر كل ذلك عن ابن عمرو بن العاص وأخرجه مسلم وأبوداود والنسائي وابن ماجه والدارمي في الصوم وأحمد في المسند.
(193) في م و ط : "الشهوة" وما أثبتناه صحيح من الإحياء.
(194) في ط و م : "وتعد".
(195) بياض في ط.
(196) الآية 18 من سورة الذاريات.
(197) مقابل " يسر الله" مطموس في ت.

الله كما تقدم أول الورد قال السيد الساحلي في بغية السالك وإن كان معمور الأوقات بأوراده وهجيراه[198]فلا جرم أن يستعمل جميع ما يناسب جميع ما يصدر منه أو يرد عليه من الحركات ويشاكل ذلك من الأذكار والدعوات فيقول عند لبسه لثوبه «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس من غير حول مني ولا قوة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله»[199]. ثم إذا نهض يقول «اللهم ارزقني النشاط في العمل وأجرني من العثور والكسل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله»[200] فإذا مسح النوم عن عينيه وأبصر السماء قرأ: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الآيات[201]. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله[202]. وعند دخول الخلاء «بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث»[203]. ومن النووي وإذا خرج يقول «غفرانك، والحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني»[204]. وعند السواك «اللهم طهر فمي من الآثام ولغو الكلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله». وعند الانتصاب إلى الوضوء نقل عياض في مداركه أنه يتلو قوله تعالى ﴿يـأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة﴾الآية[205]اهـ. ثم يقول لبيك ربي وسعديك والخير في يديك وأنا بك وإليك وهاأنا [ذا][206] أمتثل أمرك في غسل أعضائي ومسحها اللهم فطهرها من الأوزار وحرمها على النار بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل الماء

(198) الهجِّيرا: الدأب والعادة وسيأتي شرحه.
(199) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه ابن السني عن أبي سعيد وله روايات أخرى أخرجها أبو داود والترمذي والنسائي الأذكار ص 22.
(200) لم نعثر عليه من الحديث المرفوع ولعله دعاء مأثور.
(201) الآيات 190 و 191 من سورة آل عمران.
(202) إشارة إلى الحديث المتفق عليه وقد انفرد البخاري بالنظر إلى السماء–الأذكار ص26.
(203) إشارة إلى الحديث المتفق عليه من حديث أنس –الأذكار ص27.
(204) إشارة إلى الحديث الصحيح في سنن أبي داود والترمذي –الأذكار ص28.
(205) الآية رقم 6 من سورة المائدة.
(206) ما بين المعكوفتيم غير موجود في ت.

طهورا. كان السبائي[207]من أولياء الله كان الشيخ ابن أبي زيد يقول ما هذا الذي نحن فيه إلا من بركته. كان إذا أراد أن يتوضأ يتلوا قوله تعالى ﴿ يـأيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة ﴾الآية، ثم يقول: نعم يا رب ويكرر ذلك ويغسل أعضاءه تحت خوف شديد ووله، وعند المضمضة: اللهم طهر فمي مما لا يعنيني واستعملني فيما ترضى به عني، وعند الاستنشاق اللهم لا تحرمني رائحة نعيمك، وعند غسل الوجه اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وعند غسل اليدين[208]: اللهم اعطني كتابي بيميني ولا تعطنيه بشمالي، وعند مسح الرأس: اللهم أظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك. وعند مسح الأذنين: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وعند غسل الرجلين: اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزول الأقدام، ثم ترفع رأسك إلى السماء وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

ثم تستدرك ما فاتك في ليلتك من وردك أو تعمره بما تجذب به قلبك وإلا فتتلوا القرآن، قال محيي الدين: قراءة القرآن في آخر الليل أفضل من أوله. قال: وكذلك قراءة القرآن بين العشاءين محبوبة، ولا تزال تقرأ وتذكر ريثما يؤذن المؤذن، فتصغي إليه سمعك[209]حاكيا وتعوض الحيعلتين حوقلتين، وإذا قال الصلاة خير من النوم قلت صدقت وبررت، ثم تقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ رضيت بالله ربا وبمحمد رسول الله ﷺ رسولا وبالإسلام دينا، اللهم رب هذه

(207) إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق السبائي أحد العلماء العاملين وأولياء الله المعدودين صحب أبا جعفر أحمد بن نصر وأبا البشر مطر بن سيار وأبا جعفر القصري وغيرهم من أهل العلم والمتعبدين كان ابن أبي زيد والقابسي وغيرهم من علماء عصره مثل ابن شبلون يحضرون مجلسه ويتناقشون فإن تنازعوا استشاروه، كان أهل القيروان يقتدون به في أعمالهم وعند الفزع توفي سنة 356هـ–الديباج ص85–86.
(208) في م: "الوجه" وهو تصحيف.
(209) في ت: "بسمعك"، وفي م: "سمعت" وهذا الأخير تصحيف.

الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا[210] الذي وعدته، وارزقني العافية في الدنيا والآخرة، وفي الحديث لما أقام بلال الصلاة وقال: قد قامت الصلاة، قال النبي ﷺ: «أقامها الله وأدامها»[211].

ثم تأخذ في **الورد الرابع**: قال السيد الساحلي في قصيدة السلوك[212]:

وقسم على وقتين وردك يا فتى .... ، ثم قال:

وخذ نصفه بين العشاءين خاليا   وخذ نصفه الباقي على أثر الفجر

قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[213].

قال تاج الدين: والنهار ضيف والليل ضيف، قال سعيد بن المسيب: ما من ليلة تأتي إلا نادت أنا ليلة جديدة لم آت عليكم قط ولا آتي عليكم قط بعد. فاعملوا فيَّ خيرا فإنكم مسؤولون عما تعملون فيَّ.

وقال المقري ما نصه: **رقيقة** :كان ابن شاطر[214] يقول: الجديدان حرسان

(210) في ت: "المقام المحمود".
(211) أخرجه أبو داوود من حديث أبي أمامة أو بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بلالا أخذ في الإقامة فلما أن قال قد قامت الصلاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أقامها الله وأدامها" قال النووي والعسقلاني إنه ضعيف – المشكاة عدد 670، وعزاه في موسوعة الأطراف لأبي داوود والبيهقي والحلية وتلخيص الدعوات – الموسوعة 81/2
(212) في ت: في قصيده في السلوك.
(213) جزء من الحديث المتفق عليه وهو في المسند والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه " إلى آخر الحديث – فيض القدير شرح الجامع الصغير 210/6.
(214) هو محمد بن أحمد أبو عبد الله صوفي عاصر المتوكل على الله أبا عنان والمقري الجد الذي يروي عنه هذا الكلام وترجم له في النفح وذكر شيئا من عجائبه فقد قال حكاية عن المقري الجد: قلت لابن شاطر كيف حالك؟ فقال محبوس في الروح، وقال سألته عن معنى قول ابن الفارض:
فلم أله باللاهوت عن حكم مظهري   ولم أنس بالناسوت موضع حكمتي
قال يقول ما أنا بالحلاج ولا ببلعام، وشرح كلامه وذكر من عجائبه وورعه ولم يذكر هذا الكلام الذي نسب إلى المقري وإنما ذكره في كتابه الحقائق والرقائق، وقد أورد صاحب نفح الطيب جملا منه ولم يذكر هذه الرقيقة من بينها.–نفح الطيب ج7/267–270.

أحدهما أبيض والآخر أسود وكلاهما قد أخذ بمجامعنا إلى القيامة، ثم يتلوا ﴿وأن مردنا إلى الله﴾[215]. وعن الفضيل: بلغنا أن الله سبحانه وتعالى يقول: «ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك[216] ما بينهما»[217].

وفي الترمذي وغيره أن رسول الله ﷺ قال «من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة»[218].

وفي الإحياء: من شرف هذا الوقت أن أقسم الله به فقال﴿والصبح إذا تنفس﴾[219] وتمدحه به ﴿فالق الإصباحِ﴾[220]﴿قل أعوذ برب الفلق﴾[221] وإظهار القدرة بقبض الظل فيه فهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله عز وجل ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾[222] ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار﴾[223]﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾[224]. فمن أوراد هذا الوقت التسبيح؛ في الصحيح عن رسول الله ﷺ «من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة

(215) الآية 43 من سورة غافر.
(216) في ت: مكان كلمة "أكفك" مطموس.
(217) الحديث: أورده الغزالي عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه يقول: إنه قال: "يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما" قال العراقي أخرجه ابن المبارك في الزهد هكذا مرسلا.–المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء 395/1.
(218) أخرجه الترمذي من حديث أنس وحسنه وذكر العراقي له شاهدا من فعله صلى الله عليه وسلم في مسلم–المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء 394/1.
(219) الآية 18 من سورة التكوير.
(220) الآية 96 من سورة الأنعام.
(221) الآية 1 من سورة الفلق.
(222) الآية 17 من سورة الروم.
(223) الآية 130 من سورة طه.
(224) الآية 25 من سورة الإنسان.

حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[225]. وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال «أيعجز أحدكم أن يكتسب كل يوم ألف حسنة؟ فقيل كيف يكتسب ألف حسنة؟ قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة»[226]وكذلك أيضا سبحان الله العظيم.

قال في الإحياء: أن تذكر في هذا الوقت عشرة أذكار تكرر كل واحد عشر مرات أفضل من ذكر واحد تكرره مائة مرة إذ لكل واحد فضل على حدة، وعلى هذا فسبحان الله سبحان الله هكذا ذكر، وسبحان الله وبحمده ذكر، وسبحان الله العظيم ذكر، ولا إله إلا الله هكذا ذكر، ولا إله إلا الله الحق المبين ذكر، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ذكر، والحمدلة ذكر، والحوقلة ذكر، والحسبلة ذكر، والتكبير ذكر، فهذه عشرة أذكار، أن يقول كل واحد منها عشر مرات أولى من ذكر واحد مائة مرة، لكن قال محيي الدين النووي: إنه ينبغي أول اليوم أن يكرر لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرّة، ليكون له حرزا في يومه ذلك حتى يمسي، كما أخبر رسول الله ﷺ، وكذلك أيضا في رواية أبي داوود وابن ماجه: «إن قال ذلك حين يمسي كان مثل ذلك حتى يصبح»[227].

وهذا التهليل نفسه إذا قلته عشر مرات على أثر صلاة المغرب كان أيضا تحصنا لك في ليلتك.في الترمذي؛ «من قاله كذلك بعث الله له مسلحة يتكفلونه من الشيطان حتى يصبح»[228].

(225) الحديث أخرجه الشيخان وأحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه كلهم عن أبي هريرة – فيض القدير6/190.
(226) أخرجه أحمد في المسند والحميدي في مسنده وأبو نعيم في تاريخ إصبهان وابن تيمية في الكلم الطيب – موسوعة الأطراف 4/151.
(227) أخرجه البخاري في بدء الخلق والدعوات عن أبي هريرة ومسلم في الذكر والترمذي في الدعوات وابن ماجه في الدعاء ومالك في الموطإ وأحمد في المسند.
(228) رواه الترمذي عن عمارة بن شبيب قال الترمذي لا نعرف لعمارة بن شبيب سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم وقد رواه النسائي عن عمارة عن رجل من الأنصار قال ابن عساكر وهو الصواب – الأذكار ص82.

النووي مسلحة: حرسا[229]وكما يكون التحصن بمقتضى[230]هذا الحديث قد يكون لمجرد الأجر وذلك لمن اقتصر على ذكره عشر مرات، قال رسول الله ﷺ: «كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»[231]وكما هو لنيل الأجر مجردا قد يكون لدرء الوزر. نقل في الحلية أن رسول الله ﷺ قال «ما من عبد يقول عند رد الله إليه روحه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير إلا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[232] وينبغي أن تجعله هجيراك يوم عرفة لقول رسول الله ﷺ «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبيؤون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» انظر دعاء يوم عرفة في الحلية[233]. وكذلك أيضا في التمهيد في ذكر لا إله الملك الحق المبين أن من قاله مائة مرة كان له أمانا من الفقر وأنسا من وحشة القبر واستجلب باب الغنى واستقرع باب الجنة[234].

ومن أوراد هذا الوقت أيضا الاستغفار وقد نقل أبو بكر الوقار[235]من علماء مذهبنا: من أحب أن يكثر ماله ويبارك له في رزقه فليقل كل يوم سبعين مرة، أستغفر

(229) في ت: "حراسا".
(230) في م و ط: "وكذلك يكون بمقتضى".
(231) عزاه في الأذكار لأبي داوود وابن ماجه بأسانيد جيدة عن أبي عياش بالشين المعجمة "أن من قال لا إله إلا الله ة إلى آخرهة كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل" إلى أن يقول: "وكان في حرز من الشيطن حتى يمسي ، وإن قالها إن أمسى كان مثل ذلك حتى يصبح" واصله في البخاري ومسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري – الأذكار ص17 وص75.
(232) أخرجه النووي في حلية الأذكار عن عائشة ص21.
(233) حلية الأذكارللنووي ص179.
(234) قال العراقي: أخرجه المستغفري في الدعوات والخطيب في الرواة عن مالك من حديث علي قال العراقي: وفيه الفضل بن غانم ضعيف وذكر له شاهدا عند أبي تعيم في الحلية وضعفه.
(235) هو محمد بن أبي يحيى زكريا كان حافظا للمذهب تفقه بأبيه وابن عبد الحكم وأصبغ وعنه إسحاق بن نصر وأبو الطاهر بن سليمان القوصي ألف كتابا في السنة ورسالته في السنة ومختصرا في الفقه اعتمد في القيروان توفي سنة 269هـ–المدارك1/416.

الله ربي إنه كان غفارا. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[236].

وعن ابن عمر: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»[237].

ومن أوراد هذا الوقت أيضا التصلية ويوشك أن يكون الاستغفار هجِّيرا رسول الله ﷺ وكان هجِّيرا أبي بكر رضي الله عنه لا إله إلا الله، وكان هجِّيرا عمر رضي الله عنه الله أكبر، وكان هجِّيرا عثمان رضي الله عنه سبحان الله، وهجِّيرا علي رضي الله عنه الحمد لله، كذا ينبغي لكل إنسان أن يكون له هجِّيرا يناسب مقامه ويوافق حاله وإن لم يكن به يوم الجمعة عارض من العوارض فليكن هجِّيراه التصلية ومما تخيرته هجِّيراي في الدنيا والآخرة: الاسترجاع والحسبلة حتى نذوق الموت [238] لو لم يكن في الاسترجاع إلا قول صاحب كتاب استنزال اللطف الموجود إذ قال ما نصه: أساس ما يرومه مستنزل اللطف الموجود[239] في أسر المصائب استعمال الاسترجاع إما بشرطه من الإخلاص، وإما بحاله فقد خصه الله بذلك وحال الخاصية لا ينكر.

وأما الحسبلة فقد تقدم قول معروف الكرخي إن من دعا الله بها وجد الله عندها، يقولها[240] لدينه ودنياه، ولما أهمه ولمن يبغي عليه، وعند الموت وعند

(236) الحديث: أخرجه مسلم في الدعوات من حديث أبي بردة وأبو داوود في الصلاة والنسائي في عمل اليوم والليلة –انظر تحفة الأشراف في أحاديث الأطراف الحديث 162 ج1/78.

(237) رواه أبو داوود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر قال الترمذي حديث صحيح – الأذكار 360.

(238) بياض في م و ط وليس موجودا في ت.

(239) صاحب كتاب استنزال اللطف هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد أبو عبد الله السلماني الغرناطي القرطبي الأصل لسان الدين المعروف بابن الخطيب الإمام الأوحد الفذ صاحب الفنون المتنوعة والتآليف العجيبة ذو الوزارتين قرأ على أبي عبد الله العواد وأبي الحسن القيجاطي وابن الفخار البيري وأبي القاسم بن البنا، وأبي محمد ابن سلمون وغيرهم ألف في التاريخ والأدب والطب وغيرها له الإحاطة في تاريخ غرناطة وغيره من المؤلفات توفي مقتولا سنة 776–نيل الابتهاج ص 264–265، كشف الظنون 3/73.

(240) في ت: "يقوله".

المسألة[241] في القبر، وعند الحساب وعند الميزان وعند الصراط. أقول أنا ولا يزال يسترجع ويحسبل حتى يدخل الجنة إن شاء الله. وتقدم أن المقصد للذكر كالروح من الجسد وكالمعنى من اللفظ. وقد قال سبحانه ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾[242]. ووصف الله أهل الجنة بأنهم يقولون ﴿إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾[243]. فيستشعر المرء في نفسه هذا ويقول اللهم إني مصاب بالذنوب وأنا والذي لا إله إلا أنت مشفق من أجلها متضرع إليك بالاسترجاع والحسبلة من سيئها. وإنما آثرت في تضرعي إليك الاسترجاع والحسبلة لأن الذين قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون قلت عنهم وقولك الحق ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[244] والذين قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قدت عنهم وقولك الحق ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾[245]. فيا طوبى لهم، هؤلاء انقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء لقولهم[246] حسبنا الله ونعم الوكيل والآخرون عليهم صلوات منك ورحمة لقولهم: إنا لله وإنا إليه راجعون، وأنا يا رب أقول كقولهم عسى أن تنعم علي كمثلهم فأقول إنا لله وإنا إليه راجعون حسبي الله ونعم الوكيل تردد هذا، ثم تقول اللهم فحقق وعدك وتقبل استرجاعي وحسبلتي كما تقبلت استرجاع غيري وحسبلته يا أرحم الراحمين، وإلا فالاسترجاع والحسبلة هما هجيراي وإن عذبتني هما هجيراي وإن عذبتني هما هجيراي أي ولا أزال حتى أخلف جسر جهنم أردد إنا لله وإنا إليه راجعون، حسبي الله ونعم الوكيل فالحمد لله ثم الحمد لله الذي أنعمت بهما لي ولغيري وألهمتني إليهما وهذبتني وتعود لذلك، إنا لله وإنا إليه راجعون حسبي الله ونعم الوكيل. _

(241) في ت: "المساءلة".

(242) الآية 175 من سورة آل عمران.

(243) الآية 26 من سورة الطور.

(244) الآية 157 من سورة البقرة.

(245) الآية 174 من سورة آل عمران.

(246) في ت: "لقوله".

ثم يكون ذلك دأبك وإن شئت زدت حسبي الله لديني، حسبي الله لدنياي، حسبي الله الكريم لما أهمني، حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي أو يبغي علي، حسبي الله الشديد لمن كادني أو يكيدني بسوء، حسبي الله الرحمن الرحيم عند الموت، حسبي الله الرؤوف عند المساءلة في القبر، حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القدير عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. وإن وقع في ورطة فهجيراه ما قاله رسول الله ﷺ لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال له: «يا علي ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة قلتها»؟ قال علي بلى جعلني الله فداءك قال قل «بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[247].

وقد تقدم ما يكون هجيراه إذا أصابه هم أو خوف أو مصيبة أو ألم قال في روضة التعريف[248]: الذكر هجيرا ألسن المحبين وسلم الواصلين من السالكين إلى حضرة رب العالمين وهو العبادة التي ظاهرها أجور وباطنها حضور وباطن باطنها نور على نور، يحرس الجَوارح ويحفظ الوقت[249] ويشرد اللغو ويفتح باب الأنس ويضمن الخير بكل حال. وقد تقدم قول تاج الدين: لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه.

وقال في الرسالة: الذكر هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر، ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمان﴾ الآية[250] ﴿فاذكروني أذكركم﴾[251] من أعرض عن الله أعرض الله عنه. ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا

(247) الحديث: أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث علي رضي الله عنه ــانظر الأذكار للنووي، باب ما يقوله إذا وقع في هلكة أي ورطة ص112.
(248) روضة التعريف بالحسب الشريف في التصوف لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب قال في أوله: اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا الناشفة، وفي آخر الخطبة يقول: ينقسم هذا الموضوع إلى أرض وشجر وغصن.ــانظر كشف الظنون1/925.
(249) في ت: "الأوقات".
(250) الآية 36 من سورة الزخرف.
(251) الآية 152 من سورة البقرة.

كثيرا﴾[252] ﴿أمن هو قانت ءاناء الليل﴾[253] ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾[254] وقال في الصحاح: الهِجِّيرُ[255] الدأب والعادة وكذلك الْهِجِّيرا يقال ما زال ذلك هِجِّيراه أي دأبه وعادته.

ومن أوراد هذا الوقت القراءة للتحصن. النووي: «من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن إلى المصير عصم ذلك اليوم من كل سوء وكذلك من قرأها حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح»[256] فتقول في توجهك بعد قراءة الفاتحة اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس [ولحظة][257] ولمحة وخطرة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان، أقدم إليك بين يدي ذلك كله: الله لا اله إلا هو الحي القيوم. وعن الفضيل: «من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح من يومه ختم الله له بطابع الشهداء»[258]. وكذلك من قرأ ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ إلى ﴿تخرجون﴾[259] حين يصبح وحين يمسي أدرك ما فاته في يومه وليلته، من أبي داوود[260]. وكذلك من قرأ

(252) الآية 41 سورة الأحزاب.
(253) الآية 9 من سورة الزمر.
(254) الآية 20 من سورة الأنبياء.
(255) الذي في الصحاح على ما نقله الزبيدي في شرح القاموس: "وفي الصحاح الهجير مثال الفسّيق: الدأب والعادة وكذلك الإهجيرا، وفي حديث عمر رضي الله عنه "ما له هجيرا غيرَها" وهي الدأب والعادة والديدن.ــانظر تاج العروس 3/613 مادة هجر.
(256) أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي، وهو في عمل اليوم والليلة لابن السني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد ضعيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ آية الكرسي وحم الأول ذيعني المؤمن— حتى ينتهي إلى المصير حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح، ومن قرأ بهما مصبحا حفظ بهما حتى يمسي" .ــالأذكار ص153.
(257) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(258) إشارة إلى الحديث الذي في سنن الدارمي في فضائل القرآن في باب فضل حم الدخان، والحواميم والمسبحات من حديث سعيد بن عامر عن هشام عن الحسن مرسلا قال "من قرأ ثلاث آيات من أخر سورة الحشر إذا أصبح فمات من يومه ذلك طبع بطابع الشهداء، وإن قرأ إذا أمسى فمات في ليلته طبع بطابع الشهداء" سنن الدارمي 2/458 وله شواهد عن الترمذي والدارمي. ــانظر الأذكار ص149.
(259) الآيات 17 و18 من سورة الروم.
(260) أخرجه أبو داوود من حديث ابن عباس ولم يضعفه وضعفه البخاري في تاريخه الكبير وكتاب الضعفاء – الأذكار ص 76.

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾[261][قال الراوي: وجهنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وأصبحنا ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾][262] فقرأنا فغنمنا وسلمنا[263]. وكذلك أيضا ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾[264]ثم تقول سبع مرات حسبي الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، يكفيك الله عز وجل ما أهمك من أمور الدنيا والآخرة، نقله في الحلية عن رسول الله ﷺ[265].

وقال السيد محيي الدين[266]النووي: روينا أحاديث كثيرة في قراءة سور في اليوم والليلة منها يس من قرأها في يوم وليلة غفر له[267]، ومنها سورة الدخان يصبح من قرأها مغفورا له[268]، ومنها سورة الواقعة لم يصب قارئها كل ليلة فاقة[269]، ومنها تبارك الملك[270].

كان سيدي ابن سراج رحمه الله يأمر بقراءتها في خطبته وبقراءة سورة ق وأن قراءتها تهون سكرات الموت، ومن أبي داوود والترمذي والنسائي وغيرها[271]

---

(261) الآية 145 من سورة المؤمنون.
(262) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(263) رواه ابن السني عن محمد بن إبراهيم عن أبيه – الأذكار ص78 وروى ابن السني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما ذا قرأت في أذنه؟" قال: قرأت "أفحسبتم..." الآية حتى فرغ منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أن رجلا موقنا قرأ بها على خبل لزال" – الأذكار ص 121.
(264) الآيات 128، 129 من سورة التوبة.
(265) خرجه ابن السني عن أبي الدرداء مرفوعا – الأذكار ص 79.
(266) في ت: "السيد الساحلي محي الدين" وهو تصحيف.
(267) إشارة إلى ما ذكره النووي من حديث أبي هريرة–الأذكار ص102.
(268) إشارة إلى الحديث الذي ذكره النووي من حديث أبي هريرة –الأذكار ص102.
(269) ذكره النووي في الأذكار من حديث ابن مسعود ص102.
(270) إشارة إلى الأثر الذي أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس أنها المانعة المنجية تنجيه من عذاب القبر وروى أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان وكذلك الأثر الذي ذكره النووي من حديث جابر – الأذكار ص 102.
(271) في م و ط: "وغيرهما" وهو تصحيف.

بالأسانيد الصحيحة عن خبيب[272]قال قال رسول الله ﷺ «قل[273]، فلم أقل شيئا، ثم قال: قلت يا رسول الله ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»[274].

ومن أوراد هذا الوقت [أيضا][275]: الدعاء من سنن أبي داوود عن مسلم بن الحارث[276]أن رسول الله ﷺ أسر إليه فقال: «إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل اللهم أجرني من النار سبع مرات فإنك إن قلت ذلك ثم مت من ليلتك كتب لك جوارمنها وإذا صليت الصبح فقل كذلك فإنك إن مت من يومك كتب لك جوار منها»[277].

وفي الصحيح أن رجلا قال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ فقال ﷺ: «لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثا

---

(272) هو خبيب الجهني جد معاذ بن عبد الله بن خبيب ذكره في الصحابة ابن السكن وابن شاهين وابن قانع والطبراني وابن حجر في الإصابة وذكر قصة حديثه واختلاف العلماء فيه.–الإصابة 3/81.
(273) في ت: قال وهو تصحيف.
(274) الحديث أخرجه أبو داوود في الأدب والترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح في الدعوات كما ذكر النووي في حلية الأذكار ص 72 وكذلك الطبراني، والحديث مختلف في روايته فهو مروي عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن جده أو عن خبيب على اختلاف في الرواية.–الإصابة 3/81.
(275) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(276) هو مسلم بن الحارث بن بدر التميمي روى عنه ابنه الحارث هذا الحديث الذي ذكره المصنف وذلك بعد قدومه من بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مسلم: فلما هجمنا على القوم تقدمت أصحابي على فرس فاستقبلنا النساء والصبيان يضجون فقلت لهم: تريدون أن تحرزوا قالوا: نعم قلت: قولوا: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقالوها فلامني أصحابي وقالوا أشرفنا على الغنيمة فمنعتنا ثم انصرفنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال: لقد كتب له من الأجر من كل إنسان كذا وكذا، ثم قال لي "إذا صليت المغرب فقل اللهم أجرني من النار سبع مرات فغنك إذا مت من ليلتك كتب لك جوار منها وإذا صليت الصبح فقل مثل ذلك فإنك إن مت من يومك كتب لك جوار منها" – أسد الغابة 4/360–361.
(277) الحديث: أخرجه أبو داوود في الأدب كما ذكر النووي في حلية الأذكار ص 70 وذكره ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمة مسلم بن الحارث المتقدم.

لم تضرك»[278]. وكذلك البسملة المروية أيضا عن أبان بن عثمان[279]ثلاث مرات في المساء وثلاث مرات إذا أصبحت لم يضرك شيء[280]وقد ختم بها الشاذلي حزب البحر ورويته عن شيخي المنتوري والتزمت قراءته كل يوم وليلة وكذلك أيضا: اللهم إني [أصبحت][281]أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا اله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك.

وورد الخبر «إن قلت حين تمسي وحين تصبح أربع مرات أعتقك الله من النار»[282]وكذلك إن قلت حين تصبح وحين تمسي: اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فتكون قد أديت شكر يومك أو ليلتك، وكذلك إن قلت ثلاث مرات حين تصبح وثلاث مرات حين تمسي اللهم أصبحت منك في نعمة وعافية وستر اللهم فأتم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة، إلا أتم الله عليك بفضله ورحمته، وحيثما تقدم من ذكر أصبح يكون هذا اللفظ عند أول اليوم وعند أول الليل يكون بلفظ أمسى ولم يكن النبي ﷺ يدع هذه الدعوات حين يمسي وحين يصبح «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي

(278) الحديث: أخرجه مسلم ومالك في الموطأ عن أبي هريرة بدون زيادة كلمة ثلاثا. -انظر التمهيد 21/241.

(279) أبان بن عثمان بن عفان الأموي أبو سعيد فقيه مدني ثقة عالم من كبار التابعين روى عن أبيه وزيد بن ثابت وأسامة وعنه ابنه عبد الرحمن وعمر بن عبد العزيز وأبو الزناد والزهري وغيرهم توفي سنة 105هـ في خلافة يزيد بن عبد الملك.-تهذيب التهذيب 1/97، البداية والنهاية 9/243.

(280) لعل المقصود حديث عثمان بن عفان المروي بسند صحيح في سنن أبي داوود والترمذي "ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء" ولفظ أبي داوود "لم تصبه فجأة بلاء" - الأذكار ص74.

(281) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.

(282) عزاه في الأذكار لسنن أبي داوود بسند جيد ولم يضعفه وهو من حديث أنس رضي الله عنه - الأذكار ص74.

وأمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»[283]. وكذلك أيضا: اللهم أنت ربي لا اله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم. قيل للراوي أدرك دارك فقد احترقت، فقال ما احترقت، إني كنت قلت هذا الدعاء ثم نهضوا إلى الدار فوجدوها قد سلمت واحترقت الدور حولها[284]قال عياض وكان مالك إذا دخل بيته قال ماشاء الله لا قوة إلا بالله فسئل عن ذلك فقال قال الله تعالى:﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾[285] وجنته بيته. وكانت هذه الآية مكتوبة على باب مالك يريد ليتذكر[286]برؤيته قول ذلك متى دخل.

ومن أوراد هذا الوقت أيضا الفكر؛ قال تاج الدين: تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب فيكون تفكرك في عيوب نفسك وفيما أنت بصدد أن تلقاه في يومك، فالعاقل[287]تاجر في طلب الآخرة ومطلبه وربحه تزكية نفسه الأمارة وقد أفلح من زكاها وإنما فلاحها بالطاعات وترك المخالفات فكأنه يقول لنفسه يا نفس[288]ما لي بضاعة إلا العمر وهذا يوم جديد [قد][289]أمهلني الله فيه وأنعم علي به ولو توفاني لكنت أتمنى أن أرد إلى الدنيا يوما واحدا فاحسبيني يا نفس[290]قد مُتٌّ ثم رددت فالله الله اغتنمي هذا اليوم. قال في

(283) هذه الأدعية في سنن أبي داوود والنسائي وابن ماجه-انظر الأذكار للنووي ص74.

(284) هذه الأدعية من كتاب ابن السني عن طلق بن حبيب -الأذكار للنووي ص79.

(285) الآية 39 من سورة الكهف.

(286) في م: "يتذكر"، وفي ت: مطموسة.

(287) في م و ط: "العقل".

(288) في ت: "نفسي".

(289) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

(290) في ت و ط: "يا نفسي".

الإحياء: ولا يطول أمله فيكبر عليه العزم على المراقبة بل يكون ابن وقته فلا تكون همته إلا صلاح يومه. وعبارة السيد الإمام مربي المريدين شمس الدين البلالي: المحاسبة تفقد ما مضى وما يستقبل وتجب إجماعا وتحق بمعرفة النعم وذنوبك وسوء ظن بالنفس فتستدرك ما مضى فيما بقي وأن ذنبك وحلمه[291] حجة عليك وطاعتك منة عليك وكل طاعة رضيتها منك فهي عليك حتى تفنى في التوحيد عما في الدارين. ثم قال: فبعد فريضة الصبح [292] اهـ.

والشيء يذكر بالشيء انظر أول حكمة افتتح بها تاج الدين حكمه وهي قوله: من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل. وورد: تفكر ساعة خير من عبادة سنة، فقيل هو الفكر الذي ينقل عن المكاره إلى المحاب ومن الحرص إلى القناعة.

قال ابن المبارك: قلت لراهب متى عيدكم؟ قال اليوم الذي لا نعصي الله فيه.

وبالجملة فقد قال في الإحياء [إن][293] وظيفتك في هذا الوقت أدعية وأذكار وتصلية وتكرر ذلك في سبحتك وقراءة وتفكر اهـ. وانظر أيضا قراءة العلم سئل عز الدين أقراءة القرآن وحفظه أفضل أم قراءة العلم؟ فقال: يتعين على كل أحد أن يتعلم من القرآن الفاتحة ثم بعد ذلك التفقه في الدين أفضل. وقال في الإحياء: لا ينبغي أن يخلو المريد في يوم الجمعة عن الخيرات. ثم ذكر من آداب[294] يوم الجمعة أن يحضر مجالس العلماء بكرة أو بعد الصلاة. ونقل أبو عمر[295] بسنده: «لأن تغدو

(291) في ت: "حمله" وهو تصحيف.
(292) بياض في ت و ط والكلام لم ينته بعد.
(293) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(294) في ت: "أدب".
(295) في م و ط: أبوبكر وفي هامش ط أبو عمر وهو الذي في ت،وهو الصحيح لأن الحديث أخرجه أبو عمر من حديث أبي ذر على ما ذكره الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء -كتاب العلم 19/1.

فتعلم بابا من العلم خيرا من أن تصلي مائة ركعة»[296] ولتنظر لنفسك حزبا على ما تختاره مما سمعته من الأذكار أو بما ركبته لنفسك مما يوافق حالك ويرق به قلبك وتنوي أن تأتي عليه في يومك إن عاقك عن بعضه عائق استدركته في بقية يومك واختار المشائخ: أبو عمر بن عبد البر وأبوبكر بن العربي أن تصلي ركعتي الفجر ب«الكافرون» و«الإخلاص»، قال أبو عمر: وردت الأحاديث الصحيحة من أربعة طرق عن أربعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ كان يصلي هاتين الركعتين بهاتين السورتين[297]، وكذلك أيضا قال القاضي أبو بكر بن العربي في الركعتين بعد المغرب: يستحب أن يصليها أيضا بهاتين السورتين، ونقل بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اقرأ بقل يا أيها الكافرون عند منامك فإنها براءة من الشرك»[298]. ويكون ذكرك الذي تتوجه به إلى المسجد بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله واعتصمت بالله وفوضت أمري إلى الله لا حول ولا قوة إلا بالله.

روى في التمهيد من وجوه هذه البسملة[299] وأن من بسمل بها إذا خرج لسفر أوغيره فإن الله سبحانه يرزقه خير ذلك المخرج ويصرف عنه شره ثم تقول -أعني

(296) الحديث أخرجه أبو عمر في التمهيد ولكنه قال بابا من الخير بدلا من يابا من العلم، من حديث أبي ذر وليس إسناده بذلك وهو عند ابن ماجه بلفظ آخر وفي معناه وردت أحاديث عند ابن حبان في روضة العقلاء، والطبراني بلفظ "باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا"، وفي رواية "خير له من مائة ركعة" قال العراقي ولم أره مرفوعا وإنما هو موقوف على الحسن البصري وذكر ابن الجوزي من حديث عمر في الموضوعات "حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة" وهو في التمهيد - المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء 19/1.
(297) الحديث ذكره أبو عمر في الاستذكار عدد 6898 ج297/5 قال أبو عمر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فيهما -أي في ركعتي الفجر- قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون من حديث عائشة وابن عمر وابن مسعود وهي صحاح كلها ثابتة وقد روى هذا الحديث مسلم في كتاب الصلاة وأبو داوود في الصلاة والنسائي وابن ماجه -التمهيد 41/24.
(298) الحديث: رواه أبو داوود في الأدب والترمذي في الدعوات والدارمي في فضائل القرآن وأحمد في المسند.
(299) حديث البسملة عند الخروج، أخرجه أصحاب السنن من حديث أنس، وقال الترمذي حديث حسن صحيح-كتاب الدعوات باب34 ص490، وهو في التمهيد عند الكلام على الحديث الثامن والثلاثين من البلاغات 357/24.

في وجهتك إلى المسجد: اللهم بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة[300] وتقول عند دخول المسجد: بسم الله والسلام على رسول الله اللهم افتح لي أبواب رحمتك[301]، وفي صحيح مسلم: وإذا خرج قال عوض «اللهم افتح لي»: «اللهم إني أسألك من فضلك»، زاد ابن ماجه «وأعذني من الشيطان الرجيم»[302]. وروى الإمام الشافعي «اطلبوا استجابة الدعاء عند إقامة الصلاة ونزول الغيث والتقاء الجيوش»[303] فتدعوا دعاء التوجه قبل الإحرام على ما اختاره شيوخ مذهبنا فتقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا [مسلما][304] وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك ربي وسعديك والخير كله في يديك

(300) الحديث: روى ابن السني عن بلال رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة إلخ، ذكره النووي في الأذكار وضعفه، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري بسند فيه ضعف -الأذكار ص32.

(301) الحديث رواه مسلم في الصحيح وأبو داوود والنسائي وابن ماجه وغيرهم بأسانيد صحيحة، وفيه زيادة عند ابن السني وابن خزيمة وابن حبان-الأذكار ص33.

(302) روى هذه الزيادة على الحديث السابق ابن السني وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص عند أبي داوود بإسناد جيد-الأذكار للنووي باب ما يقول عند دخول المسجد والخروج منه ص33.

(303) رواه الإمام الشافعي بإسناده في الأم مرسلا قال الشافعي: قد حفظت عن غير واحد "طلب الإجابة عند نزول الغيث وإقامة الصلاة..."، وأورد ابن عمر بسنده في التمهيد عن عطاء موقوفا قال: "ثلاث خلال تفتح منهن أبواب السماء: عند نزول المطر وعند التقاء الزحفين وعند الأذان"-التمهيد 19/201 وفي الباب من حديث أبي ذر وسهل بن سعد عند أبي داوود، وألف السيوطي فيه جزءا سماه سهام الإصابة في الدعوات المستجابة وهو مطبوع التمهيد 7/144.

(304) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.

أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك. قال في الحلية: وهذا الدعاء مستحب عند التوجه للفريضة والنافلة. ولا تترك في ركوعك سبحان الله العظيم، ولا في سجودك سبحان ربي الأعلى، وإن قلت عند رفعك رأسك من ركوعك بعد ربنا ولك الحمد «حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»، فقد تقدم مدح النبي ﷺ للذي استنبط هذا الذكر من نفسه فغبطه رسول الله ﷺ بذلك. ومن دعاء رسول الله ﷺ في سجوده «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك كما أثنيت على نفسك»[305]ومن دعائه ﷺ إذا رفع رأسه «رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني وعافني»[306] فإذا سلمت من صلاة الصبح فإن قلت أستغفر الله ثلاثا اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام تباركت ذا الجلال والإكرام ثم تمسح جبهتك بيدك اليمنى قائلا أشهد أن لا اله إلا الله الرحمن الرحيم [اللهم أذهب عني الهم والحزن فقد فعل هذا رسول الله ﷺ[307]ثم تقول][308] اللهم أجرني من النار، كما تقدم، وتأخذ[309]في تمام حزبك إلى أن تحل النافلة وتصلى صلاة الإشراق فإن اشتغلت من حين طلوع الفجر إلى هذا الوقت بخير

(305) أخرجه مسلم وأبوداود والترمذي والنسايئ وابن ماجه عن عائشة أنها قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدمه وهو بالمسجد وهما منصوبتان وهو يقولة الدعاء المذكور أعلاه، الحديث-فيض القدير شرح الجامع الصغير 2/139- 140.

(306) الحديث: أخرجه البيهقي في السنن وأبو داوود وزاد فيه: "وعافني"، وإسناده حسن-الأذكار ص56.

(307) أخرج مسلم في الصحيح من حديث ثوبان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عيه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال "للهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام" وأما زيادة "أشهد أن لا إله إلا الله الرحمن الرحيم، اللهم اذهب عني الهم والحزن" وأنه كان إذا قضى صلاته مسح جبهته بيده اليمنى فقد رواها ابن السني من حديث أنس - الأذكار ص69.

(308) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

(309) في ت: "وتأخر" وهو تصحيف.

من هذا فأنت سابق بالخيرات لأن ما قررته لم أقرره على أنه فرض وإن أخذت بمذهب ابن حزم القائل - ما ثم[310] إلا النص - وأول من قاس إبليس فأنت وإياه [311].

وقد تقدم أن الصوفية نفع الله بهم يقولون: اسمع من الله، وكان سيدي المنتوري رحمه الله يرشح هذا، فمهما تعارض أمران كلاهما مباح يراعي[312] هذا المعنى كحكاية ابن أبي ذؤيب لما[313] قيل له وهو جالس: قم وحي المسجد فقام وصلى. وقد تقدم استحسان عياض لقول الغنمي: ما بلغني من التعبد عملته حتى بلغني عن بعض السلف أنه ختم ثلاث ختم في ليلة واحدة ووطئ أهله عند كل ختمة وتطهر وإنما قلت إنه استحسنها لأنه في مدحه ساقها، وقد قال في صدر مداركه: جمعنا من أخبارهم ومن سير حكامهم[314] ما يحتاج الحكام إليه وأثبتنا من حكم حكمائهم ومناهج صلحائهم ما ترجى بركته ولا تخيب إن شاء الله منفعته. وقد شهد [السيد][315] القدوة البرزلي أن هذا هو مذهب الصوفية أن ما هو من باب الأعمال إذا كان لا يناقض حكما شرعيا بل ذلك في باب القرب المندوبة و شهد الشرع باعتبار جنسه فإنهم يأخذون به ولا يلتفتون لصحة أصله، وقد تقدم قول ابن العربي: نقوله من عند أنفسنا ولا نأثره عن أحد. قال الشاطبي: ويؤخذ أيضا من المرائي في النوم وإن كان لا يثبت بها حكم شرعي، فقد حصل مما قررته من أقوال الموثوق بهم بدينهم أن من طلوع الفجر إلى حل النافلة ينبغي عمرانه بما قررته أو بأحسن منه إن وجدت أحسن منه ليكون أن لا تسعى[316] في طلب الدنيا حتى تصلي صلاة الإشراق.

(310) في ت: "تم".
(311) بياض غير موجود في ت.
(312) في م و ط: "يراع" وهو تصحيف.
(313) في ت: "إذ لما قيل".
(314) في ت: "أحكامهم"
(315) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(316) في م و ط: "لا تسعى".

وانظر في التمهيد في حديث سادس لابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال «لا تعجزني عن أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره»[317] قال في الإحياء: تصلي عند الإشراق إذا ارتفعت الشمس قدر نصف رمح. وهو المعني بقوله ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾[318] وتصلي الضحى وقت الضحى. ونقل عياض أن مالكا كان لا يتلكم حتى تطلع الشمس. وإن لم تتوفر لك الدواعي على ما قررته فلا تر نفسك[319] أنك خير من غيرك، إذ كلنا ظالم نفسه ولا أقل أن تكون أورادك الأوراد الواردة عند العوارض وتجعل العوارض كأنها منبهة لك إذ مريد الآخرة تذكره العوارض للدار الآخرة، وكل ينظر بحسب همته.

قال في الإحياء: إذا دخل بناء ونجار وبزاز وحائك دارا معمورة فإذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها، والحائك ينظر إلى الثياب يبصر[320] نسجها والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبه، والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية استقامتها، فكذلك سالك طريق الآخرة، إذا نظر إلى سواد يذكر ظلمة القبر أو إلى حية تذكر أفاعي جهنم أو إلى صورة قبيحة تذكر الزبانية ومنكرا ونكيرا وإن سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور، وشيئا حسنا تذكر نعيم الجنة، اهـ من الإحياء.

وقد تقدم لنا جملة مما ينبغي أن تترك لها الورد الذي أنت فيه مثل إذا سمعت الرعد أو صراخ ديك أو نحو ذلك مثل أن تمر بالقبور فلتنتبه لنفسك فمن رأى قبرا فقد رأى واعظا يعظه ومنبها ينبهه وإن كان القبر صامتا فهو ناطق بلسان الحال مفصح بما يكون منك في المآل كأنه يقول لك كنت حيا مثلك وقدمتُ وأنت مثلي تموت

(317) الحديث: رواه أبو عمر بسنده إلى نعيم بن همار وهو صحابي لم يرو إلا هذا الحديث المختلف فيه كما قال أبو عمر في الاستيعاب ولفظ الحديث القدسي: "يا ابن آدم لا تعجزني عن أربع ركعات ..."، رواه أبو داوود. وفي عون المعبود على سنن أبي دوود أن لهذا الصحابي روايات عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث-التمهيد 142/8 -الاستذكار 149/6.
(318) الآية 18 من سورة ص.
(319) في م: "لنفسك".
(320) في م: "يتبصر".

وضيعت أمر ربي وندمت، وكذلك أنت إن ضيعت أمر ربك فستندم وأصبحت كالغريق أنتظر دعوة تلحقني من شفيق فتقول: اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة بك أدخل عليها رحمة منك وسلاما مني يكتب لك إن شاء الله بعددهم حسنات. نقله أبو عمر في تمهيده في حديث ثامن للعلاء[321]. وإذا نزلت منزلا: من رسالة أبي زيد: فقل أعوذ بكمات الله التامات من شر ما خلق فلا يضرك إن شاء الله شيء، حتى ترتحل فإن توضأت قبل رحيلك وصليت ركعتين بآية الكرسي ولإيلاف قريش لم يضرك إن شاء الله شيء، حتى ترجع. انظر نوازل [السيد][322] البرزلي وقال فيها أيضا: وإذا رأيت حريقا فكبر وادع دعاء الكرب[323]، وإذا أحاط بك كلاب فقل: ﴿الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم﴾[324] ولا تنوع مشيتك وابق في مشيتك على البراءة الأصلية، فإنها إن شاء الله لا تضرك. وقال السيد البرزلي: تتلو آية ﴿يا معشر الجن والإنس﴾ إلى ﴿لا تنفذون﴾[325] وإذا غضبت فقل «اللهم اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم»[326]، وإذا رأيت مبتلى في دنياه أو دينه أو نفسه فقل «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق

(321) العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة من جهينة تابعي من أهل المدينة سمع أنس بن مالك وعنه روى مالك وشعبة والثوري وابن عيينة أثنى عليه غير واحد خرج له مالك في الموطأ عشرة أحاديث توفي سنة 139هـ –التمهيد 20/183–184، والتهذيب 6/186، ويقصد بالحديث الثامن الحديث الذي رواه العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين ... " الحديث في الموطأ –انظر التمهيد 20/238.

(322) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

(323) هو ما في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم"، وهو في الترمذي بلفظ: "لا إله إلا الله العلي الحليم ... "، وفي الباب أحاديث أخرى ذالبخاري ومسلم والترمذي في الدعوات.

(324) الآية 15 من سورة الشورى.

(325) الآية 33 من سورة الرحمن.

(326) الحديث: أخرجه ابن السني عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عديها وهي غضبى فأخذ بطرف المفصل من أنفها فعركه ثم قال يا عويش ... وساق الحديث –الأذكار ص 268.

تفضيلا»[327] واستحضر في ذهنك الخبر الوارد «لا تعير فتبتلى»[328]، عسى الله أن يعيذنا من مصائب الدنيا والدين، وإذا مررت بالسوق فقل: «لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت و هو حي لا يموت بيده الخير و هو على كل شيء قدير»[329] فقد ورد من قال هذا كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة، وكان السلف يقصدون المرور إلى السوق ليذكروا هذا التهليل، وكان شيخ شيوخنا الخطيب الحفار عند عجزه كان يؤخذ بيده ويحمل إلى السوق ويقول به هذا التهليل ثم يرد إلى داره. وتقرأ عند الحجامة آية الكرسي تجد منفعتها[330] إن شاء الله، وإذا تطيرت فقل «ما شاء الله لا قوة إلا بالله اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[331] وكان على باب إمامنا مالك مكتوبا ما شاء الله لا قوة إلا بالله فقيل في ذلك فقال قال الله ﴿ولولا إذا دخلت جنتك قلت ما شاء لا قوة إلا بالله﴾[332] والجنة الدار، اهـ نص عياض. وتقول عند ابتداء الأمور ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾[333] ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي

(327) حديث "إذا رأى مبتلى..." أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة بإسناد حسن، وأخرجه كذلك من حديث عمر بن الخطاب وضعف إسناده –الأذكار ص269.

(328) حديث "لا تعير أخاك بما فيه فيعافيه الله ويبتليك" أورده العجلوني وقال ليس معناه صحيحا على إطلاقه وورد بلفظ "لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك" – كشف الخفاء 2/480 عدد 3034.

(329) دعاء السوق أخرجه الترمذي وغيره عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة"، ورواه الحاكم في المستدرك من طرق كثيرة من رواية ابن عمر وجابر وأبي هريرة وبريدة وأنس، وزاد في بعض طرقه "وبنى له بيتا في الجنة" –الأذكار ص269.

(330) للأثر المروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال من قرأ آية الكرسي عند الحجامة كانت منفعة حجامته رواه ابن السني – الأذكار ص271.

(331) رواه ابن السني عن عقبة ابن عامر الجهني –الأذكار ص285.

(332) الآية 39 من سورة الكهف.

(333) الآية 10 من سورة الكهف.

أمري ﴾[334] وعند النظر إلى السماء ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾[335] اهـ من نوازل السيد البرزلي. ونقلت منها[336] بعض البعض أن يكون لك تشويقا أن تراجعه فتنتفع بفوائده، ومنها وتقول عند الوحشة: « سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح ذللت السماوات والأرض بالعزة والجبروت »[337] وانظر أول هذا التسبيح فقد ورد أن رسول الله ﷺ كان إذا سلم من ركعة الوتر قال: « سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس [سبحان الملك القدوس][338] ثلاثا[339]. وكان يقول: « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[340] فقدر مشترك بين هذا وما تقدم كلا الوجهين مظنة الوحشة. فهذه الأذكار إن شاء الله تذهب الوحشة. ومن نوازل السيد البرزلي أيضا تقول عند رمي البذر في الأرض أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ أفرأيتم ما تحرثون أ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾[341] بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على سيدنا محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره[342]. وتنوي أن ينتفع به جميع المسلمين، فترى بركة هذا ويكون لك الأجر إن تبدل الملك. وقد قال ﷺ: « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه السارق فهو له صدقة وما أكلت منه الطير

(334) الآية 26 من سورة طه.
(335) الآية 191 من سورة آل عمران، وذلك لحديث ابن عباس الذي في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالها عند النظر إلى السماء. -الأذكار ص284.
(336) في ت: "منه".
(337) للأثر الذي رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ثم قال فقالها الرجل فذهبت عنه الوحشة – الأذكار ص117.
(338) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(339) الحديث: أخرجه أبو داوود والنسائي وابن السني من حديث أُبَيِّ بن كعب -الأذكار ص83.
(340) الحديث: أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها وأخرجه أبو داوود والترمذي والنسائي من حديث علي رضي الله عنه قال الترمذي حديث حسن-الأذكار ص. 83
(341) الآية 64 من سورة الواقعة.
(342) ورد هذا الكلام في تفسير الآية وتمامه (واجعلنا لأنعمك من الشاكرين) وليس من الحديث – انظر تفسير القرطبي في تفسير الواقعة.

فهو له صدقة ولا يرزؤه فيه أحد بشيء إلا كان له حسنات إلى يوم القيامة »[343] وإن احتجت لتجريد ثيابك فقل « بسم الله الذي لا إله إلا هو »[344] تكون هذه البسملة سترا من الجن. وإن تعسر عليك فقل عند وجهتك « بسم الله على نفسي ومالي وديني اللهم رضني بقضائك وبارك لي فيما قدر لي حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت »[345]، أرشد لهذا رسول الله ﷺ وإن سمعت بموت حبيب فقل « اللهم اغفر لي وله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني وأبدلني [بها][346] خيرا منها »[347] أمر بهذا كله رسول الله ﷺ [و][348] أرشد رسول الله ﷺ أيضا أن تقول[349] « إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه عندك من المحسنين واخلفه في أهله في الغابرين ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده »[350]. ورويء [إمامنا][351] مالك في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر الله لي بكلمة كان عثمان بن عفان رضي عنه يقولها إذا رأى جنازة: سبحان الحي الذي لا يموت. وإذا أفطرت من صومك فتقول: « الحمد لله الذي أعانني فصمت

(343) الحديث: أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في المسند والترمذي عن أنس -فيض القدير 496/5.
(344) الأثر رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ "ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه بسم الله الذي لا إله إلا هو" – الأذكار ص24.
(345) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ "ما يمنع أحدكم إذا عسر عليه أمر معيشته أن يقول إذا خرج من بيته بسم الله على نفسية "الحديث – الأذكار ص116.
(346) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(347) الحديث: أخرجه أبو داوود من حديث أم سلمة وأصله في مسلم من حديثها أيضا – الأذكار ص132.
(348) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(349) في ت: "يقول".
(350) أخرجه ابن السني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الموت فزع فإذا بلغ أحدكم وفاة أخيه فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه عندك في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه في أهله في الغابرين ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده" – الأذكار ص132.
(351) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

ورزقني فأفطرت»[352]، «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فتقبل مني إنك أنت السميع»[353]أرشد إلى هذا رسول الله ﷺ وتقول اقتداء بعبد الله ابن عمر: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي. وقالت عائشة رضي الله عنها: إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ فقال لها رسول الله ﷺ قولي «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»[354].

وقد قال ﷺ «ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما حين يريد سفرا»[355]، وقد تقدم أنه يقرأ فيهما بآية الكرسي ولإيلاف قريش فلا يصيبه إن شاء الله مكروه، وأن قراءة لإيلاف قريش أمان من كل شيء[356]، وكذلك من قرأها إذا فزع من عدو أو وحش[357]ثم تنهض من جلوسك لوجهتك قائلا: «اللهم إليك أتوجه وبك أعتصم اللهم اكفني ما أهمني وما لا أهتم به اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال»[358] فينبغي للمسافر عند كل وجهة أن يقدم بين يدي وجهتهَ هاتين الركعتين وهذا الدعاء.

وانظر أيضا بالنسبة[359]إذا خرج بالحاضرة إلى السوق قال صاحب كتاب استنزال اللطف الموجود في أسرار الوجود: أمر المعاش وأمر المعاشرة أمر حرج ˝وأمر

(352) الحديث أخرجه ابن السني من حديث معاذ بن زهرة–الأذكار ص 173.
(353) أخرجه ابن السني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ "اللهم لك صمناة "بصيغة الجمع –الأذكار ص173.
(354) الحديث: أورده النووي في الأذكار عن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها –الأذكار ص173.
(355) حديث صلاة الركعتين عند السفر أوده النووي في الأذكار من حديثﷺ المقطم بن المقدام عند الطبراني –الأذكار ص 194.
(356) في ت: "سوء".
(357) في ت: "وحشي".
(358) انظر ما أخرجه النووي في الأذكار عن أبي الحسن القزويني في، فضل قراءة لإيلاف قريش عند الخروج للسفر، والحديث الذي أخرجه من روايته عن أنس –الأذكار ص175.
(359) في ت: "بنسبة".

مرج˝[360]أن تخلص من هذا البيت فبعد الكيت والكيت ما حال من «احم السباع على فرائسها كما قال الله تعالى ﴿يحسبون كل صيحة﴾[361] قال في التنوير[362]: فالخارج إلى السوق كالخارج إلى المصاف فينبغي للمؤمن الخارج إلى السوق أن يلبس من الاعتصام بالله والتوكل عليه دروعا ضافية تقيه السهام قال فيستحسن[363]له أن يتوضأ ويصلي قبل خروجه ويسأل الله السلامة في مخرجه ويستودع الله أهله ومسكنه قائلا ﴿فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين﴾[364] «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال»[365]. راجع التنوير ففيه خير كثير.

وليقل البسملة المتقدم ذكرها عند الخروج من المسجد ويقول «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي يا أرحم الراحمين»[366].

فإن ركبت دابة فقل «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين الحمد لله الحمد لله الحمد لله الله أكبر الله أكبر الله أكبر سبحانك رب [إني][367]ظلمت نفسي

(360) مطموسة في ت.
(361) الآية 4 من سورة المنافقين.
(362) كتاب التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله تقدم التعريف به وبمؤلفه.
(363) في ت: "ويستحسن".
(364) الآية 64 من سورة يوسف.
(365) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل"، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن "آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون" وهو في سنن أبي دوود–الأذكار ص198.
(366) أخرجه أبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قال الترمذي حديث صحيح، ورواية أبي داوود "أن أَضل أو أُضل أو أَزل أو أُزل" بصيغة الإفراد، وفي الثاني منهما بالبناء للمجهول وكذا الباقي. أما رواية الترمذي فقد رودت بصيغة الجمع "أن نزل" وكذلك "نظلم" و "نجهل". –الأذكار ص24.
(367) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» وسبح لله إذا هبطت الأودية وكبره إذا علوت الثنايا وأشرفت على الفحوص وقد كان ﷺ إذا علا شرفا قال «اللهم لك الشرف على كل شرف الحمد لله على كل حال»[368].

وإذا أتيت بالطعام أو الشراب حتى الدواء فلا تطعمه أو تشربه إذا أردت أن تفو» بفضل حتى تقول ما أرشدك إليه مالك في موطئه.

«الحمد الذي هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا، الله أكبر اللهم ألفتنا نعمتك بكل شر[369]فأصبحنا منها وأمسينا بكل خير نسألك تمامها وشكرها لا خير إلا خيرك ولا إله غيرك إله الصالحين ورب العالمين الحمد لله ولا إله إلا الله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار»[370]اهـ نص الموطإ.

وإذا لقيت من لا تعرف فابدأه بالسلام لتحوز بذلك الأجر والثواب، قال ﷺ «أولى الناس بالله من بدأ بالسلام»[371].

قال السيد محيي الدين [والأفضل][372]أن تبدأه بضمير الجمع فتقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وإن كان الذي تسلم عليه واحدا، قال: ولا تسلم على من

(368) الحديث: أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله إني أريد السفر فأوصني قال "عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف" فلما أن ولى الرجل قال "اللهم أطو له البعد وهون عليه السفر". قال الترمذي هذا حديث حسن، وأخرجه أيضا ابن ماجه. وقد أخرج أحمد وأبو يعلى في الباب من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا علا نشزا من الأرض قال "اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال". قال في مجمع الزوائد: وفيه زيادة النمري وقد وثق على ضعفه، وبقية رجاله ثقات. –تحفة الذاكرين ص151–152.

(369) هكذا في النسخ والذي في الموطأ "بشر" أي بشر من التقصير في عبادتك ةةة قاله الزرقاني على الموطأ 4/316.

(370) الأثر رواه مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عروة انه كان لا يؤتى بطعام ولا شراب حتى الدواء فيطعمه أو يشربه إلا قال...وذكر الدعاء أعلاه – الموطأ – باب جامع ما جاء في الطعام والشراب الأثر رقم 1805.

(371) الحديث في سنن أبي داوود بإسناد جيد عن أبي أمامة ورواية الترمذي عنه قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام؟ قال "أولاهما بالله تعالى"، قال الترمذي حديث حسن–الأذكار ص224.

(372) مطموسة في ت.

هو يقضي حاجته أو ناعسا أو إذا كان يأكل واللقمة في فيه ولا على المقبل على دعاء أو ذكر أو قراءة.

وإذا كثر المتلاقون فسلم على من تعرف ولا يلزمك أن تسلم على كل من تلقى فتخرج عن العرف. والمقصود بالسلام اكتساب ود أو استدفاع مكروه.

وإن لم يكن بالبيت أحد ودعه بيتك فلتقل «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»[373]وكذلك تسلم على القوم إذا قمت تفارقهم قال ﷺ «ليست الأولى بأحق من الأخيرة»[374].

وانظر إذا لقيت من تعرف فتزيد على السلام عليه أن تصافحه قال السيد محي الدين إنها سنة مجمع عليها[375]اهـ. وقد كنت صافحت شيخي المنتوري رحمه الله بمصافحته لجدي ابن بقي [بمصافحته الأستاذ المقري][376]بمصافحته الصالح أبا عثمان بن سعيد الحناط[377]بمصافحته أباه[378]بمصافحته الشيخ أبا تميم[379]

(373) أورده النووي في الأذكار وقال رواه مالك بلاغا–الأذكار ص26.

(374) أخرجه أبو داوود والترمذي بأسانيد جيدة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة" قال الترمذي حديث حسن.–الأذكار ص230.

(375) المصافحة قال النووي: إنها سنة مجمع عليها عند التلاقي، وذكر أحاديث في صحيح البخاري ومسلم والسنن دالة على استحباب المصافحة، منها حديث أنس رضي الله عنه قال له قتادة أ كانت المصافحة في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم. أخرجه البخاري في صحيحه – الأذكار ص236.

(376) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط، وأثبتناه ليستقيم السند.

(377) في ت: الخياط وأبو عثمان بن سعيد الحناط لم نتمكن من تعريفه.

(378) سعيد الحناط لم نتمكن من تعريفه.

(379) في م و ط: أبا نعيم وهو تصحيف والذي في ت أبو تميم وهو الصحيح وهو عبد الواحد الأسود أبو تميم العبد الصالح تلميذ أبي يعزى صاحب الكرامات ذكره التادلي في كتاب التشوف إلى رجال التصوف وذكر بعض كراماته وأنه كان منفردا بموضع بنى فيه مسجدا على بضعة أميال من مكناسة ودفن هنالك. ولم يذكر التادلي تاريخ وفاته ولكنه عاش في أواخر القرن السادس الهجري لأن شيخه أبا يعزى قد توفي سنة572هـ عن عمر ناهز 130سنة وأبو مدين الذي روى عنه المصافحة توفي سنة 588هـ أو 594هـ على ما ذكر التادلي – التشوف ص 269.

بمصافحته الشيخ أبا مدين بمصافحته الشيخ أبا الحسن بن حرزهم[380] بمصافحته القاضي ابن العربي بمصافحته أبا حامد الغزالي بمصافحته أبا المعالي بمصافحته أب طالب بمصافحته الجنيد بمصافحته خاله [سريا][381] بمصافحته معروف الكرخي بمصافحته داوود الطائي[382] بمصافحته حبيب العجمي[383] بمصافحته الحسن البصري بمصافحته علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بمصافحته رسول الله ﷺ كفا بكف متصلا برسول الله ﷺ[384].

وأخذ شيخي المنتوري رحمه الله مرة أخرى بيدي فقال إنه أخذ بيده[385] الراوية ابن السراج[386] قال: أخذ بيدي الشيخ أبو يعقوب التسولي[387] قال أخذ بيدي الراوية

---

(380) هو علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم من أهل فاس وبها توفي في شعبان سنة 559هـ حلاه صاحب التشوف إلى رجال التصوف بالحافظ الفقيه الزاهد السالك ذكره في الأنيس المطرب والساحلي في بغيته وابن القاضي في جذوة الاقتباس وذكره في الاستقصاء كما ذكره في النيل وذكره أيضا في الأعلام- انظر التشوف إلى رجال التصوف ص168.

(381) ما بين المعكوفين ساقط من م، وأثبتناه لتبيين اسم خال الجنيد الذي هو السري السقطي المتقدم.

(382) هو داوود بن نصر الطائي أبو سليمان كان يجالس أبا حنيفة ثم انصرف للعبادة والخلوة ورث عشرين دينارا فأنفقها في عشرين سنة توفي سنة 165هـ-الرسالة ص422.

(383) هو أبو محمد حبيب الفارسي عابد فاضل مجاب الدعوة كثير التصدق أورد ابن الجوزي له في إجابة الدعوة والفضل روايات عديدة انشغل بالعبادة عن الرواية -صفة الصفوة ج 315/3.

(384) حديث المصافحة عن علي بهذا السند لم نجده في كتب الحديث المعتمدة

(385) في م و ط: "بيدي" والصحيح ما فيت.

(386) في م و ط : ابن سراج والصحيح أنه ابن السراج الراوية الذي تقدم لأن ابن سراج لم يروعنه المواق بواسطة المنتوري بل روى عنه مباشرة وقد توفي بعد المنتوري.

(387) لعله أبو الحجاج يوسف بن الحسن بن أبي بكر الورتناجي التسولي لأنه هو الذي روى عن ابن جابر الواد آشي كتاب الإنشادات البلدانية، ولعل هذا السند من كتاب الإنشادات المذكور الذي جمع فيه ما سمعه من الأشعار وما رواه من الأحاديث، ذكره محقق كتاب الإفادات والإنشادات للشاطبي عازيا لثبت السراج/ ورقة 84/ ب /مخطوط المكتبة الوطنية بباريس 758-الإفادات والإنشادات ص59.

شمس الدين بن جابر[388] قال أخذ بيدي الشيخ أبو محمد الخلاسي[389] قال أخذ بيدي الصالح أبو الحجاج[390] بن حجاج قال أخذ بيدي أبو العباس اللواتي[391] قال أخذ بيدي أبو الحسن[392] بن الصائغ قال أخذ بيدي ابن بشكوال قال أخذ بيدي أبو محمد الفهري[393] قال أخذ بيدي أبو الحسن طاهر[394] قال أخذ بيدي أبو الفتح وأبو الليث[395] قال أخذ بيدي أبوبكر[396] بن منصور بن خلف قال أخذ بيدي والدي منصور[397] قال أخذ بيدي أبو بكر المنقري[398] قال أخذ بيدي أبوسعيد بن

---

(388) هو الراوية الكبير أبو عبدالله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي الوادي آشي ثم التونسي المعروف بصاحب الرحلتين مؤلف كتب الإنشادات البلدانية الذي ألف الشاطبي على منواله كتاب الإفادات والإنشادات ورواه عنه تلميذه أبو الحجاج يوسف بن الحسين التسولي، أثنى عليه غير واحد منهم الخطيب بن مرزوق توفي سنة 749هـ، وقد ذكر في طبعة نفح الطيب أنه توفي سنة 779هـ وهو خطأ مطبعي -انظر النفح 202/7، وذكر رضا كحالة أنه توفي سنة 746هـ والصحيح ما أثبتناه في وفاته لأنه في سنة 746هـ كان بالحرم النبوي يقرئ ويحدث-شجرة النور ص210 عدد 723.

(389) أبو محمد الخلاسي لم نتمكن من تعريفه.

(390) هو مؤلف كتاب ألف باء المتقدم.

(391) في م: اللوائي، وهو أحمد بن محمد بن حسين اللواتي أبو العباس بن تامنتيت الفاسي روى عن أبي الحسين بن الصائغ وأبي الحسن بن النعمة ترجم له ابن الزبير في الذيل وصاحب صلة الصلة وقال توفي سنة 624هـ -صلة الصلة 349/5.

(392) أبو الحسين المعروف بابن الصائغ وهو العابد الزاهد الكبير يحيى بن محمد بن علي الأنصاري أخذ عن ابن بشكوال وأبي بكر بن رزق وغيرهم وعنه القاضي أبو الخطاب وأبو عمر بن حوط الله والغافقي وغيرهم توفي سنة 600هـ - صلة الصلة 269/5.

(393) في م و ط: "البهري" وأبو محمد الفهري لعله جد أبي عبد الله بن هشام الفهري الذي روى عنه عيسى بن شهاب الوادي آشي المكنى أبا الأصبغ وأخذ عنه حديث البراء المسلسل بالأخذ باليد بشرطه، ذكر ذلك ابن الزبير في صلة الصلة 56/4 في ترجمة عيسى بن شهاب والله أعلم.

(394) تقدم التعريف به في دعاء الجيب.

(395) أبو الليث لم نتمكن من تعريفه.

(396) أبو بكر بن منصور بن خلف لم نتمكن من الحصول على ترجمة مكتملة له.

(397) منصور بن خلف لم نتمكن من تعريفه بصورة مكتملة.

(398) هكذا في النسخ أبو بكر المنقري ولعله أبو بكر المقرئ الاصفهاني الحافظ واسمه محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم الاصفهاني صاحب المعجم الكبير توفي سنة 381هـ- طبقات الحفاظ ص 387 وستأتي ترجمته أكثر تفصيلا.

الأعرابي[399]قال أخذ بيدي الحسن بن عفان[400]قال أخذ بيدي ابن عطية[401]قال -أخذ-[402]بيدي قطري الخشاب[403]قال أخذ بيدي يزيد[404]بن البراء بن عازب قال أخذ بيدي أبي: البراء[405] قال دخلت على رسول الله ﷺ فرحب بي وأخذ بيدي ثم قال لي يا براء «-أتدري-[406]لأي شيء أخذت بيدك؟» قال قلت خيرا يا نبي الله قال «لا يلقى مسلم مسلما فيبش به ويرحب به ويأخذ بيده إلا تناثرت الذنوب بينهما كما يتناثر ورق الشجر اليابس»[407]. ومن الترمذي وأبي داوود وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا»[408].

---

(399) هو أحمد بن محمد بن زياد البصري الأعرابي صوفي عابد جاور الحرم وصحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكي من كلامه: "أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد" مات سنة 340هـ–الرسالة ص394.

(400) الحسن بن عفان لم نتمكن من تعريفه.

(401) هو أبو سعيد عثمان بن عطية الصعيدي ورد ذكره في سلسلة المصافحة للمقري عن طريق عمر رضيَ الله عنه في كتاب الإفادات والإنشادات للشاطبي ص99 وذكره صاحب نفح الطيب 5/230.

(402) مطموسة في ت.

(403) قطري الخشاب لم نتمكن من تعريفه.

(404) هو يزيد بن البراء بن عازب الأنصاري الحارثي الكوفي روى عن أبيه وعنه عدي بن ثابت وابن حباب الكلبي و أبو عائذ السعدي وقال كان أميرا علينا بعمان، وكان خير الأمراء، وذكره ابن حبان في الثقات، قال ابن حجر في التهذيب كان أميرا على عمان وقال العجلي كوفي تابعي ثقة، ولم يذكر تاريخ وفاته –تهذيب التهذيب 11/316.

(405) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن الجشم الأنصاري الأوسي أبو عمار له ولأبيه صحبة استصغره رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وشهد أحدا والمشاهد افتتح الري سنة 24هـ وشهد مع علي الجمل وصفين وقتال الخوارج ونزل الكوفة وبها مات سنة 72هـ– الإصابة 1/234 عدد 615.

(406) مطموسة في ت.

(407) ورد في معناه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا معاذ إذا التقى الأخوان في الإسلام فأخذ أحدهما بيد أخيه تحاتت خطاياهما بينهما كتحات ورق الشجرة عنها" رواه أبو عمر في التمهيد 21/14، وفي الباب عن عمر والبراء شواهد أقربها إلى المعنى هذا الحديث ومنها حديث البراء الآتي.

(408) الحديث: أخرجه أحمد بن حنبل في المسند وأبو دوود في الأدب والترمذي في الاستئذان وابن ماجه في الأدب والضياء في المختارة كلهم عن البراء بن عازب قال=

قال السيد محي الدين: وأما ما -اعتاده-[409] الناس من المصافحة بعد صلاة الصبح وبعد العصر فلا أصل له في الشرع على هذا الوجه ولكن لا بأس به فإن أصل المصافحة سنة وكونهم حافظوا عليها في بعض الأحوال وفرطوا فيها في كثير من الأحوال لا يخرج ذلك البعض عن كونه من المصافحة التي ورد الشرع بأصلها. قال: وقد ذكر الشيخ الإمام ابن عبد السلام في قواعده؛ أن البدع مقسمة لأقسام الشريعة، وأن من أمثلة البدع المباحة المصافحة عقب الصبح والعصر[اهـ][410].

ونص أيضا أنه ينبغي للمتصافحين أن يصليا على رسول الله ﷺ وإن قالا ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾[411]فقد ورد هذا عن رسول الله ﷺ[412]. وقد تقدم أول الكتاب أن القيام للداخل يجوز لخوف التباغض قال السيد محي الدين: ويستحب القيام لمن كان فيه فضيلة من علم أو صلاح أو شرف أو ولاية مصحوبة بصيانة للبر والإكرام.

وانظر تقبيل اليد. قال السيد مفتي تونس البرزلي: قبلت يد شيخي البطرني[413]فنزع يده فقلت فلا تروي كتاب الاصبهاني[414] في الرخصة في تقبيل اليد

=الترمذي: حسن غريب، قال الصدر المناوي: وفيه الأحلج يحيى بن عبد الله الكندي قال أحمد له مناكير قال أبو حاتم كثير الخطأ يكتب حديثه ولا يحتج به.–فيض القدير 5/499.

(409) مطموسة في ت.

(410) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

(411) الآية 201 من سورة البقرة.

(412) الحديث: رواه بن السني في عمل اليوم والليلة من حديث أنس بلفظ: "ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد رجل ففارقه حتى قال: اللهم ربنا آتنا..." –الأذكار ص238.

(413) في م و ط: القطرني وهو تصحيف وهو أبو عبد الله محمد الحافظ أبو العباس البطرني أو البطروني الأنصاري التونسي الفقيه المحدث الراوية المقرئ المتفنن الصالح استخلفه ابن عرفة في الخطابة بالجامع الأعظم أخذ عن والده وعن ابن سلطان أحزاب الشاذلي ونور الدين بن فرحون وبن جماعة وعنه ابن خلدون والبرزلي وغيرهم توفي سنة 793هـ وقد جاوز التسعين، ذكره التمبكتي وصاحب الشجرة من جملة شيوخ البرزلي ولقباه بأبي الحسن ولعل له لقبين أبو الحسن وأبو عبد الله –الشجرة ص226 عدد 813.

(414) المقصود هو ابن المقرئ محدث اصفهان الإمام الحافظ واسمه محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الاصفهاني صاحب المعجم الكبير ومسند أبي حنيفة والأربعين سمع=

حين لم تعمل به؟ فقال لي كرهه مالك فقلت مالك أنكر ما روي فيه ومن حفظ حجة على من لم يحفظ فتركني بعد ذلك. وكذلك كان شيخي الإمام يعني ابن عرفة وغيره من أشياخي لا ينكرون ذلك علي، قال وقصدي في ذلك التبرك والتعظيم لأشياخي ولما تقرر عندي من الأحاديث وعدم إنكار ذلك من معظم من يقتدى بهم.

قال وأما الانحناء فقال عز الدين ما يفعله الناس من تنكيس الرؤوس فلا بأس به إن نقص عن حد الركوع لمن يكرم من أهل الإسلام. وانظر إذا عطست فقلت الحمد لله على كل حال ما كان من حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته فقد روي[415] ومن دعوات رسول الله ﷺ[416] «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[417] وعلم ﷺ رجلا فقال «قل اللهم اغفر لي وارحمني

=أبا يعلى وعبدان ومنه أبو الشيخ وابن مردويه وأبو نعيم أثنى عليه غير واحد وله جزء في تقبيل اليد وكانت وفاته سنة 381هـ عن 96 سنة على ماذكره الحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ ص387. ذكر الاصبهاني في جزء تقبيل اليد أحاديث عن أسامة بن شريك وجابر أن عمر رضي الله عنه قبل يد النبي صلى الله عليه وسلم. والتقبيل ثابت في صحيحي البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس قال إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت أحدا منهم فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال "من لا يرحم لا يرحم" وفي سنن أبي داوود والترمذي والنسائي ومستدرك الحاكم ومصنف ابن أبي شيبة والطبراني وأبي يعلى في دلائل النبوة أحاديث كثيرة في هذا المعنى وقد ألف في تقبيل اليد الاصبهاني كما ذكرنا وابن الأعرابي الحافظ الصوفي الكبير تلميذ الجنيد وغيرهم ومن المعاصرين المحدث عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله في كتابه الصغير الحجم الكبير المحتوى: إعلام النبيل بجواز التقبيل جزاه الله خيرا.

(415) الذي في سنن أبي داوود وغيره بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال" وفي كتاب الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا عطس إلى جنبه فقال الحمد لله والسلام على رسول الله فقال ابن عمر وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، علمنا أن نقول الحمد لله على كل حال. قال النووي في الأذكار: اتفق العلماء على أنه يستحب للعاطس أن يقول عقب عطاسه: الحمد لله. فلو قال الحمد لله رب العالمين كان أحسن. ولو قال الحمد لله على كل حال كان أفضل.-الأذكار ص240-241.

(416) بياض في الأصول. ولا شيء يدل على أن فيه حذفا أو إسقاطا.

(417) أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه كلهم في الدعوات عن ابن مسعود-فيض القدير 137/2.

واهدني وعافني وارزقني»[418] وقال ﷺ «تعوذوا بالله من جهد البلاء ومن درك الشقاء ومن سوء القضاء ومن شماتة الأعداء»[419] وقال أبو بكر رضي الله عنه علمني يا رسول الله ﷺ دعاء أدعو به في صلاتي فقال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[420].

قال السيد محي الدين النووي: وإن كان هذا وردا في الصلاة فهو حسن نفيس صحيح يستحب في كل موطن. قال وتقول أنت كثيرا كبيرا لتجمع بين الروايتين. ومن دعائه ﷺ «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر»[421] ومن دعواته ﷺ «اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي»[422] وقال رجل وا ذنوباه فقال رسول الله ﷺ «قل مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي»[423].

ونقل السيد محي الدين النووي أن لله تعالى ملكا موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك إن أرحم الراحمين أقبل عليك فاسأل[424]. وقد تقدم لنا في الورد الأول أنه وقت حضور فلتتخذ لتوجهك ما يكون أرق لقلبك

---

(418) الحديث: رواه الأربعة إلا النسائي واللفظ لأبي داوود وصححه الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما-انظر بلوغ المرام، باب صفة الصلاة الحديث رقم 299 ص.88

(419) أخرجه البخاري في القدر عن أبي هريرة وعزاه الديلمي في مسند الفردوس والصدر المناوي إلى مسلم أيضا في الدعوات ورواه أيضا النسائي-فيض القدير 256/2.

(420) الحديث: متفق عليه -انظر بلوغ المرام باب صفة الصلاة الحديث رقم 315 ص.95

(421) أخرجه مسلم في الدعوات عن أبي هريرة -فيض القدير 137/2.

(422) الحديث أخرجه الترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه وقال فيه حديث حسن - الأذكار ص 349.

(423) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه - الأذكار ص 352.

(424) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي أمامة رضي الله عنه - الأذكار ص 352.

وأوفق لحالك وأجرى على لسانك. وكذلك نقل السيد محي الدين في الدعاء منقولا عن القشيري إن وجدت في قلبك إشارة على الدعاء فالدعاء أولى لك. وانظر أن جبريل عليه السلام لما قال لإبراهيم حين زج في المنجنيق وهو في أفق الهواء ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى فقال فسله فقال إبراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي[425]. وأن موسى عليه السلام قال ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾[426] قال علي رضي الله عنه: والله ما طلب إلا خبزا يأكله ولكن المطلب وإن كان يسيرا قليلا فقد صار لفتحه باب المناجات جليلا فموسى عليه السلام سأل من الله الشيء اليسير، وإبراهيم عليه السلام قال في الأمر العظيم حسبي من سؤالي علمه بحالي. قال[427] في التنوير: اعلم أن الأنبياء عليهم السلام يعاملون كل موطن -بما يفهمون-[428] عن الله أنه اللائق بهم، فهم إبراهيم عليه السلام أن المراد به في ذلك الموطن عدم إظهار التشكي والطلب والاكتفاء بالعلم أن يظهر منصب سره وعنايته به للملإ الأعلى، وموسى عليه السلام علم أن مراد الحق منه إظهار الفاقة فقام بما يقتضيه وقته ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾[429]. فكل على بينة وهداية وتوفيق من الله ورعاية، اهـ. وانظر أيضا قضية أبي بكر الصديق رضي الله عنه ببدر، رسول الله صلى الله عليه وسلم غلب عليه الخوف فلم يزل يدعو ويتضرع حتى سقط رداؤه عن منكبيه وأبو بكر رضي الله عنه بسبب اضطرار المصطفى ﷺ انفتح له باب الرجاء ويقول كفاك يا رسول الله مناشدتك ربك وإن الله سينجز لك ما وعدك[430].

(425) رواه أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم حين قيدوه ليلقوه في النار قال لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الشكر لا شريك لك ثم ذكر الحكاية – انظر تفسير القرطبي عند تفسير قوله تعالى "قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم" الآية 68 من سورة الأنبياء.

(426) الآية 24 من سورة القصص.

(427) في ت: "فقال".

(428) مطموسة من ت.

(429) الآية 148 من سورة البقرة.

(430) الحديث أخرجه مسلم واللفظ له والبخاري في باب غزوة بدر إلا أنه قال فقال حسبك قد الححت على ربك، وهو في كتاب التفسير كذلك من حديث ابن عباس وأخرجه الطبراني عن عثمان بن عبد الوهاب الثقفي عن أبيه – انظر فتح الباري 7/231.

وهذا معنى ما قاله تاج الدين في حكمه: تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال.

الورد الخامس :من صلاة الإشراق إلى ضحوة النهار أي منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وهو ربع النهار وذلك وقت صلاة الضحى، خرج أبو داوود أن رسول الله ﷺ قال «من خرج من بيته لصلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا هي فأجره كأجر المعتمر»[431]. قال صاحب كتاب الترغيب والترهيب[432]: قوله لا ينصبه أي لا يتبعه ولا يزعجه إلا ذاك. قال: وكل صلاة تطوع تسمى تسبيحا وسبحة وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أوصاني .خليلي بصلاة الضحى لا أدعها حتى أموت[433]، وصلى رسول الله ﷺ الضحى يوم الفتح ثماني ركعات[434]، وفي الترمذي قال النبي ﷺ «من حافظ على سبحة الضحى غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر»[435]. وروى[436]ابن العربي

(431) أخرجه أبو داوود كما ذكر المؤلف وهو في الترغيب والترهيب للمنذري 1/213 وكنز العمال رقم 18961 والسنن الكبرى للبيهقي 3/63 – موسوعة الأطراف 8/256.

(432) كتاب الترغيب والترهيب للمنذري واسمه عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشامي الأصل المصري الشافعي شيخ الإسلام زكي الدين أبو محمد ولد سنة 581هـ وتخرج بالحافظ أبي الحسن بن المفضل توفي سنة 656هـ محدث حافظ وفقيه مشارك، وكتابه هذا في الدعوات وفضائل الأعمال والأذكار وله غيره مثل اختصار صحيح مسلم وسنن أبي داوود–طبقات الحفاظ ص501 عدد1112.

(433) متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواية الصحيحين لمسلم من عدة طرق وللبخاري من طريق واحد كلهم عن أبي هريرة أنه قال: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر–صحيح البخاري، كتاب التهجد–الجامع الصحيح لمسلم، كتاب استحباب صلاة الضحى.

(434) حديث متفق عليه من حديث أم هانئ رضي الله عنها ورواية البخاري عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ما حدثنا أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير أم هانئ فإنها قالت إن النبي صلى الله عليه سلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود. صحيح البخاري كتاب التهجد.

(435) أخرجه أحمد في المسند والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة –فيض القدير 6/114.

(436) في م و ط: "روى".

«من صلى الضحى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة»[437].

الورد السادس: من الضحى إلى الزوال قال في الإحياء يزاد في هذا الورد الاشتغال بالكسب والقيلولة وهي سنة قال فإن اشتغل بالعبادة وترك النوم والكسب فجدير أن يزكيه الله ويصطفيه لقربه لأنه تفرغ لخدمة -ربه وقت-[438]غفلة الناس عن الله[439]واشتغالهم بهموم الدنيا كفضل إحياء الليل فإنه -وقت غفلة الناس-[440] بالنوم وقد قيل في قوله تعالى ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾[441]، -يخلف-[442] أحدهما الآخر في الفضل اهـ. فتفكر أيها الأخ في الله في هذا المأخذ -وانوه إن-[443] توفرت لك الدواعي والبواعث يوما ما عليه فانتهزه.

الورد السابع: من الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر قال في الإحياء: وهو من أفضل أوراد النهار الذي أراد الله سبحانه بقوله ﴿وحين تظهرون﴾[444]. وقد ورد الخبر أن أبواب السماء تفتح فيه ويستجاب فيه الدعاء[445].

وانظر من فضيلة هذا الوقت قول عمر: من فاته حزب من الليل فصلاه بعد الزوال فكأنه ما فاته. وكان رسول الله ﷺ يصلي بعد الزوال أربع ركعات وقال «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح»[446]قال السيد محي الدين: يستحب الإكثار من الأذكار وغيرها من العبادات عقب الزوال اهـ نصه.

---

(437) رواه الترمذي من حديث أنس وقال حديث غريب–بلوغ المرام باب صلاة التطوع الحديث 385 ص112.
(438) مطموس من ت.
(439) في ت: "عن الناس" وهو تصحيف.
(440) مطموس من ت.
(441) الآية 62 من سورة الفرقان.
(442) مطموسة من ت.
(443) مطموس من ت.
(444) الآية رقم 18 من سورة الروم.
(445) إشارة إلى الحديث الآتي
(446) ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء قال كان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول: "إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة وأحب أن يرفع فيها لي عمل" قال العراقي: أخرجه أحمد بسند ضعيف وهو عند أبي داوود وابن ماجه مختصرا=

الورد الثامن: بين الظهرين قال في الإحياء: هو أيضا وقت غفلة ففي التعبد به ما في التعبد بالليل، وكان من سنة السلف العكوف فيه بالمسجد إلا أن يكون بيتك أسلم لدينك وأجمع لهمك فهو أفضل. قال: وهذا الورد هو أحد الآصال ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾[447] فإذا سجدت الجمادات فكيف يغفل العاقل عن أنواع العبادات؟ ونقل الحافظ أبو عمر في تمهيده بسنده أن رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فلم يستجب له و[دعا][448]يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين[449]قال: جابر فلم ينزل بي أمر مهم إلا توخيت[450]تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة.

الورد التاسع: إذا دخل وقت العصر إلى اصفرار الشمس أقسم الله سبحانه به فقال﴿ والعصر﴾[451]قال السيد محي الدين: يستحب زيادة الاعتناء بالأذكار في الصبح وفي العصر إذكلاهما قيل إنها صلاة الوسطى وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون عند صلاة [الفجر والعصر][452] »[453].

=وروى الترمذي نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن.– المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء، كتاب الصلاة، الباب السابع ج/1ص228. وانظر أيضا الأذكار ص81.
(447) الآية 15 من سورة الرعد.
(448) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(449) أورده أبو عمر في تمهيده بسنده من حديث جابر بن عبد الله من عدة طرق عند الكلام على حديث أول لعبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك في الموطأ–انظر التمهيد 201/19، وذكره في الاستذكار 165/8 الحديث 10904.
(450) في م: "توقيت".
(451) الآية 1 من سورة العصر.
(452) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(453) أخرجه البخاري 145/1 ومسلم في كتاب المساجد والنسائي ومالك في الموطأ واخمد في المسند والذي في مسند أبي عوانة "ويجتمعون في صلاة الفجر" وفي مشكاة المصابيح بهذا اللفظ "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون" متفق عليه – المشكاة عدد626 وانظر موسوعة الأطراف 270/11.

الورد العاشر: إذا اصفرت الشمس قال في الإحياء ما نصه: هو مثل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس هذا قبل طلوع الشمس وهذا قبل غروبها فيستحب فيه التسبيح والاستغفار خاصة من قوله سبحانه ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾[454]ويحاسب نفسه فقد جاء: لا بورك في يوم لا أزدادُ فيه خيرا، ويتلافى في ليله ما فاته في يومه. كان عمر رضي الله عنه يضرب قدميه بالدرة فيقول لنفسه: ماذا عملت اليوم؟ وقال رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا.

قال في الإحياء: اعلم أن العبد كما يكون له وقت أول النهار يشارط فيه على نفسه على سبيل التوصية بالحق كذلك ينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها وكذلك يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة حرصاً على الدنيا فمن باب أولى مريد الآخرة مع نفسه الأمارة. ولا بد لك أيها الأخ في الله من مراجعة كتاب المحاسبة من الإحياء.

الورد الحادي عشر: بين العشاءين في الخبر «الصلاة بين العشاءين تذهب لغو النهار»[455] وقد تقدم أن هذا الوقت يضاهي أول اليوم وقد قال السيد الساحلي في قصيدة السلوك في الورد:

ورتب علـــى وقتين وردك ....، ثم قال:

وخذ نصفه بين العشاءين خالـيـــا وخـذ نصفه الثاني على إثر الفجـــر

وقد تقدم أيضا أن من قصد بالنوم تجميم نفسه ليقوم نشيطا لعبادة ربه أن نومه محسوب في جملة الأوراد. قال السيد الساحلي وليحافظ عل وتره من أول الليل فذلك الحزم ولا تمكر به النفس فتقول آخر الليل أفضل، وليعمر آخر الليل كما تقدم

(454) الآية 55 من سورة غافر.
(455) ذكره صاحب إتحاف المهرة 151/5 – موسوعة الأطراف 386/5.

بأذكار الحضور، وكذا قال في الإحياء إن تقديم الوتر أول الليل – مع أن تأخيره عند العلماء بأحكام الله أفضل– هل يكون هذا إماتة لحظ نفس؟ قال تاج الدين: إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس. قال شارحها: الرعونة: ضرب من الحمق وحماقة من وجوه.

منها ما في ذلك من رؤية النفس ودعوى الحول

وجه آخر قد يتبدل عزمه أو يعرض له شغل.

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه يقدم وتره وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت، صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر. فقد تضمن مما قررته واخترته ولي فيه أسوة ظني فيه أقوى من ظني في غيره أن لكل وقت من هذه الأوقات الاثنى عشر وردا خاصا به دون الهِجِّير يكون ذلك في ذهنك كالورد، إن لم تفعل ذلك الورد الخاص بذلك الوقت استخلفت ما فاتك في الوقت قبله، وإن لم يكن يفتح لك في ذلك تتأسف على نفسك وتغيب بتقصيرها عن تقصير غيرك وتنشد:

لعمرك إن في ذنبي[456] لـشغلا[457] لنفسي عن ذنـوب بنـي أميَّـــه

علـــى ربي حســابهـم إليــه تناهـى علـم ذالك لا إليَّـــه

وليس بضائري[458]ما قـد أتـــوه إذا [ما][459]الله أصلح ما لديَّه[460]

(456) في م و ط: "ذهني".
(457) في م و ط: "شغلا".
(458) في ت: "بضارئي" وهو تصحيف.
(459) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.
(460) هذه الأبيات أنشدها العباس بن الفرج، أبو الفضل الرياشي مولى آل العباس بن عبد المطلب البصري المتوفى سنة 257هـ لما تذوكر في حلقته حديث بني أمية وقد زاد فيها بيتا حيث أنشد:

لعمرى إن في ذنبي لشغلا بنفسي عن ذنوب بني أميه

ذنوبي كلها أخشى رداها ولا أخشـى ذنوبهـم عليـه

=

فتكون نيتك أيها الأخ في الله أن أول[461]ما تصرف فيه همتك إلى الله أول يقظة من الليل وهذا هو الورد الأول. ثم تعود للنوم ليكون أسا لقيام السحر وهذا هو الورد الثاني. ثم تقوم سحرا لتمام ما بقي من وردك أو لقراءة القرآن ريثما يطلع الفجر وهذا هو الورد الثالث. وبطلوع[462]الفجر يدخل الورد الرابع إلى صلاة الإشراق. ثم يدخل الورد الخامس إلى صلاة الضحى. ثم الورد السادس إلى الزوال، تنام فيه القيلولة. ثم الورد السابع إلى الفراغ من صلاة الظهر. ثم الورد الثامن وهو ما بين الظهرين. ثم الورد التاسع إلى اصفرار الشمس. ثم الورد العاشر إذا اصفرت الشمس. ثم الورد الحادي عشر بين العشاءين.

ثم **الورد الثاني عشر**: بعد العتمة إلى أول يقظة. فينبغي – إن لم تسرمد العبادة وتعمر هذه الأوقات بالأوراد متى وجدت فراغا في وقت منها –أن تغتنمه إما أن تشتغل فيه بورده الخاص به أو بهجِّيرا يكون لك، أو تخلف فيه ما كان متأكدا عندك مما فاتك في الوقت قبله. قال في بداية الهداية[463]: ينبغي أن لا تكون أوقاتك مهملة ولتعين لكل وقت شغلا، فبذلك تظهر بركة الأوقات، فإن من ترك نفسه هملا سدى إهمال البهائم لا يدري بماذا يشتغل في كل وقت فتنقضي أكثر أوقاته ضائعة اهـ.

وانظر أن فرض الاعتكاف عمران الأوقات بالطاعات، فينبغي أن ينوي في اعتكافه هذه النية. قال الحسن البصري رحمه الله: لقد وقذتني[464]كلمة سمعتها من الحجاج على أعواد هذا المنبر؛ سمعته يقول: إن امرءا ذهبت ساعة من عمره في

=انظر القصة في السمهودي في جواهر العقدين في فضائل الشرفين وترجمة العباس في تاريخ بغداد 12/138، ونسبها أيضا للرياشي محي الدين النووي في كتابه الأذكار ص.298

(461) في م و ط: "أولى".

(462) في م و ط: "وبدخول".

(463) بداية الهداية في الموعظة للإمام الغزالي: مختصر ذكر فيه ما لابد لعامة المكلفين والطالبين منه من العادات والعبادات –كشف الظنون ج 1/228.

(464) في م و ط: "وخذتني".

غير ما خلق له لجدير أن تطول عليها حسرته إلى يوم القيامة اهـ. فلا شك أن الحق هو أن يكون المرء في كل وقت بما هو أولى في الوقت وقد تقدم أن هذه هي حقيقة الصوفي، وهذا هو المقام التاسع.

المقام التاسع: الأخذ بالجد في الدين

وهو المقام الذي كنت بدأت به، وها أنا أختم به[1]، ختم الله لي به بمنه وفضله، وهو أن يكون المرء كما حكاه في التنوير: لو قيل له غدا تموت لم يجد[2]مستزادا، وفي الرسالة: كان أبو علي الثقفي[3]يتكلم يوما قال له عبد الله بن منازل[4]: يا أبا علي استعد للموت فلابد منه، فتوسد عبد الله ذراعه ووضع رأسه وقال: قد مت. فانقطع أبو علي لأنه لم يمكنه أن يقابل بما فعل لأن أبا علي كانت له علاقات وكان عبد الله مجردا لا شغل له قال سفيان الثوري رضي الله عنه: رأيت في مسجد الكوفة شيخا يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي لو أتاني ما أمرت بشيء ولا نهيت عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء.

قال في الإحياء: كل نفس من أنفاسك خاتمة إذ يمكن أن يكون الموت متصلا به، وهب أن الموت لم يكن متصلا به أليس يعرض عليك يوم[5]القيامة؟. وقد قال رجل لإبراهيم بن أدهم[6]كم من فرض علي في اليوم والليلة؟ فقال ما لك

(1) في م: "به أختم".
(2) في م: "يستزد".
(3) هو محمد بن عبد الوهاب الثقفي صحب أبا حفص وحمدون القصار وهو إمام وقته وبه ظهر التصوف بنيسابور توفي سنة 328هـ-الرسالة ص402.
(4) هو أبو محمد عبد الله بن منازل شيخ الملامتية الصوفية وأوحد وقته صحب حمدون القصار وكان عالما وقد كتب الحديث مات بنيسابور سنة 329 -الرسالة ص435.
(5) في م: "كل يوم".
(6) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور من كورة بلخ بخراسان وقصة تصوفه مشهورة وغريبة؛ دخل مكة وصحب سفيان الثوري والفضيل بن عياض توفي سنة 161هـ-الرسالة ص391.

والتعرض لما لا تقوم به؟ عليك بما تعلمه، فألح الرجل عليه مرارا، فقال له إبراهيم بن أدهم يجب عليك في كل لحظة ثلاثة فروض لازمة تعصي الله إن تركت منها واحدا قال وما هي؟ قال ذكر الله والإخلاص له والرضى بكل ما يأتي من الله اهـ.

ولا شك أن الحق هو هذا إذ كل نفس يبدو من المرء فهو ظرف لقدر من أقدار الله ونعمة من الله. وحقيقة الشكر تصريف النعمة في طاعة المنعم. قال في الإحياء: في كل نفس تنقبض من الإنسان وتنبسط نعمتان إذ بانبساطها يخرج الدخان من القلب ولو لم يخرج لهلك الإنسان وبانقباض النفس ينجمع روح الهواء إلى القلب ولو سد منفذه لاحترق القلب واليوم والليلة أربع وعشرون ساعة في كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات وعليك في كل لحظة ألف ألف نعمة في كل جزء من أجزائك.

قال بعضهم: انظر انتصاب قامتك طالبة بنية العلو وجعل ثقبي أذنيك متصلين[7]بالدماغ يؤديان ما أوصل إليهما إلى القلب، جعل سبحانه فيهما المرارة تمنع منهما الهوام أن يصل إليهما، كما جعل الملوحة في العينين تشدهما أن تذوبا وجعل الحلاوة في اللسان يجد طعم الحلو من المر وجعل الرطوبة في المنخرين لو كانا يابسين لم تجد لرائحة شما وجعل الحاجبين فوق العينين رفرفا واقيا ما ينزل من الأعلى، فهذه كلها نعم لا تحصي، شكرها عليك في كل جزئية منها بل في كل جزء من أجزاء العالم أن تؤدي شكرها فإن صرفت جزئية من جزئياتك في غير رضى ربك فقد جنيت على جميع الملك والملكوت فمن فتح جفنه وصرفه فيما لا يحل فقد كفر كل نعمة عليه لله في السموات والأرض وما بينهما فإن لله في كل تطريفة نعمتين في نفس الجفن، إذ خلق الله سبحانه تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات[8]متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن

(7) في ت: "متصلتان" وهو لحن؟.
(8) في م و ط: "رطوبات".

الأسفل، وعلى كل جفن شعور، ونعمة الله في سوادها أنها تجمع ضوء العين إذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه، ونعمة[9] الله في ترتيبها صفا واحدا أن يكون مانعا للهوام من الدبيب إلى باطن العين، ومحبسا للأقذاء التي تتناثر من الهواء، ولله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوَّم نصبها، وله في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو أطبق لم يبصر، فجمع الأجفان مقدار ما تتشابك[10] بالأهداب فينظر من وراء شباك الشعر [فيكون شباك الشعر][11] مانعا من وصول القذا من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل، وخلق الله سبحانه وتعالى أطراف الأجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة[12] فإن أصاب الحدقة غبار فتنطبق الأجفان مرة أو مرتين فتنصقل الحدقة عن الغبار وتخرج الأقذاء إلى زوايا العين، ولما لم يكن للذباب أجفان خلق الله له يدين تراه على الدوام يمسح بهما جفنيه[13] ليصقلهما من الغبارات فمن فتح جفنه حيث يجب غضه فقد كفر بفتح العين نعمة الله في الأجفان، ولا تقوم الأجفان إلا بالعين ولا العين إلا بالرأس ولا الرأس إلا بجميع البدن ولا البدن إلا بالغذاء ولا الغذاء[14] إلا بالماء والأرض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر والنجوم ولم يقم شيء من ذلك إلا بالسموات والسموات بالملائكة فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض، فإذًا قد كفر نعم الله كلها من منتهى الثريا إلى الثرى فلم يبق ملك ولا فلك ولا حيوان ولا نبات إلا ويلعنه، و هكذا

(9) في ت: كتبت "نعمة" بالتاء المطلقة ويوافق ذلك رسم القرآن الكريم في بعض الآيات التي وردت فيها "نعمت" كقوله تعالى في سورة النحل (الآية 83) : "يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها"، وقد كان السلف لا يحبون ربط التاء في الكلمات مثل النعمة والرحمة تفاؤلا بانبساطها فلعل هذا من ذلك.
(10) في م و ط: يتشابك.
(11) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.
(12) في ط: يوجد بياض بعد كلمة "كالمصقلة"، وقبل "فإن أصاب".
(13) في بعض هامش م: "عينيه".
(14) في ت: "الغذا".

كل جارحة، جارحة متى صرفتها في غير ما يقربك إلى الله زلفى. وهبك سلمت من المآثم فقد عرضت نفسك [بالغفلة][15] الغبينة وحسرة ما لهما منتهى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾[16] ومن ذلك يدك أنعم الله بها عليك باطشة تمتد إلى الأشياء مشتملة على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني إليك فلا تكون[17] كخشبة منصوبة، ثم جعل سبحانه رأس اليد فخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام وهي الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية.

ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربعة وتفاوت الأربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه إذ بها يصلح القبض والإعطاء فإن بسطها كانت طبقا يضع عليها ما يريد وإن جمعها كانت آلة للضرب وإن ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وإن بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له ثم خلق سبحانه الأظفار زينة للأنامل أو ليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها[18] الأنامل وليحك بها بدنه فالظفر هو أخس الأعضاء ولو عدمه الإنسان وظهرت به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يقم أحد مقامه في حك بدنه، ثم هدى اليدين إلى مواضع الحك حتى تمتد إليه ولو في النوم ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك إلا بعد تعب طويل ثم هيأ له آلة يتناول بها الغذاء.

ثم هب أنك أخذت الطعام بيدك فمن أين يكفيك هذا ما لم يصل إلى المعدة؟ فجعل سبحانه الفم منفذا إلى المعدة ثم ما فيه من الحكم [سوى][19] كونه

(15) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(16) الآية 39 من سورة مريم.
(17) في ت: "فلا تكن".
(18) في م: "تناولها".
(19) مما بين المعكوفتين ساقط من ت.

منفذا ثم إذا وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فيحتاج إلى طاحونة يطحن بها الطعام فخلق سبحانه لحيين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس من العليا على[20] السفلى ليطحن بها الطعام طحنا.

ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة يحتاج إلى القطع ثم يحتاج إلى الطحن بعد ذلك فقسم الأسنان إلى طواحن وهي الأضراس و إلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب ثم جعل مفصل اللحيين مخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى كدوران الرحى، ولولاه لما تيسر إلا ضرب أحدهما على الآخر ولا يتم الطحن بذلك، فجعل اللحي الأسفل متحركا حركة دورية واللحي الأعلى ثابت لا يتحرك. ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان؟ وكيف تستجره الأسنان إلى نفسها؟ أو كيف يتصرف باليد في داخل الفم؟ فأنعم الله عليك بخلق اللسان يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة، هذا مع ما في اللسان من فائدة الذوق وما خلَق الله فيها من عين يفيض اللعاب منها، فتصب[21] بقدر الحاجة أن يعجن[22] به الطعام إذ لا يقدر الإنسان على ابتلاعه إلا أن ينزلق باللعاب وسخرها لهذا الأمر بحيث ترى الطعام من بعيد فتثور المسكينة للخدمة قبل أن يصل إليها الطعام.

ثم تجد هذه النعم في اللسان يسيرة في جانب الفائدة العظمى وهي قوة المنطق فاللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة لو لم يكن له حركة إلا بالثناء على من خلقه وأطلق بالشكر مقوله لما قام أبدا بحق الله سبحانه، هذا سيد

(20) في م: "إلى".
(21) في ت: "ينصب".
(22) في ت: أن يتعجن، وفي النسخ الأخرى ما تم إثباته والذي في الإحياء: حتى يعجن به الطعام. وهذا الكلام أورده صاحب الإحياء في كتاب الشكر في المنجيات.-انظر ج 4/118، وقد تصرف المؤلف في كلام الغزالي فحذف منه وأضاف إليه واختصره مع بقاء المعنى المراد.

الأولين والآخرين يقول «لا أحصي ثناء عليك» فمن أين يبقى للسان مجال لإرخاء العنان **فبالحري**[23].

إذا قلت مـــا أذنبت قلت مجيبـــة ... وجودك ذنب لا يقاس به ذنـــب[24]

فمن لم يأمن أن يناقش الحساب وآمن إن نوقش الحساب لحقه لا محالة العذاب، فكيف لا يكون صوفيا قيل الصوفي دمه هدر وملكه مباح. حكي عن معروف الكرخي أنه مر بإنسان تصدق بماء[25] وهو يقول: رحم الله من يشرب. فأخذ معروف ذلك الماء وشرب وقيل له أليس كنت صائما؟ قال بلى، ولكن قلت: دعوة مسلم لعلها تستجاب. وكان الصبيان يؤذون بهلولا[26] ويرمونه بالأحجار فجعل يقول لهم: ارموني بهذه الأحجار الصغار لئلا[27] أحتاج إلى غسل الدم فقيل له في ذلك فأنشد:

ليس للهـــارب فـــي مهربـــه ... أبـــدا من راحـــة إلا إليـــه
رب رام لـــي بأحجـــار الأذى ... لـم أجد بُدًّا من العطف عليـه
فعـــسى يطّـــلـــع الله علـــى ... فـــرح[28] القـــوم فيدنيـنـي إليـه

(23) في م و ط: فبالحري أن، والصحيح ما أثبتناه. وفي جميع النسخ ورد بعد هذه الكلمة بياض اتفق عليه النساخ. ولكن الظاهر أن هذا البياض ناتج عن كلام اعتراضي إذ أنه يظهر أن ما بعد كلمة "بالحري" إلى قوله "عاد الكلام إلى قول سيد الأنامة "اعتراض، أي من ص 395 إلى ص403.
(24) في متن ت: قالت كذبتني، بدل قالت مجيبة، مع أن في هامش ت: "مجيبة" كما هو في النسخ الأخرى، وفي م: قلت مجيبة، والبيت متداول على ألسنةأرباب التصوف وهو من الطويل.
(25) في ط و م: "بمائة" وهو تصحيف.
(26) أبو عمر بهلول بن راشد القيرواني الجامع بين العلم والعمل والورع والصلاح والدين وإجابة الدعاء، كان ثقة مأمونا أحد أوتاد المغرب سمع مالكا والثوري والليث وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم وغيرهم وعنه سحنون ويحيى بن سلام وغيرهم له ديوان في الفقه بلغ لدى أهل إفريقية مكانة عظمى توفي سنة 183هـ - شجرة النور ص60 عدد 34.
(27) في م و ط: "فلا".
(28) في م وط: "فرج".

ونحو هذا نقل الطرطوشي عن أويس[29] ويقول تشغلوني بغسل الدم عن الصلاة.

وقد تقدمت حكاية الذي سلب ثوبه فهتف بالسالب: جعلتك في حل. فقل[30] قبلت؛ أن يلبس الثوب حلالا ولا يلبسه حراما.

وعرف عياض بالبهلول بن راشد وذكر من فضائله؛ أنه أخبر عن بعض أصحابه أنه ضرب بمقرعة بالليل فأتاه البهلول يسأله أن يجعل الذي فعل ذلك في حل فقال الرجل فعلوا بي وفعلوا بي وأجعلهم في حل؟ قال أيسرك أن يحال بين أخيك المسلم وبين الجنة بسببك؟ فلم يزل بالرجل حتى جعل الجاني عليه في حل.

وعرف أيضا بعبد الجبار من الفقهاء المالكية ومن أكابر أصحاب سحنون قال كان يغدو إلى الجمعة إذا بشاب جميل حسن البزة يمشي في إثر صبية فاتكأ عبد الجبار على نعله فقطع شسعه وناداه يا شاب، فوقف يمشي إليه وقال له أنا شيخ ضعيف بصري وانقطع شسعي فأصلحه لي فتناوله الشاب، ورأى عبد الجبار الصبية تتباطى[31] في مشيها فأصلحه وأخذ منه النعل ومشى في إثر الصبية، فقطعه ثانيا وناداه ليصلحه، فعطف عليه وقال أنا قطعته يا شاب إشفاقا على هذا الشاب من لفح

(29) أويس بن عامر بن جري بن مالك القرني تابعي جليل قصته مشهورة مع عمر فقد كان عمر رضي الله عنه يسأل أمداد اليمن أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى عليه فقال أنت أويس بن عامر؟ قال نعم، قال من مراد ثم قرن؟ قال نعم، قال كان بك برص فبرئت منه إلا موضع درهم؟ قال نعم؟ قال لك والدة؟ قال نعم، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر من أمداد اليمن من مراد ثم قرن، كان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بار، لو أقسم على الله عز وجل لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل" فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال عمر رضي الله عنه ورحمة الله أين تريد؟ قال الكوفة، فقال ألا أكتب لك إلى عاملها فيستوصي بك؟ قال لأن أكون في غبر الناس أحب إلي. وكان عمر يسأل عنه، وقصصه في الزهد والورع مشهورة، اختلف في سنة وفاته، ورجح ابن الجوزي أنه توفي في معركة صفين مع علي سنة 37هـ صفة الصفوة عدد 398 ج 3/43 وفيات الأعيان 1/32 عدد 12.

(30) في م: "فقد" وهو تصحيف.

(31) في م: "تتعاطى" وهو تصحيف.

النار وبكى فبكى الفتى وجزاه خيرا وصحبه إلى الجامع وحسنت توبته. قال عياض: وكان يتلكم بالحكمة ومن حكمه: فلو أهمك شأنك لكل لسانك وتهيجت أحزانك.

وعرف أيضا بزيد بن بشير قال: كان فقيها ثقة سمع من ابن القاسم وابن وهب وأشهب. قال من فضائله أن طريقه إلى الجامع كان على الخرازين فأقبل يوما مع[32] الطلبة إذا بشاب من الخرازين قام على دكانه، وقال[33] لجاره قم الق التيس[34] ما رأيت أوحش من هذا الشيخ، فنكس زيد رأسه فلما انصرف من الجامع عاوده الفتى بقبيح فلم يلتفت إليه زيد وهم طلبته بضرب الفتى فبلغ ذلك زيدا فسألهم عنه فقالوا هو ما قيل أصلحك الله لاستخفافه بحقك[35] فقال لهم: أعطي الله عهدا لئن تقدم إليه أحد لأقصينه ولا وطئ لي بساطا، أنا أصلح شأنه وصر في صرة عشرة دراهم وجعلها في جيبه واستعمل لفرد نعل قبالا[36] واهيا، توجه إلى الجامع فلما مر بالشاب قام لعادته وتكلم بقبيح قوله، فلما حاذاه الشيخ اتكأ على نعله فقطع القبال، ثم مال إلى الشاب فسلم عليه وقال أي بني لعل عندك قبالا؟ فأدخل زيد يده وأخرج[37] الصرة من جيبه ودفعها له فقال الشاب ما هذا؟ فقال[38]: صنعت لنا قبالا فكافأناك. فسار إلى الجامع فلما كان انصرافه منه، ومر بالشاب قام على قدميه وقال الحمد لله الذي خص بلدنا بهذا الشيخ الفاضل اللهم أبقه لنا واحرزه على المسلمين.

(32) في ت: "علي".

(33) في ت: "قال".

(34) في ط: "إلى التبيس" وفي م: "إلى التبيين" وكل ذلك تصحيف.

(35) في م: "بك".

(36) قبال النعل: ككتاب زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها، قبلها: كمنعها وقابلها وأقبلها: جعل لها قبالين، وفي الحديث عن عيسى بن طهمان: قال أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين لهما قبالان، فقال ثابت هذه نعل النبي صلى الله عليه وسلم. أخرجه البخاري والترمذي في الشمائل، وأخرجه أحمد وعبد بن حميد وابن ماجه وغيرهم بألفاظ أخرى ذانظر القاموس مادة قبل. والمسند الجامع من مسند أنس بن مالك 8/168.

(37) في هامش ت: "وأخذ".

(38) في ت: "قال".

وقد تقدم قبل هذا بيسير مقام السبائي من[39] العلماء المالكية ودينه وفضله، نقل عنه عياض أنه مر بموضع فإذا بشيخ لم ير أجمل منه لحية وهو يزمر[40] ببوق فقال السبائي لبعض أصحابه لعلك قالت لك نفسك إنك خير منه، إنه مسلم والله ما أرى لي فضلا على أهل الكبائر من المسلمين، فإذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله على العافية، فذكر أن الرجل ريء بأثر ذلك وقد تاب وحج وحسنت حاله. ولقي سكران بشر الحافي وقال له يا سيدي يا أبا نصر فلم يدفعه بشر عن نفسه فلما تولى تغرغرت عينا بشر وقال رجل أحب رجلا على خير توهمه لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله.

وعرف عياض [أيضا][41] بأبي محرز[42] وذكر من دينه وفضله قال: أطلع الناس على ماله[43] يوم ولي القضاء أشهدهم إن ظهرت زيادة[44] على ما رأوا فهو خائن. قال وقف عليه[45] رجل به نبيذ فكثر من الكلام فأمر به أبو محرز إلى السجن فقال الرجل: "أيها القاضي إن زوجي "[46] مهرها ثلاثمائة دينار وهي طالق إن لم تغن لي فالتفت أبو محرز إلى جلسائه [وقال][47] أرأيتم ما حل بنا من هذا؟ ثم سكت ساعة وقال «أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم[48] ولولا الحبة الصفراء لم تسمن عذاريكم ولولا

(39) في ت: "في".
(40) في م: "يرمز".
(41) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.
(42) هو القاضي محمد بن عبدالله بن قيس بن يسار بن مسلم الكوفي الكناني عاصر أسد بن الفرات واشتركا القضاء من المعدودين من أصحاب مالك ولي القضاء على كره منه، وكان موصوفا بالتحري والصواب والورع وكانت بينه وبين أسد جفوة إلا أنه على ما كان بينهما لم يستحل أحد منهما من صاحبه ما لا يحل له، أرخ ابن ناجي وفاة أبي محرز القاضي نقلا عن الرفيق القيرواني فقال بأنه توفي يوم الخميس في شهر رمضان المعظم لعشر بقين منه سنة 214هـ ودفن بباب سلم-رياض النفوس1/280.
(43) في ت: "حاله".
(44) في م: "إن رأوا زيادة".
(45) في م و ط: "وقف علي رجل".
(46) مطموس من ت.
(47) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(48) في ت: "نحيوكم".

الذهب الإبريز لم نحلل بواديكم»[49] وقد تقدم في المقام الثالث أن الغضب على الجاني إنما هو بقدر غضب الله عليه فنقيم عليه الحد بلا زيادة سوط واحد ونراعي له حق الإسلام فلا نشوش عليه أمر دنياه وقد قال رسول الله ﷺ للذي سب الذي أقام عليه الحد «لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم إنه يحب الله ورسوله»[50].

وانظر قضية عمر رضي الله عنه حين كف عن السكران قائلا: لا أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسي، وقضيته مع الذين اطلع عليهم وهم شرب، وقضية عثمان رضي الله عنه إذ قال الحمد لله الذي لم يفضحهم على يدي، وأعتق رقبة شكرا لله تعالى أن لا يكون جرت على يديه فضيحة رجل مسلم.

وعرف عياض أيضا بأبي العباس التميمي[51] قال كان حافظا للمسائل من أهل الاجتهاد والورع قرئ عليه بالقيروان وسمع منه قال واجتمع الناس على فضله. كانوا جلوسا معه يوما على باب داره إذ وثب فقال لهم قوموا فادخلوا فدخلوا وأغلق الباب ولا يدرون ما السبب، وأقبل ينظر من شق الباب ثم فتح الباب، وقال لهم اخرجوا فسألوه ما السبب؟ فقال: رأيت سكرانا فلم أرد أن تروه فقالوا له من هو؟ فقال أنا سترته منكم ثم أخبركم به!

وعرف أيضا بالقاضي ابن السليم[52] قال كان حافظا للفقه وكان مع علمه من أهل الزهد والبر، طال هربه من السلطان إلى أن أنشبه المقدار فنال رياسة الدنيا

(49) ورد هذا الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي 4/289 وإتحاف السادة المتقين للزبيدي 6/493 – موسوعة الأطراف 1/102.
(50) أخرجه البخاري 8/197 واحمد في المسند وهو في المستدرك بلفظ "لاتكونوا أعوان الشيطان" وله روايات أخرى – موسوعة الأطراف 7/309.
(51) هو تميم بن محمد بن أحمد بن تميم التميمي يكنى أبا العباس أدرك صغار رجال سحنون عيسى بن سليمان والمغامي وابن أبي أزهر وابن بسطام وأخذ عنه الوليد بن مخلد وأبو القاسم الوهراني وأبو محمد الأجدابي. أرخ عياض لوفاته بسنة 359هـ، وذكر صاحب الشجرة أنه توفي سنة 371هـ-انظر ترتيب المدارك 2/168-169، والشجرة عدد 223.
(52) هو محمد بن منذر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن السليم القاضي أبو بكر الأموي الأندلسي القرطبي سمع من أحمد بن خالد ومحمد بن أيمن ورحل فسمع بالمدينة ومكة ومصر من علماء عصره كالمرواني وابن الأعرابي والبغدادي، ورجع إلى الأندلس فأقبل على=

والدين بالأندلس فما استحال عن هديه ولا غرته الدنيا بوجه. حضر يوما مسجدا بأطراف قرطبة لانتظار جنازة فحان وقت الصلاة فلم يؤذن هناك، فقال لرجل من العامة يا هذا اخرج فأذن فإذا به، جاهل فتغير لقوله وقال [له][53]: لم تر في المجلس أنحس مني؟ فتبسم القاضي واستغفر وخرج بنفسه، فأذن ورجع فصلى بالناس ثم قال للرجل وجدت أنحس منك، فلا تعد لمثل قولك و[لكن][54]قل: لا أحسن تاب الله علينا وعليك.

وعرف عياض بعبد الرحمن ابن مدارك[55]قال كان عالما بمذهب مالك، حافظا له راسخا في علمه ورعا كثيرا التهجد، مات بعض أصحابه وترك ولدا فسأل عنه فأخبر[56]بسلوكه غير القوام فأمر أن يؤتى به[57]فشاهد[58]عنده المجلس وحان وقت الصلاة فقدمه صلى بالناس فلما فرغوا وخلا به وعظه، وقال له: انظر لا تجعل الناس يقولون انظر من قدم عبد الرحمان يصلي به.

ومن التحبير: أن بعض المشائخ اجتمع عنده مال لعمارة بعض الرباطات فعرفه قوم من اللصوص فتشبهوا بزي الصالحين وأخفوا سلاحهم واستضافوه فلما قدم إليهم الطعام وغسلوا أيديهم، وكانت له ابنة زمنة فشربت من ذلك الماء واستعملت منه

=الزهد والعبادة ثم ولي القضاء والصلاة في قرطبة أيام الحكم بن الناصر الأموي وظل عالي المكان حتى مات سنة 367هـ-المدارك 2/174-178.

(53) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(54) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

(55) هكذا في النسخ "مدارك" والذي في الديباج وترتيب المدارك ابن مدارج ولعل مدارك بالكاف المعقودة فيكتب تارة بالجيم وتارة بالكاف، وهو عبد الرحمن بن عيسى بن محمد يعرف بابن مدارج أبو الطرف أخذ بطليطلة عن عبد الله بن سعد وبقرطبة عن ابن خالد وابن أيمن وقاسم بن أصبغ وناظر عندهم في الفقه وأكثر من الرواية ورحل إلى المشرق فلقي جماعة من مشايخ المالكية كان عالما حافظا لمذهب مالك كما قال المصنف نقلا عن عياض توفي سنة 363هـ - المدارك 2/197، الديباج ص149.

(56) في ت: "فأخبر عنه بسلوكه".

(57) في ت: "فأمر به أن يؤتى".

(58) هكذا في الأصول ولعله "فشهد".

تبركا للضيفان فشفاها الله في الوقت فجاء الشيخ وألطف بهم وقال إنكم مباركون وقص عليهم القصة فوقع عليهم الندم وقالوا [له][59]: إنا لغير هذا حضرنا ولكن بعد ما أحسن [الله][60] بنا هذا الإحسان وأسبل علينا [هذا][61]الستر فقد تبنا. وفي الرسالة ليست الفتوة أن تحسن إلى من أحسن إليك فإن ذلك جزاء ومكافاه ولكن الفتوة أن تحسن إلى من أساء إليك. قالوا: الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يبرز منها إلا كل مليح. حكي أن بعض الصوفية كان ترقيه[62]بصراح "الشكر فزاره"[63] رجل قطعت بالفور يده، فقال زورة[64]بقطع يد، قال يا سيدي ما تسببت؟ قال على هذا أطالبك لم تحاج صاحبك ولم تتركه يقتص منه اهـ.

وتسمى الصوفية هذا القلب يستغفر لظالمه حتى ينقلب كما تقدم في اللصوص الذين قالوا لغير هذا جئنا جاءوا للعصيان بقلوب قاسية[65]فنالوا بركة المتاب وإصلاح الطوية.

والشيء يذكر بالشيء؛ من الرسالة عن الزجاجي قال: ماتت أمي فورثت دارا بعتها بخمسين دينارا وخرجت إلى الحج فلما بلغت بابل[66]استقبلني واحد من القياقنة[67]وقال إيش معك؟ فقلت في نفسي الصدق خير، فقلت خمسون دينارا فقال ناولنيها فناولته الصرة فعدها فإذا هي خمسون فقال لي خذها فلقد أخذني

(59) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(60) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

(61) ما بين المعكوفتين غير موجود في م.

(62) في ت: "توقيه".

(63) في ت: كلمات غير مقروءة.

(64) في ت: "زره بقطع يد".

(65) في ت: "قسية".

(66) بابل: مدينة قديمة أنقاضها واقعة على الفرات جنوب شرقي بغداد جعلها الاسكندر عاصمة الشرق، ومذكورة في القرآن الكريم وبرج بابل بناه أولاد نوح ليصلوا به إلى السماء بزعمهم.

(67) هكذا في النسخ، وهو تصحيف كلمة القناقنة ومفرده القناقن بضم القاف وجمعه القناقن بفتح القاف وهو البصير بالماء في حفر القني -انظر القاموس مادة قن ص1582، والمقصود هنا الدليل الهادي. والقصة أوردها القشيري عن أبي عمرو الزجاجي في الرسالة ص212.

صدقك ثم نزل من[68] الدابة وقال اركبها فقلت لا أريد ولا بد فألح فركبتها فقال وأنا على أثرك فلما كان العام المستقبل لحقني ولا زمني حتى مات.

وقد تقدم في آخر المقام الثاني قول تاج الدين: حظ النفس في المعصية ظاهر جلي، وحظها في الطاعة باطن خفي فراجعه. ومن نحو هذا قول السبائي ما أرى لي[69] فضلا على أهل الكبائر، حكاية حسان بن أبي سنان[70] لقي رجلا به زهد وكان مع حسان رجل فسأله حسان مسألة لطيفة فقال الرجل تسايل هذا مثل هذه المسايلة، حتى يظن في نفسه أنه شيء؟ فقال له وما يدريك لعله تكون فيه خصلة يحبها الله وفيك خصلة يبغضها الله [فقال له يا عبد الله وما هذه الخصلة التي فيه يحبها الله والخصلة التي في يبغضها الله؟][71]؟ قال له لعله حين رآك حدثته نفسه أنك خير منه ولعلك حين رأيته حدثتك نفسك أنك خير منه. وقد تقدم في آخر المقام الثاني في محاجة معاوية للمسور، [إذ قال له][72]ألم يكن لك يا مسور ذنوب تخاف أن يؤاخذك الله بها؟ فقال بلى [فقال][73]وما جعلك أحق أن ترجو المغفرة مني وإني وإياك على دين يقبل الله فيه الحسنات إلى آخر الحكاية، حتى قال المسور فعرفت أنه خصمني فكان بعد لا يذكره إلا بخير.

و في الكتب المنزلة: حذر الصديقين أني [إن][74]وضعت عدلي عليهم عذبتهم. وعن حفص بن حميد قال قلت لابن المبارك رأيت رجلا قتل رجلا فوقع في نفسي إني أفضل منه فقال لي ابن المبارك: أمنك على نفسك أشد من ذنبه اهـ.

(68) في م و ط: "على الدابة"، والأولى عن الدابة فيكون ما في النسخ تصحيف.
(69) في ت: "ما أراني".
(70) هو أبو عبد الله أحد العابدين البكائين ذكر ابن الجوزي كثيرا من الروايات في عبادته منها هذه القصة التي أوردها المؤلف روى حسان عن الحسن وثابت البناني وأسند عن أنس غير أنه اشتغل بالعبادة عن الرواية.
(71) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(72) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(73) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(74) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.

وانظر إذا كان متقي الشرك يوشك أن يغفر له فكيف لا يترك به من يوقن أنه إن نوقش الحساب عذب [فقد صح «من نوقش الحساب عذب»[75]][76]. وثبّت القرآن ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[77]اهـ[78].

عاد الكلام إلى سيد الأنام لا أحصي ثناء عليك [أنت كما أثنيت على نفسك][79]فكيف بمن دونه ﷺ؟ فبالحري لمن رأى المنة وأيقن بالتقصير أن تصدر منه الحالة التي هي ثمرتها وذلك الاستحياء حق الحياء وهذه حالة الرجل الذي غبطه الحسن [البصري][80]رضي الله عنه وذلك أنه قيل له ها هنا رجل لم نره قط إلا جالسا وحده خلف سارية فقال الحسن: إذا رأيتموه فأخبروني فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرناك به فمشى إليه الحسن وقال يا عبد الله ما يمنعك من مجالسة الناس[81]؟ فقال أمر شغلني عن الناس. فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه؟ فقال: أمر شغلني عن الحسن وعن الناس فقال الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله؟ فقال: إني أصبح وأمسي بين ذنب ونعمة فرأيت أن أشغل نفسي بالاستغفار لذنبي والشكر على نعم ربي، فقال له الحسن يا عبد الله أنت أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه اهـ. ولا شك أن هذا هو حقيقة الحياء لم يبق له تشوق لحظ ولا بقاء مع نفس. قال تاج الدين في حكمه: مطلب العارفين من الله الصدق بالعبودية[82]والقيام بحق[83]الربوبية. قال شارحها من غير

(75) الحديث: متفق عليه من حديث عائشة وعند الطبراني من حديث ابن الزبير "من نوقش المحاسبة هلك"ـ كشف الخفاء 2/374.
(76) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.
(77) الآية 48 من سورة النساء.
(78) إلى هنا انتهى الكلام الاعتراضي وعاد المؤلف إلى سياق كلامه بقوله عاد الكلامة إلخ.
(79) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(80) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(81) في ت: "الحسن" وهو تصحيف، وصححه الناسخ على الهامش حيث كتب: "الناس".
(82) في ت: "في العبودية".
(83) في ت: "بحقوق".

طلب لحظ ولا بقاء مع نفس ويتبين بها مصداق قول ابن العربي في سراجه: كان[84] الطرطوشي يقول لنا هل لكم في أن نخرج بأنفسنا ونتبتل إلى ربنا؟ قال ابن العربي فكنت أقول له إذا حصلت ما أؤمل من العلم كنت لك[85] صاحبا في هذا الغرض، والذي ظهر لي أن شيخنا أبا بكر[رضي الله عنه][86] لم تكن له عزيمة على هذه القصة فإن من أرادهالم يحتج فيها إلى صاحب إلا الذي تبتل له اهـ نصه رحمه الله. وانظر يشهد لهذا ما حكاه في الرسالة عن بعض المشائخ قال كنت في البادية وحدي فضاق صدري فقلت: يا إنس كلموني يا جن، فهتف بي هاتف: أيش تريد؟ فقلت أريد الله، فقال [له][87] الهاتف: حتى تريد الله اهـ.

وتبين أن هذه كلها حظوظ وبقايا مع النفوس ومن استحيا من الله حق الحياء غاب عن الأغيار.

والشيء يذكر بالشيء: حكى في الرسالة أيضا عن بعضهم أنه قيل له: ادعلي، قال: كفاك من الأجنبية أن تجعل بينك وبين مولاك واسطة.

وقال بكر بن عبد الله[88] يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن دخلت [عليه][89] قيل[90] وكيف ذلك؟ قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت [قد][91] دخلت على مولاك بغير إذن وتكلمه بغير ترجمان.

(84) في ت: "قال كان".
(85) في ت: "لنا".
(86) ما بين المعكوفتين ساقط من ط و م.
(87) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(88) بكر بن عبد الله المزني عابد تابعي أسند عن ابن عمر وجابر وعبد الله بن مغفل ومعقل بن يسار وغيرهم من كلامه: لا يكون العبد تقيا حتى يكون تقي الطمع تقي الغضب توفي سنة 108 صفة الصفوة 3/248 عدد 505.
(89) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(90) في ت: "قال".
(91) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

ونقل الآجرى[92] عن وهب بن منبه أن راهبا تخلى في صومعته زمان[93] عيسى عليه السلام فأراده إبليس فلم يقدر عليه ثم أتاه بكل زائرة[94] وقال له: افتح فإني إن ذهبت ندمت فلم يقدر عليه فأتاه متشبها بالمسيح بن مريم وناداه أيها الراهب أشرف علي أكلمك، فقال انطلق إلى شأنك فلست أرد ما مضى من عمري، فقال فأشرف علي فأنا المسيح فقال وإن كنت المسيح فمالي إليك حاجة أليس قد أمرتنا بالعبادة وواعدتنا القيامة فلو جئتني اليوم بغير ذلك لم أقبله منك، انطلق لشأنك فلا حاجة لي فيك[95] فانطلق اللّعين وتركه[96]. يقولون رضي الله عنهم: جميع الأغيار والأنوار والأحوال والدنيا والآخرة والنعم الظاهرة والباطنة لا تلاحظ شيئا من ذلك ولا تركنن إليه ولا تعتمد عليه بقي أو ذهب فإن ذلك قادح في إخلاص التوحيد.

وفي الإشارات[97] لا تركنن لشيء دوننا إن أويت إلى العمل رددناه عليك وإن وثقت بالحال وقفناك معه وإن أنست بالوجد[98] استدرجناك فيه وإن لحظت الخلق وكلناك إليهم وإن اعتززت[99] بالمعرفة نكرناها [عليك][100] فأي حيلة لك وأي قوة معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك [لنا][101] عبدا. ونقل [عياض][102] في مداركه عن

(92) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري الفقيه الشافعي عابد صالح روى عن أبي مسلم الكجي وأبي شعيب الحراني وغيرهم وعنه جماعة من الحفاظ منهم أبو نعيم الأصفهاني صاحب كتاب حلية الأولياء له كتاب الأربعين حديثا المشهورة باسمه توفي سنة360 هـ—وفيات الأعيان 4/292 عدد 623.
(93) في ت: "زعم" وهو تصحيف.
(94) في ت: "زائدة".
(95) في ت: "بك".
(96) هذه القصة وردت في كثير من كتب الزهد والرقائق منسوبة إلى وهب بن منبه بصيغ مختلفة. انظر البداية والنهاية المجلد 5 ج 9/298.
(97) الإشارات العلية والعبارات السنية لأبي الحسن الشاذلي ذكره صاحب كتاب المفاخر العلية شرح الحكم العطائية ولم يذكره صاحب كتاب كشف الظنون.
(98) في م: "بالوجود".
(99) في م: "وإن اعتذرت".
(100) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(101) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(102) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.

ابن المبارك قال مررت بحائك وقد انقطع شسع نعلي فلقيني بقبال فقلت أ للثواب[103]فعلتها؟ قال نعم، فكنت إذا جزت به[104]ملت إليه فسلمت عليه ثم افتقدته فأصبته قد أغلق حانوته، فسألت عنه بعض جيرانه فقلت[105]إن كان مريضا عدناه أو مشغولا أعناه أو فقيرا واسيناه فقالوا: لا علم لنا به فاستدللت على منزله فخرج إلي فسألته ما شغلك عن حانوتك؟ فقال لي: أنت يا ابن المبارك يراك الناس تميل إلي فألبستني قميصا ليس علي منه شيء فأخذت بكمه فسرت به إلى المقابر فقلت هذا قبر فلان كان من شأنه كذا وكذا وهذا قبر فلان كان من شأنه كذا وكذا. فقال: يا ابن المبارك: لا أعرف[106]ما تقول ليس الرجل كل الرجل من وصفته الألسن وليس[107]الرجل كل الرجل من رمقته الأعين، إنما الرجل من ستر الله عليه في حياته فأدخله قبره مستورا، ثم أبرزه يوم القيامة ليس عليه ذلة من معصية فذلك الرجل.

وقال في الرسالة ومنهم يعني من مشائخ الصوفية رويم بن أحمد بغدادي من جلة[108]المشائخ سأله رجل وقال له أوصني؟ فقال ما هذا الأمر إلا بذل الروح فإن أمكنك الدخول مع هذا وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية اهـ.

وقد قال سبحانه وتعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[109]والعبادة بذل المجهود في مرضات المعبود من غير طلب لحظ ولا بقاء مع نفس. قال تاج الدين في حكمه: كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك أم كيف [تطلب][110] الجزاء على صدق هو مهديه إليك. قال الواسطي[111]:مطالبة[112]

(103) في م و ط: "ألا ثواب" وهو تصحيف.
(104) في م: "عليه".
(105) في ت: "وقلت".
(106) في م و ط: "ما أعرف".
(107) في ت: "ولا".
(108) في م: "من جملة".
(109) الآية 56 من سورة الذاريات.
(110) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(111) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي خراساني الأصل من فرغانة صحب الجنيد والنوري كان عالما كبيرا أقام بمرو مات سنة 331 هـ ـ الرسالة ص 439.
(112) في ت: "مطالعة" وهو تصحيف.

الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل. وقال تاج الدين [أيضا][113] في حكمه: المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا. وقال أيضا في حكمه: لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول. وقال أيضا في حكمه: أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته، يقول الصادق المصدوق ﷺ: «لن يدخل أحدكم الجنة عمله» قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة»[114]وفي الصحيح يقول ﷺ «أنا أخشاكم لله» قال الله عز وجل ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[115]قال في الإحياء: عليك إن كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء من المتعبدين لينبعث نشاطك ويتوفر[116]حرصك، وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك ومن أحسن علاج النفس صحبة مجتهد في العبادة قال "بعضهم"[117]: كنت إذا اعترتني فترة نظرت [نظرة فعملت عليها أسبوعا][118]إلى محمد بن واسع و إلى اجتهاده وقد كان إمامنا مالك يأتي محمد بن المنكدر وكان أحمد بن حنبل ويحي بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما. وكان الإمام الشافعي يجلس بين يدي شيبان الراعي[119]كما يقعد الصبي في المكتب. قال في الإحياء: إلا أن هذا قد تعذر فينبغي أن يرجع إلى سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجَهْد الجَهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم.

(113) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(114) أخرجه البخاري 157/7 ومسلم في صفات المنافقين وأحمد في المسند والطبراني – موسوعة الأطراف 718/6.
(115) الآية 28 من سورة فاطر.
(116) في ت: "ويزيد".
(117) بياض في م و ط ولعل محله كلمة "بعضهم" التي أثبتناها من ت.
(118) ما بين المعكوفتين زيادة من هامش ت تم إدراجها لزيادتها المعنى.
(119) شيبان الراعي رجل صالح من أهل الفضل يعظ الناس وعظ هارون الرشيد في الحج له كرامات يقال إنه كان يخط على غنمه ويذهب للجمعة فيجيء فيجدها على حالتها لم تتحرك صحبه الشافعي وسفيان لم يذكر ابن الجوزي تاريخ وفاته –صفة الصفوة 376/4 عدد 911.

دخل قوم لزيارة عمر بن عبد العزيز وفيهم شاب نحيل الجسم فقال له عمر: يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض فقال سألتك بالله إلا صدقتني فقال يا أمير المؤمنين: ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة فصغر في عيني زهرتها ونضارتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فأظمأت[120] لذلك نهاري وأسهرت ليلي، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه. وروى الدارقطني[121] أن رسول الله ﷺ قال «لو أن رجلا جر على وجهه من يوم خلق إلى أن يموت في طاعة الله لحقره لذلك[122] اليوم ولَوَدَّ أنه زيد كما يزاد من الأجر»[123].

وانظر الحديث الصحيح؛ أنه «يؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فإنه يقول والله ما رأيت بؤسا قط ولا مرّت بي شدة قط»[124] فيضمحل مصابه وبؤسه ونعيمه وسروره بين عينيه في جنب ما يرى يوم القيامة من ثواب الله عز وجل وعقابه. وقيل في قوله سبحانه ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾[125] لم يقل لهذه الحياة لأن حياة

---

(120) في ط: "فاضمات" وفي م: "فصمت".
(121) هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني البغدادي أبو الحسن شيخ الإسلام الحافظ الشهير سمع البغوي وابن أبي داوود وعنه الحاكم وأبو حامد الإسفرائيني له السنن والعلل والأفراد، قال القاضي أبو الطيب عنه: أمير المؤمنين في الحديث، توفي سنة 385هـ – طبقات الحفاظ ص394 عدد 895.
(122) في م و ط : "ذلك".
(123) أصل الحديث ثابت في مسند أحمد والبخاري في التاريخ والطبراني في الكبير من حديث عتبة بن عبد السلمي وأما الزيادة التي ذكر المؤلف وهي "ولود أنه زيد كما يزاد من الأجر" خاصة بالدارقطني وذكرها ابن كثير في جامع المسانيد والهيثمي في مجمع الزوائد وعزوها لأحمد في المسند موقوفا على محمد بن أبي عميرة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورجاله رجال الصحيح وعزوه كذلك للطبراني في الكبير ولفظه "لو أن عبدا خر على وجهه..." الحديث – انظر فيض القدير 5/308 و إتحاف المهرة 10/178 وجامع المسانيد 8/552 ومجمع الزوائد 10/388.
(124) الحديث في مصنف ابن أبي شيبة والزهد لابن المبارك – موسوعة الأطراف 11/09.
(125) الآية 24 من سورة الفجر.

الدنيا تضمحل بين عينيه إذا علم أنه في الحياة الأبدية قال سبحانه ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[126].

وقال أحمد بن حرب[127]: يا عجبا لمنْ يعرف أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام بينهما!.

وكان كرز بن وبرة[128] يختم القرآن في كل ليلة ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادة غاية المجاهدة فقيل له قد أجهدت نفسك، فقال[129] كم عمر الدنيا؟ قيل سبعة آلاف سنة، قال وكم مقدار يوم القيامة؟ قيل خمسون ألف سنة، فقال كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم أن يأمن من يوم؟ يعني أنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم القيامة وحده لكان ربحك كثيرا، وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا نهاية لها! وكانت عابدة يقال لها بريرة[130] تتعبد وتكثر القراءة في المصحف، فكلما مرت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء، فقال بنو عمها: انطلقوا بنا نعذلها في كثرة البكاء فدخلوا عليها فقالوا لها كيف أصبحت؟ فقالت أصبحنا أضيافا مقيمين بأرض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب، فقالوا لها لكم هذا البكاء أما رأيت عينيك قد ذهبتا؟ فقالت إن يكن لعينيَّ عند الله خير ما يضرهما ما ذهب

---

(126) الآية 64 من سورة العنكبوت.
(127) أحمد بن جرب بن محمد بن علي بن حبان بن مازن الطائي أبو علي وقيل أبو بكر الموصلي لجده مازن صحبة روى عن ابن عيينة وأبي معاوية والمحاربي وابن علية وعنه النسائي ومكحول وأبو بكر بن أبي داوود وغيرهم قال عنه النسائي لا بأس به قال ابن أبي حاتم كان صدوقا وذكره ابن حبان كذلك في الثقات توفي سنة 263هـ – التهذيب 1/23
(128) هو كرز بن وبرة الحارثي كوفي الأصل وسكن جرجان عابد كثير الصلاة وقراءة القرآن كان يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات أسند عن طاووس وعطاء والربيع والقرظي وغيرهم لم يذكر ابن الجوزي تاريخ وفاته – صفة الصفوة 3/120 عدد 435.
(129) في م: "فقيل".
(130) "بريرة" هكذا في النسخ وهو تصحيف بردة بفتح الباء الصريمية ذكرها ابن الجوزي من العابدات وأنها كانت في زمن الحسن وذكر من عبادتها روايات ولم يذكر تاريخ وفاتها – صفة الصفوة 4/36 عدد 596.

منهما في دار الدنيا وإن يكن لهما عند الله شر فسيردهما بكاء أطول من هذا. فقالوا قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه.

وكانت حبيبة[131] العابدة إذا صلت العتمة قامت على سطح، وشدت عليها درعها وقالت: إلهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك. ثم تقبل على صلاتها فإذا كان السحر وطلع الفجر قالت: إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فياليت شعري أقبلت ليلتي فأهنأ، أم رددتها علي فأعزى، وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني.

وكانت عجردة[132] العابدة تحيي الليل وكانت ضريرة البصر فإذا كان السحر نادت بصوت محزون: إليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك فبك إلهي أسألك لا بغيرك أن تلحقني بعبادك الصالحين فإنك أرحم الراحمين وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجيب[133] ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر.

وقال يحي بن بسطام[134] كنت أشهد مجلس شعوانة[135] فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها إذا دخلت فأمرناها بالرفق بنفسها

(131) حبيبة العدوية ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة من العابدات وذكر قصة عبادتها هذه رواية عن عبد الله المكي ولم يذكر تأريخ وفاتها –صفة الصفوة 4/32 عدد 590.
(132) في م: "هجردة" وهو تصحيف عجردة العمية ذكرها ابن الجوزي من العابدات البكاءات وأرد هذا الكلام عن رجاء بن مسلم العبدي وأورد من عبادتها روايات أخرى ولم يذكر تاريخ وفاتها –صفة الصفوة 4/31 عدد 589.
(133) في ت: "وجبة".
(134) ذكره ابن الجوزي في ترجمة شعوانة العابدة وترجمة عفيرة ولم نجد له ترجمة –صفة الصفوة 4/33 وص54.
(135) شعوانة إحدى العابدات بالأبلة ذكر ابن الجوزي من عبادتها كثيرا فمن ذلك القصة التي ذكر المؤلف عن يحيى بن بسطام مسميا صاحبه عمران بن مسلم كما ذكر كثيرا من بكائها وعبادتها وأن الفضيل بن عياض سألها أن تدعو له فقالت له يا فضيل أما بينك وبين الله ما إن دعوته استجاب لك؟ فشهق من هذه التذكرة. وقصة طوافها هي وزوجها بمكة وصبرها على ذلك، ولم يذكر بن الجوزي تاريخ وفاتها –صفة الصفوة 4/54 عدد 630.

فقال أنت وذاك، قال فأتيناها فقلنا لها لو رفقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيئا لكان ذلك أقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت ووالله لوددت[136] أني أبكي دما حتى تنفد دموعي ثم أبكي حتى لا تبقى قطرة دم في جارحة من جوارحي وأنى لي البكاء! وأنى لي البكاء! فلم تزل تردد وأنى لي البكاء حتى غشي عليها.

وعن أحمد بن علي[137]: استأذنا على[138] عُفَيْرَةَ[139] فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب فسمعتها وهي تقول اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا أمة الله ادعي[140] الله لنا، فقالت جعل الله قِراكم في بيتي[141] المغفرة، ثم قالت مكث عطاء السلمي[142] أربعين سنة لا ينظر إلى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فأصابه فتق في بطنه. فياليت عفرة[143] إذا رفعت رأسها إلى السماء لم تعص وياليتها إذا عصت لم تعد[144].

(136) في م و ط: "لو وددت".
(137) أحمد بن علي بن سعيد بن إبراهيم القرشي الأموي أبو بكر المروزي قاضي دمشق روى عن علي بن المديني وأحمد ويحيى ابني أبي شيبة وعنه النسائي وأبو عوانة والطبراني قال النسائي ثقة توفي سنة 292هـ له تصانيف منها كتاب العلم ومسند أبي بكر وعثمان وعائشة – التهذيب 1/62.
(138) في م و ط: "أستاذ عفيرة" وهو تصحيف.
(139) عفيرة بضم العين العابدة دخل عليه العابدون يزورونها فقالت ما شأنكم؟ قالوا نسألك الدعاء، قالت لو أن الخاطئين خرسوا ما تكلمت عجوزكم، ولكن الدعاء سنة ثم قالت جعل الله قراكم من بيتي الجنة وجعل ذكر الموت مني ومنكم على بال وحفظ علينا الإيمان وهو أرحم الراحمين، ذكرها الشعراني في الطبقات وابن الجوزي –صفة الصفوة 4/33 عدد 593.
(140) في م وت: بدون ياء.
(141) في م و ط: "في بيت".
(142) هو أبو عبد الله عطاء بن أبي عبيدة البكاء العابد أدرك أنس بن مالك ولقي الحسن ومالك بن دينار وطبقتهم وشغلته العبادة عن الرواية أورد ابن الجوزي قصته هذه مع قصص أخرى له في العبادة والبكاء ولم يذكر تاريخ وفاته. –صفة الصفوة 3/325 عدد 538.
(143) المقصود عفيرة المتقدمة ولعلها تدعى عفرة وأحيانا عفيرة بالتصغير.
(144) في م و ط: "تعبد" وهو تصحيف.

وقال الخواص[145]: دخلنا على رحلة[146]العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت[147]وصلت حتى أقعدت. وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها وذكرناها شيئا من العفو ليهون عليها الأمر فشهقت شهقة وقالت علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي ووددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيئا مذكورا ثم أقبلت على صلاتها. وانظر إذا كان عمر رضي الله عنه يقول مثل هذا فمن باب أولى غيره، أخذ رضي الله عنه يوما تبنة من الأرض، وقال ياليتني هذه التبنة ياليتني لم أك شيئا مذكورا يا ليت أمي لم تلدني ياليتني كنت نسيا منسيا، وكذلك أبوبكر رضي الله عنه نظر إلى طير[148]فقال ياليتني مثلك يا طير[149]. وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني إذا مت لم أبعث. وعن مالك بن دينار: بينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: يا رب [كم من شهوة ذهبت لذتها وبقيت تباعتها! يارب][150]. أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار! وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر.

قال مالك بن دينار فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول ثكلت مالكا أمه. ورىء الفضيل بن عياض يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى كادت الشمس تغرب، قبض على لحيته ورفع رأسه إلى السماء وقال واسوءتاه منك وإن عفوت ثم انقلب مع الناس.

(145) هو عباد بن عباد أبو عتبة الخواص من عباد التابعين ذكره ابن الجوزي في قصة زجلة العابدة 4/40.
(146) هكذا في النسخ "رحلة" بالمهملة والذي في صفة الصفوة: زجلة مولاة معاوية عابدة كثيرة البكاء والصلاة والصوم كانت لا ترفع بصرها إلى السماء وكانت تخرج إلى الساحل تغسل ثياب المجاهدين-صفة الصفوة 4/40عدد 604.
(147) هكذا في النسخ: "عميت"، والذي في صفة الصفوة "عمشت" 4/40 وذكر ابن الجوزي قصة شبيهة بهذه عن يحيى بن بسطام مع عفيرة العابدة 4/33.
(148) في م: "طين".
(149) في م: "طين" وفي ت: "طائر".
(150) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.

وقال الحسن لقد وقذتني[151]كلمة سمعتها من الحجاج على أعواد هذا المنبر سمعته يقول إن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول عليها حسرته إلى يوم القيامة.

وقال عمر بن عبد العزيز: إنما جعل[152]الله هذه الغفلة رحمة في قلوب العباد لئلا يموتوا من خشية الله.

وقال الحسن: المؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن.

وكان عطاء السلمي -على دينه وفضله. لا يسأل الله الجنة إنما كان يسأل الله العفو.

وورد[في][153]الخبر «يخرج من النار رجل بعد ألف عام»[154]فقال الحسن: ليتني ذلك الرجل، وعوتب رضي الله عنه في شدة حزنه، فقال: ما يؤمنني أن يكون الله قد اطّلع عليّ في بعض ما يكرهه فمقتني اهـ. وقال سبحانه ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾[155]فكان الشاذلي رضي الله عنه يقول: اللهم اجعل سيئاتنا[156] سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا[157]حسنات من أبغضت.

وفي الخبر «أن الله أوحى إلى عبد تداركه بعد أن أشفى على الهلكة، كم من ذنب واجهتني به غفرته[158]لك؟ قد أهلكت في دونه أمة من الأمم» وذكر الله قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن أن تعرف سنة الله في عباده فذكر الله سبحانه إخوة يوسف عليه السلام وأنه احتمل منهم ما صدر من [غير][159]عقاب.

(151) في م و ط: "وخذتني".
(152) في م: "فعل" وهو تصحيف.
(153) ما بين المعكوفتين غير موجود في ت.
(154) الخبر ورد في كنز العمال للمتقي الهندي رقم 39557 والإتحافات السنية رقم 313 – موسوعة الأطراف 11/303.
(155) الآية 21 من سورة العنكبوت.
(156) في ت: "سيئاتي".
(157) في ت: "حسناتي".
(158) في ت: "غفرتها" وهو تصحيف.
(159) ما بين المعكوفتين ساقط من م.

وعوقب يونس عليه السلام فيما دون ذلك وأقيم مقام الهيبة، ونهي نبينا ﷺ أن يقتدي به فقال ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾[160]وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه. قال في الإحياء: كأنه أشار إلى ما في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» زاد الترمذي «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات[161]تجأرون إلى الله»[162] .

وقال الشيخ داوود[163]في حكمه: لن تزال القلوب وجلة والعيون باكية والعبد بين خوف ورجاء وقلق وبكاء ما دامت هذه الأرواح في ظلمات هذه الأشباح، وذلك في كل رتبة من ولاية وصديقية وشهادة وصلاح وإيمان [وإسلام][164] .

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: لا يطمئن قلب المؤمن ولا يسكن روعه حتى يخلف جسر جهنم اهـ.

وكيف يطمئن قلب أحد، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لو قيل لي لا يدخل الجنة إلا رجل واحد لرجوت أن أكون ذلك الرجل[ولو قيل لي لا يدخل

(160) الآية 48 من سورة القلم.
(161) في م و ط: "الصعداء" وهو تصحيف لأن لفظ الحديث "الصعدات".
(162) أصل الحديث في البخاري 2/43 ومسلم في الفضائل والترمذي في كتاب الزهد والنسائي في الكسوف وأحمد والطبراني وابن حبان وغيرهم والزيادة المذكورة في الترمذي كما ذكر المؤلف في كتاب الزهد الحديث 2312 وهي كذلك في ابن ماجه وأحمد في المسند والحاكم في المستدرك – موسوعة الأطراف 3/632 و6/952.
(163) هو الشيخ داوود الكبير بن ماخلا الشاذلي العالم العارف بالله أخذ عن ابن عطاء الله وله كتاب في الحكم سماه عيون الحقائق ذكر الشعراني جملا كثيرة من حكمه في كتابه الطبقات الكبرى، قال صاحب الشجرة إنه لم يقف على تاريخ وفاته ولكنه عاش في أوائل القرن الثامن الهجري – شجرة النور عدد 704.
(164) ما بين المعكوفتين ساقط من ت.

النار إلا رجل واحد لخفت أن أكون ذلك الرجل][165]. وبالجملة فلا مقام أشرف من [مقام][166]المعرفة.

وقد شهد في الرسالة أن العارف يخرج من الدنيا وما قضى وطره من شيئين من بكائه على نفسه ومن ثنائه على ربه.

وقد تقدم أن الاستحياء من الله حق الحياء هي ثمرة رؤيتين؛ رؤية المنة، ورؤية التقصير وبهاتين الرؤيتين يغيب الرائي لهما عن الأغيار فلا يكون له المجال الرحب إلا في الاستغفار فهو دأب العارفين بل ومرقى خيرة [الخلق][167]من الأنبياء والمرسلين؛

هذا أبونا آدم عليه السلام أخبر الله عنه يقول ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[168]. وهذا نوح عليه السلام أخبر الله عنه يقول ﴿وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾[169][وقال: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾[170]][171]وهذا إبراهيم عليه السلام أخبر الله عنه فقال ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾[172]وأخبر عن استغفاره حيث قال ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾[173]وقال ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾[174]وهذا داوود عليه السلام أخبر الله سبحانه أنه ﴿استغفر ربه وخر راكعا وأناب﴾[175][وهذا سليمان عليه السلام مدحه الله سبحانه بقوله: ﴿نعم العبد

(165) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(166) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(167) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(168) الآية 23 من سورة الأعراف.
(169) الآية 47 من سورة هود.
(170) الآية 28 من سورة نوح.
(171) ما بين المعكوفتين غير موجود في م و ط.
(172) الآية 114 من سورة التوبة.
(173) الآية 41 من سورة إبراهيم.
(174) الآية 5 من سورة الممتحنة.
(175) الآية "وظن داوود أن ما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب" رقم 24 من سورة ص

إنه أوا ب ﴾[176]][177]وهذا موسى عليه السلام أخبر الله سبحانه عن استغفاره فقال ﴿ رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾[178]وقال ﴿ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾[179] .

وأما نبينا محمد ﷺ فقد وردت الأخبار وصحت الآثار أنه كان ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ويقول مع ذلك « أنا أخشاكم لله » وصلى ﷺ حتى انتفخت قدماه وفي رواية تورمت قدماه ومع ذلك كما تقدم كان يعد له في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة رب اغفر لي وتب علي ولا تنظر لهذا بل لَمَّا نصر الله دينه ودخل الناس فيه أفواجا حينئذ أمره الله بالاستغفار فكان آخر آية نزلت سورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ فثبت في الصحيحين أنه [ﷺ][180]ما صلى بعد ذلك صلاة إلا يقول فيها « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي »[181]ومن المسالك: كان رسول الله ﷺ يطلب المغفرة من ربه قبل أن يعلمه أنه قد غفر له وكان يستغفر بعد ذلك لأنه غفر لَه بشرطين، بشرط استغفاره وبشرط الأعمال الصالحة[182]، والكل له حاصل بفضل الله. وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها كانت تقول من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفى في يومي و بين سحري ونحري قالت وسمعته ﷺ وأصغيت إليه قبل أن يموت وهو مسند إلي ظهره وهو يقول « اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى »[183]اهـ من صحيح البخاري. فإذا كان هذا دعاء

(176) الآية 30 من سورة ص.
(177) ما بين المعكوفتين ساقط من م.
(178) الآية 151 من سورة الأعراف.
(179) الآية 155 من سورة الأعراف.
(180) ما بين المعكوفتين ساقط من م و ط.
(181) الحديث في صحيح البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي" – الأذكار ص 54.
(182) في م: "الصلاة" وهو تصحيف.
(183) الحديث في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها – الأذكار ص 129.

سيد الأولين والآخرين آخر يوم من أيام الدنيا « اللهم اغفر لي وارحمني » فكيف يكون لأحد بعد هذا رضى عن نفسه أو يرى لها فضلا على غيره.

خاتمة المؤلف

وقد نجز بفضل الله[1] وقوته ما قصدت[2] وختمت كتابي بالمقام الذي به بدأت واقتدائي بدالّي على الله ووسيلتي إلى الله محمد ﷺ في كلماته التي ما جلس ﷺ مجلسا ولا قرأ قرآنا ولا صلى صلاة إلا ختم ذلك بها حسبما رواه الترمذي والنسائي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فأقول: «سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين»[3].

(1) في ت: "بحمد الله".
(2) في ت: "قصدته".
(3) لعل هذا الدعاء مركب من ثلاثة أحاديث أولها حديث الترمذي وأبي داوود والحاكم من حديث أبي هريرة وأبي برزة وعائشة رضي الله عنهم وثانيها حديث أبي أمامة في المستدرك وقد تقدم فيمن قال "يا أرحم الراحمين ثلاثا" وثالثها الحديث الموقوف على علي في حلية الأولياء لأبي نعيم "من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل في آخر المجلس أو حين يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" – انظر الأذكار ص 265 وص352.

خاتمة الطبعة الحجرية

حمدا لمن أظهر معالم الدين وبين سنن المهتدين في كتابه المبين المنزل على رسوله الأمين وصفوة خلقه من خلقه الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى وآله وأصحابه أولي القوة والتمكين في كل وقت وحين وبعد فقد تم طبع هذا الكتاب الجليل العديم النظير والمثيل المسمى بسنن المهتدين في مقامات الدين الذي مبناه على آية ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ – الآية. وأنها تدل على تسع مقامات ترقيا وتدليا وكفى أن مؤلفه هو الشيخ الإمام العلامة الهمام الحافظ الضابط خطيب حضرة غرناطة ومفتيها وقاضيها أبو عبد الله سيدي محمد بن يوسف ابن أبي القاسم العبدري الغرناطي المعروف بالمواق بفتح الميم بعدها واو مشددة أخذ عن شيوخ عديدة كالقاضي ابن سراج والأستاذ المنتوري ومحمد بن يوسف الصباغ وغيرهم وأخذ عنه جماعة من أهل الأندلس وغيرهم وله على مختصر خليل شرحان أحدهما كبير والآخر صغير وهذا الكتاب المبارك المذكور. وكان متضلعا في فقه مذهب الإمام مالك عارفا بالتصوف وسالكا سبيل أهله متقننا في علوم شتى وتوفي رحمه الله بغرناطة في شهر شعبان سنة سبع وتسعين وثمانمائة. وكان طبعه بالمطبعة الجديدة بفاس المحروسة بتصحيح العلامة الأمثل النبيل الأحفل المدرس الأتقى الحيي الأنقى السيد عبد العزيز بناني بلغه الله جميع الأماني عدى الملزمة الأخيرة وذلك على ذمة الشريفين الجليلين الطالبين سيدي محمد بن بركة الخير سيدي إدريس أبو طالب وسيدي عبد الله بن العالم الأديب سيد المفضل أفيلال التطواني في ظل من سعدت بوجود طلعته الغراء الحواضر والبوادي وطاب بذكر مكارمه

وأخلاقه كل مجلس وناد، ولهج بمدح دولته الفاخرة كل رائح وغاد من هو لتاج المملكة الذهب الإبريز أبو رافع مولانا عبد العزيز أعز الله به دين الإسلام وأعانه على القيام بخلافة جده عليه الصلاة والسلام في ستة وعشرين من شعبان الأبرك عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف اهـ[1].

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه الكريم

(1) وجود هذه الخاتمة في النسخ م يدل على أن النسخ م مستنسخة من الطبعة الحجرية.